

جملته خط العرب

في عصور العرب الزاهرة

الجزء الثالث

العصر العباسي الأول

ولسبيل الجهرة

القيس

أحمد زكي صفوت

أستاذ اللغة العربية بدار العلو

الطبعة الأولى

حقوق الطبع والنقل محفوظة

تصدير

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أحمدك اللهم وقتتي إلى إتمام ما بدأت ، فلك الشكر والمنة في البدء
والنهاية ، وأصلي وأسلم على خاتم رسلك ، سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم .
وبعد : فهذا ثالث الأجزاء من « جمهرة خطب العرب » في خطب
العصر العباسي الأول ، وهو على نسق سابقه ضبطا وتحريرا ، وشرحا وتعليقا ،
ويليه ذيل الجمهرة ، في خمسة أبواب من الخطب :

الباب الأول : في خطب الأندلسيين والمغاربة .

« الثاني : في خطب ووصايا مجهول عصرها أو قائلها .

« الثالث : في نثر الأعراب .

« الرابع : في خطب النكاح .

« الخامس : في خطب من أرتج عليهم ، ونوادير طريفة لبعض الخطباء .

وبذا تم ما قصدت إلى جمعه في هذا المؤلف ، وإني أبتهل إلى المولى القدير

أن يحقق ما رجوته من استفادة قارئيه به ، وأن يسد خطانا جميعا إلى سبيل

أحمد زكي صفوت

الرشاد ، إنه الكبير المتعال

فهرس

مآخذ الخطب فى هذا الجزء

الأمالى : لأبى على القالى : الجزء الأول - الثانى - ذيل الأمالى

الأغانى : لأبى الفرج الأصبهانى : » التاسع

صبح الأعشى : لأبى العباس القلقشندى : » الأول - التاسع

نهاية الأرب : لشهاب الدين النويرى : » السادس

عيون الأخبار : لابن قتيبة الدينورى : المجلد الثانى

الكامل : لأبى العباس المبرد : الجزء الأول

العقد الفريد : لابن عبد ربه : » الأول - الثانى - الثالث

زهر الآداب : لأبى إسحق الحضرى : » الأول - الثانى - الثالث

البيان والتبيين : للجاحظ : » الأول - الثانى - الثالث

شرح نهج البلاغة : لابن أبى الحديد : المجلد الأول - الثانى

أمالى السيد المرتضى : » الأول - الرابع

مجمع الأمثال : لأبى الفضل الميدانى : » الأول

تاريخ الأم والملوك : لابن جرير الطبرى : » التاسع - العاشر

تاريخ الكامل : لابن الأثير : » السادس

مروج الذهب : للمسعودى : » الثانى

مواسم الأدب: للسيد جعفر البيتي العلوي : الجزء الثاني

الصناعتين : لأبي هلال العسكري

مقدمة ابن خلدون

المنية والأمل : لأحمد بن يحيى المرتضى



الباب الرابع

الخطبة الوصائية

في

العصر العباسي الأول

١ - خطبة أبي العباس السفاح وقد بويع بالخلافة
(توفي سنة ١٣٦ هـ)

صعد أبو العباس^(١) السفّاح المنبر حين بويع له بالخلافة، فقام في أعلاه،
وصعد عمه داود بن عليّ فقام دونه، وتكلم أبو العباس، فقال :
« الحمد لله الذي اصطفى الإسلام لنفسه تَكْرِمَةً ، وَشَرَفَهُ وَعِظَمَهُ ، واختاره
لنا وأيده بنا ، وجعلنا أهله وَكَهْفَهُ^(٢) وَحَصْنَهُ ، والقُوَّام به ، والذائِبين عنه ،
والناصرين له ، وَالزَّمَنَّا كَلِمَةَ التَّقْوَى ، وَجَعَلْنَا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ، وخصنا

[١] هو أبو العباس عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس أول الخلفاء العباسيين ، بويع بالخلافة
سنة ١٣٢ هـ . [٢] الكهف : الوزر والملجأ .

بِرَحِمِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَرَابَتِهِ ، وَأَنْشَأَنَا مِنْ آبَائِهِ ، وَأَنْبَتْنَا مِنْ شَجَرَتِهِ ، وَاشْتَقْنَا مِنْ نَبْعَتِهِ ^(١) ، جَعَلَهُ مِنْ أَقْسَنَا عَزِيزاً عَلَيْهِ مَا عَنِتْنَا ^(٢) ، حَرِيصاً عَلَيْنَا ، بِالْمُؤْمِنِينَ رَهْماً وَفَاحِياً ، وَوَضَعَنَا مِنَ الْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ بِالْمَوْضِعِ الرَّفِيعِ ، وَأَنْزَلَ بِذَلِكَ عَلَى أَهْلِ الْإِسْلَامِ كِتَاباً يُتْلَى عَلَيْهِمْ ، فَقَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ فِيمَا أَنْزَلَ مِنْ مُحْكَمِ الْقُرْآنِ : « إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ ^(٣) أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً » ، وَقَالَ : « قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى » ، وَقَالَ : « وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ » ، وَقَالَ : « مَا أَفَاءَ ^(٤) اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى » ، وَقَالَ : « وَاعْلَمُوا إِنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى » فَأَعْلَمَهُمْ جَلَّ ثَنَاؤُهُ فَضْلَنَا ، وَأَوْجِبَ عَلَيْهِمْ حَقَّنَا وَمَوَدَّتَنَا ، وَأَجْزَلَ مِنَ النَّفَى ^(٥) وَالْغَنِيمَةِ نَصِيبَنَا ، تَكْرِماً لَنَا ، وَفَضْلاً عَلَيْنَا ، وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ .

وَزَعَمَتِ السَّبْيِيَّةُ الضَّلَالُ أَنْ غَيَّرْنَا ^(٦) أَحَقُّ بِالرِّيَاسَةِ وَالْخِلَافَةِ مِنَّا ، فَشَاهَتِ ^(٧) وَجُوهُهُمْ ! يَحْمَ وَلِمَ أَيُّهَا النَّاسُ ؟ وَبِنَا هَدَى اللَّهُ النَّاسَ بَعْدَ ضَلَالَتِهِمْ ، وَبَصَّرَهُمْ بَعْدَ جَهَالَتِهِمْ ، وَأَتَقَدَّمَ بَعْدَ هَلَكَتِهِمْ ، وَأَظْهَرَ بِنَا الْحَقَّ ، وَأَذْهَضَ بِنَا الْبَاطِلَ ، وَأَصْلَحَ بِنَا مِنْهُمْ مَا كَانَ فَاسِداً ، وَرَفَعَ بِنَا الْخَسِيسَةَ ، وَأَتَمَّ بِنَا النَّقِيصَةَ ، وَجَمَعَ الْفُرْقَةَ ، حَتَّى عَادَ النَّاسُ بَعْدَ الْعِدَاوَةِ أَهْلَ تَعَاطُفٍ وَبِرٍّ ، وَمَوَاسَاةٍ فِي دِينِهِمْ وَدُنْيَاهُمْ ، وَإِخْوَاناً عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ فِي آخِرَتِهِمْ ، فَفَتَحَ اللَّهُ ذَلِكَ مِنِّهِ وَمِنْحَةً لِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَلَمَّا قَبِضَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ قَامَ بِذَلِكَ الْأَمْرِ مِنْ بَعْدِهِ أَصْحَابُهُ ، وَأَمْرُهُمْ شُورَى

[١] النعم في الأصل : شجر القسي والسهم . [٢] العنت بالتحريك : دخول المشقة على الإنسان .

[٣] القدر ، وكل ما استقدر من العمل . [٤] ما أطاده عليه أي صيره له .

[٥] الغنيمة . [٦] يريد الملوين . [٧] شاه وجهه شوها بالفتح : فجع .

بينهم ، فحَوَّوا مَوَارِيثَ الْأُمِّ ، فَعَدَلُوا فِيهَا ، وَوَضَعُوا مَوَاضِعَهَا ، وَأَعْطَوْهَا أَهْلَهَا ،
وَخَرَجُوا خِصَاصًا ^(١) مِنْهَا ، ثُمَّ وَثَبَ بَنُو حَرْبٍ وَمَرْتَوَانٌ فَابْتَزُّوْهَا وَتَدَاوَلُوهَا بَيْنَهُمْ ،
فَجَارُوا فِيهَا ، وَاسْتَأْثَرُوا بِهَا ، وَظَلَمُوا أَهْلَهَا ، فَأَمَلَى ^(٢) اللَّهُ لَهُمْ حِينًا حَتَّى آسَفُوهُ ^(٣) ،
فَلَمَّا آسَفُوهُ انْتَقَمَ مِنْهُمْ بِأَيْدِينَا ، وَرَدَّ عَلَيْنَا حَقَّنَا ، وَتَدَارَكَ بَنَا أَمْتَنَا ، وَوَلَّى نَصْرَنَا
وَالْقِيَامَ بِأَمْرِنَا ، لِيَمُنَّ بَنَا عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا فِي الْأَرْضِ ، وَخَتَمَ بَنَا كَمَا افْتَتَحَ بَنَا ،
وَإِنِّي لَا أَرْجُو إِلَّا يَأْتِيَكُمُ الْجَوْرُ مِنْ حَيْثُ أَتَاكُمْ الْخَيْرُ ، وَلَا الْفَسَادُ مِنْ حَيْثُ جَاءَكُمْ
الصَّلَاحُ ، وَمَا تَوْفِيقُنَا أَهْلَ الْبَيْتِ إِلَّا بِاللَّهِ .

يَا أَهْلَ الْكُوفَةِ ، أَنْتُمْ مَحَلَّ مَحَبَّتِنَا ، وَمَنْزِلُ مَوْدَّتِنَا ، أَنْتُمْ الَّذِينَ لَمْ تَنْيَرُوا عَنْ
ذَلِكَ ، وَلَمْ يَنْتَبِهْكُمْ عَنْ ذَلِكَ تَحَامُلُ أَهْلِ الْجَوْرِ عَلَيْكُمْ ، حَتَّى أَدْرَكْتُمْ زَمَانَنَا ، وَأَتَاكُمْ
اللَّهُ بِدَوْلَتِنَا ، فَأَنْتُمْ أَسْعَدُ النَّاسِ بَنَا ، وَأَكْرَمُهُمْ عَلَيْنَا ، وَقَدْ زِدْتُمْ فِي أُعْطِيَا تَكُمُ
مِائَةَ دَرَاهِمٍ ، فَاسْتَعْدُوا ، فَإِنَّا السَّقَّاحُ الْمُبِيعُ ، وَالنَّارُ الْمُبِيرُ ^(٤) .

وَكَانَ مَوْعُوكَا فَاشْتَدَّ بِهِ الْوَعَكُ ^(٥) ، فَجَلَسَ عَلَى الْمَنْبَرِ ، وَصَعِدَ دَاوُدُ بْنُ عَلِيٍّ ،
فَقَامَ دُونَهُ عَلَى مَرَّاقِي ^(٦) الْمَنْبَرِ ، فَقَالَ :

(تَارِيخُ الطَّبَرِيِّ ٩ : ١٢٥ ، وَضَرَحُ ابْنِ أَبِي الْحَدِيدِ ٢ : ص ٢١٣)

٣ - خُطْبَةُ دَاوُدَ بْنِ عَلِيٍّ

« الْحَمْدُ لِلَّهِ ، شُكْرًا شُكْرًا شُكْرًا ، الَّذِي أَهْلَكَ عَدُوَّنَا . وَأَصَارَ إِلَيْنَا مِيرَاثَنَا
مِنْ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، أَيُّهَا النَّاسُ : الْآنَ أَقْشَعَتْ ^(٧) حَنَادِسُ الدُّنْيَا ،

[١] حِيَاةٌ جَمْعُ حَيْصٍ مِنْ حَمْسِ الْبَطْنِ مِثْلَةُ اللَّحْمِ أَيْ خَلَا ، وَاحْمَمَةُ : الْحَمَامَةُ ، وَهُوَ حَمَامَانُ بِالضَّمِّ ،
وَحَيْصُ الْمَشَا ضَامِرُ الْبَطْنِ . [٢] أَمَلَهُمْ . [٣] أَعْصَوْهُ . [٤] أَلَارَهُ : أَهْلَكَهُ .
[٥] الْوَعَكُ : أَذَى الْحَيِّ وَوَجَعُهَا ، وَالْمِنْ شِدَّةُ التَّعَبِ . [٦] حَمْرٌ مَرَّةٌ يَتَجَمَّعُ فِيهَا الْيَمُّ وَكُتْرُهَا .
[٧] أَقْشَعَتْ الرِّيحُ السَّحَابَ : كَشَفَتْهُ كَأَنَّهُ تَشَعَّتْ فَأَتَتْ وَانْقَشَعَتْ وَتَفَتَّتْ ، وَالْحَنَادِسُ جَمْعُ حَنْدَسٍ بِكَسْرِ الْحَاءِ
وَالضَّمِّ ، وَهُوَ الظِّلَّةُ .

وانكشف غطاؤها ، وأشرقت أرضها ومماؤها ، وطلعت الشمس من مَطلعها ،
 وَبَزَغَ القمر من مَبْزَغِهِ ، وأخذ القوسَ باريها ، وعاد السهم إلى التَّزَعَةِ ^(١) . ورجع
 الحق إلى نِصابه ^(٢) ، في أهل بيت نبيكم ، أهل الرأفة والرحمة بكم والعطف عليكم .
 أيها الناس : إنا والله ما خرجنا في طلب هذا الأمر لِنُكْثِرَ لُجَيْنًا ، ولا
 عِقْيَانًا ^(٣) ، ولا نَحْفِرَ نَهْرًا ، ولا نَبْنِي قَصْرًا ، وإنما أَخْرَجْنَا الْأَثَمَةَ من ابتزازهم
 حَقًّا ، والغضبُ لبني عمنا ، وما كَرِهْنَا ^(٤) من أموركم ، وبَهَظْنَا من شئونكم ،
 ولقد كَانَتْ أُمُورُكُمْ تُرْمِضُنَا ^(٥) ونحن على قُرُشْنَا ، ويشد علينا سوءُ سيرة بني أمية
 فيكم ، وخرقُهم بكم ، واستذلالُهم لكم ، واستتارُهم بفيكم وصدقاتكم ومناغِمكم
 عليكم ، لكم ذمَّةُ الله تبارك وتعالى وذمَّةُ رسوله صلى الله عليه وسلم وذمَّةُ العباس
 رحمه الله أن نحكم فيكم بما أنزل الله ، ونعمل فيكم بكتاب الله ، ونسير في العامة منكم
 والخاصة بسيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، تَبًّا تَبًّا لبني حرب بن أمية وبني
 مروان ، آثَرُوا في مدتهم وعَصَرُهم العَاجِلَةَ على الآجِلَةِ ، والدارَ الفَانيةَ على الدارِ
 الباقية ، فَرَكِبُوا الْآثَامَ ، وظَلَمُوا الْأَنَامَ ، وَاَتَهَكُوا الْمَحَارِمَ ، وَغَشُوا الْجَرَائِمَ ،
 وَجَارُوا في سيرتهم في العباد ، وَسُنَّتْهُمْ في البلاد ، التي بها استلذوا تَسَرُّبُ الأوزارِ ،
 وَتَجَلَّبَبُ الْآصَارِ ^(٦) ، وَمَرَحُوا في أَعْيَةِ المعاصي ، وَرَكَضُوا في ميادين النِّفَى ،
 جهلا باستدراج الله ، وأمنًا لمكر الله ، فَأَتَمُّ بِأَسُّ اللَّهِ يَكَاةً وَهُمْ نَائِمُونَ ، فَأَصْبَحُوا
 أَحَادِيثَ ، وَمَزَقُوا كُلَّ مُمَزَّقٍ ، فَبُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ، وَأَدَا لَنَا ^(٧) اللَّهُ مِنْ مَرْوَانَ ،

[١] جمع تازع وهو الرامي يشد الوتر إليه ليضع فيه السهم ، وصار الأمر إلى التزعة أي قام باصلاحه
 أهل الأثمة ، وعاد السهم إلى التزعة : رجع الحق إلى أهله . [٢] أصله . [٣] ذهباً .
 [٤] كرهه المم كضرب وصر : اشتد عليه كأكرهه . [٥] أرمعه : أوجعه وأحرقه ،
 أرومض الحر القوم : اشتد عليهم فأذاهم . [٦] جمع لاصر كحل وهو الدنب . [٧] نصرنا عليه .

وقد غرّه بالله الغرور ، أرسل لعدو الله في عنانه ، حتى عثر في فضل خطامه ،
فطن عدو الله أن لن تقدر عليه ، فتأدى حربه ، وجمع مكائده ، ورمى بكتائبه ،
فوجد أمانة ووراءه ، وعن عينه وشماله ، من مكر الله وبأسه وتقمته ، ما ألمات
باطله ، وتحق ضلاله ، وجعل دائرة السوء به ، وأحيا شرفنا وعزنا ، ورد إلينا
حقنا وإرثنا .

أيها الناس ، إن أمير المؤمنين - نصره الله نصراً عزيزاً - إنما عاد إلى المنبر
بعد الصلاة ، أنه كره ^(١) أن يخلط بكلام الجمعة غيره ، وإنما قطعه عن استتمام
الكلام ، بعد أن استخفّر ^(٢) فيه شدة الوجد ، وادعوا الله لأمر المؤمنين بالعافية ،
فقد أبدلكم الله بمرؤس عدو الرحمن ، وخليفة الشيطان ، المتبع للسفلة الذين
أفسدوا في الأرض بعد إصلاحها ، يبدل الدين ، وانتهاك حريم المسلمين ،
الشاب ^(٣) المتكهل المتمهل ، المقتدى بسلفه الأبرار الأخيار ، الذين أصلحوا
الأرض بعد فسادها بعالم الهدى ، ومناهج التقوى « - فعبج الناس له بالدعاء -
ثم قال :

« يا أهل الكوفة : إنا والله ما زلنا مظلومين مقهورين على حقنا ، حتى أتاح
الله لنا شيعتنا أهل خراسان ، فأحيا بهم حقنا ، وأفلج ^(٤) بهم حجتنا ، وأظهر
بهم دولتنا ، وأراكم الله ما كنتم به تنتظرون ، وإليه تتشوقون ، فأظهر فيكم
الخليفة من هاشم ويض به وجوهكم ، وأدالكم على أهل الشام ، وتقل إليكم
السلطان وعز الإسلام ، ومن عليكم بإمام منحة العدالة ، وأعطاه حسن الإيالة ^(٥) ،

[١] أي لأنه كره . [٢] استخفّر الخليل : اتسع في كلامه . [٣] كانت سنة حين ولي
الخليفة ٢٨ سنة إذ ولد سنة ١٠٤ هـ . [٤] لهر . [٥] آل الله رعيته إيلا : ساسهم ،
وآل على القوم إيلا وإيالة : ولي .

تخذوا ما آتاكم الله بشكر، والزموا طاعتنا، ولا تُخَدَعُوا عن أنفسكم، فإن الأمر أمركم، فإن لكل أهل بيت مصراً، وإنكم مصرنا، ألا وإنه ماصعد منبركم هذا خليفة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وأمير المؤمنين عبد الله بن محمد - وأشار يده إلى أبي العباس - فاعلموا أن هذا الأمر فينا ليس بخارج منا، حتى نسلمه إلى عيسى بن مريم صلى الله عليه، والحمد لله رب العالمين على ما أبلانا وأولانا .

(تاريخ الطبري ٩ : ١٢٦ ، وشرح ابن أبي الحديد ٢ : ص ٢١٣)

٣ - خطبة داود بن عليّ وقد ارتج على السفاح

وروى أنه لما قام أبو العباس في أول خلافته على المنبر، قام بوجه كورقة المصحف، فاستجيا فلم يتكلم، فنهض داود بن عليّ حتى صعد المنبر، فقال المنصور: فقلت في نفسي: شيخنا وكبيرنا ويدعو إلى نفسه، فلا يختلف عليه اثنان، فاتصيت سيفي، وغطيته بثوبي^(١)، وقلت: إن فعل ناجزته، فلما رقي عتبا استقبال الناس بوجهه دون أبي العباس، ثم قال: «أيها الناس، إن أمير المؤمنين يكره أن يتقدم قوله فعله، ولا أثرُ الفعل أجدي عليكم من تشقيق^(٢) المقال، وحسبكم بكتاب الله ممثلاً^(٣) فيكم، وابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم خليفة عليكم، والله - قسماً بربّنا لا أريد به إلا الله - ما قام هذا المقام أحد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أحق به من علي بن أبي طالب، وأمير المؤمنين هذا، فأيظن ظانكم، وليهنس هامسكم» قال أبو جعفر: ثم نزل، ورثمت^(٤) سيفي .

(عيون الأخبار ٢ : ص ٢٥٢، وشرح ابن أبي الحديد ٢ : ص ٢١٣، ومواسم الأدب ٢ : ١١٤)

[١] في عيون الأخبار: «وعطيت ثوبي» وهو تحريف . [٢] شقق الكلام: أخرجه أحسن مخرج .
[٣] امتثل طريقته: تبعها فلم يعد لها . [٤] شام سيفه يشبهه: غمده (واستله أيضاً: ضد) .

٤ - خطبة أخرى له

وروى السيد المرتضى في أماليه قال :

أراد أبو العباس السفاح يوماً أن يتكلم بأمر من الأمور بعد ما أفضت الخلافة إليه - وكان فيه حياة مفترط - فأرجح عليه ، فقال داود بن عليّ بعد أن حمد الله وأثنى عليه :

« أيها الناس ، إن أمير المؤمنين الذي قلده الله سياسة رعيته ، عقل من لسانه ، عند ما يُعهد من يّانه ، ولكل مرتقي بهر^(١) ، حتى تنفّسه العادات ، فأبشروا بنعمة الله في صلاح دينكم ، ورغد عيشكم » . (أمالي السيد المرتضى : ١٩)

٥ - خطبة أخرى للسفاح بالكوفة

وخطب السفاح في الجمعة الثانية بالكوفة ، فقال :

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ » والله لا أعيدكم شيئاً إلا وفيت بالوعد والوعد ، ولأعملنّ اللين حتى لا تنفع إلا الشدة ، ولأُعبدنّ السيف إلا في إقامة حد ، أو بلوغ حق ، ولأعطيكنّكم حتى أرى العطية ضياعاً ، إن أهل بيت اللعنة والشجرة^(٢) الملعونة في القرآن ، كانوا لكم أعداء ، لا يرجعون معكم من حالة إلا إلى ما هو أشدّ منها ، ولا يلي عليكم منهم والٍ إلا تمنّيتم من كان قبله ، وإن كان لا خير في جميعهم ، منعوكم الصلاة في أوقاتها ، وطالبوكم بأدائها في غير وقتها ، وأخذوا المقبل بالمدبر^(٣) ، والجار بالجار ، وسلطوا شراركم على خياركم ، فقد تحقّق الله جورهم ، وأزهق باطلهم ، بأهل بيت نبيكم ، فما تؤخّر لكم عطاء ، ولا

[١] البهر : انقطاع النفس من الإعياء . [٢] هي شجرة الرقوم التي تنبت في أصل الجحيم ، جعلها

الله قنطرة للمشرّكين إذ قالوا : إن النار تحرق الشجر فكيف تنبت .

[٣] انظر قول زياد بن أبيه في خطبته البتراء الجزء الثاني ص ٢٥٧ .

نضيع لأحد منكم حقاً ، ولا نُجْعِرُكم في بَعث ، ولا نَخَاطِرُكم في قتال ، ولا نَبْذُلُكم دون أنفسنا ، وَاللَّهِ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ بالوفاء والاجتهاد ، وعليكم بالسمع والطاعة»
ثم نزل . (شرح ابن أبي الحديد م ٢ : ص ٢١٣)

٦ — خطبة السفاح بالشام حين قتل مروان

ولما قُتل مروان بن محمد — آخر خلفاء بني أمية — خطب السفاح ، فقال :
« أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا ، وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ،
جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ » ، نكصَ بكم ي أهل الشام آلُ حرب وآل مروان ،
يَنسَكُونَ ^(١) بكم الظلم ، ويتهورون بكم مَدَاحِصَ ^(٢) الزَّلَقِ ، يَطَّوُّونَ بكم حَرَمَ
الله ^(٣) وَحَرَمَ رَسُولِهِ ^(٤) ، ماذا يقول زعماءكم غداً ؟ يقولون : « رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا
فَأَنهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ » إذن يقول الله عز وجل : « لِكُلِّ ضِعْفٍ وَلَكِنْ
لَا تَعْلَمُونَ » أما أمير المؤمنين فقد ائْتَنَفَ ^(٥) بكم التوبة ، واغْتَفَرَ لَكُمْ الزَّوْلَةَ ،
وَبَسَطَ لَكُمْ الْإِقَالََةَ ^(٦) ، وعاد بفضلِهِ على تقصمكم ، وبجلمِهِ على جهلكم ، فليُفْرِخْ
رُوعُكُمْ ^(٧) ، ولتطمئن به داركم ، وليقطع مَصَارِعُ أَوَائِلِكُمْ ، « قَتَلَكَ يَوْمَئِذٍ
خَاوِيَةٌ بِمَا ظَلَمُوا » . (القند الفريد ٢ : ١٤٥)

٧ — خطبة عيسى بن علي حين قتل مروان

وخطب عيسى بن علي — عم السفاح — لما قتل مروان ، فقال :

[١] تكع : مثنى مشياً متصفاً . [٢] جمع مدحضة : وهي الزلة . [٣] يشير إلى ما كان من
مقاتلة الحجاج عبد الله بن الزبير بمكة ، ورميه الكعبة بالنجنيق في عهد عبد الملك بن مروان .
[٤] يشير إلى وقعة الحرة وما أحدثه جيش مسلم بن عقبة للري بالمدينة على عهد يزيد بن معاوية .
[٥] استأنف وابتدأ . [٦] أقل عثرته : رصعه من سقوطه . [٧] الروع بالضم القلب ، أو
موضع الفرع منه ، والروع بالفتح : الفرع ، وأفرخت البيضة : خرج الفرخ منها ، أي ليخرج الروع
عن روعكم ولتهدوا وتطمئنا .

« الحمد لله الذي لا يفوته من طلب ، ولا يُعجزه من هرب ، خدعت والله الأشقر نفسه ، إذ ظن أن الله مُثمهله ، ويأبى الله إلا أن يُتيم نوره ولو كره الكافرون ، فحتى متى ، وإلى متى ؟ أما والله لقد كرهتهم العبدان ^(١) التي اقترعوها ، وأمسكت السماء درها ^(٢) ، والأرض ريمها ^(٣) ، وقفل الضرع ^(٤) ، وجفز الفنيق ^(٥) ، وأشمّل ^(٦) جلباب الدين ، وأبطلت الحدود ، وأهدرت الدماء ، وكان ربك بالمرصاد ، قدمدم ^(٧) عليهم ربهم بذنبيهم فسواها ، ولا يخاف عقباها ، وملكنا الله أمركم عباد الله ، لينظر كيف تعملون ، فالشكر الشكر ، فإنه من دواعي الزيد ، أعاذنا الله وإياكم من مضلات الأهواء ، وبغيات الفتن ، فإنما نحن به وله » . (شرح ابن أبي الحديد ٢ : ص ٢١٣ ، ومواسم الأدب ٢ : ١١٥)

٨ - خطبة داود بن علي بمكة ^(٨)

وخطب داود بن علي الناس بمكة في أول موسم ملكه بنو العباس ، فقال : « شكراً شكراً ، إنا والله ما خرجنا لنخفر فيكم نهراً ، ولا لبنى فيكم قصراً ، أظن عدو الله أن لن تقدر عليه ، أن رُوخي ^(٩) له من خطامه ، حتى عثرفي فضل زمامه ؟ فالآن حيث أخذ القوس باريها ، وعادت النبل إلى التزعة ، ورجع الملك في نصابه من أهل بيت النبوة والرحمة - والله لقد كنا نتوجع لكم ونحن

[١] أي أعواد النابر ، واقترعوها : أي طوها . [٢] مطرها . [٣] الريح : النماء والزيادة . [٤] قفل : يس جله على عظمه . [٥] الفنيق : الصل المكرم لا يؤذى لكرامته على أهله ولا يركب ، والجفر : كشمس السرعة في المشي ، ولم تذكر كتب اللغة ضبط فعله ، وجاء في اللسان : « الجفر : سرعة المشي يمانيه ، حكاه ابن دريد ، قال : ولا أدري ما صحتها » ، وفي رواية مواسم الأدب : « وجفل فنيق الشرك » . [٦] أشمّل الثوب وسمل ، كدخل وكرم : أخلق .

[٧] ددم القوم ، وددم عليهم : طعنهم فأهلكهم ، فسواها : أي الدمنة ، أي عمهم بها فلم يفلت منهم أحد . [٨] ولاء أبو العباس الكوفة وسوادها ، ثم ولاء المدينة ومكة واليمن واليمامة سنة ١٣٢ وولاء إمارة الحاج في هذه السنة ، ومات بالمدينة في ربيع الأول سنة ١٣٣ هـ (الطبري ج ٩ ص ١٤٧) . [٩] أي لأن روخي له ، ظن أن لن تقدر عليه .

في قُرُشْنَا - أَمِنْ الْأَسْوَدِ وَالْأَحْمَرِ^(١)، لَكُمْ ذِمَّةُ اللَّهِ، لَكُمْ ذِمَّةُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لَكُمْ ذِمَّةُ الْعَبَّاسِ، لَا وَرَبَّ هَذِهِ الْبَيْتَةِ - وَأَوْمَأَ يَدَهُ إِلَى الْكَعْبَةِ - لَا تَهَيِّجْ مِنْكُمْ أَحَدًا. (تهذيب الكامل ١ : ١٨، والقند الفريد ٢ : ١٤٦، والبيان والبيان ١ : ١٨٠، وابن أبي الحديد ٢ : ٢١٣، ومواسم الأدب ٢ : ١١٤)

٩ - خطبته بالمدينة

قال : « أَيُّهَا النَّاسُ : حَتَّامٌ يَهْتَفُ بِكُمْ صَرِيحُكُمْ^(٢) ؟ أَمَا أَنَا لِرِاقِدِكُمْ أَن يَهْبَ مِنْ نَوْمِهِ ؟ كَلَّا بَلْ رَأَى^(٣) عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ، أَعَرَّكُمْ الْإِهْمَالُ حَتَّى حَسِبْتُمُوهُ الْإِهْمَالُ ؟ هِيَآتُ مِنْكُمْ وَكَيْفَ بِكُمْ ، وَالسُّوْطُ كَفَى ، وَالسَّيْفُ مُشَهَّرٌ^(٤) ، حَتَّى يُبِيدَ قَبِيلَةً فَضِيلَةً وَيَعْصَنَ كُلُّ مُتَّقٍ بِالْهَامِ^(٥) وَيُقَمِّنَ رَبَّاتِ الْخُدُورِ حَرَّاسِرًا يَمْسَحْنَ غُرُضَ ذَوَائِبِ الْإِيْتَامِ^(٦) (القند الفريد ٢ : ١٤٦)

١٠ - خطبة أخرى له^(٧)

وخطب فقال : « أَحْرَزَ لِسَانُ رَأْسِهِ ، اتَعَظَ امْرُؤٌ بِغَيْرِهِ ، اعْتَبَرَ عَاقِلٌ قَبْلَ أَنْ يُعْتَبَرَ بِهِ ، فَأَمْسَكَ الْفَضْلَ مِنْ قَوْلِهِ ، وَقَدَّمَ الْفَضْلَ مِنْ عَمَلِهِ » ثُمَّ أَخَذَ بِقَائِمِ

[١] الجراء : اللحم لأن المال على ألواهم البياض والحمرة .
[٢] الصريح : للتبعيث (واللحيث أيضا) [٣] علب . [٤] شهر سيفه كج ، وشهره بالتشديد : انتهاء فرسه على الناس . [٥] تنقيب الرماح : تسويتها . [٦] قوله ويقمن : أي الرماح ، والصير يعود على (كل متقف) . [٧] هذه الخطبة أوردها ابن قتيبة ، وصراها إلى داود بن علي ، وسبها صاحب القند إلى الصور ، وأنه قالها لما قتل الأمويين (راجع القند ح ٢ : ص ١٤٥) .

وصها كما أوردها : « أَحْرَزَ لِسَانُ رَأْسِهِ ، اتَّبَعَ امْرُؤٌ لِحْطَهُ ، نَظَرَ امْرُؤٌ فِي يَوْمِهِ لِفَعْدِهِ ، فَتَنَى الْقَضْدَ ، وَقَالَ الْفَضْلُ ، وَجَابَ الْهَجْرَ » ، ثُمَّ أَخَذَ بِقَائِمِ سَيْفِهِ ، فَقَالَ :

« أَيُّهَا النَّاسُ : إِنْ بِكُمْ دَاءٌ هَذَا دَوَاؤُهُ ، وَأَنَا زَعِيمٌ لَكُمْ بِشِفَائِهِ ، فَلْيَعْتَرِ عَبْدٌ قَبْلَ أَنْ يُعْتَبَرَ بِهِ ، فَإِنَّمَا صَدَّ الْوَعِيدُ الْإِهْمَالُ ، وَإِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبُ الدِّينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ »
والهجر : الفج من الكلام .

سيفه ، فقال : « إن بكم داء هذا دواؤه ، وأنا زعيم لكم بشفائه ، وما بعد حسيه إلا الإيقاع » . (عيون الأبحار ٢ : ص ٢٥٢ ، ومواسم الأدب ٢ : ١١٤)

١١ - خطبته وقد بلغه أن قوماً أظهروا شكاةً بنى العباس

وبلغته أن قوماً أظهروا شكاةً بنى العباس ، فافترع المنبر ، وحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

« أَغْدَرًا يَا أَهْلَ الْخَمَرِ ^(١) وَالتَّبْدِيلِ ؟ أَلَمْ يَزِدَّكُمْ الْفَتْحُ الْمَيْنَ ^(٢) ، عَنْ الْخَوْضِ فِي دَمِّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ؟ كَلَّا وَاللَّهِ حَتَّى تَحْمِلُوا أَوْزَارَكُمْ وَأَوْزَارَ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِكُمْ ، كَيْفَ قَامَتْ شِفَاهُكُمْ بِالشَّكْوَى لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ؟ سَدَّانَ حَانَتْ آجَالُكُمْ فَأَرْجَاهَا ، وَانْبَعَثَ دِمَاؤُكُمْ فَحَقَّنَهَا ، الْآنَ بَا مَنَابِتِ الدِّمَنِ ، مَشَيْتُمْ الصَّرَاءَ ^(٣) ، وَدَيَّيْتُمْ الْخَمَرَ ^(٤) ، أَمَا وَمُحَمَّدٍ وَالْعَبَّاسِ إِنْ عُدْتُمْ لِمِثْلِ مَا بَدَأْتُمْ ، لَأُخَضِّنُكُمْ بِظُبَاتِ السَّيْفِ ، ثُمَّ يُنْفِي رَبَّنَا عَنْكُمْ ، وَنُسْتَبْدِلُ بَعِيرَكُمْ ، ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْنًا لَكُمْ .

مَهْلًا بَارَوَايَا ^(٥) الْإِرْجَافِ ، وَأَبْنَاءَ النِّفَاقِ ، عَنْ الْخَوْضِ فِيمَا كَفَيْتُمْ ، وَالتَّخْطِئِ إِلَى مَا حُذِّرْتُمْ ، وَبَلْ أَنْ تَتْلَفَ نَهْوَسٌ ، وَيَقْلُ عَدَدٌ ، وَيَذُلُّ عِزٌّ ، وَمَا أَنْتُمْ وَتِلْكَ ؟ أَلَمْ تَجِدُوا مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا مِنْ إِبْرَاتِ الْمُسْتَضَعْفِينَ مُشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا ؟ بَلَى وَالْحَجَرِ وَالْحَجَرِ ^(٦) ، وَلَكِنَّهُ حَسَدٌ مُضْمَرٌ ، وَحَسَكٌ ^(٧) فِي الصَّدُورِ ، فَرَنَمًا لِلْمَعَاطِسِ ^(٨) ، وَبُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ^(٩) » . (مواسم الأدب ٢ : ١١٤)

[١] الخمر : الخمر ، أَرَأَيْتُمْ . [٢] في الأصل « أَلَمْ يَزِدَّكُمْ الْفَتْحُ الْمَيْنَ » عن الخوض في دم أمير المؤمنين « وهو تحريف . [٣] الصراء : الشجر الملتف في الوادي ، يقال : توارى الصيد منه في صراء ، وفلان يمشي الصراء . إذا مشى مستحيًا فيما يوارى من الشجر . [٤] في الأصل « ودَيَّيْتُمْ الجراء » وهو تحريف ، وصوابه ما ذكرناه ، والجر بالتحريك : كل ما وارك من شجر أو ساء أو غيره ، وجر كهرج : توارى ، ومن أمثالهم : « يدب له الصراء » ، ويعنى له الجر « وهو مثل يصرب للرجل يحمل صاحبه . [٥] الروايات جمع راوية : وهي للزادة فيها الماء . [٦] الحجر : حجر الكعبة ، وهو ما حواه الحطيم المدبر بالكعبة من حاب الشمال . [٧] الحسك : الحقد والعداوة . [٨] المعاطس جمع مطس كجلس ومقعد وهو الأوب ، والرعم : الداء . [٩] وروى صاحب العقد

١٢ - خطبته وقد أرتج عليه

وخطب داود بن علي ، فحمد الله جل وعز ، وأثنى عليه ، وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ، فلما قال : أما بعد ، امتنع عليه الكلام ، ثم قال :
« أما بعد ، فقد يجِدُ المُعْسِر ، وَيُعْسِرُ المُوسِر ، وَيُقِلُّ الحَدِيد ، وَيَقْطَع الكَلِيل ، وَإِنَّمَا الكلام بعد الإِفْخَام ، كَالإِشْرَاق بعد الإِظْلَام ، وقد يعزُب اليان ، وَيُثَقِّم الصواب ، وَإِنَّمَا اللسان ، مُضْغَةٌ من الإنسان ، يَفْتُرُ بِفُتُورِهِ إِذَا نَكَل ، وَيُثَوِّبُ بِإِبْدِساطِهِ إِذَا ارْتَجَلَ ، أَلَا وَإِنَّا لَا نَنْطِقُ بَطَرًا ، وَلَا نَسْكُتُ حَصْرًا ، بَلْ نَسْكُتُ مُتَعَبِرِينَ ، وَنَنْطِقُ مُرْشِدِينَ ، وَنَحْنُ بعدُ أَمْرَاءُ القَوْل ، فَبِنَا وَشَجَبَتْ ^(١) أَعْرَاقُهُ ، وَعَلَيْنَا عَطَفَتْ أَغْصَانُهُ ، وَلَنَا تَهْدَلَتْ ثَمَرَتُهُ ، فَتَخَيَّرَ مِنْهُ مَا اخْلَوْلَى وَعَذَّبَ ، وَنَطَرَحَ مِنْهُ مَا ائْتَلَوَحَ وَحَبَّتْ ، وَمَنْ بعدَ مَقَامِنَا هَذَا مَقَامٌ ، وَبعدَ أَيْامِنَا أَيَّامٌ ، يُعْرِفُ فِيهَا فَضْلُ الْيَان ، وَفَضْلُ الْخَطَاب ، وَاللَّهُ أَفْضَلُ مُسْتَعَانَ » ثم نزل ^(٢)

(كتاب الصواعق ص ٢١ ، وأمالى السيد المرتضى ٤ : ١٩ ، وهر الآداب ٢ : ٢٨٥)

نص هذه الخطبة ومراها إلى أبي حنيفة المصور ، فقال : « حطب المصور حين خروجه إلى الشام قال :

شِنْشِنَةٌ أَعْرِفُهَا مِنْ أَخْزَمٍ مَنْ يَلْقَى أَطْطَالَ الرَّجَالِ يُكَلِّمُ

مهلا روايا الإِرْحَاف ، وكهوف النعاق . . . إلى آخر الخطبة » ، راجع العقد الفريد ٢ : ١٤٥ - والشنشة : الطبيعة والمادة ، وهو مثل لأنى أحزم الطائى ، وكان له ابن يقال له أحزم ، وكان طافا ، فأتى وترك بين ، فوثبوا يوما على حديم أنى أحزم فأدموه . قال :

إِنْ بِي صَرْحُونِ فَالْهَمُ شِنْشِنَةٌ أَعْرِفُهَا مِنْ أَحْزَمٍ

أى إن هؤلاء أشهروا أَيْامَ نِ الْعُقُوق : يصرب في قرب الشبه ، ويكلم : يجرح .

[١] وشج العروق والأعصاب كومة وشحا ووشيجا : اشتكت ، والواشحة : الرحم الشنكة .

[٢] وروى المصرى في رهر الآداب نص هذا القول وعراه إلى عبد الملك بن صالح ، وروى السيد المرتضى في أماليه قال :

« صعد أبو العباس السفاح للنبر ، فأرتج عليه فقال : « أيها الناس ، إن اللسان ، صَمَةٌ

١٣ - خطبة صالح بن علي

وخطب صالح بن علي ^(١) عم السفاح ، فقال :

يا أعضاء النفاق ، وعُبد الضلالة ، أغرَّكم لين أسامى ، وطولُ إيناسي ؟
حتى ظن جاهلكم أن ذلك لقولٍ حدّ ، وفورٍ جدّ ، وخورٍ قنائة ^(٢) ، كذبتِ
الظنونُ ، إنها العِثرةُ بَعْضُها من بعض ، فإذا قد استوليتُم العافية ، فعندي فِطام
وفِكَاك ، وسيفٌ يقدُّ الهامَ ، وإني أقول :

أغرَّكمُ أني بأكرمِ شيعَةٍ رفيقٌ ، وأنّي بالفواحشِ أخرقُ ؟
ومثلي إذا لم يُجْزَ أحسنَ سَعِيهِ تكلمُ نِعْماءٌ فيها فتَنطِقُ
لعمري لقد فاحشتني فغلبتني هنيئاً مريئاً أنت بالفُحشِ أرفقُ

(القدر المريد ٢ : ١٤٦)

١٤ - خطبة سديف بن ميمون

وروى صاحب العقد قال :

لما قدِمَ الغَمَرُ بن يزيد بن عبد الملك على أبي العباس السفّاح في ثمانين

من الإنسان ، يَكِلُ إذا كَلَّ ، وينفِصُ بانفِصاحه إذا فَصَحَ ، ويحنُ أمراء الكلام ، منا
تفرعت فروعه ، وعلينا تهذلت عصوبه ، ألا وإنا لا تكلم هذرا ، ولا نسكت إلا
معتبرين » ثم نزل ، فبلغ ذلك أبا جعفر ، فقال : « لله هو ! لو خطب بمثل ما اعتذر ،
لكان من أحطب الناس » ، وهذا الكلام يروى لداود بن علي « اه .

والبيعة بفتح الباء وقد تكسر : القطعة من اللحم ، والهدر بالتحريك : سقط الكلام ، وسكون الدال
مصدر هدر في منطقه كصرب وصر .

[١] هو صالح بن علي بن عبد الله بن عباس عم السفاح ، وقد ولاء السفاح مصر سنة ١٣٢ ثم فلسطين ،
ثم ولاء مصر ثانية سنة ١٣٦ ، حتى قدم الخبر بموت السفاح في ذي الحجة سنة ١٣٦ ، فأقره التصور على
عمل مصر ثم حرج إلى فلسطين ، ومات وهو طامل جرح بقسرين . [٢] صعب .

رجلا من بنى أمية ، وُضعت لهم الكراسي ، ووضعت لهم نمارق^(١) ، وأجلسوا عليها ، وأجلس الغمر مع نفسه في المصلى ، ثم أذن لشييعته فدخلوا ودخل فيهم سديف بن ميمون^(٢) ، وكان متوشحاً سيفاً ، متنكباً قميصاً ، وكان طويلاً آدم^(٣) ، فقام خطيباً .

فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : « أيزعم الضلال بما حَبِطت^(٤) أعمالهم أن غير آل محمد أولى بالخلافة ؟ فلمَ وبِمَ أيها الناس ؟ لكم الفضل بالصحابة ، دون حق ذوى القرابة ، الشركاء في النسب ، الأكفاء في الحسب ، الخاصة في الحياة ، الوفاة^(٥) عند الوفاة ، مع ضربهم على الدين جاهلكم ، وإطعامهم في الأولى جائعكم ، فكم قصم الله بهم من جبار باغ ، وفاسق ظالم ، لم يُسمع بمثل العباس ، لم تخضع له أمة بواجب حق ، أبو رسول الله صلى الله عليه وسلم بدأياه ، وجلده ما بين عينيه^(٦) ، أمينته ليلة العقبة^(٧) ، ورسوله إلى أهل مكة ، وحاميه يوم حنين^(٨) ، لا يرذله رأيا ، ولا يخالف له قسماً ، إنكم والله معاشر قرش ما اخترتم لأنفسكم من حيب ما اختاره الله لكم ، تئمني^(٩) مرة ، وعدوى^(١٠) مرة ، وكنتم بين ظهراني قوم نذآثروا العاجل على الآجل ، والفاني على الباقي ،

[١] نمارق جمع غمرقة كقعدة . وهي الوسادة الصغيرة . [٢] مولى أبي العباس السفاح .
[٣] وصف من الأئمة ، وهي كالسرة ورناء وهي . [٤] فسدت . [٥] الوفاة جمع واف .
[٦] حلب الوليد بن عبد الملك قال : « إن أمير المؤمنين عبد الملك كان يقول : « إن الحاج حلة ما بين عيني » ألا وإني حلة وجهي كله » — البيان والنبين ١ : ١٦٠ و ٣ : ٢١ — .
[٧] يوم مائة الأنصار لرسول الله صلى الله عليه وسلم مكة ، وكانوا ثلاثة وسعين رجلاً معهم امرأتان وليس مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا عمه العباس — وهو على دين قومه — ولكنه رأى أن يحصر أمر ابن أخيه ليتوثق له . [٨] كان العباس ممن نعت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة حنين ، حين أهرم المسلمون أول الموقعة ، وكان أحداً بلغام ملته . [٩] يريد أيا بكر الصديق رضي الله عنه ، وهو من تيم بن مرة بن كعب بن لؤي . [١٠] يريد عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وهو من عدى بن كعب بن لؤي .

وَجَعَلُوا الصَّدَقَاتِ، فِي الشَّهَوَاتِ، وَالنِّقَمِ، فِي اللَّذَاتِ وَالنَّعَاءِ، وَالْمَغَانِمِ، فِي الْحَارِمِ،
إِذَا ذُكِّرُوا بِاللَّهِ لَمْ يَذْكُرُوا، وَإِذَا قُدِّمُوا بِالْحَقِّ أَذْبَرُوا، فَذَلِكَ زَمَانُهُمْ، وَبِذَلِكَ
كَانَ يَعْمَلُ شَيْطَانُهُمْ^(١) . (النقد العرید ٢ : ٣٠١)

١٥ - خطبة أبي مسلم الخراساني

وروى ابن أبي الحديد قال :

وخطب أبو مسلم بالمدينة في السنة التي حج فيها في خلافة السفاح^(٢)، فقال :
« الحمد لله الذي حمّد نفسه ، واختار الإسلام ديناً لعباده ، ثم أوحى إلى محمد
رسول الله صلى الله عليه وآله من ذلك ما أوحى : واختاره من خلقه ، نفسه من
أنفسهم ، وبيته من بيوتهم ، ثم أنزل عليه في كتابه الناطق الذي حفظه بعلمه ،
وأشهد ملائكته على حقه ، قوله : « إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ
الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً » ، ثم جعل الحق بعد محمد صلى الله عليه وآله في أهل
بيته ، فصبر من صبر منهم بعد وفاه رسول الله صلى الله عليه وآله على اللأواء^(٣)
والشدة ، وأعضى على الاستبداد والآثرة ، ثم إن قوماً من أهل بيت الرسول
صلى الله عليه وآله ، جاهدوا على ملة نبيه وسنته بعد عصر من الزمان ، من
عمل بطاعة الشيطان ، وعداوه الرحمن ، بين ظهرائي قوم آثروا العاجل على
الآجل ، والقائى على الباقي ، إن رُتِقَ جَوْزُ فَتَقَوه ، أوفِقَ حق رَتَقَوه ، أهل مُخُور
وَمَآخُور ، وَطَنَائِر^(٤) وَمَزَامِير ، إن ذُكِّرُوا لَمْ يَذْكُرُوا ، أَوْ قُدِّمُوا إِلَى الْحَقِّ
أَذْبَرُوا ، وَجَعَلُوا الصَّدَقَاتِ ، فِي الشُّبُهَاتِ ، وَالْمَغَانِمِ ، فِي الْحَارِمِ ، وَالنِّقَمِ ، فِي

[١] نرى هذه الحطة مروية في حطة أبي مسلم الخراساني الآية صمعا ، ولكي أثرت إيراد الروايتين
جميعاً كما وردتا . [٢] وذلك في سنة ١٣٦ هـ . [٣] الشدة .
[٤] الطنائير : جمع طنبور كصعور ، وهو الذي لم يلبس به .

فَلَنِّ ، هَكَذَا كَانَ زَمَانُهُمْ ، وَبِهَكَانَ يَعْمَلُ سُلْطَانُهُمْ ، وَزَعَمُوا أَنَّ غَيْرَ آلِ مُحَمَّدٍ أَوْلَى
بِالْأَمْرِ مِنْهُمْ ، فَلَيْمَ وَبِمَ أَيُّهَا النَّاسُ ؟ أَلَكُمُ الْفَضْلُ بِالصَّحَابَةِ ، دُونَ ذَوِي الْقُرَابَةِ ،
الشُّرَكَاءِ فِي النَّسَبِ ، وَالْوَرَثَةِ فِي السَّلْبِ ^(١) ، مَعَ ضَرْبِهِمْ عَلَى الدِّينِ جَاهِلَكُمْ ،
وَإِطْعَامِهِمْ فِي الْجَذْبِ جَائِعَكُمْ ، وَاللَّهُ مَا اخْتَرْتُمْ مِنْ حَيْثُ اخْتَارَ اللَّهُ لِنَفْسِهِ سَاعَةً
فَطُ ، وَمَا زَلْتُمْ بَعْدَ نَبِيِّهِ تَخْتَارُونَ تَيْمِيًّا مَرَّةً ، وَعَدَوِيًّا مَرَّةً ، وَأُمَوِيًّا مَرَّةً ،
وَأَسَدِيًّا ^(٢) مَرَّةً ، وَسُفْيَانِيًّا مَرَّةً ، وَمَرْوَانِيًّا مَرَّةً ، حَتَّى جَاءَكُمْ مِنْ لَا تَعْرِفُونَ اسْمَهُ
وَلَا بَيْتَهُ ^(٣) ، يَضْرِبُكُمْ بِسَيْفِهِ ، فَأَعْطَيْتُمُوهَا عَنُوءًا ، وَأَنْتُمْ صَاغِرُونَ ، أَلَا إِنْ

[١] مَا يَسْلُبُ ، وَالرَّادُ وَرَثَتُهُ فِي الْخِلَافَةِ . [٢] هُوَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَامِ بْنِ حُوَيْلِدٍ بْنِ أَسَدٍ .
[٣] قَالَ ابْنُ أَبِي الْحَدِيدِ : « بَنِي قَيْسٍ لَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ مَعْلُومَ النَّسَبِ ، وَقَدْ اخْتَلَفَ فِيهِ أَهْوَاءُ مَوْلَى أُمِّ
عُرَيْبٍ » وَقَالَ ابْنُ حُلَكَانَ فِي (وَفَيَاتُ الْأَعْيَانِ ١ : ٢٨٠) فِي تَرْجُمِهِ : « أَبُو مُسْلِمٍ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُسْلِمٍ
وَقِيلَ عُثْمَانُ الْحَرَّاسِيُّ الْقَائِمُ بِالدَّعْوَةِ الْعَاسِيَةِ ، وَقِيلَ هُوَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ عُثْمَانَ بْنِ يَسَارٍ بْنِ سَدُوسٍ بْنِ حُرْدُونَ
مِنْ وَلَدِ بَرَزَجَهْرَ بْنِ الْحَشَّكَانِ الْعَاسِيِّ ، وَقَدْ اخْتَلَفَ النَّاسُ فِي نَسَبِهِ ، فَقِيلَ لَهُ مِنَ الْعَرَبِ ، وَقِيلَ لَهُ مِنَ
الْعَمَمِ ، وَقِيلَ مِنَ الْأَكْرَادِ ، وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ أَبُو دَلَامَةَ :

أَمَا مَحْرَمٌ مَا عَصَى اللَّهَ نَسَبُهُ عَلَى عَدَمِهِ حَتَّى يَنْبِرَ مَا لَدَى
أَيِّ دَوْلَةٍ لِلنُّصُورِ حَاوَلَتْ عُدْرَةَ أَلَا إِنْ أَمَلِ الدَّرَآثُوكُ الْكَرْدَ

وَقَالَ ابْنُ طَابُطَا فِي الصَّحَرِيِّ ص ١٢٣ : « أَمَّا نَسَبُهُ فِيهِ اخْتِلَافٌ كَثِيرٌ ، قِيلَ : هُوَ حَرَمٌ مِنْ وَلَدِ
بَرَزَجَهْرَ ، وَأَنَّهُ وَلَدٌ بِأَمْعَهَانَ ، وَنَشَأَ بِالْكُوفَةِ ، فَاصِلٌ بِإِبْرَاهِيمَ الْإِيْمَامِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ
مِنْ بَنِي أُمِّهِ وَكَلَّمَهُ فَأَبَى مُسْلِمٌ ، وَتَقَبَّحَ وَفَهَّمَهُ ، حَتَّى كَانَ مِنْهُ مَا كَانَ .

وَقِيلَ هُوَ عَبْدُ تَنْقُلٍ فِي الرِّقِّ ، حَتَّى وَصَلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ الْإِيْمَامِ ، فَلَمَّا رَأَاهُ أَعْلَجَ سَبْتَهُ وَتَقَبَّحَهُ ، فَاتَّاعَهُ مِنْ
مَوْلَاهُ وَتَقَبَّحَهُ وَفَهَّمَهُ ، وَصَارَ بَرْسَلَةً إِلَى شَيْعَتِهِ وَأَتَّبَعَهَا دَعْوَتَهُ بِحَرَّاسَانَ ، وَمَا رَالَ عَلَى ذَلِكَ حَتَّى كَانَ مِنَ
الْأَمْرِ مَا كَانَ .

وَأَمَّا هُوَ فَإِنَّهُ لَمَّا قَوِيَتْ شُوكَتُهُ ادَّعَى أَنَّهُ ابْنُ سَلِيطٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ ، وَكَانَ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ حَارِيَّةٌ
فَوَقَعَ عَلَيْهَا مَرَّةً ، ثُمَّ اعْتَرَلَهَا مَدَنَةً ، فَاسْتَكْبَحَهَا عِدَا قَوْمِهَا ، فَوَلَدَتْ مِنْهُ عِلَامًا سَمَّيَتْهُ سَلِيطًا ، ثُمَّ أَلْقَتْهُ
عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ ، وَأَبْكَرَهُ عَبْدُ اللَّهِ وَلَمْ يَعْتَرَفْ بِهِ ، وَنَشَأَ سَلِيطٌ ، وَهُوَ أَكْرَهُ الْخَلْقِ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ
عَبَّاسٍ ، فَلَمَّا مَاتَ عَبْدُ اللَّهِ مَارَعَ سَلِيطٌ وَرَثَتَهُ فِي مِيرَاثِهِ ، وَأَعْلَجَ ذَلِكَ بَنِي أُمِّيَّةٍ لِيُعْصُوا مِنْ عَلِيٍّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ
ابْنِ عَبَّاسٍ ، فَأَعَانُوهُ وَأَوْصَوْا قَاصِي دِمَشْقَ فِي اللَّاطِسِ ، فَقَالَ إِلَيْهِ فِي الْحُكْمِ وَحُكْمُ لَهُ بِالْمِيرَاثِ ، فَادَّعَى
أَبُو مُسْلِمٍ حِينَ قَوِيَتْ شُوكَتُهُ أَنَّهُ مِنْ وَلَدِ سَلِيطٍ هَذَا .

وَدَكَرَ ابْنُ خُلَكَانَ أَنَّ لِلنُّصُورِ قَالَهُ قُلُ قُلُهُ ، وَقَدْ عُدَّ لَهُ مِثَالُ مَا وَفَّقَتْ مِنْهُ : « تَرْعَمُ أَبُوكَ إِنْ
سَلِيطُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ لَقَدْ ارْتَقَيْتَ لَا أَمَّكَ مَرَّتَيْنِ صَدَقَ » .

آل محمد أئمة الهدى ، ومَنَارُ سبيل التقى ، القادة الذّادة السّادة ، بنو عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وَمُنَزَّلُ جبريل بالتنزيل ، كم قصم الله بهم من جبار طايغ ، وفاسق باغ ، شَيَّدَ الله بهم الهدى ، وَجَلَّى بهم العتَى ، لم يُسمع بمثل العباس ، وكيف لا تخضع له الأمم لِواجب حقّ الحُرمة ؟ أبو رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أبيه ، وإحدى يديه ، وَجِلْدَةٌ بين عينيه ، أَمِينُهُ يومَ العَقَبَةِ ، وَنَاصِرُهُ بِمَكَّةَ^(١) ، ورسوله إلى أهلها ، وَحَامِيهِ يومَ حُنَيْنٍ ، عند ملتقى الفِثْنَيْنِ ، لا يخالف له رسماً ، ولا يَعْصِي له حكماً ، الشافع يوم نيقِ القُقاب^(٢) ، إلى رسول الله صلى الله عليه وآله في الأحزاب ، ها إن في هذا أيها الناس لَعِبْرَةً لِّأولي الأبصار .

(شرح ابن أبي الحديد ٢ : ص ٢١٥)

١٦ - خالد بن صفوان وأحوال السفاح

روى الجاحظ قال :

كَانَ خَالِدُ بْنُ صَفْوَانَ الْأَهْمَنِيُّ مِنْ سُبَّارِ أَبِي الْعَبَّاسِ السَّفَّاحِ ، وَأَهْلُ الْمَنْزِلَةِ عِنْدَهُ ، فَفَخَّرَ عَلَيْهِ نَاسٌ مِنْ بَلْخَارِثَ^(٣) ، وَأَكْثَرُوا فِي الْقَوْلِ ، فَقَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ : لِمَ لَا تَتَكَلَّمُ يَا خَالِدُ ؟ فَقَالَ : « أَخْوَالُ^(٤) أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَعَصَبَتُهُ » قَالَ : « فَأَنْتُمْ أَعْمَامُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَعَصَبَتُهُ » قَالَ خَالِدٌ : « وَمَا عَسَى أَنْ أَقُولَ لِقَوْمٍ ، كَانُوا يَنْ نَاصِحَ بُرْدٍ ، وَدَابِغَ جِلْدٍ ، وَسَائِسَ قِرْدٍ ، وَرَاكِبَ عَرْدٍ^(٥) ، دَلٌّ عَلَيْهِمْ

[١] يشير إلى ما كان من جيش العباس في عروة أحد ، وذلك أن جيش المشركين خرج من مكة لحاربة الرسول صلى الله عليه وسلم حتى نزلوا مقابل المدينة ، وبلغ الحمر الرسول من كتاب بعث به إليه عمه العباس الذي لم يخرج معهم في هذه الحرب محتسباً بما أصابه يوم بدر ، وكان بمكة يكتب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أخيراً للمشركين (وقيل إنه كان قد أسلم قبل الهجرة ، وكان يأتى إسلامه) .

[٢] موضع بين مكة والمدينة . وذلك أن العباس شفع فيه يوم فتح مكة في أبي سفيان ، وفي أهل مكة معاً إلى صلى الله عليه وسلم عنهم .

[٣] انظر الجزء الثاني ص ٣١٩ . [٤] كانت أم السفاح من بني الحارث ، وهي ربيعة بنت حبيد الله ابن عداة بن عبد المطلب بن الهاشم الحارثي ، ولها كان يقال له ابن الحارثية . [٥] العرد : الحمار .

هذه^(١) ، وغرقهم فارة^(٢) ، وملكتهم امرأة^(٣) ؟ . (البيان والتبيين ١ : ١٨٤) .

* *

وروى الحصري في زهر الآداب قال :

« دخل خالد بن صفوان على أبي المباس السفاح ، وعنده أخواله من بني الحارث ابن كعب ، فقال : ما تقول في أخوالي ؟ فقال : « هم هامة^(٤) الشرف ، وعرين^(٥) الكرم ، وغرس الجود ، إن فيهم خصالا ما اجتمعت في غيرهم من قومهم ، لأنهم أطولهم لمما^(٦) ، وأكرم شيئا ، وأطيبهم طعما^(٧) ، وأوفاهم ذمما ، وأبعدهم همما ، الجمة في الحرب ، والرقد^(٨) في الجذب ، والرأس في كل خطب ، وغيرهم بمنزلة العجب^(٩) » .

فقال : وصفت أبا صفوان فأحسننت ، فزاد أخواله في الفخر ، فغضب

[١] يشير إلى حديث المدهد مع سليمان عليه السلام في قوله تعالى : « وَتَقَعُ الطَّيْرُ قَالًا مَا لِيَ لَا أَرَى الْهَٰذِهِ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ ، لَأَعَذِّبَهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِي سُلْطَانٌ مُّبِينٌ ، فَكُنْ عَايِزًا حَكِيمًا » فقال أحطت بما لم تحيط به وجئتكم من سائر بيابان يقين ، إني وجدت امرأة تملككم ، وأوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم ، وجدتكم وقوتها يسجئون للشمس من دون الله ، وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون . . . الآيات » .

[٢] يشير إلى ما يزعمه اللورخون من أن سيل العرم الذي حرب اليمن كان منه قرص الجرد لحد مأرب - انظر الجزء الأول ص ٢٤٢ . [٣] هي بلقيس (بالكسر) ملكة سبأ .

[٤] الهامة : رأس كل شيء . [٥] العرين : الألف ، أو ما صل من عطيه ، ومن كل شيء أوله .

[٦] في الأصل « أمما » وأراه محروفا ، وصوابه « لمما » والضم جمع لمة بالكسر ، وهي الشعر الخاور

شعبة الأذن . [٧] الطعم : الطعام . [٨] الرقد : العطاء والملة . [٩] العجب : أصل العجب ، ومؤخر كل شيء .

أبو العباس لأعمامه ، فقال : افخر يا خالد على أخوال أمير المؤمنين ، قال : وأنت من أعمامه ، قال :

« كيف أفاخر قوماً بين ناسج بُرْد ، وسائس قِرْد ، ودابغ جِلْد ، وراكب عَرْد ، دلّ عليهم هُدهد ، وغرقهم جُرْد ، وملكتهم امرأة ؟ » ، فأشرق وجه أبي العباس . (زهر الآداب ٣ : ١٣٠ ، ٢٤٦)

١٧ - خالد بن صفوان ورجل من بني عبد الدار

وفاخر خالد بن صفوان رجلاً من بني عبد الدار الذين يسكنون البيمامة ، فقال له العبدري : من أنت ؟ قال : أنا خالد بن صفوان بن الأهم ، فقال له العبدري : أنت خالد « كَمَنَّ هُوَ خَالِدٌ فِي الذَّارِ ^(١) » ، وأنت ابن صفوان ، وقال الله تعالى : « كَمَثَلِ صَفْوَانَ عَلَيْهِ تُرَابٌ ^(٢) » ، وأنت ابن الأهم ، والصحيح خير من الأهم ^(٣) ، فقال له خالد بن صفوان : يا أخا بني عبد الدار ، أتكلم ؟ وقد هَسَمْتَكَ هاشم ، وأمَتَكَ ^(٤) بنو أمية ، وخَزَمْتَكَ بنو مخزوم ، وَجَمَحْتَكَ بنو جَمَح ^(٥) ؟ فأنت عبْد دارهم ^(٦) تفتح إذا دخلوا ، وتُغلق إذا خرجوا ، فقام العبدري محمواً . (أمالي السيد المرتضى ١ : ٢١٥ ، والبيان والتبيين ١ : ١٨٢)

[١] وتعام الآية الكريمة : « وَسُقُوا مَاءً حَمِيماً فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ » .

[٢] صفوان جمع صفوانة : وهي الحمر الصلد الصخم كالصفواء والصفاء ، والآية الكريمة :

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُمِطُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأُذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ، فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانَ عَلَيْهِ تُرَابٌ ، فَأَصَابَهُ وَابِلٌ ، فَتَرَكَهُ صَلْدًا ، لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ عَمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ » .

[٣] هم كمرح : امكسرت ثيابه من أصولها فهو أهم . [٤] فذدك . [٥] اطر الجزء

الثاني ص ٩٠ . [٦] وكانت المحابة في بني عبد الدار ، اطر الجزء الثاني ص ٩٠ أصلاً .

١٨ - خالد بن صفوان يرثي صديقاله

وقال الجاحظ : قيل لرجل - أراه خالد بن صفوان ^(١) - مات صديق لك، فقال :
« رحمة الله عليه ، لقد كَانَ يَمَلُّ العَيْنَ جَمَالًا ، وَالْأُذُنَ يَانَا ، وَلَقَدْ كَانَ يُرْجَى
فَلَا يَخْشَى ، وَيُنْشَى فَلَا يَنْشَى ، وَيُعْطَى فَلَا يُعْطَى ، فَلَبَّاءَ لَدَى الشَّرِّ حُضُورُهُ ،
سَلِيمًا لِلصَّدِيقِ ضَمِيرُهُ » . (البيان والنبير ٣ : ٢٣١ ، والأمال ٢ : ١٧٤)

١٩ - خالد بن صفوان يمدح رجلا

وذكر خالد رجلا ، فقال :

« كَانَ وَاللَّهِ بَدِيعَ الْمُنْطِقِ ، دَلِقَ ^(٢) الْجُرُوءَةَ ، جَزَلَ الْأَلْفَاظَ ، عَرَبِيَّ اللِّسَانِ ،
ثَابِتَ الْعُقْدَةِ ، رَقِيقَ الْحَوَاشِي ، خَفِيفَ الشَّقَاتَيْنِ ، بَلِيلَ الرِّيقِ ، رَحْبَ الشَّرَفِ ،
قَلِيلَ الْحَرَكَاتِ ، خَفِيَ الْإِسَارَاتِ ، حُلُوَ الشَّمَائِلِ ، حَسَنَ الطَّلَاوَةِ ^(٣) ، حَيًّا جَرِيئًا ،
قَتُولًا صَمُوتًا ، يَقُلُّ الْحَزَّ ^(٤) وَيُصِيبُ الْمَفَاصِلَ ، لَمْ يَكُنْ بِالْمَعْذَرِ ^(٥) فِي مَنْطِقِهِ ،
وَلَا بِالزَّمِينِ ^(٦) فِي مُرُوءَتِهِ ، وَلَا بِالْخَرِقِ ^(٧) فِي خَلِيقَتِهِ ، مُتَبَوِّعًا غَيْرَ تَابِعٍ ،
كَأَنَّهُ عَلِمَ فِي رَأْسِهِ نَارَ : » . (دهر الآداب ٣ : ١٦٧)

٢٠ - كلمات بليغة لخالد بن صفوان

وقال خالد بن صفوان لبعض الولاة : « قَدِمْتَ فَأَعْطَيْتَ كُلًّا بِقِسْطِهِ

[١] ورواية القالي : عن الأصمعي قال خالد بن صفوان لعتي بن يدي : رحم الله أمك . . . الخ .
[٢] مأخوذ من « سيف دلق » أي سهل الخروج من عمده ، ويقال : اندلق السيل أي اندفع ،
واندلق للسيف : أي شق حده فخرج منه . [٣] الطلاوة مثناة : القول . [٤] الحر : القطع .
[٥] معذرة في الأمر تعديراً ، إذا قصر ولم يجتهد . [٦] أي للعب ، والرماء كسابة : العامة ،
ومن كفرح فهو زمني . [٧] الخرق القى لا يحسن العمل والتصرف في الأمور .

من وَجْهك وكرامتك ^(١) ، حتى كأنك من كلِّ أحد ، وحتى كأنك لست من أحد . (الأمال ١ : ٢١٦ ، وزهر الآداب ٣ : ٣٤٧ ، ١٦٧)

وقال شبيب بن شيبّة لخالد بن صفوان : « مَنْ أَحَبَّ إِخْوَانَكَ إِلَيْكَ ؟ »
قال : « مَنْ سَدَّ خَلِّي ، وَغَفَرَ زَلِّي ، وَقَبِلَ عَلَيَّ . » (الأمال ١ : ١٦٨)
وذكر شبيب عنده مرة ، فقال : « ليس له صديق في السر ، ولا عدوٌّ في العلانية » . قال الجاحظ : « وهذا كلام ليس يعرف قدره إلا الراسخون في هذه الصناعة » . (البيان والبيان ١ : ١٨٤ ، وزهر الآداب ٣ : ٢٠٩)

وقال خالد : « ما الإنسان ، لولا اللسان ، إلا صورةٌ ممثلةٌ ، أوبهيمَةٌ مُهملةٌ » ،
وقال : « اتَّقُوا مَجَانِيْقَ ^(٢) الضُّعْفَاءِ » يريد الدعاء (البيان والبيان ١ : ١٩٠)
وذكر المزاح بحضرة خالد بن صفوان ، فقال : « يُنْشِقُ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ مِثْلَ الْخَرْدَلِ ، وَيُفْرِغُ عَلَيْهِ مِثْلَ الْمَرْجَلِ ، وَيَرْمِيهِ بِمِثْلِ الْجَنْدَلِ ، ثُمَّ يَقُولُ : إِنَّمَا كُنْتُ أَمْزَحُ ! » . (زهر الآداب ٢ : ٨٥)

٢١ - عمارة بن حمزة والسفاح

وقال عمارة بن حمزة لأبي العباس السفاح - وقد أمر له بجوائز نفيسة وكسوة وصيلة ، وأذن مجلسه :

« وَصَلِّكَ اللَّهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَبَرَكَ ، فَوَاللَّهِ لَنُنْ أَرْدُنَا شُكْرَكَ عَلَى كُنْهِ ^(٣) صِلَتِكَ ، إِنْ الشُّكْرَ لَيَقْصُرُ عَنْ نِعْمَتِكَ ، كَمَا قَصُرْنَا عَنْ مِزَانَتِكَ ، ثُمَّ إِنْ اللَّهُ تَعَالَى جَعَلَ لَكَ فَضْلاً عَلَيْنَا ، بِالتَّقْصِيرِ مِنَّا ، وَلَمْ تَحْرِمْ مِنَّا الزِّيَادَةَ مِنْكَ لِنَقْصِ ^(٤) شُكْرَنَا » .
(زهر الآداب ٣ : ٣٤٦)

[١] وفي رواية زهر الآداب : « من طرك ومحللك في صوبك وعداك » .

[٢] جمع معنق بفتح الميم وكسرهما : آلة ترمى بها الحجارة . [٣] كنه الشيء : حقيقته .

[٤] في الأصل : « لعمري » وأراه محرّفاً .

خطب أبي جعفر المنصور (توفي سنة ١٥٨ هـ)

٢٢ - خطبته بمكة

خطب أبو جعفر المنصور بمكة ، فقال :

« أيها الناس : إنما أنا سلطان الله في أرضه ، أسوسكم بتوفيقه ، وتسديده وتأيدده ، وحارسته على ماله ، أعمل فيه بمشيئته وإرادته ، وأعطيه بإذنه ، فقد جعلني الله عليه قُولا ، إن شاء أن ينتحني فتحنى لإعطائكم ، وقسم أرزاقكم ، فإن شاء أن يُقفلني عليها أقفلني ، فارعبوا إلى الله وسلوه في هذا اليوم الشريف الذي وهب لكم من فضله ما أعلمكم به إذ يقول : « الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ، وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي ، وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا » أن يوفقني للرشد والصواب ، وأن يُلهمني الرأفة بكم والإحسان إليكم ، أفول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم » .

(الغد المرید ٢ : ١٤٥ ، وعيون الأحرار ٢ : ٢٥١ ، تاريخ الطبری ٩ : ٣١٠)

٢٣ - خطبته بمكة بعد بناء بغداد

وحج بعد بناء بغداد ، فقام خطيباً بمكة ، فكان مما حفظ من كلامه ^(١) :

« وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ ^(٢) مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ، أَمْرٌ مُبْرَمٌ ، وَقَوْلٌ عَدْلٌ ، وَقَضَاءٌ فَضْلٌ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَفْلَحَ ^(٣) حُجَّتُهُ ، وَبُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ، الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْكَعْبَةَ غَرَضًا ، وَالنَّيَّ إِرْثًا ، وَجَعَلُوا

[١] عرا صاحب الغد صده الحطة إلى سليمان بن علي (اطر ح ٢ ص ١٤٥) ، وكذا صاحب

مواسم الأدب (اطر ح ٢ ص ١١٥) . [٢] قيل للراد مازبور حسن الكتب المربعة ، والله كر

الروح المخطوط . [٣] صر .

الْقُرْآنَ عِضِينَ^(١) ، لَقَدْ حَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ، فكم ترى من برٍّ مُعْطَلَةٍ^(٢) ، وَقَصْرِ مَشِيدٍ ، أمهلهم الله حتى بدلوا السنة ، واضطهدوا العترة^(٣) ، وَعَعَدُوا^(٤) واعتدوا واستكبروا ، وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ، ثم أخذهم فهل تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا؟^(٥) .

(تاريخ الطبري ١ : ٣١١ ، والكمال لابن الأثير ٦ : ١٢)

٢٤ — خطبته بمدينة السلام

وخطب بمدينة السلام « بغداد » ، فقال :

« يا عباد الله ، لا تظالموا ، فإنها مظلمة يوم القيامة ، والله لولا يدُ خاطئة ، وظلمُ ظالم ، لم شئتُ بين أظهركم في أسواقكم ، ولوعيتُ مكانَ من هو أحقُّ بهذا الأمر مني لأتيتُه حتى أدفعه إليه » . (تاريخ الطبري ١ : ٣١٠)

٢٥ — خطبته وقد أخذ عبد الله بن حسن وأهل بيته

ولما أخذ عبد الله بن حسن^(٦) وإخوته ، والنفر الذين كانوا معه من أهل بيته ، صعد المنبر ، فحمد الله ، وأثنى عليه ، ثم صلى على النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم قال :

[١] العصاة : العرة والقطعة والجمع عصون ، وحل المشركون القرآن عصيين أي فرقا : فرقوا فيه القول ، خلوه كذا وسعرا وكهابة وشعرا ، هم قد (عصوه) بالتشديد أعتناء ، أي حرّوه أجزاء ، وهو يريد هنا الأمويين يشير إلى أنهم عطلوا نص أوامر القرآن بما أتوه من الأعمال ، من رمى الكلمة ، واضطهد أهل البيت الخ . [٢] متروكة لا يستقي منها لهلاك أهلها ، ومشيد : مرفوع ، أو مطلق بالشيد (بالكسر) وهو ما طلى به الحائط من حص ونحوه ، أي مطلق خل من ساكنيه أيضا . [٣] العترة : نسل الرجل ورهطه وصحبه الأدنون . [٤] عد (مثلث النون) عن الطريق : مال . [٥] الصوت الحى . [٦] هو عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب وقد حمله المصور هو وأهل بيته ، من المدينة إلى العراق سنة ١٤٤ هـ ، وأقام في عيالات السجون حتى ماتوا بسجن الكوفة ، وكان يتحرف أن يعاله على الخلافة محمد بن عبد الله هذا (وهو محمد الملقب بالنفس الزكية) وقد خرج عليه بالمدينة فوجه المصور جيشا لقتاله فقتل سنة ١٤٥ هـ ، وخرج أخوه إبراهيم على المصور بالصرة فقتل أيضا في هذه السنة .

« يا أهل خراسان : أتم شيعتنا وأنصارنا ، وأهل دولتنا ، ولو بايعتم غيرنا لم تبايعوا من هو خير منا ، وإن أهل بيتي هؤلاء من ولد علي بن أبي طالب ، تركناهم والله الذي لا إله إلا هو والخلافة ، فلم نعرض لهم فيها بقليل ولا كثير ، فقام فيها علي بن أبي طالب ، فتلطخ ، وحكم عليه الحكمين ، فافترقت عنه الأمة ، واختلفت عليه الكلمة ، ثم وثبت عليه شيعته وأنصاره وأصحابه ، وبطائنه وثقاته فقتلوه ، ثم قام من بعده الحسن بن علي ، فوالله ما كان فيها برجل ، قد عرضت عليه الأموال فقبلها ، ففسد إليه معاوية : إني أجعلك ولي عهدي من بعدى ، فخدعه فانسلخ له مما كان فيه ، وسلمه إليه ، فأقبل على النساء يتزوج في كل يوم واحدة فيطلقها غداً ، فلم يزل على ذلك حتى مات على فراشه ، ثم قام من بعده الحسين بن علي ، فخدعه أهل العراق وأهل الكوفة ، أهل الشقاق والنفاق ، والإعراق في الفتن ، أهل هذه المدرة السوداء . وأشار إلى الكوفة . فوالله ما هي بحرب فأحاربها ولا مسلم فأسلمها ، فرق الله بيني وبينها ، فخذلوه وأسلموه حتى قتل ، ثم قام من بعده زيد بن علي ، فخدعه أهل الكوفة وغرثوه ، فلما أخرجوه ^(١) وأظهروه أسلموه ، وقد كان أتى محمد بن علي ^(٢) ، فناشده في الخروج ، وسأله ألا يقبل أقاويل أهل الكوفة ، وقال له : إنا نجد في بعض علمنا أن بعض أهل بيتنا يصلب بالكوفة ، وأنا أخاف أن تكون ذلك المصلوب ، وناشده عمي داود بن علي ، وحذره عذر أهل الكوفة ، فلم يقبل وتم ^(٣) على خروجه ، فقتل وصلب بالكناسة ^(٤) ، ثم وثب علينا بنو أمية ، فأماواتا ترفنا ،

[١] وقد خرج في خلافة هشام بن عبد الملك ، فقاتله يوسف بن عمر النقي والي العراق ، وقتل وصلب

سنة ١٢١ هـ . [٢] يريد أباه محمد بن علي بن عبد الله بن عباس .

[٣] تم على الأمر : استمر عليه . [٤] موضع بقرب الكوفة .

وأذهبوا عزنا ، والله ما كانت لهم عندنا تِرةٌ ^(١) يطلبونها ، وما كان ذلك كله إلا فيهم ، وبسبب خروجهم عليهم ، فتفوننا من البلاد ، فصيرنا مرة بالطائف . ومرة بالشام ، ومرة بالشرقة ^(٢) ، حتى ابتعثكم الله لنا شيعة وأنصارا ، فأحيا شرفنا وعزنا بكم أهل خراسان ، ودمغ بحقكم أهل الباطل ، وأظهر حقنا ، وأصار إلينا ميراثنا عن نبينا صلى الله عليه ، فقر الحق مقره ، وأظهر مناره ، وأعز أنصاره ، وقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين ، فلما استقرت الأمور فينا على قرارها من فضل الله فيها ، وحكمه العادل لنا ، وثبوا علينا ظلما وحسدا منهم لنا ، وبنيانا لما فضلنا الله به عليهم ، وأكرمنا به من خلافته ، وميراث نبيه صلى الله عليه وسلم :

جَهْلًا عَلَى وَجْبِنَا عَنْ عَدُوْمٍ لَبِئْسَتِ الْخَلَّتَانِ الْجَهْلُ وَالْحَبْنُ

فإني والله يا أهل خراسان ما أتيت من هذا الأمر ما أتيت بجهالة ، بلغني عنهم بعض السقم والتعزم ^(٣) ، وقد دسست لهم رجالا ، فقلت : قم يا فلان ، قم يا فلان ، نخذ معك من المال كذا ، وحدوت لهم مثالا يعملون عليه ، تخرجوا حتى أتوهم بالمدينة ، فدنسوا إليهم ثلاث الأموال ، فوالله ما بقى منهم شيخ ولا شاب ، ولا صغير ولا كبير ، إلا بايعهم ببيعة استحللت بها دماءهم وأموالهم ، وحلت لي عند ذلك بنقضهم بيعتي ، وطلبهم الفتنة ، والتماسهم الخروج علي ، فلا يرون أنني أتيت ذلك على غير يقين ، ثم نزل وهو يتلو على درج المنبر هذه الآية

[١] تَار . [٢] موضع بين دمشق والمدية (الكرك الآن) .

[٣] الأصل فيه : تعزيمه : تعزقه ونزع ما عليه من اللحم .

« وَحِيلَ يَنْتَهُمَ وَيَنْ مَاشَتْهُونَ كَمَا فَعَلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلُ ، إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُرِيبٍ » . (تاريخ الطبري ١ : ٣١٢ ، وروح المعاني ٢ : ٢٤١)

٢٦ - خطبته حين خروج محمد وإبراهيم ابني عبد الله بن الحسن ولما خرج محمد وإبراهيم ابنا عبد الله ، شَنَّ^(١) المنصور عليه درعه ، وتقلد سيفه ، وصعد المنبر ، فحمد الله ، وأثنى عليه ثم قال :

مَالِي أَكْفَيْكَ عَنْ سَعْدٍ وَنَشْتُمْنِي ؟ وَلَوْ شِئْتُ بَنِي سَعْدٍ لَقَدْ سَكَنُوا جَهَنَّمَ عَلَيْنَا وَجُبْنَا عَنْ عَدُوهُمْ لَبِئْسَتْ الْخَلْقُ الْجَهْلُ وَالْجُبْنُ أَمَّا وَاللَّهِ لَقَدْ عَجَزُوا عَمَّا قَنَابَهُ ، فَا عَصَدُوا الْكَافِي ، وَمَا شَكُرُوا الْمُنْعِمَ ، فَإِذَا حَاولُوا أَشْرَبَ رَتَقًا عَلَى غَصَصٍ ، وَأَيَّتْ مِنْهُمْ عَلَى مَضَضٍ ، كَلَّا وَاللَّهِ لَا أَصِلُ ذَا رَحِمٍ حَاولَ قَطِيعَتَهَا ، وَلَنْ لَمْ يَرْضَ بِالْعَفْوِ لِيُطْلَبَنَّ مَا لَمْ يَوْجَدَ عِنْدِي ، فَلْيُبْقِ ذُو نَفْسٍ عَلَى نَفْسِهِ ، فَبَلْ أَنْ تَمُتَ ، فَلَا يُبْكِي عَلَيْهِ » . (مواسم الأدب ٢ : ١١٩)

٢٧ - خطبته وقد قتل أبا مسلم الخراساني

وخطب بالمدائن عند قتل أبي مسلم الخراساني^(٢) ، فقال :
« أَيُّهَا النَّاسُ لَا تَخْرُجُوا مِنْ أُنْسِ الطَّاعَةِ إِلَى وَخْشَةِ الْمَعْصِيَةِ ، وَلَا تُعِيرُوا غُشَّ الْأَعْثَةِ ، فَإِنَّهُ لَمْ يُسِرَّ أَحَدٌ قَطُّ مَنَكْرَةً إِلَّا ظَهَرَتْ فِي آثَارِهِ ، وَفَلَتَاتِ لِسَانِهِ ، وَصَفَحَاتِ وَجْهِهِ ، وَأَبْدَاهَا اللَّهُ لِإِمَامِهِ ، بِإِعْزَازِ دِينِهِ ، وَإِعْلَاءِ حَقِّهِ ، إِنَّا

[١] شَنَّ عليه درعه : صحتها . [٢] قتل أبو مسلم سنة ١٣٧ هـ ، وذلك أن المنصور كان قد أرسله لحرب عمه عبد الله بن عليّ - وكان قد خرج عليه بالشأم كما سيأتي - فلما طهر أبو مسلم ، وغنم جميع ما كان في عسكر عمه الله ، وانهرم عداقه إلى البصرة ، أرسل المنصور بعض خدعه للحطاط على ما في العسكر من الأموال ، فصب أبو مسلم ، وقال : أعيى على النعماء ، حاشى في الأموال ! وشم المنصور ، وعزم على الحلاف ، وأن يتوجه إلى خراسان ، فحل للمنصور يطلب به حتى استقدمه إليه وقتله .

لَنْ نَبْخَسَكُمْ حَقَّكُمْ ، وَلَنْ نَبْخَسَ الدِّينَ حَقَّهُ عَلَيْكُمْ ، إِنَّهُ مِنْ نَارَعَنَا عُرْوَةً
هَذَا الْقَمِيصِ أَجْزَرَنَا خَبِيٍّ هَذَا النِّعْدُ ، وَإِنْ أَبَامَسْلَمَ بَايَعَنَا وَبَايَعَ النَّاسَ لَنَا ، عَلَى
أَنَّهُ مِنْ نَكْتِ بِنَا فَقَدْ أَبَاحَ دَمَهُ ، ثُمَّ نَكْتِ بِنَا ، فَحَكَمْنَا عَلَيْهِ لِأَنْفُسِنَا حُكْمَهُ
عَلَى غَيْرِهِ لَنَا ، وَلَمْ تَمْنَعْنَا رِجَايَةَ الْحَقِّ لَهُ ، مِنْ إِقَامَةِ الْحَقِّ عَلَيْهِ .

(تاريخ الطبرى ٩ : ٢١٣ ، ومع الأمثال ١ : ٣١٨ ، ومواسم الأدب ٢ : ١٢٠)

٢٨ - خطبة أخرى

وخطب فقال :

« أَيُّهَا النَّاسُ ، لَا تَنْفَرُوا أَطْرَافَ النِّعْمَةِ بِقَلَّةِ الشُّكْرِ ، فَتُحْلَ بِكُمْ النُّقْمَةُ ،
وَلَا تَسْتُرُوا غِشَّ الْأَعْمَةِ ، فَإِنْ أَحَدًا لَا يَسْتَرُ مُنْكَرًا إِلَّا ظَهَرَ فِي فَلَتَاتِ لِسَانِهِ ،
وَصَفَحَاتِ وَجْهِهِ ، وَطَوَالِعِ نَظْرِهِ ، وَإِنَّا لَا نَجْهَلُ حَقَّكُمْ مَا عَرَفْتُمْ حَقًّا ، وَلَا نَنْسَى
الْإِحْسَانَ إِلَيْكُمْ مَا ذَكَّرْتُمْ فَضْلَنَا ، وَمَنْ نَارَعَنَا هَذَا الْقَمِيصَ أَوْ طَانَا أُمَّ رَأْسِهِ
خَبَاءٌ ^(١) هَذَا النِّعْدُ ، وَالسَّلَامُ . » (مواسم الأدب ٢ : ١٢٠)

٢٩ - قوله وقد قوطع في خطبته

وخطب يوم الجمعة ، فقال :

« الْحَمْدُ لِلَّهِ أَحْمَدُهُ ، وَأَسْتَعِينُهُ ، وَأُؤْمِنُ بِهِ ، وَأَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ
إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ : أَيُّهَا النَّاسُ ، اتَّقُوا اللَّهَ ، فَقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ ، فَقَالَ :
أَذْكُرُّكَ مِنْ ذَكَّرْتَنَا بِهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، فَقَطَعَ الْخُطْبَةَ ، ثُمَّ قَالَ : « سَمِعًا سَمِعًا
لِمَنْ فَهِمَ عَنْ اللَّهِ ، وَذَكَّرَ بِهِ ، وَأَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ جَبَّارًا عَنِيدًا ، وَأَنْ تَأْخُذَنِي
الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ ، لَقَدْ ضَلَلْتُ إِذَنْ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ، وَأَتَى أَيُّهَا الْقَاتِلُ ، فَوَاللَّهِ

ما أردت بها وجه الله، ولكنك حاولت أن يقال : قام فقال ، فعُوقِبَ فصَبَرَ ، وأهونَ بها ! ويلك لو همتُ ^(١) ! فاهْتَبَلَهَا ^(٢) إذ غفرتُ ، وإياك وإياكم معشرَ الناس أختها ، فإن الحكمة علينا نزلت ، ومن عندنا فصلت ، فردوا الأمر إلى أهله ، ثورِدوه مَوَارِدَه ، وَتُصَدِّروه مَصَادِرَه « ثم عاد في خطبته ، فكأنه يقرؤها من كفه ، فقال ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله

(تاريخ الطبري ٩ : ٣١١ ، والقصد العريد ٢ : ١٤٥ ، وعيون الأخبار ٢ : ص ٣٣٦ ،
والكامل لابن الأثير ٦ : ١٢ ، وصبح الأعشى ١ : ٢٦٢)

٣٠ - المنصور يصف خلفاء بني أمية

واجتمع عند المنصور أيام خلافته جماعة من ولد أبيه ، منهم عيسى بن موسى والعباس بن محمد وغيرهما ، فتذاكروا خلفاء بني أمية ، والسبب الذي به سلبوا عزهم ، فقال المنصور :

« كَانَ عبد الملك جَبَّاراً لَا يُبَالِي مَا صَنَعَ ، وَكَانَ الوليد لَحْماً نَاجِثاً ، وَكَانَ سليمان هِمَّةً بَطْنُهُ وَفَرْجُهُ ، وَكَانَ عمر أعورَ بين عُثْمَانَ ، وَكَانَ هشام رجلَ القوم ، وَلَمْ يَزَلْ بنو أمية ضَابِطِينَ لِمَا مَهَّدَ لَهُم من السلطان ، يَحُوطُونَهُ وَيَصُونُونَهُ وَيَحْفَظُونَهُ ، وَيَحْرُسُونَ مَا وَهَبَ اللَّهُ لَهُمْ مِنْهُ ، مَعَ تَسْنُئِهِمْ مَعَالِيَ الْأُمُور ، وَرَفْضِهِمْ أَدَانِيَهَا ، حَتَّى أَفْضَى أَمْرُهُمْ إِلَى أَحْدَاثٍ مُتَرَفِّينَ مِنْ أَبْنَائِهِمْ ، فَنَمِطُوا ^(٣) النِّعْمَةَ ، وَلَمْ يَشْكُرُوا الْعَافِيَةَ ، وَأَسَاءُوا الرِّعَايَةَ ، فَابْتَدَأَتِ النِّقْمَةُ مِنْهُمْ ، بِاسْتِدْرَاجِ اللَّهِ إِيَّاهُمْ ، آمِنِينَ مَكْرَهُ ، مُطَّرِحِينَ صِيَانَةَ الْخِلَافَةِ ، مُسْتَنْخَفِينَ بِحَقِّ الرِّيَاسَةِ ، ضَعِيفِينَ عَنِ رُسُومِ السِّيَاسَةِ ، فَسَلَبَهُمُ اللَّهُ الْعِزَّةَ ، وَأَلْبَسَهُمُ الذُّلَّ ، وَأَزَالَ عَنْهُمْ النِّعْمَةَ .

(شرح ابن أبي الحديد ١ : ص ٢١٥)

[١] أي لو همت بقتالها . [٢] اعتصمها . [٣] عمت النعمة : نظرها وحقرها .

٣١ - المنصور يصف عبد الرحمن الداخل

وقال المنصور يوماً لأصحابه : أخبروني عن صقر قريش ، مَنْ هو ؟ قالوا :
 أمير المؤمنين ، الذي راض^(١) الملك ، وسكن الزلازل ، وحسم الأدواء ، وأباد
 الأعداء ، قال : ما صنعتُم شيئاً ، قالوا : معاوية ، قال : ولا هذا ، قالوا : فعبد الملك
 ابن مروان ، قال : ولا هذا ، قالوا : فمن يا أمير المؤمنين ؟ قال : عبد الرحمن بن
 معاوية^(٢) ، الذي عبّر البحر ، ووطع القفر ، ودخل بلدًا أعجميًا مفردًا ، فصر
 الأمصار ، وجنّد الأجناد ، ودوّن الدواوين ، وأقام ملكًا بعد انقطاعه ، بحسن
 تديره ، وشدة شكيمة ، إن معاوية نهض يتركب حملاً عليه عمر وعثمان ،
 ودلاً له صعبه ، وعبد الملك يبيّعه تقدّم له عقدُها ، وأمير المؤمنين يطلب غيره
 واجتماع شيعته ، وعبد الرحمن منفرد بنفسه ، مؤيد برأيه ، مستصحب لعزمه .
 (النقد الفريد ٢ : ٣٠٢)

وصايا المنصور لابنه المهدي

٣٢ - وصية له

قال المنصور لابنه المهدي : « يا بُنَيَّ لا تُبْرِمَ أمراً حتى تهكر فيه ، فإن
 فكره العاقل مرآته ، تزيه حسناته وسيئاته ، واعلم أن الخليفة لا يصلحه إلا
 التقوى ، والسلطان لا يصلحه إلا الطاعة ، والرعية لا يصلحها إلا العدل ، وأولى
 الناس بالعفو أقدرهم على العقوبة ، وأقص الناس عقلاً من ظلم من هو دونه .
 (نهاية الأرب ٦ : ٤١ ، والنقد الفريد ١ : ١٤)

[١] دل . [٢] هو عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان المعروف بالداخل
 مؤسس دولة بني أمية بالأندلس وسبأني .

٣٣ - وصية أخرى له

وصاه فقال له : «إني لم أدع شيئاً إلا قد تقدمت إليك فيه ، وسأوصيك
بمخصال والله ما أظنك تفعل واحدة منها - وكان له سَفَط فيه دَفَتر علمه ، وعليه
قُل لا يَأمن على فتحه ومفتاحه أحداً ، يَصُرُّ مفتاحه في كُم قيصيه - فقال
للمهدي : انظر هذا السَفَط فاحتفظ به ، فإن فيه علم آباءك ما كان وما هو كائن
إلى يوم القيامة ، فإن أحزنك أمرٌ فانظر في الدَفَتر الأكبر ، فإن أصبت فيه ما تريد ،
وإلا فالثاني والثالث حتى تبلغ سبعة ، فإن ثقل عليك فالكرامة الصغيرة ، فإنك
واجدٌ فيها ما تريد ، وما أظنك تفعل ، وانظر هذه المدينة فإنك أن تستبدل بها ،
فإنها بيتك وعزك ، ود جمعت لك فيها من الأموال ، ما إن كسر عليك الخراج
عشر سنين ، كان عندك كفاية لأرزاق الجنود والنقات ، وعطاء الذرية ، ومصلحة
الشفور ، فاحتفظ بها فإنك لا تزال عزيزاً ما دام بيت مالك عامراً ، وما أظنك
تفعل ، وأوصيك بأهل بيتك ، أن تُظهر كرامتهم وتقدمهم ، وتكثر الإحسان
إليهم ، وتعظم أمرهم ، وتوطي الناس أعقابهم ، وتوليهم المنابر ، فإن عزك عزهم ،
وذكرهم لك ، وما أظنك تفعل ، وانظر مواليك فأحسن إليهم ، وقربهم ،
واستكثر منهم ، فإنهم مادتك لشدة إن نزلت بك ، وما أظنك تفعل ،
وأوصيك بأهل خراسان خيراً ، فإنهم أنصارك وشيعتك الذين بذلوا أموالهم في
دولتك ، ودماءهم دُونك ، ومن لا تخرج محبتك من قلوبهم ، أن تُحسن إليهم ،
وتتجاوز عن مُسيئتهم ، وتكافئهم على ما كان منهم ، وتخلّف من مات منهم في
أهله وولده ، وما أظنك تفعل ، وإياك أن تبني مدينة الشرقية ، فإنك لا تُتم
بناءها ، وما أظنك تفعل ، وإياك أن تستعين برجل من بني سليم ، وأظنك

ستفعل ، وإياك أن تُدخل النساء في مشورتك في أمرك ، وأظنك ستفعل .
(تاريخ الطبري ٩ : ٣١٩)

٣٤ - وصية أخرى له

ووصى المهدي أيضاً ، فقال : « اتق الله فيما أعهد إليك من أمور المسلمين بعدى ، يجعل لك فيما كرتك وحرزتك مخرجاً ، ويرزقك السلامة وحسن العاقبة من حيث لا تحسب ، احفظ يا بنى محمداً صلى الله عليه وسلم في أمته ، يحفظ الله عليك أمورك ، وإياك والدم الحرام ، فإنه حوب ^(١) عند الله عظيم ، وعار في الدنيا لازم مقيم ، والزم الحلال ، فإن فيه ثوابك في الآجل ، وصلاحك في العاجل ، وأقم الحدود ، ولا تعتد فيها فتور ^(٢) ، فإن الله لو علم أن شيئاً أصلح لدينه ، وأزجر عن معاصيه من الحدود ، لأمر به في كتابه ، واعلم أنه من شدة غضب الله لسلطانه أمر في كتابه بتضعيف العذاب والعقاب على من سعى في الأرض فساداً ، مع ما ذكر له عنده من العذاب العظيم ، فقال : « إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَاداً أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا ، أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ ، أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ، ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا ، وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ » ، فالسلطان يا بنى حبل الله المتين ، وعزوته الوثقى ، ودين الله القيم ، فاحفظه وحطه ، وحصنه وذنبه عنه ، وأوقع بالملحدين فيه ، واقمع المارقين منه ، واقتل الخارجين عنه بالعقاب لهم ، والمثلات ^(٣) بهم ، ولا تجاوز ما أمر الله به في مُحكم القرآن ، واحكم بالعدل ولا تُشطط ، فإن ذلك أقطع للشغب ، وأحسم للعدو ، وأنجع في

الدواء ، وَعَفَّ عن النَّفْسِ ، فليس بك إليه حاجة مع ما أَخْلَفَهُ لك ، وافتتح عمالك
بصلة الرَّحِمِ وِبرِّ القَرَابَةِ ، وإياك وَالْأَثَرَةَ ، والتبذير لأموال الرعية ، وَاشْحَنَ ^(١)
الثغور ، وَاضْبَطَ الأطراف ، وَأَمَّنَ السُّبُلَ ، وَخَصَّ الواسِطَةَ ^(٢) ، ووسَّعَ المعاش ،
وَسَكَّنَ العامة ، وَأَدْخَلَ المرافق عليهم ، وَأَصْرَفَ المكاره عنهم ، وَأَعَدَّ الأموال
وَاخْزَنَهَا ، وإياك والتبذير ، فَإِنَّ النوائِبَ غير مأمونة ، والحوادث غير مضمونة ،
وهي من شيم الزمان ، وَأَعَدَّ الرجال والكُرَاعَ ^(٣) والجند ما استطعت ، وإياك
وتأخير عمل اليوم إلى غد ، فتدارك عليك الأمور وتضييع ، جِدَّ في إحكام الأمور
النازلات لأوقاتها أَوْلاً قَاولاً ، وَاجْتَهِدْ وَشَمِّرْ فِيهَا ، وَأَعِدِّ رَجَلاً بِاللَّيْلِ لمعرفة
ما يكون بالنهار ، وَرَجَلاً بِالنَّهَارِ لمعرفة ما يكون بالليل ، وَبَاشِرِ الْأُمُورِ بِنَفْسِكَ
وَلَا تَضَجَّرْ ، وَلَا تَكْسَلْ ، وَلَا تَفْشَلْ ، وَاسْتَعْمِلْ حَسْنَ الظنِّ بِرَبِّكَ ، وَأُسْبِيءُ
الظنِّ بِعَمَالِكَ وَكُتَّابِكَ ، وَخُذْ نَفْسَكَ بِالتَّيَقُّظِ ، وَتَفَقَّدْ مَنْ يَبِيتُ عَلَى بَابِكَ ،
وَسَهِّلْ إِذْنَكَ لِلنَّاسِ ، وَانْظُرْ فِي أَمْرِ التُّزَاعِ إِلَيْكَ ، وَوَكِّلْ بِهِمْ عَيْنًا غَيْرَ نَائِمَةٍ ،
وَتَفْسًا غَيْرَ لَاهِيَةٍ ، وَلَا تَتَمَّ فَإِنَّ أَبَاكَ لَمْ يَنْمَ مِنْذُ وَلِيِ الْخِلَافَةِ ، وَلَا دَخَلَ عَيْنُهُ
غَمُضٌ إِلَّا وَقَلْبُهُ مُسْتَبْقِظٌ ، هَذِهِ وَصِيَّتِي إِلَيْكَ ، وَاللَّهُ خَلِيفَتِي عَلَيْكَ »

(تاريخ الطبري ٩ : ٣٢٠)

٣٥ — خطبة النفس الزكية حين خرج على المنصور

لما خرج محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طائب الملقب
بالنفس الزكية ^(٤) على المنصور ، قام على منبر المدينة ، فحمد الله ، وأثنى عليه ،
ثم قال :

[١] أي إملاًها بالخاصة . [٢] للتوسط . [٣] الكراع : اسم يجمع الخيل .
[٤] كان أبو هاشم — الطالبون والعباسيون — قد احتسبوا أخريات العصر الأموي ، وتذاكروا حالهم

« أيها الناس : إنه قد كان من أمر هذا الطاغية أبي جعفر من بناء القبة الخضراء ، التي بناها معاندة لله في ملكه ، وتصغيره الكعبة الحرام ، وإنما أخذ الله فرعون حين قال : « أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى » . وإن أحق الناس بالقيام في هذا الدين أبناء المهاجرين الأولين ، والأنصار الموالين ، اللهم إنهم قد أحلوا حرامك ، وحرّموا حلالك ، وعملوا بغير كتابك ، وغيروا عهد نبيك صلى الله عليه وسلم ، وآمنوا من أخفت ، وأخافوا من آمنت ، فأخصهم عدداً ، وأقتلهم بدداً ^(١) ، ولا تبق على الأرض منهم أحداً » . (ذيل الأموال من ١٢١)

٣٦ - وصية عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي لابنه محمد (أو إبراهيم)

ووصى عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ابنه محمداً النفس الزكية (أو إبراهيم) ، فقال :

« أي بُنَيَّ ، إني مؤدِّ حق الله في تأديبك ، فأدِّ إلى حق الله في الاستماع مني ،

وما هم عليه من الاصطهاد ، وما قد آل إليه أمر بني أمية من الاضطراب ، وانفقوا على أن ينعوا الناس لهم سرا ، ثم قلوا لا بد لنا من رئيس ، فاعفوا على ما يسهل النفس الزكية ، وكان من سادات بني هاشم ورحلهم صلاً وشرطاً وعلماً ، موثاء القدر أن يضر الماسيون بالخلافة ، فوليها السماع ثم للصور ، ولم يكن للصور ثم مسد تواء عرشها سوى طلب النفس الزكية ليقبضه ، وأعزاء بذلك أن الناس كانوا شديدي الليل إليه ، وكانوا يتفقون فيه الفصل والثرف والرياسة ، فطلبه النصور هو وأخاه إبراهيم من أيها عبد الله بن الحسن ، قال : لا علم لي بها - وكانا قد قسما حوفاً منه - فلما أطل عليه ، قال : كم تطول ؟ والله لو كانا تحت قدمي ، لما رصتهما عنهما ، سبحان الله ! آتيك بولدي لقتلهما ! فقص عليه ، وعلى أهله من بني الحسن وحسنهم في سجن الكوفة حتى ماتوا فيه كما تقدم ، ولم يرل النفس الزكية متحرراً ما صد أصمت الدولة إلى بني العباس خوفاً منهم على نفسه ، فلما علم بما جرى لوالده وقومه ظهر بالمدينة وأظهر أمره ، وتبعه أعيان المدينة ، ثم علب عليها ، وعزل عنها أميرها ، ورتب عليها طاملاً وقاصياً ، فوجه للصور لقتاله حبشاً بقيادة ابن أخيه عيسى بن موسى ، فكانت القلة لمسكر النصور ، وقتل النفس الزكية ، وحمل رأسه إلى النصور سنة ١٤٥ هـ . [١] متبدين : متفرقين .

أى بنى كُفَّ الأذى ، وارفض البذا^(١) ، واستعين على الكلام بطول الفكر ،
 فى المواطن التى تدعوك فيها تقسك إلى الكلام ، فإن للقول ساعاتٍ يضر فيها
 الخطأ ، ولا ينفع فيها الصواب ، واحذر مشورة الجاهل وإن كان ناصحاً ، كما
 تحذر مشورة العاقل إذا كان غاشياً ، لأنه يُرَدِّدك بمشورته ، واعلم يا بنى أن رأيك
 إذا احتجت إليه وجدته نائماً ، ووجدت هواك يقظاناً ، فأياك أن تستبدَّ برأيك ،
 فإنه حينئذ هواك ، ولا تفعل فعلاً إلا وأنت على يقين أن عاقبته لا تُرَدِّدك ، وأن
 نتيجة لا تجنى عليك » . (زمر الآداب ١ : ٩٢ ، والبيان والبيان ١ : ١٨٠ ، ٢ : ٨٨)

٣٧ — قول عبد الله بن الحسن وقد قتل ابنه محمد

ولما قتل المنصور ابنه محمداً — وكان عبد الله فى السجن — بعثَ برأسه إليه
 مع الربيع حاجبه ، فوضع بين يديه ، فقال :
 رَحِمَكَ اللهُ أبا القاسم ، فقد كنت من « الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا
 يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ ، وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ ، وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ،
 وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ » ، ثم تمتمل :

فَتَى كَانَ يَحْمِيهِ عَنِ النَّارِ سَيْمُهُ وَيَكْفِيهِ سُوءَاتِ الْأُمُورِ اجْتِنَابُهَا

ثم الفت إلى الربيع ، فقال له : « قل لصاحبك قد مضى من يؤسنا مدة ، ومن
 نعيمك منلها ، والموعِدُ اللهُ تعالى » قال الربيع : فما رأيتُ المنصور قطُّ
 أكثر انكساراً منه حين أبلغته الرسالة . (زمر الآداب ١ : ٩٥)

٣٨ — امرأة محمد بن عبد الله والمنصور

ولما قتل المنصور محمد بن عبد الله ، اعترضته امرأة معها صبيان ، فقالت :

[١] البلاء : السوء والإحسان والبطون .

« يا أمير المؤمنين ، أنا امرأة محمد بن عبد الله ، وهذان ابناهُ ، أَيْتَهُمَا سَيْفُكَ ، وَأَضْرَعَهُمَا ^(١) خَوْفُكَ ، فَنَاشَدْتُكَ اللَّهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ تَصْعَرَ لَهَا خَدَّكَ ، فَيَنَائِيَ عَنْهَا رِفْدُكَ ، أَوْ لَتَعْطِفَكَ عَلَيْهِمَا شَوَابِكُ النِّسْبِ ، وَأَوَاصِرُ ^(٢) الرَّحِمِ » .

فالتفت إلى الرِّيع ، فقال : أَرَدْتُ عَلَيْهِمَا ضِيَاعَ أَبِيهِمَا ، ثُمَّ قَالَ : كَذَا وَاللَّهِ أَحَبُّ أَنْ تَكُونَ نِسَاءَ بَنِي هَاشِمٍ . (زمر الآداب ١ : ٩٦)

٣٩ — جعفر الصادق والمنصور

وَكَانَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ لَمَّا ظَهَرَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، أَجْمَعُوا عَلَى حَرْبِ الْمَنْصُورِ وَنَصْرِ مُحَمَّدٍ ، فَلَمَّا طَفِرَ الْمَنْصُورُ أَحْضَرَ جَعْفَرًا الصَّادِقَ ^(٣) بْنَ مُحَمَّدٍ الْبَاقِرِ ، فَقَالَ لَهُ : قَدْ رَأَيْتَ إِطْبَاقَ أَهْلِ الْمَدِينَةِ عَلَى حَرْبِي ، وَقَدْ رَأَيْتُ أَنْ أُبْعَثَ إِلَيْهِمْ مِنْ يَمُورٍ ^(٤) عِيُونِهِمْ ، وَيَحْمُرُ ^(٥) نَحْلَهُمْ ، فَقَالَ لَهُ جَعْفَرٌ : « يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنْ سَلِمَانَ أُعْطِيَ فَشَكَرَ ، وَإِنْ أَيُّوبَ ابْتُلِيَ فَصَبَرَ ، وَإِنْ يُوسُفَ قَدَّرَ فَقَفَرَ ، فَاقْتَدِرْ بِأَيُّهُمْ شِئْتَ ، وَقَدْ جَعَلَكَ اللَّهُ مِنْ نَسْلِ الدِّينِ يَعْفُونَ وَيَصْفَحُونَ » ، فَقَالَ أَبُو جَعْفَرٍ : « إِنْ أَحَدًا لَا يَعْلَمُنَا الْحِلْمَ ، وَلَا يَعْرِفُنَا الْعِلْمَ ، وَإِنَّمَا قُلْتُ هَمَمْتُ ، وَلَمْ تَرْنِي فَعَلْتُ ، وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ أَنَّ قُدْرَتِي عَلَيْهِمْ تَمْنَعُنِي مِنَ الْإِسَاءَةِ إِلَيْهِمْ » . (زمر الآداب ١ : ٩٦)

*
* *

وروى صاحب العقد قال :

[١] أَدْلَمَا . [٢] أَوَاصِرُ جَمْعُ آصِرَةٍ ، وَالْآصِرَةُ : حُلٌّ صَغِيرٌ يَتَدَبَّحُ أَسْفَلَ الْمَاءِ (وَهُوَ أَيْضاً الرَّحِمُ وَالْقِرَامَةُ) . [٣] هُوَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ جَعْفَرُ الصَّادِقُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْبَاقِرِ بْنِ عَلِيٍّ زَيْنِ الْعَابِدِينَ بْنِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَتَوُفِّيَ سَنَةَ ١٤٨ . [٤] فِي الْأَصْلِ « يَمُورٌ » وَأَرَاهُ مَخْرُفًا ، وَقَدْ أَصْلَحْتُهُ « يَمُورٌ » يَقَالُ : عَمُورٌ إِذَا رَأَى طَمْعًا ، وَسَدَّ عِيُونَهَا لِتَنْبَعِ مِنْهَا الْمَاءُ . [٥] حَرُّ الْحُلِّ : تَطْعُجُ جَارَهُ .

لما حج المنصور مرًا بالمدينة ، فقال للربيع الحاجب : عليّ بجعفر بن محمد ، قتلني الله إن لم أقتله ، فطُلب به ، ثم ألح عليه ، فحضر ، فلما كُشِف الستريته وبينه ، ومثل بين يديه ، همس جعفر بِشَفَتَيْهِ ، ثم تقرب وسلم ، فقال : « لا سَلَمَ الله عليك يا عدو الله ، تعمل على الغوائل في ملكي ؟ قتلني الله إن لم أقتلك » . قال : « يا أمير المؤمنين ، إن سليمان صلى الله على محمد وعليه أُعطي فشكر ، وإن أيوب ابْتُلِيَ فصَبَرَ ، وإن يوسف ظُلِمَ فَعَفَرَ ، وأنت على إرثٍ منهم ، وَأَحَقُّ مَنْ تَأْتِي بِهِمْ » ، فنكس أبو جعفر رأسه مَلِيًّا ، وجعفر واقف ، ثم رفع رأسه ، وقال : « إلى أبا عبد الله فأنت القريب القرابة ، وذو الرحم الواشجة ^(١) ، السليم الناحية ، القليل الغائلة » ، ثم صاحفه يمينه ، وعاتقه بشماله ، وأجلسه معه على فراشه ، وانحرف له عن بعضه ، وأقبل عليه بوجهه يحادثه ويسأله ، ثم قال : يا ربيع ، عَجَلْ لأبي عبد الله كِسْوَتَهُ وجائزته وإذنه . (القند العريد ١ : ١٤٥)

٤٠ - صفح المنصور عن سفيان بن معاوية بن يزيد بن المهلب ولما داهن سفيان بن معاوية بن يزيد بن المهلب في شأن إبراهيم بن عبد الله ^(٢) ، وصار إلى المنصور ، أمر الربيع بخلع سواده ، والوقوف به على رؤوس البمانية في المقصورة يوم الجمعة ، ثم قال : قل لهم :

« يقول لكم أمير المؤمنين قد عَرَفْتُمْ ما كَانَ من إحسانِي إليه ، وَحُسْنِ بِلَائِي ، وَقَدِيمِ نِعْمَتِي عليه ، والذي حاول من الفتنة ، ورَامَ من البغي ، وأراد من شقِّ العَصَا ، ومعاونة الأعداء ، وإراقة الدماء ، وإنه قد استحق بهذا من

[١] القرية : للشثكة . [٢] هو إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، أحرقت الركة ، وقد خرج على المنصور بالصرة ، فوجه إليه المنصور ابن أخيه عيسى بن موسى مدد رجوعه من قال النفس الركية قاتله وقتل إبراهيم في المعركة سنة ١٤٥ هـ .

فعله ، أليم العقاب ، وعظيم العذاب ، وقد رأى أمير المؤمنين إتمام بلاءه الجليل لديه ، وَرَبِّ^(١) نِعْمَ لَهُ السَّابِقَةُ عنده ، لما يتعرفه أمير المؤمنين من حسن مأثدة الله عليه ، وما يومئله من الخير العاجل والآجل ، عند العفو عمن ظلم ، والصفح عمن أساء ، وقد وهب أمير المؤمنين مُسِيئَتَهُمْ لِيُحْسِنَهُمْ ، وفادِرَهُمْ لَوْفِيَهُمْ .

(البیان والبيان ٣ : ١٨٥)

٤١ — استعطاف أهل الشام أبا جعفر المنصور

ولما انهزم عبد الله بن علي^(٢) من الشام ، قَدِمَ على المنصور وقد منهم ، فقام عِدَّةٌ منهم ، فتكلموا ، ثم قام الحارث بن عبد الرحمن الغفاري ، فقال : « يا أمير المؤمنين ، إنا لسنا وقد مباحاة ، وإنما نحن وقد تَوْبَةٌ ، وإنا ابتلينا بفتنة استنضت كرمنا ، واستنزت حليمتنا ، ونحن بما قدّمنا مُعْتَرِفُونَ ، وبما سَلَفَ منا مُعْتَذِرُونَ ، فَإِنْ نَعَاقِبْنَا فَبِمَا أَجْرَمْنَا ، وَإِنْ تَعَفُّ عَنَّا فَبِفَضْلِكَ عَلَيْنَا ، فاصْفَحْ عَنَّا إِذْ مَلَكَتْ ، وَامْنُنْ إِذْ قَدَرْتَ ، وَأَحْسِنْ إِذْ ظَفِرْتَ ، فظالمنا أحسنت إلى من أساء مِنَّا » ، فقال المنصور : قد فعلت ، ثم قال للحرَمِيِّ : هذا خطيبهم ، وأمر برد ضياعه عليه بالخطبة^(٣) .

(الغدير ١ : ١٤٤ ، وتاريخ الطبري ١ - ٣٠٧ ، وروى الآداب ٣ : ٨٨)

[١] رب الشيء : جهة وراجه ، ورب المص : ربه حتى أدرك .

[٢] هو عبد الله بن علي بن عبد الله بن عباس عم المنصور ، وكان قد خرج عليه بالشام ، وقال : إن السفاح قال لي إن ظهرت على مروان الجندی - وكان السفاح أرسله لقتال مروان بالشام - فأنت ولي العهد مدي ، وشهد له جماعة بذلك . فأرسل المنصور أنا مسلم الحراساني لمحارته بهزمه ، وهرب عند نقه إلى الصرة ، ونزل على أخيه سليمان بن علي ، فشمع فيه سليمان إلى المنصور فأبى ، فلما جاء إليه حسبه ومات في حسبه ، وقيل إنه سقى له يثا ، وحل في أسامة ملحا ، ثم أحرى الماء فيه ، فقط البيت عليه ثبات .

[٣] كورة دمشق .

٤٢ - استعطاف أهل الشام أبا جعفر المنصور أيضا

وقال عثمان بن خُزَيم للمنصور ، حين عفا عن أهل الشام في إجلائهم^(١) مع عبد الله بن عليّ عمه : « يا أمير المؤمنين ، لقد أعطيت فشكرت ، وابتليت فصبرت ، وقد رت عفوت » .

وقال آخر : « يا أمير المؤمنين ، الانتقام عدلٌ ، والتجاوز فضل ، والمتفضل قد جاوز حدَّ النُصف ، فنحن نُعيد أمير المؤمنين بالله أن يرضى لنفسه بأوكس^(٢) النصيبين ، دون أن يبلغ أرفع الدرجتين » .

وقال آخر : « من انتقم فقد شقّ غيظ نفسه ، وأخذ أقصى حقه ، وإذا انتقم فقد انتقصت^(٣) ، وإذا عفوت تطوّلت^(٤) ، ومن أخذ حقه ، وشقّ غيظه ، لم يجب شكره ، ولم يذكر في العالمين فضله ، وكظم الغيظ حلم ، والحلم صبر ، والتشقى طَرف من العجز^(٥) ، ومن رصى^(٦) ألا يكون بين حاله وبين حال الظالم إلامترقيق ، وحجاب ضعيف ، لم يجزم في تفضيل الحلم ، وفي الاستيثاق من ترك دواعي الظلم ، ولم ترأهل النهي ، والمنسوين إلى الحِجَاب والثقي ، مدحوا الحكم بشدة العقاب ، وقد ذكروهم بحسن الصّفح ، وبكثرة الاغتفار ، وشدة النفاق ، وبعدُ فالمعاقب مستعدّ^(٧) لعداوة أولياء المذنب ، والعاقي مستدع لشكرهم ، آمن من مكافأهم^(٨) أيام قُدّرتهم ، ولأن يُبني عليك باتساع الصدر ، خير من أن يُبني عليك بضيق الصدر^(٩) ، على أن إقالتك عشرة عباد الله ،

[١] في الأصل « إجلائهم » وهو تهريب ، والصواب « إجلائهم » أي في خنتهم وهياحهم من الحلة بالحرك وهي الصياح . [٢] من أوكس كوحّد : وهو التقصّل .

[٣] أي انتقص حَقك مجروحاً عليك ، حتى لك الانتقام منا لأحد حَقك .

[٤] تطوّلت عليه : امتدّت وتعمّل . [٥] وفي رهر الآداب : « من الحرع » .

[٦] وفي رهر الآداب : « مستودع » . [٧] محاراتهم .

[٨] وفي رهر الآداب : « حير من أن توصف صيقه » .

مُوجِبٌ لِإِقَالَتِكَ عِثْرَتِكَ مِنْ رَبِّ عِبَادِ اللَّهِ ، وَعَفْوِكَ عَنْهُمْ مَوْصُولَ بَعْفِ اللَّهِ عَنْكَ ، وَعِقَابِكَ لَهُمْ مَوْصُولَ بَعْقَابِ اللَّهِ لَكَ . قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : « خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ » .

(البیان والتبیین ٢ : ٥٥ ، وزمر الآداب ٣ : ٨٨)

٤٣ - أبو جعفر المنصور والربيع

وقال سعيد بن مسلم بن قتيبة : دعا المنصور بالربيع ^(١) ، فقال : سألني ما تريد ، فقد سكت حتى نطق ، وخففت حتى ثقلت ، وفللت حتى أكثر ، فقال : « وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، مَا أَزْهَبُ بُخْلَكَ ، وَلَا أُسْتَقْصِرُ عُمْرَكَ ، وَلَا أُسْتَصْغِرُ فَضْلَكَ ، وَلَا أُغْتَمَ مَالُكَ ، وَإِنْ يَوْمِي بِفَضْلِكَ عَلَى أَحْسَنُ مِنْ أَمْسِي ، وَغَدُكَ فِي تَأْمِيلِي أَحْسَنُ مِنْ يَوْمِي ، وَلَوْ جَازَأَنِّي بِشُكْرِكَ مِثْلِي بِغَيْرِ الْخِدْمَةِ وَالْمَنَاصِحَةِ لَمَّا سَبَقَنِي لَدُنْكَ أَحَدٌ » قال : صدقت ، علمي بهذا منك أَحْلَكَ هَذَا الْمَحَلَّ ، فَسَلَّنِي مَا شِئْتَ ، قال : أَسْأَلُكَ أَنْ تَقْرُبَ عَبْدَكَ « الْفَضْلَ » ^(٢) ، وَتُوَثِّرَهُ وَتُحِبَّهُ ، قال : يَارَبِّيعُ ، إِنْ الْحُبَّ لَيْسَ بِمَالٍ يُوهَبُ ، وَلَا رِقَبَةٌ تُبَدَّلُ ، وَإِنَّمَا تُؤَكِّدُهُ الْأَسْبَابُ ، قال : فَاجْعَلْ لِي طَرِيقًا إِلَيْهِ ، بِالْفَضْلِ عَلَيْهِ ، قال : صدقت ، وَقَدْ وَصَلْتُهُ بِأَلْفِ دَرَاهِمَ ، وَلَمْ أَصِلْ بِهَا أَحَدًا غَيْرَ عُثْمَوْنِي ، لَتَعْلَمَ مَالَهُ عِنْدِي ، فَيَكُونُ مِنْهُ مَا يَسْتَدْعِي بِهِ مَحَبَّتِي ، قال : فَكَيْفَ سَأَلْتَ لَهُ الْمَحَبَّةَ يَا رَبِّيعُ ؟ قال : لِأَنَّهَا مِفْتَاحُ كُلِّ خَيْرٍ ، وَمِفْلَاقُ كُلِّ شَرٍّ ، تُسْتَرَّبُ بِهَا عِنْدَكَ عِيُوبُهُ ، وَتَصِيرُ حَسَنَاتُ ذُنُوبِهِ ، قال : صدقت .

(دهر الآداب ٢ : ١٦٣)

[١] هو أبو الفضل الربيع بن يونس ، ودر المنصور ، وكان مهيأً صبيحاً كادياً حارماً طمأً ، ولم يزل وريثاً للمنصور إلى أن مات المنصور . وقام الربيع بأخذ البيعة للمهدي ، ثم سعى به أعداؤه إلى الهادي ، فقتله سنة ١٧٠ هـ . [٢] هو ابنه الفضل بن الربيع ، وقد ورد للرشيد صد البرامكة ، ولأنه الأمين كاسياتي .

٤٤ — مقام عمرو بن عبيد بين يدي المنصور

دخل عمرو^(١) بن عبيد على المنصور بعدما بايع للمهدي ، فقال له : يا أبا عثمان ، هذا ابن أمير المؤمنين ، وولي عهد المسلمين ، فقال له عمرو : يا أمير المؤمنين ، أراك قد وطّدت له الأمور ، وهي تصير إليه ، وأنت عنه مستول ، فاستعبر المنصور ، وقال له : عِظْنِي يا عمرو ، قال : « يا أمير المؤمنين : إن الله أعطاك الدنيا بأثرها ، فاشتر نفسك منها ببعضها ، وإن هذا الذي في يديك ، لو بقي في يد غيرك ، لم يصل إليك ، فاحذر ليلةً تَخْضُ عن يوم لا ليلة بعده » ، فوجم أبو جعفر من قوله ، فقال له الريح : يا عمرو غممت أمير المؤمنين ، فقال عمرو : إن هذا صبيك عشرين سنةً ، لم يرَ لك عليه أن ينصحك يوماً واحداً ، وما عمل وراءك بشيء من كتاب الله ولا سنة نبيه ، قال أبو جعفر : فما أصنع ؟ قد قلت لك ، خاتمي في يدك ، فتعال وأصحابك فاكفني ، قال عمرو : « أدعنا بعدك ، نسخ أنفسنا بعونك ، يبابك ألف مظلمة ، أردد منها شيئاً نعلم أنك صادق » . (مروج الذهب ٢٤٣.٢ ، وعيون الأخبار م ٢. ص ٣٣٧ ، ووفيات الأعيان ١ : ٢٨٤ ، والقدر ١ : ٣٠٦ ، وشرح ابن أبي الحديد م ١ : ص ١٤٨)

٤٥ — مقام رجل من الزهاد بين يدي المنصور

بينما المنصور يطوف ليلاً إذ سمع قائلاً يقول : اللهم إني أشكو إليك ظهور البغي والفساد في الأرض ، وما يحول بين الحق وأهله من الطمع ، فخرج المنصور ، فجلس ناحية من المسجد ، وأرسل إلى الرجل يدعوه ، فصلّى الرجل ركعتين ، واستلم الركن ، وأقبل مع الرسول ، فسلم عليه بالخلافة ، فقال المنصور : ما الذي سمعتك تذكر من ظهور البغي والفساد في الأرض ؟ وما الذي يحول بين الحق

وأهله من الطمع ؟ فوالله لقد حشوت مسامعي ما أرمضني ^(١) ، قال : يا أمير المؤمنين إن أمنتني على نفسي ، أنباتك بالأمور من أصولها ، وإلا احتجرت منك ، واقصرت على نفسي ، ففيها لي شاعل ^(٢) ، فقال : أنت آمن على نفسك فقل ، فقال : يا أمير المؤمنين إن الذي دخله الطمع ، حتى حال بينه وبين ما ظهر من البنى والفساد لآنت ، قال : ويحك ، وكيف يدخلني الطمع ، والصفراء والبيضاء ^(٣) في قبضتي ، والحلو والحامض عندي ؟ قال : وهل دخل أحد آمن الطمع ما دخلك ؟ إن الله تبارك وتعالى استرعاك المسلمين وأموالهم ، فأعفلت أمورهم ، واهتممت بجمع أموالهم ، وجعلت بينك وبينهم حجاباً من الجيص والآجر ^(٤) ، وأبواباً من الحديد ، وحجبة معهم السلاح ، ثم سجت نفسك فيها عنهم ، وبشت عمالك في جباية الأموال وجمعها ، وقويتهم بالرجال والسلاح والكراع ، وأمرت بالآ يدخل عليك من الناس إلا فلان وفلان ، نفر سميتهم ، ولم تأمر بإيصال المظلوم ولا الملهوف ، ولا الجائع العارى ، ولا الضعيف الفقير ، ولا أحد إلا وله في هذا المال حق ، فلما رآك هؤلاء نفر الذين استخلصتهم لنفسك ، وآثرتهم على رعيته ، وأمرت ألا يُحجَبُوا عنك ، تجبي الأموال وتجمعها ولا تقسمها ، قالوا : هذا قد خان الله ، فما بالنا لا نخونه وقد سجن لنا نفسه ؟ فأتمرؤا بالآ يصل إليك من علم أخبار الناس شيء إلا ما أرادوا ، ولا يخرج لك عامل ، فيخالف أمرهم إلا قصبوه ^(٥) عندك وقهوه ، حتى تسقط منزلته ، ويصغر قدره ، فلما انتشر ذلك عنك وعنهم ، أعظمهم الناس وهابهم ، فكان أول من صانعهم عمالك بالهدايا والأموال ، ليقووا بها على ظلم رعيته ، ثم فعل ذلك ذوو القدرة والثروة من

[١] أوحى وآلى . [٢] الصفراء والبيضاء : الدماير والدرام .

[٣] ما يوه وشتوه ، وفي القيد الفريد : « حوتوه » .

رعيّتك ، لينالوا به ظلم من دونهم ، فامتلات بلادُ الله بالطمع بغيًا وفسادًا ، وصار هؤلاء القوم شركاءك في سلطانك ، وأنت غافل ، فإن جاء متظلم حيلَ بينه وبين دخول مدينتك ، فإن أراد رفعَ قصّته إليك عند ظهورك ، وجَدَكَ قد نهيتَ عن ذلك ، وأوقفتَ للناس رجالًا ينظر في مظالمهم ، فإن جاءك ذلك الرجل ، فبلغَ بِطانتك خبره ، سألوا صاحب المظالم ألا يرفعَ مظلمته إليك ، فإن المتظلم منه لهم حرمة ، فأجابهم خوفًا منهم ، فلا يزال المظلوم يختلف إليه ، ويلوذ به ، ويشكو ويستغيث ، وهو يدفعه ويقتل عليه ، فإذا أُجهد وأُخرج وظهرت ، صرّخَ بين يديك ، فضرِبَ ضربًا مُبرِّحًا ليكون نكالًا لغيره ، وأنت تنظر فلا تُنكر ، فما بقاء الإسلام على هذا ؟ وقد كنتُ يا أمير المؤمنين أسافر إلى الصين فقدمتها مرة ، وقد أصيب ملكها بسنعه ، فبكي يومًا بكاء شديدًا ، فنهّ جلساؤه على الصبر ، فقال : أما إني لست أبكي للبلية النازلة بي ، ولكني أبكي لمظلوم بالباب يصرّخ ، ولا أسمع صوته ، ثم قال : أما إذ ذهب سمعي ، فإن بصرى لم يذهب ، نادوا في الناس ألا يلبس ثوبًا أحمر إلا متظلم ، ثم كان يركب الفيل طرفي نهاره ، وينظر هل يرى مظلومًا ؟ فهذا يا أمير المؤمنين مُشرك بالله ، غلبت رافته بالمشرّكين شحّ نفسه ، وأنت مؤمن بالله ، ثم من أهل بيت نبيه ، لا تغلبُ رافتك بالمسلمين على شحّ نفسك ؟ فإن كنت إنما تجمع المال لولدك ، فقد أراك الله عيبرًا في الطفل ، يسقط من بطن أمه ، وماله على الأرض مالٌ ، وما من مال إلا ودونه يد شحيحة تحويه ، فما يزال الله يلطفُ بذلك الطفل ، حتى تعظم رغبةُ الناس إليه ، ولست بالذي تعطى ، بل الله يعطى من يشاء ما شاء ، وإن قلتُ إنما أجمع المال لتشديد

السلطان ، فقد أراك الله عِبراً في بني أمية ، ما أغنى عنهم ما جمعوا من الذهب والفضة ، وأعدوا من الرجال والسلاح والكراع ، حتى أراد الله بهم ما أراد ، وإن قلت إنما أجمع لطلب غاية هي أجسم من الغاية التي أنا فيها ، فوالله ما فوق ما أنت فيه إلا منزلة ، لا تُدرك إلا بخلاف ما أنت عليه يا أمير المؤمنين ، هل تعاقب من عصاك بأشد من القتل ؟ قال المنصور : لا ، قال : فكيف تصنع بالملك الذي خولك مُلك الدنيا ، وهو لا يعاقب من عصاه بالقتل ؟ ولكن بالخلود في العذاب الأليم ، قد رأى ما قد عُقِدَ عليه قلبك ، وعَمِلَتْه جوارحك ، ونظر إليه بصرك ، واجترحتَه ^(١) يداك ، ومشت إليه رجلاك ، هل يُغنى عنك ما شححت عليه من مُلك الدنيا إذا انتزعهُ من يدك ، ودعاك إلى الحساب ؟ فبكي المنصور وقال : يا ليتني لم أخلق ، ويحك ! فكيف أحتال لنفسي ؟ قال : يا أمير المؤمنين ، إن للناس أعلاماً يَفْزَعُونَ إليهم في دينهم ، ويرضون بهم ، فاجعلهم بطانتك يرشدوك ، وشاورهم في أمرك يسدّدوك ، قال : قد بعثت إليهم فهربوا مني ، قال : خافوا أن تحملهم على طريقتك ، ولكن افتح بابك ، ومهّل حجابك ، وانصر المظلوم ، واقمع الظالم ، وخذ النية والصدقات مما حل وطاب ، وافسمة بالحق والعدل على أهله ، وأنا الضامن عنهم أن يأتوك ويُستعدوك على صلاح الأمة ، وجاء المؤذنون ، فسلموا عليه ، فصلى وعاد إلى مجلسه ، وطلب الرجل فلم يوجد .

(عيون الأحرار م ٢ : ص ٣٢٣ ، والقدر التريد ١ : ٣٠٤)

٤٦ - مقام الأوزاعي بين يدي المنصور

قال الأوزاعي ^(٢) : دخلت على المنصور ، فقال لي : ما الذي بطأ بك عني ؟

[١] اكتسته . [٢] هو عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي ، إمام أهل الشام ، ولم يكن بها أعلم منه وله سلك سنة ٨٨ هـ ، وتوفي سنة ١٥٧ م ، والأوزاعي : نسبة إلى أوزاع ، وهي بطى من ندى

قلت : يا أمير المؤمنين ، وما الذي تريد مني ؟ فقال : الاقتباس منك ، قلت :
أنظر ما تقول ، فإن « مكحولاً »^(١) حدثني عن عطية بن بشير أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال : « من بلغه عن الله نصيحة في دينه ، فهي رحمة من الله
سيقت إليه ، فإن قبلها من الله بشكر ، وإلا كانت حجة من الله عليه ، ليزداد
إثماً ، ويزداد الله عليه غضباً ، وإن بلغه شيء من الحق فرضي ، فله الرضا ، وإن
مخط فله الشخط ، ومن كرهه فقد كره الله ، لأن الله هو الحق المين » فلا
تجهلن ، قال : وكيف أجهل ؟ قال : تسمع ولا تعمل بما تسمع ، قال الأوزاعي :
فسل عليّ الربيع السيف ، وقال : تقول لأمر المؤمنين هذا ؟ فاتهره المنصوو
وقال : أمسيك ، ثم كلمه الأوزاعي ، وكان في كلامه أن قال :

« إنك قد أصبحت من هذه الخلافة بالذي أصبحت به ، والله ساء تلك عن
صغيرها وكبيرها ، وقتيلها وتقيرها »^(٢) ، ولقد حدثني عروة بن رويم أن رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال : « مامن راع يبيت غاشاً لرعيته إلا حرم الله عليه
رائحة الجنة » فحقق على الوالي أن يكون لرعيته ناظراً ، ولما استطاع من
عوزاهم ساتراً ، وبالقسط فيما بينهم قائماً ، لا يتخوف محسنتهم منه رهقاً^(٣) ،
ولا مسيئتهم عدواناً ، فقد كانت يد رسول الله صلى الله عليه وسلم جريدة يستاك
بها ، ويردع عنه المنافقين ، فأتاه جبريل فقال : « يا محمد ، ماهذه الجريدة بيدك !

الكلاع من اليمن ، وقيل : بطن من همدان ، وقيل الأوراع : قرية بدمشق ، ولم يكن صد الرحمن منهم ،
وإعما نزل فيهم ، حسب إليهم ، وهو من سبي اليمن .

[١] هو مكحول بن عبد الله الشامي ، معلم الأوراعي ، وكان من سبي كابل ، وقع إلى سعيد بن العاص ،
فوهه لامرأة من هذيل فأعنته ، قال الزهري : العلماء أربعة : سعيد بن المسيب بالمدينة ، والشعي
بالكوفة ، والحسن البصري بالصرة ، ومكحول بالسام ، ولم يكن في رمة أصر منه بالعتيا ، وسمع أنس
ابن مالك وعيره ، وكان مقامه بدمشق ، وتوفي سنة ١١٨ هـ .

[٢] القليل : السحاة التي في شق النواة ، والغير : القرة التي في ظهر النواة . [٣] طلبا .

أَقْذِفْهَا لَا تَمَلَأْ فُلُوبَهُمْ رُغْبًا ، فَكَيْفَ مِنْ سَفْكَ دِمَائِهِمْ ، وَشَقَقْ أَبْشَارَهُمْ ، وَأَنْهَبْ ^(١) أَمْوَالَهُمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ : إِنَّ الْمَغْفُورَ لَهُ مَا تَقْدَمُ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأْخُرُ ، دَمَا إِلَى الْقِصَاصِ مِنْ نَفْسِهِ بِخَدَشٍ خَدَشَهُ أَعْرَابِيَا لَمْ يَتَعَمَّدْهُ ، فَهَبَطَ جَبْرِيلُ ، فَقَالَ : « يَا مُحَمَّدُ ، إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَبْعَثْكَ جَبَّارًا تَكْسِرُ قُرُونِ أَمْتِكَ » وَاعْلَمْ أَنَّ كُلَّ مَا فِي يَدِكَ لَا يَعْدِلُ شَرِبَةً مِنْ شَرَابِ الْجَنَّةِ ، وَلَا ثَمَرَةً مِنْ ثَمَارِهَا ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لِقَابُ ^(٢) قَوْسٍ أَحَدُكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ ، أَوْ قَذَّةٌ ^(٣) خَيْرٌ لَهُ مِنَ الدُّنْيَا بِأَسْرَافِهَا » ، إِنَّ الدُّنْيَا تَنْقَطِعُ وَيَزُولُ نَعِيمُهَا ، وَلَوْ بَقِيَ الْمَلِكُ لِمَنْ قَبْلَكَ لَمْ يَصِلْ إِلَيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَلَوْ أَنَّ ثَوْبًا مِنْ ثِيَابِ أَهْلِ النَّارِ عُلِقَ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا ذَاهِمٌ ، فَكَيْفَ مِنْ يَتَقَمَّصُهُ ؟ وَلَوْ أَنَّ ذَنْوَبًا ^(٤) مِنْ صَدِيدِ أَهْلِ النَّارِ صُبَّ عَلَى مَاءِ الْأَرْضِ لَا جَنَّةَ ^(٥) ، فَكَيْفَ بَعْنُ يَتَجَرَّعُهُ ؟ وَلَوْ أَنَّ حَلْقَةً مِنْ سِلَاسِلِ جَهَنَّمَ وُضِعَتْ عَلَى جَبَلٍ لَذَابَ ، فَكَيْفَ مِنْ سُلُوكِ ^(٦) فِيهَا ، وَيُرَدُّ فَضْلُهَا عَلَى عَائِقِهِ ؟ وَقَدْ قَالَ عُمَرُ ابْنُ الْخَطَّابِ : « لَا يَقُومُ أَمْرَ النَّاسِ إِلَّا حَصِيفٌ ^(٧) الْعُقْدَةُ ، بَعِيدُ الْغِرَّةِ ^(٨) لَا يَطْلُعُ النَّاسُ مِنْهُ عَلَى عَوْرِهِ ، وَلَا يُخْتَنِقُ فِي الْحَقِّ عَلَى جِرِّهِ ^(٩) ، وَلَا تَأْخُذُهُ فِي اللَّهِ لَوْمَةٌ لَا تُؤْمِ » .

وَاعْلَمْ أَنَّ السُّلْطَانَ أَرْبَعَةٌ : أَمِيرٌ يَظْلِفُ ^(١٠) نَفْسَهُ وَنِعْمَالَهُ ، فَذَلِكَ لَهُ أَجْرُ الْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَصَلَاتُهُ سَبْعُونَ أَلْفَ صَلَاةٍ ، وَيَدُ اللَّهِ بِالرَّحْمَةِ عَلَى رَأْسِهِ تُرْفَرُ ، وَأَمِيرٌ رَتَعَ وَرَتَعَ نِعْمَالَهُ ، فَذَلِكَ يَحْمِلُ أَثْقَالَهِ وَأَثْقَالَ مَعَ أَثْقَالِهِ ، وَأَمِيرٌ

[١] حَلَمَهَا نَهَا يَمَارُ عَلَيْهِ . [٢] الْقَابُ : مَا بَيْنَ الْقَعْرِ وَالسَّمَاءِ (وَسِيَةِ الْقَوْسِ كَعَقْدَةٍ : مَا عَطَفَ مِنْ طَرَفَيْهَا) . [٣] رِيْشُ السَّهْمِ . [٤] الذَّنُوبُ : الْخَطَايَا . [٥] جِلْدُهُ آخَا أَيُّ مُتَعَبٍ الطَّعْمِ وَالْقَوَى . [٦] قَيْدٌ . [٧] حَصْفُ الرَّحْلِ كَكَرَمٍ : اسْتَحْكَمَ عَقْلُهُ فَهُوَ حَصِيفٌ ، وَأَحْصَفُ الْحَبْلِ : أَحْكَمُهُ . [٨] الْعُقْدَةُ . [٩] أَحَقُّ : حَقْدٌ حَقْدًا لَا يَنْحَلُّ ، وَأَحَقُّ الْعَلَبِ : لَرَقٌ بِالْبَطْنِ ، وَالْجُرَّةُ مَا يَحْبِسُ فِي الْبَعْرِ بِأَكْلِهِ ثَابِتَةً ، وَالرَّادُ أَنَّهُ لَا يَصِيرُ لِنَقْدٍ وَالْحَقُّ . [١٠] يَكْفُ .

يُظْلِف نفسه، ويرتفع عماله، فذاك الذي باع آخرته بدنيا غيره، وأمير يرتفع ويظلف
عماله، فذاك شر الأكياس .

واعلم يا أمير المؤمنين أنك قد ابتليت بأمر عظيم، عرض على السموات
والأرض والجبال، قَائِنٌ أَنْ يَحْمِلَنَّهُ، وَأَشْفَقْنَ مِنْهُ، وقد جاء عن جدك في
تفسير قول الله عز وجل: «لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا» أن
الصغيرة التبسم، والكبيرة الضحك، وقال: فما ظنكم بالكلام وما عملته الأيدي؟
فأعذك بالله أن يُخَيِّلَ إِلَيْكَ أَنْ قَرَأْتَكَ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَنْفَعُ مَعَ
الْمُخَالَفَةِ لِأَمْرِهِ، فَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا صَفِيَّةُ عَمَّةُ مُحَمَّدٍ،
وَيَا فَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ، اسْتَوْهَبَا أَنْفُسَكُمَا مِنَ اللَّهِ، إِنِّي لَا أَغْنِي عَنْكُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا،
وَكَانَ جَدُّكَ الْأَكْبَرُ سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِمَارَةً، فَقَالَ: «أَيُّ
عَمٍّ، قَسَّ تُنْخِيهَا، خَيْرَ لَكَ مِنْ إِمَارَةٍ لَا تُحْصِيهَا» نَظَرًا لِعَمِّهِ، وَشَفَقَةً
عَلَيْهِ أَنْ يَلِيَّ فَيَجُورَ عَنْ مَنَّتِهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ، فَلَا يَسْتَطِيعُ لَهُ تَقَعُّمًا، وَلَا عَنْهُ
دَفْعًا، هَدَاهُ نَصِيحَتِي إِنْ قَبِلْتُهَا فَلِنَفْسِكَ تَعَمَلْتَ، وَإِنْ رَدَدْتُهَا فَتَنْفَسَكَ
بِخَسَنٍ، وَاللَّهُ الْمَوْفِقُ لِلْخَيْرِ وَالْمَعِينُ عَلَيْهِ، قَالَ: يَلِيَّ، تَقَبَّلَهَا وَنَشَكَرَ عَلَيْهَا،
وَبِاللَّهِ نَسْتَعِينُ. (القد العرود ١ : ٣٠٠، وعيون الأحارم ٢ : ص ٣٢٨)

٤٧ - نصيحة يزيد بن عمر بن هبيرة للنصور

ودخل يزيد بن عمر بن هبيرة^(١) على أمير المؤمنين المنصور، فقال: يا أمير
المؤمنين: توسع توسعاً قُرَشِيًّا، ولا تضيق ضيقاً حِجَازِيًّا .

[١] ولي قسرين للوليد بن يزيد بن عبد الملك، وجمع له مروان بن محمد ولاية البصرة والكوفة، وكان
آخر من جمع له العراف من الولاة، ولما استظهرت عليه حيوش حراسان، وهرمت عسكره لحق بمدينة

ويروى أنه دخل يوماً ، فقال له المنصور حدثنا ، فقال : « يا أمير المؤمنين : إن سلطانكم حديث ، وإمارتكم جديدة ، فأذيقوا الناس حلاوة عدلها ، وجنبوهم مرارة جورها ، فوالله يا أمير المؤمنين ، لقد محضت^(١) لك النصيحة » ثم نهض فنهض معه سبعمائة من قيس ، فأتأره^(٢) المنصور بصره ، ثم قال : لا يعز ملك يكون فيه مثل هذا ! . (تهذيب الكامل ١ : ٢٨)

٤٨ — معن بن زائدة والمنصور

ودخل معن^(٣) بن زائدة الشيباني على أبي جعفر المنصور وقد أسن ، فقارب في خطوه ، فقال له المنصور : لقد كبرت سنك يا معن ، قال : في طاعتك يا أمير المؤمنين ، قال : وإنك لجلد ، قال : على أعدائك يا أمير المؤمنين ، قال : وإن فيك لبقية ، قال : هي لك يا أمير المؤمنين ، قال : فأى الدولتين أحب إليك ، هذه أم دولة بني أمية ؟ قال : ذلك إليك يا أمير المؤمنين ، إن زاد برك على برهم كانت دولتك أحب إلى .

(البيان والنبى ٣ : ٢٢٩ ، ووفيات الأعيان ٢ : ١٠٩ ، وروى الآداب ٣ : ١٦١)

واسط ، فحضر بها ، ولما بوج السطاح طحلافة وحه أله أبا جعفر المنصور لقتله ، فحضره بواسط شهورا ، ثم أمه واستح الله صلحا ، ثم قتله .

[١] أخضت . [٢] أتأره الصر : أنسه إياه ، وحدد إليه الطر .

[٣] كان جوادا شجاعا جزل الطاء كثير المروء ، وكان في أيام بني أمية متقلدا في الولايات ، مقطعا إلى يزيد بن عمر بن هبيرة الرازي أمير الراقي ، فلما انتقلت الدولة إلى بني العباس ، وحاصر المنصور يزيد بمدينة واسط كما قلنا ، أبقى يومئذ من مع يزيد ملاء حسا ، فلما قتل يزيد خاف معن من أن يحفر للمنصور ، فاستترعه مدة ، ولم يزل مستترا حتى كان يوم الهاشمية ، وذلك أن جماعة من أهل حراسان ثاروا على المنصور ، وحرث مقلدة عطية بينهم وبين أصحاب المنصور الهاشمية — وهي مدينة بأها السطاح بالقرب من الكوفة — وكان معن متواريا بالقرب منهم ، فخرج متكررا معنبا مثلها ، وتقدم إلى القوم ، وقتل قدام المنصور قتالا أبان به عن محبة وشهامة وقرتهم ، فلما أخرج عن المنصور ، قال له : من أنت ويحك ؟ فقال : أما ظلتك يا أمير المؤمنين معن بن زائدة ، فأسمه المنصور وأكرمه ، وصار من حواصه ، وولى سجستان في أواخر أمره ، فلما كانت سنة ١٥١ اندس قوم من الخوارج بين صناع كانوا يعملون في داره بمدينة ست ، فقتلوه وهو محتجم ، ونعمهم ابن أخيه يزيد بن زائدة ، فقتلهم بأسرهم .

٤٩ - معن بن زائدة وأحد زواره

ودخل رجل على معن بن زائدة ، فقال : ما هذه النية ؟ فقال : « أيها الأمير ، ما غابَ عن العين مَنْ يذكُرُه القلبُ ، وما زال شوقِي إلى الأمير شديداً ، وهو دونَ ما يجبُ له ، وذكرى له كثيراً وهو دونَ قدره ، ولكن جفوة الحُجَّاب ، وَفَلَّةُ بِشْرِ الْعِلْمَانِ ، منعاني من الإِكثار » ، فأمر بتسهيل حجابهِ ، وأجزل صلته . (زمر الآداب ٣ : ١٦١)

٥٠ - المنصور وأحد الأعراب

ودخل أعرابي على المنصور فتكلم ، فأعجب بكلامه ، فقال له : سل حاجتك ، فقال : يُيقِيكَ اللهُ ، وَيَزِيدُ في سلطانك ، فقال : سل حاجتك ، فليس في كل وقت تؤثر بذاك ، قال : « ولم يا أمير المؤمنين ، فوالله ما أستقصِرُ عمرك ، ولا أخاف بُخْلَكَ ، ولا أغتم مالك ، وإن سؤألك لشرف ، وإن عطاءك لزِين ، وما بامرئٍ بَذَلَ وجهه إليك تقصّر ولا شين » . فأحسن جائزته وأكرمه . (الصاعتيين من ٤٠ ، العقد الفريد ١ : ١٣٩)

٥١ - أعرابية تعزى المنصور وتهنئه

وروى القَلَقَشَنْدِي قال : تعرّضت أعرابية للمنصور في طريق مكة بعد وفاة أبي العباس السَّفَّاح ، فقالت :

« يا أمير المؤمنين ، اَحْتَسِبُ الصبرَ ، وَقَدَّمُ الشكرَ ، فقد أجزل الله لك النوابَ ، في الحالينِ ، وأعظمَ عليك المِنَّةَ في الحادثينِ ، سَلَبَكَ خليفةَ الله ، وأفادك خِلافةَ الله ، فسَلِّمْ فيما سَلَبَكَ ، واشكُرْ فيما مَنَحَكَ ، وتجاوزَ اللهُ عن أمير المؤمنين ، وخارَ لك فيما مَلَّكَك من أمر الدنيا والدين » .

وروى الجاحظ قال : عَزَّتْ امرأةُ المنصور عن أبي العباس مقدّمه من مكة ، قالت : « أعظم الله أجرك ، فلا مصيبة أجلك من مصيبتك ، ولا عوض أعظم من خلافتك » . (صح الأعمى ٩ : ٢٧٨ ، والبيان والتبيين ٢ : ٥٥)

٥٢ - خطبة محمد بن سليمان ^(١) يوم الجمعة

(وكان لا يغيرها)

الحمد لله ، أحمدُه وأستعينُه وأستغفرُه ، وأؤمن به ، وأتوكل عليه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أرسله بالهدى ودين الحق ، ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ، من يعتصم بالله ورسوله ، فقد اعتصم بالعروة الوثقى ، وسعد في الأولى والآخرة ، ومن ينعص الله ورسوله فقد ضلّ ضلالاً بعيداً ، وخسر خسراناً مديناً ، أسأل الله أن يجعلنا وإياكم ممن يُطِيعُه وَيُطِيعَ رسوله ، ويتبع رضوانه ، ويتجنب سُخطه ، فإنما نحن له وبه ، أوصيكم عباد الله بتقوى الله ، وأحكم على طاعة الله ، وأرضى لكم ما عند الله ، فإن تقوى الله أفضل ما تحاثّ الناس عليه ، وتداعوا إليه ، وتواصوا به ، فاتقوا الله ما استطعتم ، وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ » . (البيان والتبيين ٢ : ٦٥)

٥٣ - وصية مسلم بن قتيبة

وقال مسلم بن قتيبة ^(٢) : « لا تطلبن حاجتك إلى واحد من ثلاثة : لا تطلبنها

[١] هو محمد بن سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس ، وكان عامل البصرة في خلافة أبي جعفر المنصور وتوفي سنة ١٧٣ في خلافة الرشيد .

[٢] استشاره المنصور في قتل أبي مسلم ، قال : ما ترى في أمره ؟ قال : « لو كان فيهما آلهة

إلا الله لفسدتا » فقال : حسبك يا قتيبة ، لقد أودعها أدنا واعية (وفيات الأعيان ١ : ٢٨٢) .

إلى الكذاب ، فإنه يُقَرِّبها وهي بعيدة ، ويبعدها وهي قريبة ؛ ولا تطلبها إلى الأحمق ، فإنه يريد أن ينفك ، وهو يضرك ؛ ولا تطلبها إلى رجل له عند قوم مأكلة ، فإنه يجعل حاجتك وقلة حاجته . (الأمالي ٢ : ١٩٠)

٥٤ — خطبة المهدي (توفي سنة ١٦٩ هـ)

الحمد لله الذي ارتضى الحمد لنفسه ، ورضى به من خلقه ، أحمد على آلائه ^(١) ، وأمجده لبلائه ^(٢) ، وأستعينه ، وأومن به ، وأتوكل عليه توكل راض بقضائه ، وصابر لبلائه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده المصطفى ، ونبيه المجتبي ^(٣) ، ورسوله إلى خلقه ، وأمينه على وحيه ، أرسله بعد انقطاع الرجاء ، وطُمُوس ^(٤) العلم ، واقترب من الساعة ، إلى أمة جاهلية ، مختلفة أُمِّيَّة ، أهل عداوة وتضاعن ، وفرقة وتباين ، قد استهوئهم شياطينهم ، وعلب عليهم قرناؤهم ^(٥) ، فاستشعروا الردى ، وسلخوا العمى ، يبشر من أطاعة بالجنة وكريم ثوابها ، وينذر من عصاه بالنار وأليم عقابها ، « لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ يَتْنَةٍ ، وَيَحْيَا مَنْ حَيَّ عَنْ يَتْنَةٍ ، وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ » .

أوصيكم عباد الله بتقوى الله ، فإن الاقتصار عليها سلامة ، والترك لها ندامة ، وأحتكم على إجلال عظمته ، وتوقير كبريائه وقدرته ، والانتها إلى ما يقرب من رحمته ، وينجني من سخطه ، ويُنال به مالهديه ، من كريم الثواب ، وجزيل المآب ، فاجتنبوا ما خوفكم الله من شديد العقاب ، وأليم العذاب ، ووعيد الحساب ، يوم توقفون بين يدي الجبار ، وتعرضون فيه على النار « يَوْمَ لَا تَكَلَّمُ

[١] صفة ، والفرد إلى كحل وشمس ، وألوكشس ، وألى كصا وإلى كرما .

[٢] البلاء . يكون مسحة ، ويكون محنة . [٣] الحمار . [٤] الدروس والامناء .

[٥] القرن : للصاحب ، والحيطان : للقرون بالإسكان لا يعارقه .

نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ ، فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ؛ يَوْمَ يُفْرُ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ
وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ ، لِكُلِّ أُنثَىٰ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ؛ يَوْمَ لَا يُجْزَىٰ نَفْسٌ
عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا ، وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ ، وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ؛
يَوْمَ لَا يُجْزَىٰ وَاللَّهُ عَنْ وَلَدِهِ ، وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنِ وَالِدِهِ شَيْئًا ، إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ
حَقٌّ ، فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ، وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ ، فَإِنَّ الدُّنْيَا
دَارُ غُرُورٍ ، وَبِلَاءٍ وَشُرُورٍ ، وَاضْطِحَالٍ وَزَوَالٍ ، وَتَقَلُّبٍ وَاتِّقَالٍ ، قَدْ أَفْنَتَ
مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ ، وَهِيَ عَائِلَةٌ عَلَيْكُمْ وَعَلَىٰ مَنْ بَعْدَكُمْ ، مَنْ رَكَنَ إِلَيْهَا صَرَعَتْهُ ،
وَمَنْ وَثِقَ بِهَا خَاتَمَهُ ، وَمَنْ أَمَلَهَا ^(١) كَذَبَتْهُ ، وَمَنْ رَجَاها خَدَلَتْهُ ، عِزَّهَا ذُلٌّ ،
وَعِنَّاها فَقْرٌ ، وَالسَّعِيدُ مِنْ تَرْكِهَا ، وَالشَّقِيُّ فِيهَا مِنْ آثَرِهَا ، وَالْمَغْبُوتُ فِيهَا مِنْ بَاعِ
حِظِّهِ مِنْ دَارِ آخِرَتِهِ بِهَا ، فَاللَّهُ اللَّهُ عِبَادَ اللَّهِ ، وَالتَّوْبَةُ مَقْبُولَةٌ ، وَالرَّحْمَةُ مَبْسُوطَةٌ ،
وَبَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ الزَّكِيَّةِ ^(٢) ، فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ، قَبْلَ أَنْ يَأْخُذَ بِالْكَظَمِ ^(٣) ،
وَتَتَدَمَّعُوا فَلَا تَتَالَوْنَ النَّدَمَ ، فِي يَوْمٍ حَمْرَةٍ وَتَأْسُفٍ ، وَكَآبَةٍ وَتَلَهْفٍ ، يَوْمَ لَيْسَ
كَأَلْيَامٍ ، وَمَوْقِفُ صَنْتِكَ الْمَقَامَ ، إِنْ أَحْسَنَ الْحَدِيثَ وَأَبْلَغَ الْمَوْعِظَةَ كِتَابَ اللَّهِ ،
يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : « وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ
تُرْجَمُونَ » أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ، بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، أَلْهَاكُمْ
التَّكَاثُرُ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ - إِلَى آخِرِ السُّورَةِ - أَوْصِيكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِمَا أَوْصَاكُمْ اللَّهُ
بِهِ ، وَأَنْهَاكُمْ عَمَّا نَهَاكُمْ عَنْهُ ، وَأَرْضَى لَكُمْ طَاعَةَ اللَّهِ ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ .

(القدر العريض ٢ : ١٤٦)

[١] أملة أملا وأمله بالتحيف والشديد . [٢] دكا يركو : نما وصلاح .

[٣] الكظم : الخلق أو الهضم ، أو مخرج النفس ، أى قبل اللوت .

مشاورة المهدي لأهل بيته

في حرب خراسان

روى ابن عبد ربه قال :

« هذا ما تراجع فيه المهدي ووزرائه ، وما دار بينهم من تدبير الرأي في حرب خراسان ، أيام تحامكت عليهم العمال وأغنت ، فحملتهم الدالة وما تقدم لهم من المكاة ، على أن نكثوا بيعتهم ، وتقضوا موثقتهم ، وطرّدوا العمال ، والتوّوا بما عليهم من الخراج ، وحمل المهدي ما يجب من مصلحتهم ، ويكره من عنتهم ، على أن أقال عثرتهم ، واغتفر زلتهم ، واحتمل دألتهم ، تطوّل بالفضل ، واتساعاً بالعفو ، وأخذاً بالحجة ، ورفقاً بالسياسة ، ولذلك لم يزل مدحّه الله أعباء الخلافة ، وفلّده أمور الرعية ، رفيقاً بمدار سلطانه ، بصيراً بأهل زمانه ، باسطاً للمعدلة في رعيته ، تسكّن إلى كنفه ، وتأنّس بعفوه ، وتثقّ بحلمه ، فإذا وقعت الأفضية اللازمة ، والحقوق الواجبة ، فليس عنده هوادة ، ولا إغضاء ، ولا مدهانة ، أثره لاحق ، وقياماً بالعدل ، وأخذاً بالحزم ، فدعا أهل خراسان الاغترار بحلمه ، والنقّة بعفوه ، أن كسروا الخراج ، وطرّدوا العمال ، وسألوا ما ليس لهم من الحق ، ثم خلطوا احتجاجاً باعتذار ، وخصومةً بإفرار ، وتنصلاً باعتلال ، فلما انتهى ذلك إلى المهدي ، خرج إلى مجلس خلّاه ، وبعث إلى نفر من لحمة^(١) ووزرائه ، فأعلمهم الحال ، واستنصحهم للرعية ، ثم أمر الموالى^(٢) بالابتداء ، وقال للعباس^(٣) بن محمد : أي عمّ تعقّب قولنا ، وكن حكماً بيننا ، وأرسل إلى

[١] اللّحة : القراة . [٢] جمع مولى ، وهو هنا العريب كإبن الم ونحوه .

[٣] هو العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس أحو للمصور .

ولديه موسى وهرون، فأحضرهما الأمر، وشاركهما في الرأي، وأمر محمد بن الليث بحفظ مراجعتهم، وإثبات مقالاتهم في كتاب .

٥٥ - مقال سلام صاحب المظالم

فقال سلام صاحب المظالم :

« أيها المهدي : إن في كل أمر غاية ، ولكل قوم صناعة ، استفرغت رأيهم ، واستغرقت أشغالهم ، واستنفدت أعمارهم ، وذهبوا بها ، وذهبت بهم ، وعرفوا بها ، وعرفت بهم ، وهذه الأمور التي جعلت فيها غاية ، وطلبت معونتنا عليها أقوام من أبناء الحرب وساسة الأمور ، وقادة الجنود ، وفرسان الهزاهز^(١) ، وإخوان التجارب ، وأبطال الوقائع ، الذين رشحتهم سجالها^(٢) ، وقيأتهم ظلالها ، وعصتهم شدائدُها ، وقرمتهم^(٣) نواجذُها ، فلو عجمت ما قبلهم ، وكشفت ما عندهم ، لو جدت نظائر تؤيد أمرك ، وتجارِب توافق نظرك ، وأحاديث تقوى قلبك ، فأما نحن معاشر عمالك ، وأصحاب دواوينك ، فحسن بنا ، وكثير منا أن نقوم بتقل ما حملتنا من عملك ، واستودعتنا من أمانتك ، وشغلتنا به من إمضاء عدلك ، وإنقاذ حكمك ، وإظهار حقك . »

فأجابه المهدي : « إن في كل قوم حكمة ، ولكل زمان سياسة ، وفي كل حال تدبير ، يُطل الآخِر الأول ، ونحن أعلم بزماننا ، وتدير سلطاننا . »

قال نعم : أيها المهدي : أنت متسع الرأي ، وثيق العقدة ، قوي المنّة^(٤) ، بليغ الفطنة ، معصوم النية ، محضور الروية ، مؤيد البديهة ، موفق العزيمة ،

[١] الهررة والهرامر : تحريك اللآيا والحروب الناس . [٢] جمع سجيل كخشس ، وهو القلو العظيمة مملوءة . [٣] نرم الطعام : آكله ، والواحد : أقصى الأصراس . [٤] القوة .

مُعَانٍ بِالظَّفَرِ ، مَهْدِيٌّ إِلَى الْخَيْرِ ، إِنْ تَهَمَّتْ فَنِي عَزَمَكَ مَوَاقِعُ الظَّنِّ ، وَإِنْ
اجْتَمَعَتْ صَدَعَ فَعَلَّكَ مَلَبَسُ الشَّكِّ ، فَاعْزِمِ يَهْدِ اللَّهُ إِلَى الصَّوَابِ قَلْبَكَ ، وَقُلْ
يُنْطِقُ اللَّهُ بِالْحَقِّ لِسَانُكَ ، فَإِنْ جَنُودُكَ جَمَّةٌ ، وَخَزَائِنُكَ عَامِرَةٌ ، وَنَفْسُكَ سَخِيَّةٌ ،
وَأَمْرُكَ نَافِذٌ .

فَأَجَابَهُ الْمَهْدِيُّ : « الْمَشَاوِرَةُ وَالْمَنَاظِرَةُ بِأَبَا رَحْمَةٍ ، وَمِفْتَاحُ بَرَكَاتٍ ، لَا يَهْنِكُ
عَلَيْهَا رَأْيٌ ، وَلَا يَتَفِيلُ ^(١) مَعَهَا حَزْمٌ ، فَأَشِيرُوا بِرَأْيِكُمْ ، وَقُولُوا بِمَا يَحْضُرُكُمْ ،
فَإِنِّي مِنْ وَرَائِكُمْ ، وَتَوْفِيقُ اللَّهِ مِنْ وَرَاءِ ذَلِكَ » .

٥٦ - مقال الربيع بن يونس ^(٢)

وقال الربيع :

أَيُّهَا الْمَهْدِيُّ : إِنْ تَصَارَيْفَ وَجْهِ الرَّأْيِ كَبِيرَةٌ ، وَإِنْ الْإِشَارَةُ بَعْضُ
مَعَارِيضِ الْقَوْلِ يَسِيرَةٌ ، وَلَكِنْ خِرَاسَانُ أَرْضٍ بَعِيدَةِ الْمَسَافَةِ ، مُتَرَاخِيَةِ الشُّقَّةِ ^(٣) ،
مُتَفَارِقَةِ السَّبِيلِ ، فَإِذَا ارْتَأَيْتَ مِنْ مُحْكَمِ التَّدْيِيرِ ، وَمُبْتَرَمِ التَّقْدِيرِ ، وَلُبَابِ الصَّوَابِ ،
رَأْيَا قَدْ أَحْكَمَهُ نَظْرُكَ ، وَقَلْبُهُ تَدْيِيرُكَ ، فَلَيْسَ وَرَاءَهُ مَذْهَبٌ طَاعِنٌ ، وَلَا دُونُهُ
مَعْلَقٌ لَخُصُومَةٍ عَائِبٌ ، ثُمَّ خَبَيْتَ الْبُرْدَ ^(٤) بِهِ ، وَإِنْطَوَّتِ الرُّسُلُ عَلَيْهِ ، كَأَنَّ
بِالْحَرَسِيِّ أَنْ لَا يَصِلَ إِلَيْهِمْ مُحْكَمُهُ ، إِلَّا وَقَدْ حَدَثَ مِنْهُمْ مَا يَنْقُضُهُ ، فَمَا أَيْسَرُ أَنْ
تَرْجِعَ إِلَيْكَ الرُّسُلَ ، وَتَرِدَ عَلَيْكَ الْكُتُبُ ، بِحَقَائِقِ أَخْبَارِهِمْ ، وَشَوَارِدِ آثَارِهِمْ ،
وَمَصَادِرِ أُمُورِهِمْ ، فَتُحْدِثَ رَأْيًا غَيْرَهُ ، وَتَبْتَدِعَ تَدْيِيرًا سِوَاهُ ، وَفَدَا قُرِجَتِ
الْحَلَقُ ، وَتَحَلَّلَتِ الْعُقَدُ ، وَاسْتَرْخَى الْحِقَابُ ^(٥) ، وَامْتَدَّ الزَّمَانُ ، ثُمَّ لَعَلِمَ مَوْقِعَ الْآخِرَةِ

[١] قال رأيته وتبيل : أخطأ وصعب . [٢] وردر لأن حصر المصور وقته الهادي سنة ١٧٠ هـ

[٣] البعد والبعد البعيد . [٤] جمع بريد : وهو الرسول ، وحت : أسرع .

[٥] الحقاب : ما تعدّه المرأة في وسطها .

كصدر الأولى، ولكن الرأي أيها المهدي وفقك الله، أن تصرف إجابة النظر،
وتقلب الفكر فيما جعته له، واستشرتنا فيه من التدبير لحربهم، والحيل في
أمرهم، إلى الطلب لرجل ذي دين فاضل، وعقل كامل، وورع واسع، ليس
موصوفاً بهوى في سواك، ولا متهماً في أثره عليك، ولا ظنناً^(١) على دخلة^(٢)
مكرومة، ولا منسوباً إلى بدعة محدورة، فيقدح في ملكك، ويريض^(٣)
الأمور لغيرك، ثم تُسند إليه أمورهم، وتحوّض إليه حربهم، وتأمره في عهدك
ووصيتك إياه، بلزوم أمرك ما لزمه الحزم، وخلاف نهيك إذا خالفه الرأي،
عند استحالة الأمور، واشتداد الأحوال التي يُنقض أمرُ الغائب عنها، ويثبت
رأى الشاهد لها، فإنه إذا فعل ذلك، فوائب أمرهم من قريب، وسقط عنه
ما يأتي من بعيد، تمت الحيلة، وقويت المكيّدة، ونهذ العمل، وأحْد النظر
إن شاء الله .

٥٧ — مقال الفضل بن العباس

قال الفضل بن العباس :

« أيها المهدي، إن وليّ الأمور، وسائس الحروب، ربما نحى جنوده،
وفرق أمواله في غير ماضيق أمرٍ حزبه^(١)، ولا ضغطة حال اضطرته، فيقع
عند الحاجة إليها، وبعد التفرقة لها، عديماً منها، فاقداً لها، لا يثق بقوة، ولا
يصول بعدة، ولا يفرغ إلى ته، فالرأى لك أيها المهدي وفقك الله، أن تُعفي
خزائنك من الإتيان للأموال، وجنودك من مكابدة الأسفار، ومقارعة

[١] منها . [٢] دخلة الرجل مثله، ودجيلته : نيته ومدبته .

[٣] في كتب اللغة : راحه وروّضه : دله، وأراس الأرض : جعلها رياضاً . [٤] اشتدّ عليه .

الأخطار، وتغريز القتال، ولا تُسرِّعْ للقوم في الإجابة إلى ما يطلبون، والعطاء لما يسألون، فيفسد عليك أدبهم، وتجري من رعبك غيرهم، ولكن اغزم بالحيلة، وقاتلهم بالمكيدة، وصارعهم باللين، وخاتلمهم^(١) بالرفق، وأبرق^(٢) لهم بالقول، وأرعد نحوهم بالفعل، وابتعث البعوث، وجند الجنود، وكثب الكتاب، واعقد الأولوية، وانصب الرايات، وأظهر أنك موجه إليهم الجيوش مع أحنق قوادك عليهم، وأسوئهم أثراً فيهم، ثم ادس الرسل، واثبت الكتب، وضع بعضهم على طمع من وعدك، وبعضاً على خوف من وعيدك، وأوقد بذلك وأشباهه نيران التحاسد فيهم، واغرس أشجار التنافس بينهم، حتى تملأ القلوب من الوحشة، وتنطوي الصدور على البغضة، ويدخل كلا من كل الحذر والهيبه، فإن مرّام الظفر بالنيلة، والقتال بالحيلة، والمناسبة^(٣) بالكتب، والمكايده بالرسل، والمقارعة بالكلام اللطيف المذخل في القلوب، القوي الموزع من النفوس، المعقود بالحجج، الموصول بالحيل، المبني على اللين الذي يستميل القلوب، ويسترق العقول والآراء، ويستميل الأهواء، ويستدعي المؤاتاة^(٤)، أنفذ من القتال بطبات السيوف، وأسنة الرماح كما أن الوالي الذي يستنزل طاعة وعيته بالحيل، ويفرق كلمة عدوه بالمكايده، أحكم عملاً، وأطف منظرًا، وأحسن سياسة من الذي لا ينال ذلك إلا بالقتال، والإتلاف للأموال، والتغريز والأخطار^(٥)، وليعلم المهدي أنه إن وجه لقتالهم رجلاً لم يسر لقتالهم إلا يجنود كثيفة، تخرج عن حال شديدة، وتقدم

[١] حادهم . [٢] رعد وبرق، وأرعد وأبرق: تهدد ووبعد .

[٣] ناصبه الحرب والمناوذة: ألقاها . [٤] اللواحة . [٥] الحاضرة .

على أسفار ضيقة ، وأموال متفرقة ، وقواد غششة ، إن أئتمنهم استنفدوا ماله ، وإن استنصحتهم كانوا عليه لاله .

قال المهدي : « هذا رأى قد أسفر نوره ، وأبرق ضوؤه ، وتمثل صوابه للعيون ، وتجسد حقه في القلوب ، ولكن فوق كل ذي علم عليم » . ثم نظر إلى ابنه علي ، فقال : ما تقول ؟

٥٨ — مقال علي بن المهدي

قال علي بن المهدي :

« أيها المهدي : إن أهل خراسان لم يَخْلَعُوا عن طاعتك ، ولم يَنْصِبُوا من دونك أحداً ، يَقْدَح في تغيير ملكك ، وَيُريِضُ الأمور لفساد دولتك ، ولو فعلوا لكان الخطب أيسر ، والشأن أصغر ، والحال أدل ، لأن الله مع حقه الذي لا يخذله ، وعند مواعده الذي لا يُخْلِفُه ، ولكنهم قوم من رعيتك ، وطائفة من شيعتك ، الذين جعلك الله عليهم والياً ، وجعل العدل بينك وبينهم حاكماً ، طلبوا حقاً ، وسألوا إنصافاً ، فإن أجبت إلى دعوتهم ، ونفست عنهم قبل أن يتلاخم منهم حال ، ويحدث من عندهم فتق ، أطعت أمر الرب ، وأطفاأت تأثرة الحرب ، ووفرت خزائن المال ، وطرخت تقرير القتال ، وحمل الناس تحمل ذلك على طبيعة جودك ، وسجية حلمك ، وإسجاح^(١) خليقتك ، ومعدلة نظرك ، فأمنت أن تُنسب إلى ضعف ، وأن يكون ذلك فيما بقي ذريرة ، وإن منعهم ما طلبوا ، ولم تُجِبهم إلى ما سألوا ، اعتدلت بك وبهم الحال ، وساويتهم في ميدان الخطاب ، فما أرب المهدي أن يعيد إلى طائفة من رعيته ،

[١] الإسجاح : حسن الغفر .

مقرّين بمملكته ، مُذعنين بطاعته ، لا يُخْرِجون أنفسهم عن قدرته ، ولا يُيرثونها من عبوديته ، فيملّكهم أنفسهم ، ويخلع نفسه عنهم ، ويقف على الحيل معهم ، ثم يحازيهم السوء في حدّ المقارعة ، وميضار المخاطرة ، أريد المهدي - وفقه الله - الأموال ؟ فلمرى لا ينالها ولا يظفر بها إلا بإتفاق أكثر منها مما يطلب منهم ، وأضعاف ما يدعى قبلهم ، ولو نالها ، فحصلت إليه ، ووُضعت بخرائطها ^(١) بين يديه ، ثم تجافى لهم عنها ، وطال عليهم بها ، لكان مما إليه يُنسب ، وبه يُعرف ، من الجود الذي طبعه الله عليه ، وجعل قرّة عينه ، ونهمة ^(٢) نفسه فيه ، فإن قال المهدي : هذا رأى مستقيم سديد ، في أهل الخراج الذين شكوا ظلم عمالنا ، وتحامل وُلّاتنا ؛ فأما الجنود الذين نقضوا موافق العهود ، وأنطقوا لسان الإرجاف ، وفتحوا باب العصية ، وكسروا قيد الفتنة ، فقد ينبغي لهم أن أجمعهم نكالا لغيرهم ، وعِظة لسواهم ، فيعلم المهدي أنه لو أتى بهم مغولين في الحديد ، مقرّنين ^(٣) في الأصفاة ^(٤) ، ثم اتسع لحقن دماهم عفوه ، وإقالة عثرتهم صفحه ، واستبقاهم لما فيه من حربه ، أولم يازأهم من عدوه ، لما كان بدعا من رأيه ، ولا مستنكرا من نظره ، لقد علمت العرب أنه أعظم الخلفاء والملوك عفواً ، وأشدّها وقماً ، وأصدقها صولة ، وأنه لا يتعاضده ^(٥) عفوه ، ولا يتكأء دمه ^(٦) صفحه ، وإن عظم الذنب ، وجل الخطب ، فالرأى للمهدي وفقه الله تعالى أن يحل عُقدة الغيظ ، بالرجاء لحسن ثواب الله في العفو عنهم ، وأن يذكر أولى حالهم ، وصيّعة عيالاتهم ، برأ بهم ، وتوسّعا لهم ، فإنهم إخوان دولته ،

[١] جمع خريطة وهي وطاء من آدم وغيره بشرح على ما به . [٢] الهبة : الحاجة وطموع الشهوة في الشيء . [٣] مقيدين . [٤] الأصفاة : القيود : جمع صفد كتب . [٥] تعاضده الأمر : عظم عليه . [٦] تكأءه الأمر : شقّ عليه .

وأركان دعوته ، وأساس حقه الذين بعزتهم يصول ، وبحُجَّتِهِمْ يقول ، وإنما مثلهم فيما دخلوا فيه من مَسَاخِطِهِ ، وتعرضوا له من معاصيه ، وانطوا فيه عن إجابته ، ومثله في قلة ما غير ذلك من رأيه فيهم ، أو ثقل من حاله لهم ، أو تغير من نعمته بهم ، كمثل رجلين أخوين متناصرين متوازيين ، أصاب أحدهما خبلٌ عارض ، ولهُوَ حادث ، فنهض إلى أخيه بالأذى ، وتحامل عليه بالمكروه ، فلم يزد أخوه إلا رقةً له ، ولطفاً به ، واحتيالاً لمداواة مرضه ، ومراجعة حاله ، عطفاً عليه ، وبراً به ، ومَرَحمةً له .

فقال المهدي : أما علي فقد نوى نَمَتَ اللَّيَان ^(١) ، وَفَضَّ الْقُلُوبَ فِي أَهْلِ خِرَاسَانَ ، وَلِكُلِّ نَبِيٍّ مُسْتَقَرٍّ ، فقال : ماترى بأبا محمد يعني موسى ابنه (المهدي).

٥٩ — مقال موسى بن المهدي

فقال موسى :

« أَيُّهَا الْمَهْدِيُّ : لَا تَسْكُنْ إِلَى حُلَاوَةِ مَا يَجْرِي مِنَ الْقَوْلِ عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ ، وَأَنْتَ تَرَى الدَّمَاءَ تَسِيلُ مِنْ خَلَلِ فَعْلِهِمْ ، الْحَائِثُ مِنَ الْقَوْمِ يَنَادِي بِمَضْمَرَةٍ شَرٍّ ، وَخَفِيَّةٍ حَقْدٍ ، قَدْ جَعَلُوا الْبَعَاذِيرَ عَلَيْهَا سِتْرًا ، وَاتَّخَذُوا الْعِلَلَ مِنْ دُونِهَا حِجَابًا ، رَجَاءً أَنْ يَدَافِعُوا الْأَيَّامَ بِالتَّأْخِيرِ ، وَالْأُمُورَ بِالتَّطْوِيلِ ، فَيَكْسِرُوا حَيْلَ الْمَهْدِيِّ فِيهِمْ ، وَيُفْنُوا جُنُودَهُ عَنْهُمْ ، حَتَّى يَتَلَحَّمَ أَمْرُهُمْ ، وَتَتَلَحَّقَ مَادَّتُهُمْ ، وَتُسْتَفْحَلَ حَرْبُهُمْ ، وَتُسْتَمِرَّ الْأُمُورُ بِهِمْ ، وَالْمَهْدِيُّ مِنْ قَوْلِهِمْ فِي حَالِ غِرَّةٍ ، وَلِبَاسِ أَمَنَةٍ ، قَدْ قَرَّرَ لَهَا ، وَأَنْسَبَهَا ، وَسَكَنَ إِلَيْهَا ، وَلَوْلَا مَا اجْتَمَعَتْ بِهِ قُلُوبُهُمْ ، وَبَرَدَتْ عَلَيْهِ جُلُودُهُمْ مِنَ الْمَنَاصِبَةِ بِالْقِتَالِ ، وَالْإِصْصَارِ لِلْقِرَاعِ ، عَنْ دَاعِيَةِ ضَلَالٍ ، أَوْ شَيْطَانٍ

[١] اللَّيَان : اللالينة . مصدر لَان ، والسمت : الطريق .

فساد ، لرهبوا عواقب أخبار الوُلاة ، وغيب سكون الأمور ، فليشد المهدى وفقه الله أزره^(١) لهم ، ويكتب كتابه نحوهم ، وليضع الأمر على أشد ما يحضره فيهم ، وليوقن أنه لا يعطيهم خطة يريد بها صلاحهم ، إلا كانت دُرّة إلى فسادهم ، وفوة على معصيتهم ، وداعية إلى عودتهم ، وسبباً لفساد من يحضرته من الجنود ، ومن يباه من الوفود الذين إن أفرّهم ، وتلك العادة ، وأجرام على ذلك الأرب ، لم يبرح في فتقٍ حادث ، وخلافٍ حاضر ، لا يصلح عليه دين ، ولا تستقيم به دنيا ، وإن طلب تغييره بعد استحكام العادة ، واستمرار الدُرّة ، لم يصل إلى ذلك إلا بالعقوبة المُفرطة ، والمثونة الشديدة ، والرأي للمهدى وفقه الله أن لا يُقبل عثرتهم ، ولا يقبل معذرتهم ، حتى تطأهم الجيوش ، وتأخذهم السيوف ، ويستحرج^(٢) . ثم القتل ، ويُحدّق بهم الموت ، ويحيط بهم البلاء ، ويُطبق عليهم الدل ، فإن فعل المهدى بهم ذلك ، كان مقطعة لكل مادة سوء فيهم ، وهزيمة لكل بادرة شرٍ منهم ، واحتمال المهدى في مَثونة غزوتهم هذه ، تضع عنه غزواتٍ كبيرة ، ونفقاتٍ عظيمة .

فقال المهدى : « قد قال القوم ، فاحكم يا أبا الفضل » .

٦٠ - مقال العباس بن محمد

فقال العباس بن محمد :

«أيها المهدى : أما الموالى فأخذوا بفروع الرأي ، وسلکوا جنّبات الصواب ، وتعدّوا أموراً فصّر بنظرهم عنها ، أنه لم تأت تجاريهم عليها ، وأما الفضل فأشار بالاموال أن لا تُنفق ، والجنود ألا تُفرّق ، وبأن لا يُعطى القوم ما طلبوا ، ولا

يُبْذَلُ لَهُمْ مَا سَأَلُوا ، وَجَاءَ بِأَمْرٍ يَنْبَغُ ذَلِكَ اسْتِصْفَاراً لَأَمْرِهِمْ ، وَاسْتِهَانَةً بِمَحْرَبِهِمْ ، وَإِنَّمَا يَنْبَغُ بِجَسِيَّاتِ الْأُمُورِ صِفَارُهَا .

وَأَمَّا عَلَى ، فَأَشَارَ بِاللَّيْنِ وَإِفْرَاطِ الرَّفْقِ ، وَإِذَا جَرَّدَ الْوَالِي لِمَنْ غَمِطَ أَمْرَهُ ، وَسَقَهَ حَقَّهُ ، اللَّيْنُ بِحَسَنَاتِهِ ، وَالْخَيْرُ مَحْضًا ، لَمْ يَخْلِطْهُمَا بِشِدَّةٍ تَمِطُّ الْقُلُوبَ عَنْ لَيْنِهِ ، وَلَا بِشَرٍّ يَحْجِسُهُمْ إِلَى خَيْرِهِ ، فَقَدْ مَلَكَهُمُ الْخَلْعَ لِعِزِّهِمْ ، وَوَسَّعَ لَهُمُ الْفُرْجَةَ لِشَتَّى أَعْنَاتِهِمْ ، فَإِنْ أَجَابُوا دَعْوَتَهُ ، وَقَبِلُوا لَيْنَهُ مِنْ غَيْرِ خَوْفٍ اضْطَرَّهُمْ وَلَا شِدَّةٍ ، فَتَرْوَةٌ^(١) فِي رِءُوسِهِمْ ، يَسْتَدْعُونَ بِهَا الْبَلَاءَ إِلَى أَنْفُسِهِمْ ، وَيَسْتَصْرِخُونَ بِهَا رَأْيَ الْمَهْدَى فِيهِمْ ، وَإِنْ لَمْ يَقْبَلُوا دَعْوَتَهُ ، وَيَسْرِعُوا لِإِجَابَتِهِ بِاللَّيْنِ الْمَخْضِ ، وَالْخَيْرِ الصَّرَاحِ ، فَذَلِكَ مَا عَلَيْهِ الظَّنُّ بِهِمْ ، وَالرَّأْيُ فِيهِمْ ، وَمَا قَدْ يَشْبَهُ أَنْ يَكُونَ مِنْ مِثْلِهِمْ ، لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ الْجَنَّةَ ، وَجَعَلَ فِيهَا مِنَ النِّعَمِ الْمَقِيمَ ، وَالْمَلِكَ الْكَبِيرَ ، مَا لَا يَخْطُرُ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ ، وَلَا تُذَكِّرُهُ الْفِكْرُ ، وَلَا تَعْلَمُهُ نَفْسٌ ، ثُمَّ دُمَا النَّاسُ إِلَيْهَا ، وَرَغِبَهُمْ فِيهَا ، فَلَوْلَا أَنَّهُ خَلَقَ نَارًا جَعَلَهَا لَهُمْ رَحْمَةً يَسُوقُهُمْ بِهَا إِلَى الْجَنَّةِ ، لَمَا أَجَابُوا وَلَا قَبِلُوا

وَأَمَّا مُوسَى ، فَأَشَارَ بِأَنْ يُعْصَبُوا بِسَدِّهِ لَالَيْنٍ فِيهَا ، وَأَنْ يُرْمَوْا بِشَرٍّ لِاخْتِيارِ مَعَهُ ، وَإِذَا أَضْمَرَ الْوَالِي لِمَنْ فَارَقَ طَاعَتَهُ ، وَخَالَفَ جَمَاعَتَهُ ، الْخَوْفَ مُفْرَدًا ، وَالشَّرَّ مَجْرَّدًا ، لَيْسَ مَعَهُمَا طَمَعٌ ، وَلَا لَيْنٌ يَنْتَنِيهِمْ ، اشْتَدَّتْ الْأُمُورُ بِهِمْ ، وَاتَّقَطَعَتْ الْحَالُ مِنْهُمْ إِلَى أَحَدِ أَمْرَيْنِ ، إِمَّا أَنْ تَدْخُلَهُمُ الْحَمِيَّةُ مِنَ الشَّدَّةِ ، وَالْأَثَقَةُ مِنَ الذَّلَّةِ ، وَالْامْتِنَاعُ مِنَ الْقَهْرِ ، فَيَدْعُوهُمْ ذَلِكَ إِلَى التَّمَادِي فِي الْخِلَافِ ، وَالِاسْتِبْسَالِ فِي الْقِتَالِ ، وَالِاسْتِسْلَامِ لِلْمَوْتِ ، وَإِمَّا أَنْ يَنْقَادُوا بِالْكَرْهِ ، وَيُذْعِنُوا بِالْقَهْرِ عَلَى

بِغَضَّةٍ لازِمةٍ ، وعداوةٍ باقيةٍ ، تُورث النفاق ، وتُعقِبُ الشقاق ، فإذا أمكتهم فرصةٌ ، أو ثابَّتْ^(١) لهم قدرةٌ ، أو قويت لهم حالٌ ، عاد أمرهم إلى أصعبٍ وأغلظٍ وأشدَّ مما كان .

وقال في قول أبي الفضل : أيها المهدي ، أكني دليل ، وأوضح برهان ، وأبين خبر بأن قد أجمع رأيه ، وحزَمَ نظره على الإرشاد يبعثة الجيوش إليهم ، وتوجيه البعوث نحوهم ، مع إعطائهم ماسألوا من الحق ، وإجابتهم إلى ماسألوه من العدل . قال المهدي : ذلك رأي .

٦١ - مقال هرون بن المهدي

قال هرون :

« خلطت الشدة أيها المهدي باللين ، فصارت الشدة أمرًا فِطامٍ لما تَكَرَّرَ ، وعاد اللين أهْدَى قائد إلى ما تحب ، ولكن أرى غير ذلك » . قال المهدي : « لقد قلت قولاً بديعاً ، وخالفت فيه أهل بيتك جميعاً ، والمرء مؤتمن بما قال ، وظنين بما أدعى ، حتى يأتي بيئة مادلة ، وحجة ظاهرة ، فانخرج عما قلت » قال هرون : « أيها المهدي ، إن الحرب خدعة^(٢) ، والأعاجم قوم مَكْرَة ، وربما اعتدلت الحال بهم ، واتفقت الأهواء منهم ، فكان باطن ما يُسرون على ظاهر ما يُعلنون ، وربما اقرقت الحالان ، وخالف القلب اللسان ، فانطوى القلب على محجوبة تُبْطِن ، واسدسَ بمَدْخولة لا تَعْلَن ، والطبيب الرفيق بطبته ، البصير بأمره ، العالم بِمُقَدِّم يده ، وموضع مِيسمه^(٣) لا يتعجل بالدواء ، حتى يقع على معرفة الداء ، فالرأي للمهدي « وفقه الله » أن يَفِرَّ^(٤) باطن أمرهم فَرًّا

[١] رحمت . [٢] خدعة تكون الحال ولبث الحياء ، وبهم الحياء وفتح الدال ، أي تنقضي بخدعة .

[٣] اللبم : المكواة . [٤] فر الهابة : كشف عن أسناتها ليعرف منها .

المُسِنَّة ، وَيَخْضُ ظَاهِر حَالِهِمْ نَحْضُ السَّقَاءِ ، بِمُتَابَعَةِ الْكُتُبِ ، وَمُظَاهَرَةِ الرُّسُلِ ،
وَمُوَالَاةِ الْعِيُونِ ، حَتَّى تُهْتَكَ حُجُبُ عِيُونِهِمْ ، وَتُكْشَفَ أَغْطِيَةُ أُمُورِهِمْ ، فَإِنْ
اُفْجَرَتْ الْحَالُ وَأُفْضَتْ الْأُمُورُ بِهِ إِلَى تَغْيِيرِ حَالٍ ، أَوْ دَاعِيَةِ ضَلَالٍ اشْتَمَلَتْ
الْأَهْوَاءَ عَلَيْهِ ، وَاتَّقَادَ الرِّجَالَ إِلَيْهِ ، وَامْتَدَّتِ الْأَعْنَاقُ نَحْوَهُ بِدِينٍ يَسْتَقْدُونَهُ ، وَإِثْمٍ
يَسْتَحْلُونَهُ ، عَصَبَهُمْ بِشِدَّةٍ لَا لَيْنَ فِيهَا ، وَرِمَاهُمْ بِعَقُوبَةٍ لَا عَفْوَ مَعَهَا ، وَإِنْ
اُفْجَرَتْ الْعِيُونُ ، وَاهْتَصُرَتْ السُّتُورُ ، وَرُفِعَتْ الْحُجُبُ ، وَالْحَالُ فِيهِمْ مَرِيعةٌ ^(١) ،
وَالْأُمُورُ بِهِمْ مُعْتَدَلَةٌ ، فِي أَرْزَاقٍ يَطْلُبُونَهَا ، وَأَعْمَالٍ يُنْكِرُونَهَا ، وَظُلُمَاتٍ
يَدْعُونَهَا ، وَحَقُوقٍ يَسْأَلُونَهَا ، بِمَاتَةٍ سَابِقَتِهِمْ ، وَدَالَّةٍ مَنَاصِحَتِهِمْ ، فَالرَّأْيُ لِلْمَهْدِيِّ
- وَفَقَهُ اللَّهِ - أَنْ يَتَسَعَ لَهُمْ بِمَا طَلَبُوا ، وَيَتَجَانَى لَهُمْ عَمَّا كَرِهُوا ، وَيَشْعَبُ ^(٢) مِنْ
أَمْرِهِمْ مَا صَدَعُوا ، وَيَرْثُقَ مِنْ فَتَقِهِمْ مَا قَطَعُوا ، وَيُولَّى عَلَيْهِمْ مَنْ أَحْبَبَا ،
وَيَدَاوِي بِذَلِكَ مَرْضَى قُلُوبِهِمْ ، وَفَسَادَ أُمُورِهِمْ ، فَإِنَّمَا الْمَهْدِيُّ وَأُمَتُهُ ، وَسَوَادُ
أَهْلِ مَمْلَكَتِهِ ، بِمَنْزِلَةِ الطَّيِّبِ الرَّفِيقِ ، وَالْوَالِدِ الشَّفِيقِ ، وَالرَّاعِي الْمَجْرَّبِ الَّذِي
يَحْتَالُ لِمَرَابِضِ عَنَمِهِ ، وَضَوَالِ رَعِيَّتِهِ ، حَتَّى يُبْرِئَ الْمَرِيضَةَ مِنْ دَاءِ عِلَّتِهَا ، وَيُرَدِّ
الصَّحِيحَةَ إِلَى أُنْسِ جَمَاعَتِهَا ، ثُمَّ إِنْ خَرَّاسَانُ بِمَخَاصِئِهِ الَّذِينَ لَهُمْ دَالَّةٌ مُجْمُولَةٌ ، وَمَاتَةٌ
مُقْبُولَةٌ ، وَوَسِيلَةٌ مُعْرُوفَةٌ ، وَحَقُوقٌ وَاجِبَةٌ ، لِأَنَّهُمْ أَيْدِي دَوْلَتِهِ ، وَسِيُوفُ دَعْوَتِهِ ،
وَأَنْصَارُ حَقِّهِ ، وَأَعْوَانُ عَدْلِهِ ، فَلَيْسَ مِنْ شَأْنِ الْمَهْدِيِّ الْإِضْطِغَانُ عَلَيْهِمْ ، وَلَا
الْمُؤَاخَذَةُ لَهُمْ ، وَلَا التَّوَعُّرُ ^(٣) بِهِمْ ، وَلَا الْمَكَاغَاةُ بِإِسَاءَتِهِمْ ، لِأَنَّ مَبَادِرَةَ حَسْمِ
الْأُمُورِ ضَعِيفَةٌ قَبْلَ أَنْ تَقْوَى ، وَمَحَاوَلَةُ قَطْعِ الْأَصُولِ ضَنْئِلَةٌ قَبْلَ أَنْ تَغْلُظَ ،

[١] مرع الوادي ككرم مراعاة : أحب مكنة الكلاء هو مرع .

[٢] تصلح . [٣] وعبر الرجل : تشدد .

أحزمُ في الرأي ، وأصح في التدبير ، من التأخير لها ، والتهاون بها ، حتى يلتئم قليلها بكثيرها ، وتجتمع أطرافها إلى جمهورها .

قال المهدي : « ما زال هرون يقع وَقَعَ الحيا ^(١) ، حتى خرج خروج القَدَح من الماء ، وانسلَّ انسلال السيف فيما ادعى ، فدعُوا ما سبق موسى فيه أنه هو الرأي ، وثني بعده هرون ، ولكن مَنْ لأعنة الخيل وسياسة الحرب ، وقيادة الناس ، إن أمعن بهم اللجاج ، وأفرطت بهم الدَّالَّة ؟ » .

٦٢ - مقال صالح بن علي ^(٢)

قال صالح :

« لسنا نبغ أيها المهدي بدوام البحث وطول الفكر أدنى فِراسة رأيك ، وبعضَ لحظاتٍ نظرك ، وليس ينفض عنك من يوتات العرب ، ورجالاتِ العجم ، ذو دين فاضل ، ورأى كامل ، وتدبير قوى ، تقلده حربك ، وتستودعه جندك ، ممن يحتمل الأمانة العظيمة ، ويضطلع بالأعباء الثقيلة ، وأنت بحمد الله ميمون النقية ^(٣) ، مبارك العزيرة ، مخبور التجارب ، محمود العواقب ، معصوم العزم ، فليس يقع اختيارك ، ولا يقف نظرك على أحد تؤليه أملك ، وتُسند إليه ثرك ، إلا أراك الله ما تحب ، وجمع لك منه ما تريد . »

قال المهدي : « إني لأرجو ذلك لقديم عادة الله فيه ، وحسن معونته عليه ، ولكن أحب الموافقة على الرأي ، والاعتبار للمشاورة في الأمر المهم » .

٦٣ - مقال محمد بن الليث

قال محمد بن الليث :

« أهل خراسان أيها المهدي قومٌ ذوو عِزَّةٍ ومنعة ، وشياطينُ خدعة ،

[١] للطر . [٢] هو صالح بن علي بن عداقة بن عاص . [٣] العس والطبيعة .

زُرُوع الحِمِيَّة فِيهِمْ نَابِتَةٌ ، وَمَلَابِس الْأَثَقَةِ عَلَيْهِمْ ظَاهِرَةٌ ، قَالُوا يَتَنَبَّهُونَ عَنْهُمْ عَازِيَةً ،
وَالْعَجَلَةُ فِيهِمْ حَاضِرَةٌ ، تَسْبِقُ سَيُولُهُمْ مَطَرُهُمْ ، وَسَيُوفُهُمْ عَذْلُهُمْ ، لِأَنَّهُمْ بَيْنَ
سِفْلَةٍ لَا يَعْدُو مَبْلَغُ عَقُولِهِمْ مَنْظَرَ عَيُونِهِمْ ، وَبَيْنَ رُؤَسَاءٍ لَا يُلْجَمُونَ إِلَّا بِشِدَّةٍ ،
وَلَا يُقْطَمُونَ إِلَّا بِالْمُرِّ ، وَإِنْ وَلَّى الْمَهْدَى عَلَيْهِمْ وَضِيعًا لَمْ تَنْقُذْ لَهُ الْعِظَمَاءُ ، وَإِنْ
وَلَّى أَمْرَهُمْ شَرِيفًا تَحَامَلُ عَلَى الضَّعْفَاءِ ، وَإِنْ أَخْرَجَ الْمَهْدَى أَمْرَهُمْ ، وَدَافَعَ حَرْبَهُمْ ،
حَتَّى يُصِيبَ لِنَفْسِهِ مِنْ حَشَمِهِ وَمَوَالِيهِ أَوْ بَنِي عَمِّهِ أَوْ بَنِي أَيْيِهِ نَاصِحًا ، يَتَّفِقُ عَلَيْهِ
أَمْرُهُمْ ، وَثِقَةٌ تَجْتَمِعُ لَهُ أَمَلَاؤُهُمْ ^(١) ، بَلَا أَثَقَةٌ تَلْزَمُهُمْ ، وَلَا حِمِيَّةٌ تَدْخُلُهُمْ ، وَلَا
مُصِيبَةٌ تَنْفَرُهُمْ ، تَنْفَسْتَ الْأَيَّامَ بِهِمْ ، وَتَرَاحْتَ الْحَالَ بِأَمْرِهِمْ ، فَدَخَلَ بِذَلِكَ مِنَ
الْفُسَادِ الْكَبِيرِ ، وَالضِّيَاعِ الْعَظِيمِ ، مَا لَا يَتَلَفَاهُ صَاحِبُ هَذِهِ الصِّفَةِ وَإِنْ جَدَّ ،
وَلَا يَسْتَصْلِحُهُ وَإِنْ جَهَّدَ ، إِلَّا بَعْدَ دَهْرٍ طَوِيلٍ ، وَشَرٌّ كَبِيرٍ ، وَلَيْسَ الْمَهْدَى وَفْقَهُ
اللَّهُ فَاطِمًا عَادَاتِهِمْ ، وَلَا قَارِعًا صِفَاتِهِمْ ^(٢) ، بِمَثَلِ أَحَدِ رَجُلَيْنِ لَا ثَالِثَ لِهَمَّا ، وَلَا
عِدْلَ ^(٣) فِي ذَلِكَ بَيْنَهُمَا ، أَحَدُهُمَا لِسَانٌ نَاطِقٌ مُوَصَّلٌ بِسَمْعِكَ ، وَيَدٌ مُمَثِّلَةٌ لِعَيْنِكَ ،
وَصَخْرَةٌ لَا تُزْعَزَعُ ، وَبُهِيمَةٌ ^(٤) لَا تُنْتَنَى ، وَبَازِلٌ ^(٥) لَا يُفْرَعُهُ صَوْتُ الْجَلْجَلِ ،
نَقَى الْعَرِضُ ، تَزِيهِ النَّفْسِ ، جَلِيلُ الْخَطَرِ ^(٦) ، أَتَضَعْتَ الدُّنْيَا عَنْ قَدَرِهِ ، وَمِمَّا
نَحْوَ الْآخِرَةِ بِهَيْمَتِهِ ، وَجَعَلَ الْعَرِضُ الْأَقْصَى لِعَيْنِهِ نُصْبًا ، وَالْعَرِضُ الْأَدْنَى لِقَدَمِهِ
مَوْطِنًا ، فَلَيْسَ يَقْبَلُ عَمَلًا ، وَلَا يَتَعَدَّى أَمَلًا ، وَهُوَ رَأْسُ مَوَالِيكَ ، وَأَنْصَحُ
بَنِي أَيْيِكَ ، رَجُلٌ قَدْ غُدِّيَ بِلَطِيفِ كَرَامَتِكَ ، وَنَبَتَ فِي ظِلِّ دَوْلَتِكَ ، وَنَشَأَ عَلَى

[١] جمع مَلَأَ كَسَبَ وَهُوَ الْجَمَاعَةُ . [٢] الصَّعَاةُ : الْحَجَرُ الصَّلْدُ الصَّحْمُ . [٣] الْعِدْلُ : الْبَطِيرُ .

[٤] الْبُهِيمَةُ : الصَّخْرَةُ ، وَالشَّجَاعُ الَّذِي لَا يَهْتَدِي مِنْ أَيْنَ يُؤْتَى . [٥] الْبَازِلُ : الْخَلْجُ فِي السَّيَةِ

الْبَاسَةِ ، وَالرَّجُلُ الْكَامِلُ فِي تَجَرُّبَتِهِ . [٦] الْخَطَرُ .

قوائم أدبك ، فإن قلّدتهم أمرهم ، وحملته ثقلهم ، وأسندت إليهم ثمرهم ، كان قفلاً فتحه أمرك ، وباباً أغلقه نهيك ، فجعل العدل عليه وعليهم أميراً ، والإنصاف بينه وبينهم حاكماً ، وإذا أحكم المنصفة ، وملك المعدلة ، فأعطاهم ما لهم ، وأخذ منهم ما عليهم ، غرس لك في الذي بين صدورهم ، وأسكن لك في السويدة ، داخل قلوبهم ، طاعة راسخة العروق ، باسقة الفروع ، متائلة في حواشي عوامهم ، متمكنة من قلوب خواصهم ، فلا يبقى فيهم ريب إلا تقوه ، ولا يلزمهم حق إلا أدّوه ، وهذا أحدهما ، والآخر عود من غيضة^(١)ك ، ونبغة من أرومتك ، فتى السن ، كهل الحلم ، راجح العقل ، محمود الصرامة ، مأمون الخلاف ، يجرّد فيهم سيفه ، ويسطّ عليهم خيره ، بقدر ما يستحقون ، وعلى حسب ما يستوجبون ، وهو فلان ، أيها المهدي ، فسلطه أعزك الله عليهم ، ووجهه بالجيش إليهم ، ولا تمنعك ضراعة^(٢) سنّه ، وحدائه مؤلّده ، فإن الحلم والثقة مع الحدّاة ، خير من الشك والجهل مع الكهولة ، وإنما أحداكم أهل البيت فيما طبعكم الله عليه ، واختصكم به ، من مكارم الأخلاق ، ومحامد الفعال ، ومحاسن الأمور ، وصواب التدبير ، وصرامة الأتقى ، كفرّاخ عتاق الطير ، المُحْكِمَة لأخذ الصيد بلا تدرّيب ، والعارفة لوجوه النفع بلا تأديب ، فالحلم والعلم ، والعزم والحزم ، والجود والتؤدّة ، والرّفق ، ثابت في صدوركم ، مزروع في قلوبكم ، مُسْتَحْكِم لَكُمْ ، مُتَكَمِّلٌ عندكم ، بطبائع لازمة ، وغرائز ثابتة .

٦٤ — مقال معاوية بن عبد الله

قال معاوية بن عبد الله :

[١] الغيبة : الأجرة ومحتج الشر في معين ماء . [٢] المراد حدّاة .

« أَقْنَاءُ^(١) أَهْلِ يَتِّكَ أَيُّهَا الْمَهْدِيُّ فِي الْحِلْمِ عَلَى مَا ذُكِرَ ، وَأَهْلُ خِرَاسَانَ فِي حَالِ عَزٍّ عَلَى مَا وُصِفَ ، وَلَكِنْ إِنْ وَلَّى الْمَهْدِيُّ عَلَيْهِمْ رَجُلًا لَيْسَ بِقَدِيمِ الذِّكْرِ فِي الْجُنُودِ ، وَلَا بِنَبِيهِ الصَّوْتِ فِي الْحُرُوبِ ، وَلَا بِطَوِيلِ التَّجَرُّبَةِ لِلْأُمُورِ ، وَلَا بِمَعْرُوفِ السِّيَاسَةِ لِلْجُيُوشِ ، وَالْهَيْبَةِ فِي الْأَعْدَاءِ ، دَخَلَ ذَلِكَ أَمْرَانِ عَظِيمَانِ ، وَخَطَرَانِ مُهُولَانِ ، أَحَدُهُمَا أَنَّ الْأَعْدَاءَ يَنْتَمِرُونَ بِهَا مِنْهُ ، وَيَحْتَقِرُونَ بِهَا فِيهِ ، وَيَحْتَرِثُونَ بِهَا عَلَيْهِ ، فِي النُّهُوضِ بِهِ ، وَالْمُقَارَعَةِ لَهُ ، وَالْخِلَافِ عَلَيْهِ ، قَبْلَ مَا حِينَ الْإِخْتِبَارِ لِأَمْرِهِ ، وَالتَّكْشِفِ لِحَالِهِ ، وَالْعِلْمِ بِطَبَاعِهِ ؛ وَالْأَمْرُ الْآخِرُ أَنَّ الْخُنُودَ الَّتِي يَقُودُ ، وَالْجُيُوشَ الَّتِي يَسُوسُ ، إِذَا لَمْ يَخْتَبِرُوا مِنْهُ الْبَأْسَ وَالنَّجْدَةَ ، وَلَمْ يَعْرِفُوهُ بِالصَّوْتِ^(٢) وَالْهَيْبَةِ ، انْكَسَرَتْ شَجَاعَتُهُمْ ، وَمَاتَتْ نَجْدَتُهُمْ ، وَاسْتَأْخَرَتْ طَاعَتُهُمْ ، إِلَى حِينَ إِخْتِبَارِهِمْ ، وَوُقُوعِ مَعْرِفَتِهِمْ ، وَرَبَّمَا وَقَعَ الْبَوَارُ قَبْلَ الْإِخْتِبَارِ ، وَبَيَّابَ الْمَهْدِيُّ - وَفَقَّهُ اللَّهُ - رَجُلٌ مَهِيْبٌ ، نَبِيٌّ ، حَنِيْكَ ،^(٣) صَيِّتٌ ، لَهُ نَسَبٌ زَاكٍ ، وَصَوْتُ عَالٍ ، قَدْ قَادَ الْجُيُوشَ وَسَاسَ الْحُرُوبَ ، وَتَأَلَّفَ أَهْلَ خِرَاسَانَ ، وَاجْتَمَعُوا عَلَيْهِ عَلَيْهِ بِالِئْمَةِ ، وَوَثِقُوا بِهِ كُلَّ الثَّقَةِ ، فَلَوْ لَآهَ الْمَهْدِيُّ أَمْرَهُمْ ، لَكَفَاهُ اللَّهُ شَرَّهُمْ . قَالَ الْمَهْدِيُّ : « جَانِبَتْ قَصْدَ الرِّمِيَّةِ ، وَأَيْتَتْ إِلَّا عَصَبِيَّةً ، إِذْ رَأَى الْخَدَنَ مِنْ أَهْلِ يَتِّتَا ، كَرَأَى عَشْرَةَ حُلَمَاءَ مِنْ غَيْرِنَا ، وَلَكِنْ أَيْنَ تَرَكْتُمْ وَلِيَّ الْعَهْدِ ؟ » . قَالُوا : « لَمْ يَمْنَعْنَا مِنْ ذِكْرِهِ إِلَّا كَوْنُهُ شَبِيهَ جَدِّهِ ، وَنَسِيجَ وَحْدِهِ^(٤) ، وَمِنْ الدِّينِ وَأَهْلِهِ ، بِحَيْثُ يَقْصُرُ الْقَوْلُ عَنْ أَدْنَى فَضْلِهِ ، وَلَكِنْ وَجَدْنَا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ حَاجِبَ عَنْ خَلْقِهِ ، وَسَرَّ دُونَ عِبَادِهِ ، عِلْمَ مَا تَخْتَلِفُ بِهِ الْأَيَّامُ ، وَمَعْرِفَةَ مَا تَجْرِي

[١] جمع فتى كَيْفَمِ وَأَيْتَام . [٢] الصَّوْتُ وَالصَّاتُ وَالصَّيْتُ : الذِّكْرُ الْحَسَنُ . [٣] حَنِيْكَ .

[٤] هُوَ نَسِيجٌ وَحْدَهُ : لَا يَطِيرُ لَهُ مَقْرَدٌ بِحِصَالٍ مَحْمُودَةٍ لَا يَشْرِكُهُ فِيهَا غَيْرُهُ ، كَمَا أَنَّ الثَّوْبَ الْفَرَسَ لَا يَنْسِجُ عَلَى مَوَالِهِ غَيْرُهُ ، أَيْ لَا يَشْرِكُهُ فِيهِ وَهِيَ فَيْرُهُ فِي السَّيِّدِ .

عليه المقادير من حوادث الأمور ، ورَيْبُ النون ^(١) الْمُخْتَرِمَةُ لِحَوَالِي الْقُرُونِ ،
وَمَوَاضِي الْمُلُوكِ ، فَكِرْهِنَا شُسُوعَهُ ^(٢) عَنْ مَحَلَّةِ الْمَلِكِ ، وَدَارِ السُّلْطَانِ ، وَمَقَرِّ
الْإِمَامَةِ وَالْوِلَايَةِ ، وَمَوْضِعِ الْمَدَائِنِ وَالْخَزَائِنِ ، وَمُسْتَقَرِّ الْجُنُودِ ، وَمَعْدِنِ الْجُودِ ،
وَتَجَمُّعِ الْأَمْوَالِ ، الَّتِي جَعَلَهَا اللَّهُ قُطْبًا لِمَدَارِ الْمَلِكِ ، وَمِصْنِدَةً لِقُلُوبِ النَّاسِ ، وَمَثَابَةً
لِإِخْوَانِ الطَّمَعِ ، وَثَوَارِ الْفِتَنِ ، وَدَوَاعِي الْبِدْعِ ، وَفُرْسَانِ الضَّلَالِ ، وَأَبْنَاءِ الْمَوْتِ ،
وَقُلْنَا إِنْ وَجَّهَ الْمَهْدَى وَلِيَّ عَهْدِهِ ، فَحَدَثَ فِي جِيُوشِهِ وَجُنُودِهِ ، مَا قَدْ حَدَثَ بِجُنُودِ
الرَّسْلِ مِنْ قَبْلِهِ ، لَمْ يَسْتَطِعِ الْمَهْدَى أَنْ يُعَقِّبَهُمْ بغيره ، إِلَّا أَنْ يَنْهَضَ إِلَيْهِمْ بِنَفْسِهِ ،
وَهَذَا خَطَرٌ عَظِيمٌ ، وَهَوْلٌ شَدِيدٌ ، إِنْ تَنَفَّسَتْ الْأَيَّامُ بِمَقَامِهِ ، وَاسْتَدَارَتْ الْحَالُ
بِإِمَامِهِ ، حَتَّى يَقَعَ عِوَضُ لَا يُسْتَفْنَى عَنْهُ ، أَوْ يَحْدُثُ أَمْرٌ لَا بُدَّ مِنْهُ ، صَارَ مَا بَعْدَهُ
مِمَّا هُوَ أَعْظَمُ هَوَلًا ، وَأَجَلُ خَطَرًا ، لَهُ تَبَعًا ، وَبِهِ مُتَصِلًا .

٦٥ - مقال المهدي

قال المهدي :

« الْخَطْبُ أَيْسَرُ مِمَّا تَذْهَبُونَ إِلَيْهِ ، وَعَلَى غَيْرِ مَا تَصِفُونَ الْأَمْرَ عَلَيْهِ ، نَحْنُ
أَهْلُ الْبَيْتِ نَجْرِي مِنْ أَسْبَابِ الْقَضَايَا ، وَمَوَاقِعِ الْأُمُورِ ، عَلَى سَابِقٍ مِنَ الْعِلْمِ ،
وَمَحْتَمٍ مِنَ الْأَمْرِ ، قَدْ أَنْبَأَتْ بِهِ الْكُتُبُ ، وَتَنْبَأَتْ عَلَيْهِ الرُّسُلُ ، وَقَدْ تَنَاهَى
ذَلِكَ بِأَجْمَعِهِ إِلَيْنَا ، وَتَكَامَلَتْ بِمَحْدَافِهِ ^(٣) عِنْدَنَا ، فِيهِ نَذِيرٌ ، وَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْ ،
إِنَّهُ لَا بُدَّ لَوْلِيٍّ عَهْدِي ، وَلَوْلِيٍّ عَهْدِ عَقْبِي بَعْدِي ، أَنْ يَقُودَ إِلَى خِرَاسَانَ الْبِعُوثُ ،
وَيَتَوَجَّهَ نَحْوَهَا بِالْجُنُودِ ؛ أَمَّا الْأَوَّلُ فَإِنَّهُ يُقَدِّمُ إِلَيْهِمْ رِسَالَهُ ، وَيُعْمَلُ فِيهِمْ حِيلَتَهُ ،

[١] النون البية (مؤث) والمخرمة : للهلكة ، والحوالى جمع حالية وهي للخاصية .

[٢] شمع كعب شمساً وشسوطاً : مد فهو شامع وشسوع .

[٣] جمع حذوور كمصهور أو حذوار كقمرطاس وهو الخاف .

ثم يخرج شيطاً إليهم ، ختقاً عليهم ، يريد أن لا يدع أحداً من إخوان الفتن ، ودواعي البدع ، وفُرسان الضلال ، إلا توطأه بحرّ القتل ، وألبسه قناع القهر ، وقلده طوق النذل ، ولا أحداً من الذين عملوا في قصّ جناح الفتنة ، وإخماد نار البدعة ، ونُصرة وُلاه الحق ، إلا أجرى عليهم ديمّ فضله ، وجداول نهله ، فإذا خرج مُزَمِّعاً به ، مُجَمِّعاً عليه ، لم يسر إلا قليلاً حتى يأتيه أن قد عملت حيله ، وكذّحت كتبه ، ونفّذت مكائده ، فهذأت نافرة القلوب ، ووقعت طائرة الأهواء ، واجتمع عليه المختلفون بالرضا ، فميل نظراً لهم ، وبراً بهم ، وتعطفاً عليهم ، إلى عدو قد أخاف سبيلهم ، وقطع طريقهم ، ومنع حجاجهم بيت الله الحرام ، وسلب تجارهم رزق الله الحلال ؛ وأما الآخر فإنه يوجه إليهم ، ثم تعتقد له الحجة عليهم بإعطاء ما يطلبون ، وبذل ما يسألون ، فإذا سمحت الفرق بقراباتها له ، وجنّح أهل النواحي بأعنائهم نحوه ، فأصغت إليه الأفئدة ، واجتمعت له الكلمة ، وقدمت عليه الوفود ، قصّد لأول ناحية بنحّت^(١) بطاعتها ، وألقنت بأزمّتها ، فألبسها جناح نعمته ، وأنزلها ظلّ كرامته ، وخصّها بعظيم حباه^(٢) ، ثم عمّ الجماعة بالمعدلة ، وتعطف عليهم بالرحمة ، فلا تبقى فيهم ناحية دانية ، ولا فرقة قاصية ، إلا دخلت عليها بركته ، ووصلت إليها منفعة ، فأغنى فقيرها ، وجبر كسيرها ، ورفع وضعفها ، وزاد رفيعها ، ما خلا ناحيتين ، ناحية يغلب عليها الشقاء ، وتستميلهم الأهواء ، فتستخف بدعوته ، وتبطل عن إجابته ، وتتناقل عن حقه ، فتكون آخر من يبعث ، وأبطأ من يوجه ، فيصطلي عليها موجدده ، ويتغنى لها علة ، لا يلبث يحد^(٣) بحق يلزمهم ، وأمر يحب عليهم ، فتستلحمهم

[١] جمع بالمعنى مجموعاً : أقربه وجمع له . [٢] عطائه . [٣] يعصب .

الجيش ، وتأكلهم السيوف ، ويستحرق بهم القتل ، ويحيط بهم الأشر ، ويفنيهم
التبغ ، حتى يُحرب البلاد ، ويؤتم الأولاد ، وناحية لا يسط لهم أمانا ، ولا يقبل
لهم عهدا ، ولا يجعل لهم ذمة ، لأنهم أول من فتح باب الفرقة ، وتدرع جلباب
الفتنة ، وربض في شق العصا ، ولكنه يقتل أعلامهم ، ويأسر قوادهم ، ويطلب
هزأهم ، في أجج البحار ، وقلل الجبال ، وحمل^(١) الأودية ، ويطون الأرض ،
تقتيلا وتغليلا وتنكيلا ، حتى يدع الديار خرابا ، والنساء أيتام ، وهذا أمر
لانعرف له في كتبنا وقتا ، ولا نصح منه غير ما قلنا تفسيراً ؛ وأما موسى ولي
عهدي ، فهذا أوان توجّهه إلى خراسان ، وحلوله بخرجان ، وما قضى الله له من
الشخص إليها ، والمقام فيها ، خير للمسلمين منبة ، وله بإذن الله ماقبة من المقام
بحيث يُعمر في لجج بحورنا ، ومدافع سيولنا ، ومجامع أمواجنا ، فيتصاعر عظيم
فضله ، ويتدأب^(٢) مشرق نوره ، ويتقلل كثير ما هو كائن منه ، فمن يصحبه
من الوزراء ، ويختار له من الناس ؟ .

٦٦ — مقال محمد بن الليث

قال محمد بن الليث :

« أيها المهدي : إن وليّ عهدك أصبح لأمتك ، وأهل ملتك ، علما قد تننت
نحوه أعناؤها ، ومدّت سمته أبصارها . وقد كان لقرب داره منك ، ومحلّ
جواره لك ، عطل^(٣) الحال ، عطل الأمر ، واسع العذر . فأما إذا انفرد نفسه .
وخلا بنظره . وصار إلى تديره . فإن من شأن العامة أن تفقد خارج رأيه .

[١] الحيل : بطن السيل . [٢] يضطرب .

[٣] عطل (كمرح) من المال والأدب حلاهو عطل كعقل وعق .

وتستنصت لمواقع آثاره ، وتسأل عن حوادث أحواله ، في برّه ومَرَحمته . وإفراطه ^(١) ومعدّله ، وتديره وسياسته ، ووزرائه وأصحابه . ثم يكون ما سبق إليهم أغلب الأشياء عليهم ، وأملك الأمور بهم ، وألزمها لقلوبهم ، وأشدّها استمالةً لرأيهم ، وعطفاً لأهوائهم . فلا يفتأ المهدي - وفقه الله - ناظرًا له فيما يقوى عمده مملكته ، ويسدّد أركان ولايته ، ويستجمع رضا أمته بأمر هو أزين لحاله . وأظهر لجماله ، وأفضل منبّه لأمره ، وأجل موقعاً في قلوب رعيته ، وأحمد حالاً في نفوس أهل ملته . ولا أدفع مع ذلك باستجماع الأهواء له . وأبلغ في استعطاف القلوب عليه ، من مَرَحمة تظهر من فعله . ومعدلة تنتشر عن أثره . ومحبة للخير وأهله ، وأن يختار المهدي - وفقه الله - من خيار أهل كل بلدة . وفقهاء أهل كل مصر . أقواماً تسكن العامة إليهم إذا ذكروا ، وتأنس الرعية بهم إذا وُصفوا . ثم تسهل لهم عمارة سبيل الإحسان ، وفتح باب المعروف . كما قد كان فتح له ، وسهل عليه .

قال المهدي : صدقت ونصحت . ثم بعث في ابنه موسى ، فقال :

٦٧ - مقال المهدي

« أي بُني . إنك قد أصبحت لسمت وجوه العامة نصيباً ، ولثني أعطاف الرعية غايةً ، فحسنتك شاملة . وإساءتك نائية ، وأمرك ظاهر ، فعليك بتقوى الله وطاعته . فاحتمل سُخط الناس فيهما ، ولا تطلب رضاهم بخلافهما ، فإن الله عز وجل . كافيك من أسخطه عليك إيتارك رصاه . وليس بكافيك من يُسخطه عليك إيتارك رضا من سواه . ثم اعلم أن الله تعالى في كل زمان فترة من رسله .

وَبَقَايَا مِنْ صَفْوَةِ خَلْقِهِ ، وَخَبَايَا لِنُصْرَةِ حَقِّهِ ، يَجِدُّ حَبْلَ الْإِسْلَامِ بِدَعْوَاهُمْ ،
وَيَشِيدُ أَرْكَانَ الدِّينِ بِنُصْرَتِهِمْ ، وَيَتَّخِذُ لِأَوْلِيَاءِ دِينِهِ أَنْصَارًا ، وَعَلَى إِقَامَةِ عَدْلِهِ
أَعْوَانًا . يَسُدُّونَ الْخَلَلَ ، وَيُقِيمُونَ الْمِلَّةَ ، وَيُدْفَعُونَ عَنِ الْأَرْضِ الْفُسَادَ ، وَأَنْ
أَهْلَ خِرَاسَانَ أَصْبَحُوا أَيْدِي دَوْلَتِنَا ، وَسُيُوفَ دَعْوَتِنَا ، الَّذِينَ نَسْتَدْفِعُ الْمَكَارِهِ
بَطَاعَتِهِمْ ، وَنَسْتَصْرِفُ نَزُولَ الْعِظَامِ بِمُنَاصَحَتِهِمْ . وَنُدَافِعُ رَيْبَ الزَّمَانِ بِعِزَّتِهِمْ ،
وَنُرَاحِمُ رُكْنَ الدَّهْرِ بِبَصَائِرِهِمْ ، وَهُمْ عِمَادُ الْأَرْضِ إِذَا أَرْجَفَ كَنْفُهَا ، وَخَوْفُ
الْأَعْدَاءِ إِذَا بَرَزَتْ صَفْحَتُهَا ، وَحُصُونُ الرِّعْيَةِ إِذَا تَضَايَقَتِ الْحَالُ بِهَا ، قَدْ مَضَتْ
لَهُمْ وَقَائِعُ صَادِقَاتٍ ، وَمَوَاطِنُ صَالِحَاتٍ ، أَخَذَتْ نِيرَانَ الْفِتَنِ ، وَقَسَمَتْ دَوَاعِيَ
الْبِدْعِ . وَأَذَلَّتْ رِقَابَ الْجَبَّارِينَ ، وَلَمْ يَنْفَكُوا كَذَلِكَ مَا جَرَّوْا مَعَ رِيحِ دَوْلَتِنَا ،
وَأَقَامُوا فِي ظِلِّ دَعْوَتِنَا ، وَاعْتَصَمُوا بِحَبْلِ طَاعَتِنَا ، الَّتِي أَعَزَّ اللَّهُ بِهَا ذِلَّتَهُمْ ، وَرَفَعَ
بِهَا ضَعْفَهُمْ ، وَجَعَلَهُمْ بِهَا أَرْبَابًا فِي أَقْطَارِ الْأَرْضِ ، وَمُلُوكًا عَلَى رِقَابِ الْعَالَمِينَ ،
بَعْدَ لِبَاسِ الذِّلِّ ، وَقِنَاعِ الْخَوْفِ ، وَإِطْبَاقِ الْبَلَاءِ ، وَمُخَالَفَةِ الْأَسَى ، وَجَهْدِ الْبَأْسِ
وَالضَّرِّ . فَظَاهِرٌ عَلَيْهِمْ لِبَاسُ كِرَامَتِكَ ، وَأَنْزَلَهُمْ فِي حَدَائِقِ نِعْمَتِكَ ، ثُمَّ اعْرِفْ
لَهُمْ حَقَّ طَاعَتِهِمْ ، وَوَسِيلَةَ دَائِلَتِهِمْ ، وَمَائَةَ سَابِقَتِهِمْ ، وَحُرْمَةَ مَنَاصِحِهِمْ ،
بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِمْ ، وَالتَّوَسُّعِ عَلَيْهِمْ ، وَالْإِثَابَةِ لِمَحْسَنِهِمْ ، وَالْإِقَالَةَ لِمُسِيئِهِمْ
أَيُّ بَنِي ، ثُمَّ عَلَيْكَ الْعَامَّةُ . فَاسْتَدْعِ رِضَاهَا بِالْعَدْلِ عَلَيْهَا ، وَاسْتَجْلِبْ مَوَدَّتَهَا
بِالْإِنْصَافِ لَهَا ، وَتَحَسَّنْ بِذَلِكَ لِرَبِّكَ ، وَتَوَثَّقْ بِهِ فِي عَيْنِ رِعْيَتِكَ ، وَأَجْعَلْ عُمَّالَ
الْعُذْرِ وَوُلَاةَ الْحُجْبِ مُفَدِّمَةً بَيْنَ يَدَيْ عَمَلِكَ ، وَنَصِيفَةً مِنْكَ لِرِعْيَتِكَ ، وَذَلِكَ أَنْ
تَأْمُرَ قَاضِيَ كُلِّ بَلَدٍ ، وَخِيَارَ أَهْلِ كُلِّ مِصْرٍ ، أَنْ يَخْتَارُوا لِأَنْفُسِهِمْ وَجَلًا تَوَلَّيَهُ
أَمْرَهُمْ ، وَتَجْعَلَ الْعَدْلَ حَاكِمًا بَيْنَهُمْ وَيَتَنَهُمُ ، فَإِنْ أَحْسَنَ مُجِدَّتَ ، وَإِنْ أَسَاءَ عُذِرَتْ .

هولاء عمّال العُذر، وولاة الحجج، فلا يسقطنّ عليك ما في ذلك إذا انتشر في الآفاق، وسبق إلى الأسماع من انعقاد السنة المرجفين، وكبت قلوب الحاسدين، وإطفاء نيران الحروب، وسلامة عواقب الأمور، ولا يتفكّن في ظل كرامتك نازلا، وبِعِراً حَبْلِكَ متعلّقا، رجلا: أحدها كريهة من كرائم رجالات العرب، وأعلام بيوتات الشرف، له أدب فاضل، وحِلْم راجح، ودين صحيح، والآخرا له دين غير مغموز، وه وضع غير مدخول، بصير بتقليب الكلام، وتصريف الرأي، وأنحاء العرب، ووضع الكتب، عالم بمجالات الحروب، وتصاريف الخطوب، يضع آدابا نافعة، وآثارا باقية، من محاسنك وتحسين أمرك، وتحلية ذكرك، فتستشير في حربك، وتدخله في أمرك، فرجل أصبته كذلك، فهو يأوي إلى محلتى، ويرعى في خُصرة جناني، ولا تدع أن تختار لك من فقهاء البلدان، وخيار الأمصار، أقواما يكونون جيرانك ومُشارك، وأهل مشاورتك فيما تُورد، وأصحاب مناظرتك فيما تُصدر، فسرّ على بركة الله، أصحبك الله من عونه وتوفيقه دليلا يهْدِي إلى الصواب قلبك، وهاديا ينطق بالخير لسانك .

وكتب في شهر ربيع الآخر سنة سبعين ومائة ببغداد (١).

(العقد العريد ١ : ٥٧)

[١] ملاحظة: أقول: وهذا ياق ما ورد في التاريخ: إذ للعروف أن المهدي تولى في الحرم سنة ١٦٩ وأعقبه الهادي، الذي تولى في ربيع الأول سنة ١٧٠، فكيف يكون تاريخ كتابة هذه المشاورة هو ربيع الآخر سنة ١٧٠ أي بعد وفاة للمهدي والهادي، مع أنه ذكر في سياق خبرها أن المهدي أمر محمد بن الليث بحفظ مراجعتهم، وإثبات مقالاتهم في كتاب، أي أنها كتبت في المجلس الذي حدثت فيه المشاورة. والوارد في التاريخ أيضا أن الهادي خرج إلى جرجان سنة ١٦٦ و ١٦٧ (راجع تاريخ الطبري ح ١٠ ص ٧ - ٨) اللهم إلا أن يقال إنها كتبت في مجلس المشاورة، وقبت بمحطة لدى كاتبها، حتى نشرت للناس في ربيع الآخر سنة ١٧٠ أي أن ذلك التاريخ هو تاريخ كتابتها لإعلانها للجمهور، على أنها منشكك فيها من وجهة أخرى، وذلك لما نراه عليها من سعة الكتابة الغنية للسعة .

٦٨ - ابن عتبة يعزى المهدي ويهنته

لما توفى المنصور دخل ابن عتبة^(١) مع الخطباء على المهدي ، فسلم فقال :
« آجر الله أمير المؤمنين على أمير المؤمنين قبله ، وبارك الله لأمر المؤمنين فيما
خلق له أمير المؤمنين بعده ، فما مصيبة أعظم من فقد أمير المؤمنين ، ولا عتبي
أفضل من وراثته مقام أمير المؤمنين ، فاقبل يا أمير المؤمنين من الله أفضل العطية ،
وأحسن حسب عند الله أفضل الرزية » . (البيان والبيان ٢ : ١٠٣ ، والقدر المريد ٢ : ٣٥)

٦٩ - يعقوب بن داود يستعطف المهدي

لما سخط المهدي على وزيره يعقوب بن داود^(٢) أحضره ، فقال : يا يعقوب ، قال :
ليتك يا أمير المؤمنين ، تلبية مكروب لوجدتك ، شري بغضتك ، قال : « ألم أرفع
قدرك وأنت خامل ، وأسير ذكرك وأنت هامل ، وألبسك من نعم الله تعالى
ونعمي ما لم أجد عندك طاقة لحمله ، ولا قياما بشكره ؟ فكيف رأيت الله تعالى
أظهر^(٣) عليك ، ورد كيدك إليك ! » .

قال : « يا أمير المؤمنين ، إن كنت قلت هذا بتيقن وعلم فإني معترف ، وإن
كان بسعاية الباغين ، ونمائم المعاندين ، فأنت أعلم بأكثرها ، وأنا طائفة
بكرمك ، وعميم شرفك » .

[١] وفي القدر المريد « أبو العلاء المحدث » .

[٢] وكان المهدي قد فوس إليه الأمور كلها ، وسلم إليه الدواوين ، وقدمه على جميع الناس ، ثم سخط
عليه . وسب ذلك أنه دس إليه رجلا من العلويين ، وقال له : أحب أن تكفي أمره ، فلما صار العلوي في
يده ، قال له : يا يعقوب تلق الله يدعي ، وأنا ابن علي بن أبي طالب ، وإن فاطمة رضي الله عنها ، وليس
لي إليك دس ؟ فرى له ، وحلى سبيله ، ونمى الخبر إلى المهدي ، فأرسل في طلب العلوي حتى طهره ،
واستدعى يعقوب ، فقال : ما فعلت بالعلوي ؟ قال : قد أراح الله منه أمير المؤمنين ، قال . مات ؟ قال :
نعم ، فاستحلته ، فحلف له ، فأخرج إليه العلوي ، فلم يجر حواجا ، فأمر بحسنه في ثر مطلة ، وما رال
محوسا حتى عما عنه الرشيد وتوفى سنة ١٨٦ هـ . [٣] أي أظن عليك .

فقال : لولا الحِثُّ^(١) في دمك لألبستك قميصاً لا تشد عليه أزراراً ، ثم أمر به إلى السجن ، فتولى وهو يقول : «الوفاء يا أمير المؤمنين كرم ، والمودة رحيم ، وما على العفو ندم ، وأنت بالعفو جدير ، وبالحاسن خَلِيق » ، فأقام في السجن إلى أن أخرجه الرشيد (رهر الآداب ٣ : ٢٠٧)

٧٠ رجل من أهل خراسان يخطب بحضرة المهدي

وقدّم على المهدي رجل من أهل خراسان : فقال : « أطلال الله بقاء أمير المؤمنين ، إنا قوم نأيننا من العرب ، وشغلنا الحروب عن الخطب ، وأمير المؤمنين يعلم طاعتنا ، وما فيه مصلحتنا ، فيكتفي منا باليسير عن الكثير ، ويقتصر على ما في الضمير ، دون التفسير » ، فقال المهدي : أنت أخطب من سمعته .

(الصاعتين ص ٤٠)

٧١ — مقام صالح بن عبد الجليل بين يدي المهدي

دخل صالح بن عبد الجليل على المهدي ، فسأله أن يأذن له في الكلام ، فقال : تكلم ، فقال :

« إنه لما سهل علينا ما توعدّ على غيرنا من الوصول إليك ، قُنا مقام الأداء عنهم وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بإظهار ما في أعناقنا من فريضة الأمر والنهي ، عند انقطاع عُذر الكتمان ، ولا سيما حين اتَّسَمَتْ بِعِيسَمِ التواضع ، ووعدت الله وَحَمَلَةَ كِتَابِهِ إِيَّارَ الحق على ما سواه ، فجمعنا وإياك مشهود من مشاهد التمهيص ، لِيَتِمَّ مَوْدِّيَا على موعود الأداء عنهم ، وقابلنا على موعود القبول ، أو يزيدنا تمهيص الله إِيَّانَا في اخلاف السر والعلانية ، ويُحَلِّينَا حِلْيَةَ

[١] في الأصل « الحسب » وأرى أنها محرفة عن « الحث » وهو اللب العظيم والإثم .

الكذابين ، فقد كَانَ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون : « من حَبَّبَ الله عنه العلم ، عَذَّبَهُ على الجهل ، وأشد منه عذاباً مَنْ أَقْبَلَ إليه العلم وأدْبَرَ عنه ، ومن أَهْدَى الله إليه علماً فلم يَعْمَلْ به ، فقد رَغِبَ عن هدية الله وقصَّرها ، فأَقْبَلَ ما أَهْدَى الله إليك من ألسنتنا ، قبولَ تحقيق وعمل ، لا قبولَ مُتَمَعَةٍ ورياء ، فإنه لا يَعْدَمُك منا إعلامٌ لِمَا تَجْهَلُ ، أو مُوَاطَاةٌ على ما تَعْلَمُ ، أو تذكير لك من غفلةٍ ، فقد وَطَّنَ الله عزَّ وجلَّ نبيه عليه الصلاة والسلام على نزولها ، تعزيةً عما فات ، وتخصيباً من التماذى ، ودلالة على المخرج ، فقال : « وَإِذَا مَا يَنْزَعُكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزَعٌ فَأَسْتَعِذْ بِاللَّهِ ، إِنَّهُ سَمِيعٌ عَالِمٌ » فَأُطْلِعَ الله على قلبك ، بما ينور الله به القلوبَ ، من إيتار الحق ، ومناجزة الأهواء فإنك إن لم تفعل ذلك ، يُرْثِثُكَ وَأَثَرُ الله عليك فيه ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ .

(القند العريد ١ : ٣٠٣ ، وعيون الأحرار ٢ : ص ٣٣٣ ، والبيان والبيان ٢ : ١٨١)

٧٢ — عظة شبيب بن شيبه للمهدى

وَقَالَ شَبِيبُ بْنُ شَيْبَةَ ^(١) للمهدى : « يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنْ أَلَّفَ اللَّهُ إِذْ قَسَمَ الْأَقْسَامَ فِي الدُّنْيَا ، جَعَلَ لَكَ أَسْنَاهَا وَأَعْلَاهَا ، فَلَا تَرْضَ لِنَفْسِكَ مِنَ الْآخِرَةِ ، إِلَّا مِثْلَ مَا رَضِيَ لَكَ مِنَ الدُّنْيَا ، فَأَوْصِيكَ بِتَقْوَى اللَّهِ ، فَعَلَيْكُمْ تَزَلَّتْ ، وَمِنْكُمْ أَخَذَتْ ، وَإِلَيْكُمْ تُرَدُّ » . (القند العريد ١ : ٣٠٧)

٧٣ — خطبته في تعزية المهدي بابنته

لَمَّا مَاتَتِ الْبَانُوقة بنت المهدي ، جَزِعَ عليها جزعاً لم يُسْمَعْ بمنله ، فجلس للناس يعزونه ، وأمر ألا يُحْجَبَ عنه أحد ، فأكثر الناس في التعازي ،

[١] هو شبيب بن شيبه بن عبد الله بن عمرو بن الأهمم القرشي التميمي وهو ابن عم خالد بن صفوان .

وَأَجْتَهِدُوا فِي الْبَلَاغَةِ ، وَفِي النَّاسِ مَنْ يَنْتَقِدُ هَذَا عَلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْأَدَبِ ، فَاجْمَعُوا عَلَى أَنَّهُمْ لَمْ يَسْمَعُوا تَعْزِيَةً أَوْجَزَ ، وَلَا أَبْلَغَ ، مِنْ تَعْزِيَةِ شَيْبِ بْنِ شَيْبَةَ ، فَإِنَّهُ قَالَ :

« أَعْطَاكَ اللَّهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا رُزِّتَ أَجْرًا ، وَأَعَقَبَكَ صَبْرًا ، وَلَا أَجْهَدَ اللَّهُ بِلَاءَكَ بِنِقْمَةٍ ، وَلَا تَزِعُ مِنْكَ نِعْمَةً ، ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرُكَ مِنْهَا ، وَرَحْمَةُ اللَّهِ خَيْرُهَا مِنْكَ ، وَأَحَقُّ مَا صُبِرَ عَلَيْهِ مَا لَسَبِيلَ إِلَى رَدِّهِ ^(١) » .

(تاريخ الطبري ١٠ : ٢١)

٧٤ — خطبة أخرى له في مدح الخليفة

قيل لبعض الخلفاء إن شيب بن شيبَةَ يستعمل الكلام ويستعدُّ له ، فلو أمرته أن يصعد المنبر فجأة لرجوت أن يفتضح ، فأمر رسولاً فأخذ يده إلى المسجد فلم يفارقه حتى صعد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم حق الصلاة عليه ، ثم قال :

« أَلَا إِنَّ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَسْبَاهًا أَرْبَعَةً : الْأَسَدَ الْخَادِرَ ^(٢) ، وَالْبَحْرَ الزَّاخِرَ ، وَالْقَمَرَ الْبَاهِرَ ، وَالرِّيحَ النَّاضِرَ ؛ فَأَمَّا الْأَسَدُ الْخَادِرُ : فَأَشْبَهَ مِنْهُ صَوْلَتَهُ وَمَضَاهُ ؛ وَأَمَّا الْبَحْرُ الزَّاخِرُ : فَأَشْبَهَ مِنْهُ جُودَهُ وَعِطَاءَهُ ؛ وَأَمَّا الْقَمَرُ الْبَاهِرُ : فَأَشْبَهَ مِنْهُ نُورَهُ وَضِيَاءَهُ ؛ وَأَمَّا الرِّيحُ النَّاضِرُ : فَأَشْبَهَ مِنْهُ مَحْسَنَهُ وَبَهَاءَهُ ، ثُمَّ نَزَلَ وَأَنْشَأَ يَقُولُ :
وَمَوْجِيٍّ مِثْلَ حَدِّ السَّيْفِ قَتُّ بِهِ أَتَّحِي اللَّذَّامَ وَتَرْمِينِي بِهِ الْحَدَقُ ^(٣)
فَمَا زَلِقْتُ ، وَمَا أَلْقَيْتُ كَاذِبَةً إِذَا الرِّجَالُ عَلَى أَمْثَالِهِ زَلِقُوا

(القد الفريد ٢ : ١٥٨ ، ١ : ١٢٨ ، دهر الآداب ٣ : ٢٠٩)

[١] روى صاحب القدر أن شيباً جرى بهذا القول المنصور على أخيه أبي العباس (القد الفريد ٢ : ٣٥).

[٢] الخدر : أمة الأسد ومنه يقال أسد حدر ، وأحدر الأسد لم الأمة . وأحدر العرين الأسد :

ستره فهو محدر بكسر الهمزة وفتحها . [٣] الذمار : ما تحب حمايته .

٧٥ — كلمات لشبيب بن شيبه

وقال شبيب : « اطلب الأدب ، فإنه دليل على المروءة ، وزيادة في العقل ، وصاحب في القرية ، وصلة في المجلس » .

وقال للمهدي يوماً : « أراك الله في بنيك ، ما أرى أباك فيك ، وأرى الله بنيك فيك ، ما أراك في أيك » . (البيان والبيان ١ : ١٩٠)

وخرج من دار الخلافة يوماً ، فقال له قاتل : كيف رأيت الناس ؟ قال : « رأيت الداخل راجياً ، والخارج راضياً » .

(البيان والبيان ١ : ١٩٠ ، وزهر الآداب ٣ : ١٢٩)

٧٦ — خطبة يوسف بن القاسم بن صبيح الكاتب

يوم ولي الرشيد الخلافة

روى الطبري قال : لما كانت الليلة التي توفي فيها موسى الهادي ، أخرج هرثمة بن أعين هرون الرشيد ليلاً ، فأعمده للخلافة ، فدعا هرون يحيى بن خالد ابن برمك - وكان محبوباً - وقد كان عزم موسى على قتله ، وقتل هرون الرشيد في تلك الليلة ^(١) ، فحضر يحيى ، وتقلد الوزارة ، ووجه إلى يوسف بن القاسم بن صبيح الكاتب ، فأحضره وأمره بإنشاء الكتب ، فلما كان غداً تلك الليلة وحضر القواد ، قام يوسف بن القاسم ، فحمد الله ، وأثنى عليه ، وصلى على محمد صلى الله عليه وسلم ، ثم قال :

« إن الله بئنه ولطفه ، من عليكم معاشر أهل بيت نبيه ، بيت الخلافة ،

[١] وكان الهادي يريد أن يجعل الخلافة في ابنه جعفر ، ويطلع أخاه هرون - وسعى إلى الهادي يحيى ابن خالد ، وقيل له إنه ليس عليك من هرون خلاف ، وإنما يقبضه يحيى بن خالد ، فأعصم ذلك موسى الهادي على يحيى وأمر بحمسه .

وَمَعْدِنِ الرِّسَالَةِ ، وَإِيَّاكُمْ أَهْلَ الطَّاعَةِ مِنْ أَنْصَارِ الدَّوْلَةِ وَأَعْوَانِ الدَّعْوَةِ ، مِنْ نِعْمَةٍ
الَّتِي لَا تَحْصَى بِالْعَدَدِ ، وَلَا تَنْقُضِي مَدَى الْأَبَدِ ، وَأَيَادِيهِ الثَّمَامَةِ ، أَنْ جَمَعَ الْفَتْحُ ،
وَأَعْلَى أَمْرِكُمْ ، وَشَدَّ عَضْدُكُمْ ، وَأَوْهَنَ عَدُوَّكُمْ ، وَأَظْهَرَ كَلِمَةَ الْحَقِّ ، وَكُتِمَ أَوَّلَى
بِهَا وَأَهْلُهَا ، فَأَعَزَّكُمْ اللَّهُ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ، فَكُتِمَ أَنْصَارُ دِينِ اللَّهِ الْمُرْتَضَى ،
وَالَّذَابِتَيْنِ بِسَيْفِهِ الْمُرْتَضَى ، عَنْ أَهْلِ بَيْتِ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَبِكُمْ اسْتَنْقَذَهُمْ
مِنْ أَيْدِي الظُّلْمَةِ أُمَّةِ الْجَوْرِ ، وَالنَّاقِضِينَ عَهْدَ اللَّهِ ، وَالسَّافِكِينَ الدَّمَ الْحَرَامَ ،
وَالْأَكْلِينَ النَّيِّءَ وَالْمُسْتَأَثِّرِينَ بِهِ ، فَاذْكُرُوا مَا أَعْطَاكُمْ اللَّهُ مِنْ هَذِهِ النِّعْمَةِ ،
وَاحْذَرُوا أَنْ تَغَيِّرُوا فَيُغَيِّرَ بِكُمْ ، وَإِنْ اللَّهُ جَلَّ وَعَزَّ اسْتَأَثَّرَ بِمُخْلِفَتِهِ مُوسَى الْهَادِي
الْإِمَامَ ، فَقَبْضُهُ إِلَيْهِ ، وَوَلِيٌّ بَعْدَهُ رَشِيدًا مَرْضِيًّا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِكُمْ رِءُوفًا رَحِيمًا ،
مِنْ مُحْسِنِكُمْ قَبُولًا ، وَعَلَى مَسِيئَتِكُمْ بِالْعَفْوِ عَطُوفًا ، وَهُوَ أَمْتَعُ اللَّهِ بِالنِّعْمَةِ ، وَحَفِظَ
لَهُ مَا اسْتَرْعَاهُ إِيَّاهُ مِنْ أَمْرِ الْأُمَّةِ ، وَتَوَلَّاهُ بِمَا تَوَلَّى بِهِ أَوْلِيَاءَهُ وَأَهْلَ طَاعَتِهِ ،
يَعِدُّكُمْ مِنْ نَفْسِهِ الرَّأْفَةَ بِكُمْ ، وَالرَّحْمَةَ لَكُمْ ، وَقَدَّمَ أُعْطِيَاتِكُمْ فِيمَنْ عِنْدَ اسْتِحْقَاقِكُمْ ،
وَيَبْذُلُ لَكُمْ مِنَ الْجَائِزَةِ ، مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى الْخُلَفَاءِ ، مِمَّا فِي يَوْتِ الْمَالِ مَا يَنْوِبُ عَنْ
رِزْقِ كَذَا وَكَذَا شَهْرًا ، غَيْرَ مُقَاضٍ لَكُمْ بِدَلَالِكُمْ فِيمَا تَسْتَقْبِلُونَ مِنْ أُعْطِيَاتِكُمْ ،
وَحَامِلًا بَاقِيَ ذَلِكَ لِلدَّفْعِ عَنْ حَرِيمِكُمْ ، وَمَا لَعَلَّهُ أَنْ يَخْدُتْ فِي النَّوَاحِي وَالْأَقْطَارِ
مِنَ الْعُصَاةِ الْمَارِقِينَ ، إِلَى يَوْتِ الْأَمْوَالِ ، حَتَّى تَعُودَ الْأَمْوَالُ إِلَى جِهَاتِهَا ^(١)
وَكَثَرَتِهَا ، وَالْحَالُ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهَا ، فَاحْمَدُوا اللَّهَ وَجَدَّدُوا شُكْرًا يُوجِبُ لَكُمْ
الْمَزِيدَ مِنْ إِحْسَانِهِ إِلَيْكُمْ ، بِمَا جَدَّدَ لَكُمْ مِنْ رَأْيِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَتَقَضَّلَ بِهِ
عَلَيْكُمْ ، أَيَّدَهُ اللَّهُ بِطَاعَتِهِ ، وَارْغَبُوا إِلَى اللَّهِ لَهُ فِي الْبَقَاءِ ، وَلَكُمْ بِهِ فِي إِدَامَةِ النَّعْمَاءِ ،

لعلكم ترحمون ، وأعطوا صَفْقَةً أيمانكم ، وقوموا إلى بيعتكم ، حاطكم الله وحاط
عليكم ، وأصلح بكم وعلى أيديكم ، وقولاكم ولاية عباده الصالحين .

(تاريخ الطبري ١٠ : ٤٨)

٧٧ — خطبة هرون الرشيد (توفي سنة ١٩٣ هـ)

« الحمد لله نحمده على نعمه ، ونستعينه على طاعته ، ونستنصره على أعدائه ،
ونؤمن به حقاً ، وتوكل عليه ، مفوضين إليه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده
لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، بعنه على قرة من الرسل ،
ودروس^(١) من العلم ، وإدبار من الدنيا ، وإقبال من الآخرة ، بشيراً بالنعيم
المقيم ، ونذيراً بين يدي عذاب أليم ، فبلغ الرسالة ، ونصح الأمة ، وجاهد في الله ،
فأدى عن الله وعده ووعيده ، حتى أتاه اليقين ، فعلى النبي من الله صلاة
ورحمة وسلام .

أوصيكم عباد الله بتقوى الله ، فإن في التقوى تكفير السيئات ، وتضعيف
الحسنات ، وفوزاً بالجنة ، ونجاةً من النار ، وأحذركم يوماً تشخص^(٢) فيه
الأبصار ، وتعلن فيه الأسرار ، يوم البعث ، ويوم التغابن^(٣) ، ويوم التلاق ،
ويوم التناد ، يوم لا يستعذب من سبئة ، ولا يزاد من حسنة ، يوم الآزفة^(٤) ،
إذ القلوب لدى الحناجر كاطمين ، ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع ،
يعلم خائنة الأعين^(٥) وما تخفي الصدور ، وأنقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله
ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون .

[١] دروس : انحاء . [٢] شخص صره كع : فتح عينه ، وحل لا يطرف .

[٣] يوم القيامة ، ومعنى بذلك لأن أهل الجنة تنس به أهل النار بأحد مبارهم في الجنة لو آمنوا .

[٤] القيامة ، من أرف كعرج : دما وقرب . [٥] عمارتها الطار إلى الحرم .

عباد الله : إنكم لم تُخلَقُوا عبثاً ، ولن تُتركوا مدي ، حصنوا إيمانكم بالأمانة ،
 ودينكم بالورع ، وصلاتكم بالزكاة ، فقد جاء في الخبر أن النبي صلى الله عليه وسلم
 قال : « لا إيمان لمن لا أمانة له ، ولا دين لمن لا عهد له ، ولا صلاة لمن لا
 زكاة له » . إنكم سَفَرٌ^(١) مجتازون ، وأنتم عن قريب تنتقلون من دار فناء إلى دار
 بقاء ، فسارعوا إلى المغفرة بالتوبة ، وإلى الرحمة بالتقوى ، وإلى الهدى بالأمانة ،
 فإن الله تعالى ذكره أوجب رحمته للمتقين ، ومغفرته للتائبين ، وهداه للمُنيبين .
 قال الله عز وجل وقوله الحق : « وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ، فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ
 يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ » ، وقال : « وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا
 ثُمَّ اهْتَدَى » وإياكم والأمانى ، فقد غرَّت وأرذت^(٢) ، وأوبقت كثيراً ، حتى
 أكذبتهم منايهم ، فتناوشوا^(٣) التوبة من مكان بعيد ، وحيلَ بينهم وبين ما
 يَشْتَهُونَ ، فأخبركم ربكم عن المثلثات فيهم ، وصرف الآيات ، وصرب الأمثال ،
 فرعب بالوعد ، وقدم إليكم الوعيد ، وقد رأيتم وقائعهم بالقرون الخوالي جيلاً فجيلاً ،
 وعهدتم الآباء والأبناء والأحبة والعشائر ، باختطاف الموت إياهم من بيوتكم ، ومن
 بين أظهركم ، لا تدفعون عنهم ، ولا تحولون دونهم ، فزالت عنهم الدنيا ،
 وانقطعت بهم الأسباب ، فأسلمتهم إلى أعمالهم عند المواقف والحساب والعقاب ،
 « لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا ، وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى » ، إن أحسن
 الحديث وأبلغ الموعظة كتاب الله ؛ يقول الله عز وجل « وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ
 فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ » أعوذ بالله من الشيطان الرجيم إنه

[١] جماعة السامري . [٢] أهلك وكذا أوبقت . [٣] تناولوا .

هو السميع العليم ، بسم الله الرحمن الرحيم ، قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ . اللَّهُ الصَّمَدُ . لَمْ يَلِدْ . وَلَمْ يُولَدْ . وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ . آمُرُكُمْ بِمَا أُمِرَكمُ اللَّهُ بِهِ ، وَأَنْهَاكُمْ عَنْهَا كَمَا عَنَّهُ ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ . (القدر العريد ٢ : ١٤٢)

٧٨ — وصية الرشيد لمؤدب ولده الأمين

ووصى الرشيد مؤدب ولده الأمين ، فقال :
« يَا أَحْمَرُ^(٢) ، إِنْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ دَفَعَ إِلَيْكَ مُهْجَةً نَفْسَهُ ، وَثَمَرَةَ قَلْبِهِ ، فَصَبِّرْ يَدَكَ عَلَيْهِ مَبْسُوطَةً ، وَطَاعَتَهُ لَكَ وَاجِبَةً ، فَكُنْ لَهُ بِحَيْثُ وَضَعَكَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَقْرَبَهُ الْقُرْآنَ ، وَعَرَفَهُ الْأَخْبَارَ ، وَرَوَّاهُ الْأَشْعَارَ ، وَعَلَّمَهُ السَّنَنَ ، وَبَصَّرَهُ بِمَوَاقِعِ الْكَلَامِ وَبَدَائِهِ ، وَامْنَعَهُ مِنَ الضَّحِكِ إِلَّا فِي أَوْقَاتِهِ ، وَخُذْهُ بِتَعْظِيمِ مَشَائِخِ بَنِي هَاشِمٍ إِذَا دَخَلُوا عَلَيْهِ ، وَرَفَعْ مَجَالِسِ الْقَوَادِ إِذَا حَضَرُوا مَجْلِسَهُ ، وَلَا تَمَرَّنْ بِكَ سَاعَةً إِلَّا وَأَنْتَ مُغْتَنِمٌ فَائِدَةً تُفِيدُهُ إِيَّاهَا ، مِنْ غَيْرِ أَنْ تُحْزِنَهُ ، فَتُمِيتَ ذِهْنَهُ ، وَلَا تُتَمَعِّنَ فِي مَسَامِحَتِهِ ، فَتَسْتَحْلِيَ الْفِرَاقَ وَيَأْلَفَهُ ، وَفَوَئِدُهُ مَا اسْتَطَعْتَ بِالْقُرْبِ وَالْمَلَايِنَةِ ، فَإِنْ أَبَاهَا فَعَلَيْكَ بِالشَّدَةِ وَالْعِظَةِ » . (مقدمه ابن خلدون ص ٦٢٢)

٧٩ — خطبة لجعفر بن يحيى البرمكي (قتل سنة ١٨٧ هـ)

وهاجرت العصبية بالشَّامَ بين أهلها في عهد الرشيد (سنة ١٨٠ هـ) وتفاقم أمرها ، فاعتمَ لذلك الرشيد ، وعقد لجعفر بن يحيى على الشَّامَ ، وقال له : إِمَّا أَنْ تَخْرُجَ أَنْتَ أَوْ أَخْرِجَ أَنَا ، فَقَالَ لَهُ جَعْفَرٌ : بَلْ أَفِيكَ بِنَفْسِي ، فَشَخَّصَ فِي جِلَّةِ الْقَوَادِ وَالْكَرَاعِ وَالسَّلَاحِ ، فَأَتَاهُمْ فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ ، وَقَتَلَ زَوَائِلَهُمْ^(١) وَالتَّلَصُّصَةَ مِنْهُمْ ، وَلَمْ يَدْعُ بِهَا رِمْحًا وَلَا فَرْسًا ، فَعَادُوا إِلَى الْأَمْنِ وَالطَّمَأْنِينَةِ ، وَأَطْفَأَ تِلْكَ النَّارَ .

[١] هو علي بن الأراك الأحمر صاحب الكسائي ، وكان يؤدب الأمين ، وكان مشهوراً بالحو واساع الحفظ ، ومات سنة ٢٠٦ هـ ، أو سنة ٢٠٧ هـ . انظر ترجمته في «مرآة الأئمة في طبقات الأئمة» ص ١٢٥ .

[٢] الرواقيل : المصوب .

فلما قَدِمَ على الرشيد دخل عليه، فقبل يديه ورجليه، ثم مثل بين يديه، فقال :
 « الحمد لله يا أمير المؤمنين الذي آتَسَ وَحَشَتِي ، وَأَجَابَ دَعْوَتِي ، وَرَحِمَ
 تَضَرُّعِي ، وَأَنَسَأَ ^(١) فِي أَجَلِي ، حَتَّى أَرَانِي وَجْهَ سَيِّدِي ، وَأَكْرِمَنِي بِقُرْبِهِ ، وَأَمْتَنَ
 عَلَيَّ بِتَقْيِيلِ يَدِهِ ، وَرَدَّنِي إِلَى خِدْمَتِهِ ، فَوَاللَّهِ إِنْ كُنْتُ لَأَذْكُرُ غَيْبَتِي عَنْهُ ،
 وَمَخْرَجِي وَالْمَقَادِيرَ الَّتِي أَزْعَجَتْنِي ، فَأَعْلَمُ أَنَّهَا كَانَتْ بِمَعَاصِي لِحَقَّتِي ، وَخَطَايَا أَحَاطَتْ
 بِي ، وَلَوْ طَالَ مُقَامِي عَنْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ - جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ - لَخِفْتُ أَنْ يَنْهَبَ
 عَقْلِي ، إِشْفَاقًا عَلَى قُرْبِكَ ، وَأَسَفًا عَلَى فِرَاقِكَ ، وَأَنْ يَعْجَلَ بِي عَنْ إِذْنِكَ
 الْإِشْتِيَاقُ إِلَى رَوْيَتِكَ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَصَمَنِي فِي حَالِ الْغَيْبَةِ ، وَأَمْتَنَنِي بِالْعَافِيَةِ ،
 وَعَرَّفَنِي الْإِجَابَةَ ، وَمَسَّكَنِي بِالطَّاعَةِ ، وَحَالَ بَيْنِي وَبَيْنَ اسْتِعْمَالِ الْمَعْصِيَةِ ، فَلَمْ
 أَشْخَصْ إِلَّا عَنْ رَأْيِكَ ، وَلَمْ أَقْدَمْ إِلَّا عَنْ إِذْنِكَ وَأَمْرِكَ ، وَلَمْ يَخْتَرِمْنِي أَجَلٌ
 دُونَكَ ، وَاللَّهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ - فَلَا أَعْظَمَ مِنَ الْيَمِينِ بِاللَّهِ - لَقَدْ عَايَنْتُ مَا لَوْ
 تُعْرَضُ لِي الدُّنْيَا كُلُّهَا ، لَاخْتَرْتُ عَلَيْهَا قُرْبَكَ ، وَلَمَّا رَأَيْتَهَا عِوَصًا مِنَ
 الْمَقَامِ مَعَكَ . »

ثم قال له بعقب هذا الكلام في هذا المقام :

« إِنْ اللَّهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَمْ يَزَلْ يُبَلِّغُكَ ^(٢) فِي خِلَافَتِكَ ، بِقَدْرِ مَا يَعْلَمُ مِنْ
 نِيَّتِكَ ، وَيُزِيْرِكَ فِي رِعْيَتِكَ ، غَايَةً أُمْنِيَّتِكَ ، فَيُصْلِحَ لَكَ جَمَاعَتَهُمْ ، وَيَجْمَعَ
 أَلْفَتَهُمْ ، وَيَلْمُ شَعَنَهُمْ ، حِفْظًا لَكَ فِيهِمْ ، وَرَحْمَةً لَهُمْ ، وَإِنَّمَا هَذَا لِلتَّمَسُّكِ
 بِطَاعَتِكَ ، وَالِاعْتَصَامِ بِحُجْلِ مَرْضَاتِكَ ، وَاللَّهُ الْمَحْمُودُ عَلَى ذَلِكَ وَهُوَ مُسْتَحِقُّهُ ،
 وَفَارَقْتُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَهْلَ كَوْرِ الشَّامِ وَهُمْ مُتَقَادُونَ لِأَمْرِكَ ، نَادِمُونَ عَلَى

ما فرط من معصيتهم لك ، متمسكون بحبلك ، نازلون على حُكْمِكَ ، طالبون لعفوك ، واثقون بحلمك ، مؤملون فضلك ، آمِنون بادرَّتكَ ، حالهم في ائْتالِهم كحالهم كانت في اختلافهم ، وحالهم في ألفتهم كحالهم كانت في امتناعهم ، وعفو أمير المؤمنين عنهم ، وتعمُّده ^(١) لهم ، سابقٌ لمعذرتهم ، وصلةُ أمير المؤمنين لهم ، وعطفه عليهم ، متقدِّمٌ عنده لمساألتهم ، وإيم الله يا أمير المؤمنين لئن كُنْتُ قد شَخَّصْتُ عنهم ، وقد أخذ الله شرارهم ، وأطفأ نارهم ، ونفَى مُرَّاقهم ^(٢) ، وَأَصْلَحَ دَهْمَاءَهُمْ ^(٣) ، وأولاني الجميلَ فيهم ، ورزقني الانتصارَ منهم ، فما ذلك كله : إلا يركنك ويُنْكِرُ ويريحك ^(٤) ، ودوام دَوْلَتِكَ السعيدة الميمونة الدائمة ، وتخوفهم منك ، ورجائهم لك ، والله يا أمير المؤمنين ما تقدمت إليهم إلا بوصيتك ، وما عاملتهم إلا بأمرِك ، ولا سِرْتُ فيهم إلا على حَدٍّ ما مثَّلته لي ورَمَمْتَهُ ، ووفَّقْتَنِي عليه ، والله ما اتقادوا إلا لِذِغْوَتِكَ ، وَتَوَحَّدَ ^(٥) الله بالصنع لك ، وتخوفهم من سَطْوَتِكَ ، وما كَانَ الذي كَانَ مِنِّي ، وإن كُنْتُ قد بذلتُ جهدي ، وَبَلَغْتُ مجهودي ، قاضيا بعضَ حَقِّكَ عليَّ ، بل ما ازدادت نعمتُكَ عليَّ عِظَمًا ، إلا ازدادتُ عن شكرِكَ عَجْزًا وضعفًا ، وما خَلَقَ اللهُ أَحَدًا من رعيَّتِكَ ، أبعدَ من أن يُطْمِعَ نفسه في قضاء حَقِّكَ مِنِّي ، وما ذلك إلا أن أكونَ باذلاً مُهْجَتِي في طاعتِكَ ، وكلُّ ما يقرب إلى موافقتِكَ ، ولكني أعْرِفُ من أياديك عندي ما لَا أعْرِفُ مثلها عند غيري ، فكيف بشكري ! وقد أصبحتُ واحدَ أهلِ دهرِي ، فيما صنَعته فيَّ وبني ؟ أم كيف بشكري ! وإنما أقْوَى على شكرِكَ يا كرامَكَ

[١] عبده الله برحمته : عمره ٢٠ . [٢] جمع ملوك : وهو الخارج المائد .

[٣] الدهماء : جماعة الناس . [٤] قوتك .

[٥] تَوَحَّدَ اللهُ تعالى نصيبته : عصمه ولم يَكَلْه إل غيرَه .

إياي ؟ ، وكيف بشكري ! ولو جعل الله شكري في إحصاء ما أوليتني ، لم يأتِ على ذلك عدِّي ؟ وكيف بشكري ! وأنت كهفي دون كل كهف لي ؟ وكيف بشكري ! وأنت لا ترضي لي ما أَرْضاه لي ؟ وكيف بشكري ! وأنت تجدد من نعمتك عندي ما يستغرق كل ما سلف عندك لي ؟ أم كيف بشكري ! وأنت تُسبِّني ما تقدم من إحسانك إلي ، بما تُجدِّده لي ؟ أم كيف بشكري ! وأنت تقدمني بطولك على جميع أكفائي ؟ أم كيف بشكري ! وأنت وليي ؟ أم كيف بشكري ! وأنت المكرم لي ؟ وأنا أسأل الله الذي رزقني ذلك منك من غير استحقاقٍ له - إذ كان الشكر مقصراً عن بلوغ تأدية بعضه ، بل دون شِقْصٍ^(١) من عُشر عَشِيرِهِ - أن يتولَّى مكافأتك عني ، بما هو أوسع له وأقدر عليه ، وأن يَقْضِي عَنِّي حَقَّكَ ، وجيلَ مِنتِكَ ، فإن ذلك بيده ، وهو القادر عليه .

(تاريخ الطبري ١٠ : ٦٦)

٨٠ - استعطاف أم جعفر بن يحيى للرشد

روى صاحب العقد قال :

« كَانَتْ أُمُّ جَعْفَرِ بْنِ يَحْيَى^(٢) - وَهِيَ فَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ قَحْطَبَةَ - أَرْضَعَتْ الرَّشِيدَ مَعَ جَعْفَرٍ ، لِأَنَّهُ كَانَ رُبِّي فِي حِجْرِهَا ، وَغُذِّي بِرِسْلِهَا^(٣) ، لِأَنَّ أُمَّهُ مَاتَتْ عَنْ مَهْدِهِ ، فَكَانَ الرَّشِيدُ يَشَاوِرُهَا مُظْهِراً لِإِكْرَامِهَا ، وَالتَّبَرُّكِ بِرَأْيِهَا ، وَكَانَ آتِي وَهُوَ فِي كَفَالَتِهَا أَنْ لَا يَحْجُبَهَا ، وَلَا اسْتَشْفَعَتْ لِأَحَدٍ إِلَّا

[١] الشقص : السهم والنصيب ، والعنبر : جزء من عشرة كالمشار والعشر .

[٢] كَانَ الرَّامِكَةُ قَدْ اسْتَأْثَرُوا شُتُونَ الدَّوْلَةِ وَأَمْوَالَهَا ، وَعَلَوْا الرَّشِيدَ عَلَى سُلْطَانِهِ ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ مَعَهُمْ تَصَرُّفٌ فِي مَلِكَةٍ ، وَلَمْ يَبْقَ لَهُ مِنَ الْخِلَافَةِ إِلَّا رَسْمُهَا وَصُورَتُهَا - وَحَدِيثُهُمْ فِي ذَلِكَ طَوِيلٌ ، لَيْسَ هَاهُنَا مَوْصُوعُهُ - فَعَرِمَ عَلَى مَكْتَبِهِمْ ، حَتَّى انْتَهَرَ فُرْصَةَ رَحْوَعِهِ مَعَهُمْ فِي الْحَجِّ سَنَةِ ١٨٧ ، فَقَتَلَ حَصْرًا لِيَلَا فِي طَرِيقِهِ ، وَقَصَّ عَلَى يَحْيَى وَابْنِهِ الْعَمَلِ وَهَيْةَ الرَّامِكَةِ ، وَحَدَّثَهُمْ فِي سَحْنِ الرَّمَادِقَةِ إِلَى أَنْ مَاتُوا فِيهِ .

[٣] الرسل : اللين .

شفعها ، وآلت عليه أم جعفر أن لا دخلت عليه إلا مأذونا لها ، ولا شفعت لأحدٍ مقترف ذنباً ، فكم أسير فككت ، ومُبتهم عنده فتحت ، ومستغلق منه فرجت ، واحتجب الرشيد بعد قدومه ^(١) ، فطلبت الإذن عليه من دار الباقونة ، ومشت ^(٢) بوسائلها إليه ، فلم يأذن لها ، ولا أمر بشيء فيها ، فلما طال ذلك بها خرجت كاشفة وجهها ، واضعة لثامها ، محتفية ^(٣) في مشيها ، حتى صارت ياب قصر الرشيد ، فدخل عبد الملك بن الفضل الحاجب ، فقال : طُر ^(٤) أمير المؤمنين بالباب ، في حالة تقلب شماتة الحاسد ، إلى شفقة أم الواحد . فقال الرشيد : ويحك يا عبد الملك ! أو ساعية ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين حافية . قال : أدخلها يا عبد الملك ، فرب كبد غدتها ، وكُرْبَه فرجتها ، وعَوْرَة سترتها ، فدخلت فلما نظر الرشيد إليها داخلة محتفية ، قام محتفياً حتى تلقاها بين عمدة المجلس ، وأكب على تقيل رأسها ، ومواضع تذييها ، ثم أجلسها معه ، فقالت : يا أمير المؤمنين ، أيعذو علينا الزمان ، ويحفونا خوفاً لك الأعوان ، ويخرذك ^(٥) بنا البهتان ، وقد ريتك في حجرى ، وأخذت برصاعك الأمان من عدوى ودهرى ؟ فقال لها : وما ذلك يا أم الرشيد ، قالت : طُرْك يحيى ، وأبوك بعد أليك ، ولا أصفه بأكثر مما عرفه به أمير المؤمنين ، من نصيحته ، وإشفاقه عليه ، وتعرضه للخصف في شأن موسى أخيه ^(٦) ، قال لها : يا أم الرشيد ، أمر

[١] أى من الحج [٢] توسلت . [٣] احتق : مشى حلياً .

[٤] الطُر : العاطفة على ولد غيرها ، للرمعة له ، و اللباس وعيرهم ، لذكر ولأثني .

[٥] يصصك . [٦] فلما أن الهادى كان قد اعترم حلج أخيه الرشيد من ولاية العهد ، واستخلاف ابنه جعفر ، وقد سعى إلى الهادى يحيى بن خالد ، وأنه يصد عليه أمه الرشيد ، خسه وتم قتله ، ويروى أنه قال للهادى في حلج الرشيد لما كلفه به : « يا أمير المؤمنين ، إلك إن حلت اللباس على نكت الأيمان ، مات عليهم أعتهم ، وإن تركهم على يعة أحيك ، ثم مايت لجعفر من بعده كان

سَبَقَ ، وقضاء حُمٍّ ^(١) ، وغضب من الله فَقَدْ ، قالت : يا أمير المؤمنين « يَمَحُورُ
اللهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ^(٢) » قال : صدقتِ فهذا مما لم يَمَحُورْ
اللهُ ، فقالت : العيب محبوب عن النبيين ، فكيف عنك يا أمير المؤمنين ؟
فأطرق الرشيد ملياً ، ثم قال :

وَإِذَا النِّيَّةُ أَنْشَبَتْ أَظْفَارَهَا أَفِيَتْ كُلَّ تَمِيمَةٍ لَا تَنْفَعُ ^(٣)

فقالت بغير روية : ما أنا ليحيي بتسمية يا أمير المؤمنين ، وقد قال الأول ^(٤) :

وَإِذَا افْتَقَرْتَ إِلَى الذُّخَارِ لَمْ تَجِدْ دُخْرًا يَكُونُ كَصَالِحِ الْأَعْمَالِ

هذا بعد قول الله عز وجل : « وَالْكََاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ
يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ » . فأطرق هرون ملياً ، ثم قال : يا أم الرشيد أقول :

إِذَا انْصَرَفَتْ نَفْسِي عَنِ الشَّيْءِ لَمْ تَكْذُ إِلَيْهِ بَوَجْهِهِ آخِرَ الدَّهْرِ تُقْبِلُ

فقالت يا أمير المؤمنين وأقول :

سَتَقْطَعُ فِي الدُّنْيَا إِذَا مَا قَطَعْتَنِي عَيْنُكَ فَانْظُرْ أَيُّ كَفٍّ تَبَدَّلُ ^(٥)

ذلك أوكد لبعته « قال : صدقت وصحت ، ولي في هذا تدير ، ولما أمر بحسه رفع إليه يحيى رقة .
إن عدى صبيحة ، مدحاه ، قال : يا أمير المؤمنين ، أظنى ، فأحلاه ، قال : « يا أمير المؤمنين ، أرايت
إن كان الأمر — أسأل الله ألا مله ، وأن يقدما قله — أنظن أن الناس يسلمون للملافة لحمر ، وهو لم
يبلغ الحلم ، ويرضون به لصلاتهم وحسبهم وعروم ؟ قال : والله ما أظن ذلك ، قال : يا أمير المؤمنين ،
أنتأمن أن يسموا إليها أهلك ، وجلبهم مثل ملان وملان ، ويطلع فيها غيرهم ، فتخرج من ولد أبيك ؟ قال
له : يهني يا يحيى « وقال له : لو أن هذا الأمر لم يقدر لأجيك ؟ أما كان يسمى أن تقفه له ؟ فكيف بأن
تخله عنه ، وقد عده للهدى له ؟ ولكن أرى أن تتر هذا الأمر يا أمير المؤمنين على حله ، فإذا بلغ حصر
ويلع الله به ، أتيت بالرتيد خلع منه ، وكان أول من يابسه ويصطيه صفة يده ، قيل فقل المأدى قوله
ورأيه وأمره بالطلاق . [١] حم : قدر . [٢] أم الكتاب : أصله ، أو اللوح المحفوظ .

[٣] التمام مع تميمه . وهي العودة التي تعلق على الصبي دما لعين ، أو المرص والبيت لأنى تؤيب الهدى .

[٤] هو الأحنط . [٥] هذا البيت والذي قبله من قصيدة لمن بن أوس الرزي مطلعها :

لمرثك ما أدري ، ولاني لأوجل على أينا تعود للية أول ؟ .

قال هرون : رضيت ، قالت : فهب لي يا أمير المؤمنين ، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من ترك شيئاً لله ، لم يُؤجِدْهُ ^(١) الله لِفَقْدِهِ » فأكب هرون ملياً ، ثم رفع رأسه يقول : « لِّلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ » قالت يا أمير المؤمنين : « وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ » ، واذكر يا أمير المؤمنين أليتك ^(٢) ما استشفعت إلا شفعتي . قال : واذكري يا أم الرشيد أليتك أن لا شفعت لمقترف ذنباً ، فلما رآته صرّح بمنعها ، ولاذ ^(٣) عن مطلبها ، أخرجت حقاً من زمرّة ^(٤) خضراء ، فوضعت بين يديه ، فقال الرشيد : ما هذا ؟ ففتحت عنه قفلاً من ذهب ، فأخرجت منه خفضته ^(٥) وذوائبه وثناياه ، قد غمست جميع ذلك في المسك ، فقالت : يا أمير المؤمنين ، أستشفع إليك ، وأستعين بالله عليك ، وبما صار معي من كريم جسدك ، وطيب جوارحك ، ليحيي عبدك ، فأخذ هرون ذلك فليّمه ، ثم استعبر وبكى بكاء شديداً ، وبكى أهل المجلس ، ومرّ البشير إلى يحيى ، وهو لا يظن إلا أن البكاء رحمة له ، ورجوع عنه ، فلما أفاق رى جميع ذلك في الحق ، وقال لها : كَسَنٌ مَا حَفِظْتَ الْوَدِيعَةَ ، قالت : وأهل الكفاة أنت يا أمير المؤمنين ، فسكت وأقبل الحق ، ودفعه إليها ، وقال : « إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا » قالت : والله يقول : « وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ » ، ويقول : « وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ » ، ثم قال : وما ذلك يا أم الرشيد ؟ قالت : أو ما أقسمت لي به ألا تحجّبنى ولا تتمهتي ^(٦) ؟ قال : أحب يا أم الرشيد

[١] أى يحزه . [٢] الآية : العسم . [٣] أى لم يحبه . [٤] الرمرد والرمرد مالال والبال . [٥] حصص الحارية كصرب حصا ، وهو كالحنان للعلام ، وقيل : حصص الصبي حشيه ، فاستعمل في الرجل ، والأعراف أن الحصص للرأ والحنان للصبي ، يقال الحارية خفصت ، والعلام خن . [٦] امتنه : امتله .

أن نشتريه محكمةً فيه . قالت : أنصفت يا أمير المؤمنين ، وقد فعلتُ غيرَ مُستقيمةٍ لك ، ولا راجعةٍ عنك . قال : بكم ؟ قالت : برضاك عمن لم يُسَخِّطْكَ ، قال : يا أم الرشيد أما لي عليك من الحق مثل الذي لهم ؟ قالت : بلى يا أمير المؤمنين ، أنت أعزُّ عليّ ، وهم أحبُّ إليّ . قال : فتحكمتُ في تمنيةٍ بغيرهم ، قالت : بلى قد وهبْتُكَه ، وجعلتُكَ في حلٍّ منه ، وقامت عنه ، وبقي مَبْهُوتًا ما يُجِيرُ^(١) لفظةً .
(القند المرید ٣ : ٢٣)

٨١ - خطبة يزيد بن مزيد الشيباني

لما رضى الرشيد عن يزيد بن مزيد^(٢) أذن له بالدخول عليه ، فلما مَتَلَ بين يديه قال : « يا أمير المؤمنين ، الحمد لله الذي سَهَّلَ لي سبيلَ الكرامة بِلِقَائِكَ ، وردَّ عليَّ النعمةَ بوجه الرضا منك ، وكشف عني ضبابَ الكرب بإفضالك ، وجزاك الله يا أمير المؤمنين في حال سُخْطِكَ جزاءَ المحسنين المراقين ، وفي حال رضاك جزاءَ النعمين المتطولين ، فقد جعلك الله - وله الحمد - تَبَيَّنْتُ^(٣) تحرجاً عند الغضب ، وتَمَنَّتْ تَطَوُّلاً بالنعم ، وتَسَنَّقِي المعروف عند الصنائع^(٤) تفضلاً بالعفو .

(القند المرید ١ : ١٤١ ، وقاريج الطبری ١٠ : ١١٢ ودرر الآداب ٢ : ٢٨٧)

[١] يحجر . يرد . [٢] وذلك أن الوليد بن طريف الثاري خرج في عهد الرشيد بالجريرة ، واشتدت شوكتُه ، وكثر تنه سنة ١٧٩ ، فوجه إليه الرشيد يزيد بن مزيد الشيباني ، فخل بحالُه وبتأكُّرِه ، وكانت البرامكة مسخرة عن يزيد ، فأقروا به الرشيد ، وقالوا : إنما ينحني عنه لرحم (لأنه شيباني مثله) وإلا فشوكة الوليد بيرة وهو بواعده ، ويتطرم ما يكون من أمره ، فوجه إليه الرشيد كتاب منصب ، يقول فيه : « لو وُجِّهَت مَأْخِذُ الخدم لقام بأكثر مما تقوم به ولكلك مدام من منصب ، وأمير المؤمنين يقيم ماله لئلا تحترق ماحرة الوليد ، ليوجهن إليك من يحمل رأسك إلى أمير المؤمنين » ثم حل يزيد على الوليد فقتله وبنت رأسه إلى الرشيد ، فلما انصرف يزيد بالطهر ، حبس رأي البرامكة ، وأظهر الرشيد السخط عليه ، فقال : وحقَّ أمير المؤمنين لأصيعن وأشتون على فرسي أو أدحل ، فارتفع الحمر ملك فأذن له فدخل ، فلما رآه الرشيد صحك وسرَّ ، وأقبل يصيح مرحاً بالأعرابي ، حتى دخل وأجلس وأكرم وعرف بلاؤه وفاء صدره (راجع أخباره في الأعالي ١١ - ٨ ، وابن حنبل ٢ : ٢٨٣ ، والطبري ١٠ : ٦٥) .

[٣] وفي رواية الطبري « تيب » . [٤] وفي الطبري : « وتغفر عن السيء » .

٨٢ - خطبة عبد الملك بن صالح^(١) (توفي سنة ١٩٦ هـ)

أعوذ بالله السميع العليم ، من الشيطان الرجيم : « أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ
أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ؟ » يَٰ أَهْلَ الشَّامِ ، إِنْ اللَّهُ وَصَفَ إِخْوَانَكُمْ فِي الدِّينِ ،
وَأَمْبَاهَكُمْ فِي الْأَجْسَامِ ، فَحَذَرُكُمْ نَبِيُّهُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ : « وَإِذَا
رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ، وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهِمْ خَشَبٌ مُسْتَدَّةٌ ،
يَحْسَبُونَ كُلَّ صِيحَةٍ عَلَيْهِمْ ، هُمُ الْعَدُوُّ فَأَحْذَرُكُمْ ، قَاتِلَهُمُ اللَّهُ أَنْ يُوَفَّقُوا لَكُمُ الْفِتْنُ ،
فَقَاتِلْهُمْ اللَّهُ أَنْ يُضْرِقُوا ؟ جُثْتُ مَائِلَةً ، وَقُلُوبٌ طَائِرَةٌ ، تَشِبُّونَ^(٢) الْفِتْنَ ،
وَتَوْلُونَ الدُّبُرَ ، إِلَّا عَنْ حَرَمِ اللَّهِ ، فَإِنَّهُ دَرِيئَتُكُمْ^(٣) ، وَحَرَمَ رَسُولِهِ ، فَإِنَّهُ مَنَزَاكُمْ ،
أَمَّا وَحُرْمَةُ النُّبُوَّةِ وَالْخِلَافَةِ لَتَنْفِرُنَّ خِفَافًا وَثِقَالًا ، أَوْ لَا أُوسِعَنَّكُمْ إِرْفَاعًا وَنِكَالًا .

(القند المرید ٢ : ١٤٦)

٨٣ - عبد الملك بن صالح يعزى الرشيد ويهنته

ودخل عبد الملك بن صالح دار الرشيد ، فقال له الخلاجب : إِنْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
قَدْ أُصِيبَ اللَّيْلَةُ بِابْنٍ لَهُ ، وَوُلِدَ لَهُ آخَرُ ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ قَالَ : « سَرَّكَ اللَّهُ يَا أَمِيرَ
الْمُؤْمِنِينَ فِيمَا سَاءَكَ ، وَلَا سَاءَ لَكَ فِيمَا سَرَّكَ ، وَجَعَلَ هَذِهِ بِهَذِهِ ، مَنُوبَةٌ عَلَى
الصَّبْرِ ، وَجَزَاءٌ عَلَى الشُّكْرِ . » (القند المرید ٢ : ٣٥)

٨٤ - غضب الرشيد على عبد الملك بن صالح

وَنَصَّبَ^(٤) لَهُ ابْنَهُ « عَبْدُ الرَّحْمَنِ » وَكَأَبِيَّهُ « قَامَةَ » فَسَعِيَ بِهِ إِلَى الرَّشِيدِ ،
وَقَالَ لَهُ : إِنَّهُ يَطْلُبُ الْخِلَافَةَ ، وَيَطْمَعُ فِيهَا ، فَأَخَذَهُ وَجَبَسَهُ عِنْدَ الْفَضْلِ بْنِ الرَّيْعِ ،
وَذَكَرُوا أَنَّهُ أَدْخَلَ عَلَى الرَّشِيدِ حِينَ سَخِطَ عَلَيْهِ ، فَقَالَ لَهُ الرَّشِيدُ : أَكُفْرًا

[١] هو عبد الملك بن صالح بن علي بن عداقة بن عاصم ، ولي لارشيد بلاد الحريرة والشام وغيرها .

[٢] ترقصون . [٣] الدريئة : الحلقة سلم الطعن والرمي عاينها . [٤] عايناه .

بالنعمه ، وَخُصُوداً لِّجَلِيلِ الْمِنَّةِ وَالتَّكْرِمَةِ ؟ فقال : « يا أمير المؤمنين ، لقد بُوتُ^(١) إذن بالندم ، وتعرضتُ لاستحلال النِّقَمِ ، وما ذاك إلا بغيُّ حاسِدٍ ، نافَسَنِي فيكَ مودةَ القِرابَةِ ، وتقديمَ الولاية ، إنك يا أمير المؤمنين خليفةُ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم في أمته ، وأمينه على عِثَرَتِهِ ، لك عليها فرضُ الطَّاعةِ وأداءُ النصيحة ، ولها عليك العدلُ في حُكْمِها ، والتَّسَبُّتُ في حَادِثِها ، والتَّفَرُّانُ لذُنُوبِها » ، فقال له الرشيد : « أَتَضَعُ لِي من لسانك ، وترفعُ لِي من جَنَانِكَ ؟ هذا كَأَنَّكَ قِامةٌ ، يُخْبِرُ بِغَلَّتْ ، وفسادِ نيتك ، فاسْمَعْ كلامه » ، فقال عبد الملك : « أعطاك ما ليس في عَقْدِهِ^(٢) ، ولعله لا يقدر أن يَعْصِيَنِي^(٣) ولا يَنْهَيْتَنِي بما لم يَعْرِفْهُ مِنِّي » ، وَأُخْصِرَ قِامةً ، فقال له الرشيد : تكلم غيرَ هائبٍ ولا خائفٍ ، قال : « أقول إنه عازم على الغدر بك والخلاف عليك » ، فقال عبد الملك : أهو كذاك يا قِامة ؟ قال قِامة : نعم ، لقد أردتَ خَتْلَ^(٤) أمير المؤمنين ، فقال عبد الملك : « كيف لا يكذب عليَّ من خلفي ، وهو يَنْهَيْتَنِي في وجهي » ؟ فقال له الرشيد : « وهذا ابنك عبد الرحمن يخبرني بِعُتُوكَ ، وفسادِ نيتك ، ولو أردتُ أن أحتجَّ عليك بِحُجَّةٍ لم أجد أعدلَ من هذين لك ، فِيمَ تدفعهما عنك ؟ » ، فقال عبد الملك : « هو مأمور ، أو عاقٌّ مجبور ، فإن كَانَ مأموراً : فمَذور ، وإن كَانَ عاقّاً : ففاجر كفور ، أخبر الله عزَّ وجلَّ بعداوتَهُ ، وحذَّرَ مِنْهُ بقوله : « إِنَّ مِنْ أَرْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَأَحْذَرُوهُمْ » ، فهض الرشيد وهو يقول : « أَمَا أُنْزِكُ فَقَدْ وَضَحَ ، ولكني لا أُنْجَلُ حتى أعلم الذي يُرْضِي الله فيكَ ، فإنه الحكم بيني

[١] رحلت . [٢] أي ما يستعده . [٣] عصه كعب : كذب وتمَّ ، وعصه فلانا : بهته وقال فيه ما لم يكن . [٤] ختله : خدعه .

وينك » ، فقال عبد الملك : « رضيت بالله حكماً ، وبأمر المؤمنين حاكماً ،
فإني أعلم أنه يؤثر كتاب الله على هواه ، وأمر الله على رضاه » .

* * *

فلما كان بعد ذلك جلس مجلساً آخر ، فسلم لما دخل ، فلم يرد عليه ، فقال
عبد الملك : ليس هذا يوماً أحتج فيه ، ولا أجاذب منازعاً وخصماً . قال : ولم ؟
قال : لأن أوله جرى على غير السنة ، فأنا أخاف آخره ، قال : وما ذاك ؟ قال :
لم ترد على السلام ، أنصيف نصفة العوام ، قال : السلام عليكم اقتداءً بالسنة ،
وإشارة للعدل ، واستعمالاً للتحية ، ثم التفت نحو سليمان بن أبي جعفر فقال :
وهو يخاطب بكلامه عبد الملك :

أريد حياته ويريد قتي عذيرك من خليك من مراد

ثم قال : « أما والله لكأني أنظر إلى شؤبويها ^(١) قد تجمعت ، وعارضها ^(٢) قد لمعت ،
وكأني بالوعيد قد أوزى ناراً تسطع ، فأقلع عن برآجم ^(٣) بلا معاصم ، وروءوس
بلا غلاصم ^(٤) فمهلأ مهلاً ، فبي والله سهل لكم الوعر ، وصفاً لكم الكدر ،
وألقت إليكم الأمور أثناء ^(٥) أزمنها ، فنذار لكم نذار قبل حلول داهية خبوط
باليد ، لبوط ^(٦) بالرجل » . فقال عبد الملك : « اتق الله يا أمير المؤمنين فيما ولاك ،
وفي رعيته التي استرعاك ، ولا تجعل الكفر مكان الشكر ، ولا العقاب موضع

[١] الشؤبوت : الدعة من الطر ، وجمع : سال واحد .

[٢] العارض : السحاب المعترض في الأفق ، والصمير لامية للصومة من سياق الحديث .

[٣] جمع برجة كقعدة : وهي معازل الأصابع ، أو طهر العصب من الأصابع ، وللعاصم جمع : معصم
كبير وهو موضع السوار أو اليد . [٤] جمع عاصمة فالفتح وهي رأس الخلقوم وهو الموضع الثاني في

الخلق . [٥] أثناء الشيء ومنأيه طاقفه ، واحدهما ثني تحمل ومشاة مع الميم وكسرهما .

[٦] لبوط به الأرض صرب ، ولبط العير كصرب : حط بده وهو يحد .

الثواب ، فقد نَحَلْتُ لك النصيحة ، وَمَحَضْتُ^(١) لك الطاعة ، وَشَدَدْتُ أَوَاخِي^(٢) ملكك بأثقل من رُكْنِي يَلَنَّم^(٣) ، وتركت عدوك مشتغلا^(٤) ، فَاثَّه الله في ذِي رَحْمِكَ أَنْ تَقْطَعَهُ - بعد أن بَلَغَتْهُ^(٥) - بِظَنِّ أَفْصَحَ الْكِتَابِ لِي بِعَظْمِهِ^(٦) ، أَوْ يَنْبَغِي بَاغٍ يَنْهَسُ^(٧) اللحم ، وَيَالِغُ^(٨) الدَّم ، فقد والله سهلت لك الوعور ، وَذَلَّلْتُ لك الأمور ، وَجَمَعْتُ على طاعتك القلوب في الصدور ، فكم من ليلٍ تَمَامُ^(٩) فيك كَأَبْدَتِهِ ، ومقامٍ ضيق لك فُتُّهُ ، كنت فيه كما قال أخو بني جعفر ابن كلاب :

ومقامٍ صَيَّقٍ فَرَجَّتُهُ يَبْنَانِي وَلِسَانِي وَجَدَلُ
لو يقوم الفيلُ أو فيَّالهُ زَلٌّ عن مثل مقامي وزَحَلُ^(١٠)

فقال له الرشيد : « أما والله لولا الإبقاء على بني هاشم لضربت عنقك » .
ولم يزل عبد الملك محبوباً حتى تُوفِّيَ الرشيد ، فأطلقه محمد الأمين وعقد له

على الشام^(١١) . (تاريخ الطبري ١٠ : ٨٩ ، والنقد العرید ١ : ١٤٣ ،
والكامل لابن الاثير ٦ : ٧٢ ، ودرر الآداب ٢ : ٢٨٣)

[١] أَخْلَصْتُ . [٢] جمع آخية وتشدد : عروة مربوط إلى وتد مدقوق وتشدد فيها الهاء ، وأخيت للداية تأخية : صنعت لها آخية وربطتها بها . [٣] يلنم أو أَلَم أو يرمم : ميقات العين : جل على مرحلتين من مكة . [٤] وفي رواية النقد : « وتركت عدوك سعيلاً تتاوره الأقدام » . [٥] بَلَغَتْ طَلَاماً : لَمَّتْهُ . [٦] العِصْبَةُ بكونها صاد وفتحها : الكذب والنميمة . [٧] نهس اللحم كبح وسمغ : أحده بمقحم أسانه ونعه . [٨] وَلِغَ الْكَلْبُ فِي الْإِتَاءِ وَمِنْهُ وَبِهِ يَلْعُ كَيْفَ وَيَالِغُ : شرب ما فيه بأطراف لسانه ، أو أدخل لسانه فيه حركه . [٩] ليل التمام أطول ليالي الشتاء . [١٠] زَحَلٌ من مقامه : زال كرحول . [١١] وقد حمل للأمين عهد الله وميثاقه : لئن قتل وهو حي ، لا يعطى للأمين طاعة أبداً ، فبات قتل الأمين ، فندى في دار من دور الإمارة ، فلما خرج للأمين يريد الروم أرسل إلى ابن له : حول أباك من داري ، فمشت عظامه وحولت .

٨٥ — قوله بعد خروجه من السجن

ولما خرج من السجن وذكر الرشيد فعله به قال :

« والله إن الملك لشيء ما نَوَيْتُهُ ، ولا تَمَنَيْتُهُ ، ولا نَصَبْتُ له ولا أَرَدْتُه ، ولو أَرَدْتُه لكانَ إلىَّ أسرع من الماء إلى الحَدُور^(١) ، ومن النار إلى يَتَس العَرَفَج^(٢) ، وإني لما خُذَ بما لم أُجِنِ ، ومُسْتُول عما لا أَعْرِفُ ، ولكنه حين رَأَى للملك قَيْنَا^(٣) ، وللخِلافة خَطِيرَا^(٤) ، ورأى لي يَدًا تَنَالُهَا إذا مَدَّتْ ، وتَبْلُغُهَا إذا بُسِطَتْ ، وتَفْسًا تَكْمَلُ لِحِصَالِهَا ، وتَسْتَحِقُّهَا بِفِعَالِهَا ، وإن كنتُ لم أُخْتَرْ تلك الخِصَالُ ، ولم أَصْطَنِعْ تلك الفِعَالُ ، ولم أُرْشَحْ لها في السِّرِّ ، ولا أُشْرَتْ إليها في الجَهْرِ ، ورَأَى تَحِيْنُ إلىَّ حين الوالدة الوالِهة ، وتَمِيلُ إلى مِثْلِ المَلُوكِ^(٥) ، وخاف أن تَرْغَبَ إلىَّ خَيْرَ مَرْغَبٍ ، وتَزِرَ عِلى أَخْصَبِ مَزِرٍ ، عَاقِبَتِي عِقَابَ مَنْ سَهَرَ في طَلِبِهَا ، وَجَهَدَ في التَّماسِهَا ، فَإِنْ كَانَ إِنَّمَا حَبَسَنِي عِلى أَنِّي أَصْلَحُ لها وتَصْلُحُ لِي ، وَأَلِيقُ بها وتَلِيقُ بِي ، فَلَيْسَ ذَلِكَ بِذَنْبٍ جَنَبْتُهُ فَأَتُوبُ مِنْهُ ، ولا تَطَاوَلْتُ له فَأَحْطُ نَفْسِي عَنْهُ ، وإن زَعَمَ أَنَّهُ لَا صَرْفَ لِعِقَابِهِ ، ولا نِجَاةَ مِنْ عَذَابِهِ ، إِلَّا بِأَن أُخْرَجَ لَهُ مِنْ جِدَالِ الْعِلْمِ وَالْحِلْمِ وَالْحَزْمِ ، فَكَمَا لَا يَسْتَطِيعُ الْمِضْيَاعُ أَنْ يَكُونَ مُصْلِحًا ، كَذَلِكَ لَا يَسْتَطِيعُ الْعَاقِلُ أَنْ يَكُونَ جَاهِلًا ، وسِوَايَ عَلَيْهِ أَعَاقِبَتِي عِلى عِلْمِي وَحِلْمِي ، أَمَّ عَاقِبَتِي نَسَبِي وَسِنِّي ، وسِوَايَ عَلَيْهِ عَاقِبَتِي عِلى جِمَالِي ، أَمَّ عَاقِبَتِي عِلى مَحَبَّةِ النَّاسِ لِي ، ولو أَرَدْتُهَا لَا تُعْجَلَتْهُ عَنِ التَّفْكِيرِ ، وَشَغَلَتْهُ عَنِ التَّدْيِيرِ ، وَلَمَّا كَانَ فِيهَا مِنَ الْخَطْبِ إِلَّا الْيَسِيرُ .

(العدد المرد ١ : ١٤٣)

[١] المكان المَحْدَر . [٢] شجر . [٣] جدير . [٤] عظيم القدر .

[٥] العاجزة المتعاطفة على الرجل .

٨٦ - وصية عبد الملك بن صالح لابنه

أوصى عبد الملك بن صالح ابنه له فقال :

« أَيُّ بَنِي أَخْلَمُ ، فَإِنْ مِنْ حَلْمٍ سَادَ ، وَمَنْ تَفَهَّمَ ازْدَادَ ، وَاتَّقَ أَهْلَ الْخَيْرِ فَإِذَا لِقَاءَهُمْ عِمَارَةُ الْقُلُوبِ ، وَلَا تَجْمَعُ بِكَ مَطِيَّةَ اللَّجَاجِ ، وَفِيكَ مَنْ أَعْتَبَكَ ^(١) والصَّاحِبُ الْمُنَاسِبُ لَكَ ، وَالصَّبْرُ عَلَى الْمَكْرُوهِ يَعِصِمُ الْقَلْبَ ، الْمُزَاحُ يورِثُ الضَّنَّانَ ، وَحَسَنُ التَّدْيِيرِ مَعَ الْكَفَافِ ، خَيْرٌ مِنَ الْكَبِيرِ مَعَ الْإِسْرَافِ . وَالْاِقْتِسَادُ يُشَرِّ ^(٢) الْقَلِيلَ ، وَالْإِسْرَافُ يُبِيرُ ^(٣) الْكَثِيرَ ، وَنِعْمَ الْحِظُّ الْقَنَاعَةُ . وَشَرُّ مَا صَحِبَ الْمَرْءَ الْحَسَدُ ، وَمَا كُلُّ عَوْرَةٍ تُصَابُ ، وَرَبَّمَا أَبْصَرَ الْعَيُّ رُشْدَهُ ، وَأَخْطَأَ الْبَصِيرُ قَصْدَهُ ، وَالْيَاسُ خَيْرٌ مِنَ الطَّلَبِ إِلَى النَّاسِ ، وَالْعِفَّةُ مَعَ الْحِرْفَةِ ^(٤) خَيْرٌ مِنَ الْفَنَى مَعَ الْفَجْورِ ، اِرْقُ فِي الطَّلَبِ ، وَأُجِلْ فِي الْمَكْسَبِ ، فَإِنَّهُ رَبُّ طَلَبٍ ، قَدْ جَرَّ إِلَى حَرْبٍ ^(٥) ، لَيْسَ كُلُّ طَالِبٍ بِمُنْجِحٍ ^(٦) ، وَلَا كُلُّ مُلِحٍّ بِمُحْتَاجٍ ، وَالْمَغْبُونُ مِنْ غُيْنٍ نَصِيْبُهُ مِنَ اللَّهِ ، عَانِبٌ مِنْ رَجَوْتِ عُتْبَاهُ ، وَفَاكِهٌ مِنْ أَمْنَتِ بِلَوَاهُ ، لَا نَكُنْ مِضْحَاكًا مِنْ غَيْرِ عَجَبٍ ، وَلَا مَسْتَأْجِرًا إِلَى غَيْرِ أَرْبٍ ، وَمَنْ نَأَى عَنِ الْحَقِّ أَضَاقَ مَذْهَبُهُ ، وَمَنْ اقْتَصَرَ عَلَى حَالِهِ ، كَانَ أَنْعَمَ لِبَالِهِ ، لَا يَكْبُرُنَ عَلَيْكَ ظُلْمٌ مِنْ ظُلْمِكَ ، فَإِنَّهُ إِنَّمَا سَعَى فِي مَضْرَتِهِ وَتَقَعَكَ ، وَعَوْدُ نَفْسِكَ السَّمَّاحِ ، وَتَخْيِيرُهَا مِنْ كُلِّ خُلُقٍ أَحْسَنَهُ ، فَإِنْ الْخَيْرُ عَادَةٌ ، وَالشَّرُّ لِحَاجَةٌ ، وَالصَّدُودُ آيَةُ الْمَقْتِ ، وَالتَّعَلُّلُ آيَةُ الْبَخْلِ ، وَمَنِ الْفِقْهُ كِتْمَانُ السَّرِّ ، وَلِقَاحُ الْمَعْرِفَةِ دِرَاسَةُ الْعِلْمِ ، وَطَوْلُ التَّجَارِبِ زِيَادَةُ فِي الْعَقْلِ ، وَالْقَنَاعَةُ رَاحَةُ الْأَبْدَانِ ، وَالشَّرَفُ التَّقْوَى ، وَالْبَلَاعَةُ مَعْرِفَةُ رَتَقِ الْكَلَامِ وَفَتْحِهِ ، بِالْعَقْلِ تُسْتَخْرَجُ الْحِكْمَةُ ، وَبِالْحِلْمِ

[١] أعتاه : أعطاه السبي أي الرضا . [٢] يبي ويكثر . [٣] يهلك .

[٤] الحرمان . [٥] حربه حرباً كطلبه : سلب ماله . [٦] أمحج : صار قاصح .

يُستخرج غَوْرَ العقل ، ومن شَمَّرَ في الأمور ، ركب البحور ، شر القول ما تَقَضَّ بعضُه بعضا ، وَمَنْ سَعَى بالنِّمِية حَذِرَه البعيد ، وَمَقَّتَه القريب . من أطال النظر بِإِرَادَةٍ تَامَةٍ أدرك الغاية ، ومن تَوَانَى في نفسه ضاع ، من أسرف في الأمور انتشرت عليه ، ومن اقتصد اجتمعت له ، وَاللَّجَاجَةُ تورث الضياع للأمور ، غِبُّ الأدب أحمد من ابتدائه ، مُبَادِرَةُ الفهم تورث النسيان ، سوء الاستماع يُعَقِّبُ النِّمَى ، لَا تُحَدِّثُ من لَا يُقْبَلُ بوجهه عليك ، وَلَا تُنْصِتُ لمن لَا يَنْبَغِي ^(١) بِحَدِيثِهِ إِلَيْكَ ، البِلَادَةُ للرجل هُجْنَةٌ ، قَلَّ مَالِكٌ إِلَّا اسْتَأْثَرَ ، وَقَلَّ عَاجِزٌ إِلَّا تَأَخَّرَ ، الإحجام عن الأمور يُورث العجزَ ، والإقدام عليها يورث اجتلاب الحظ ، سوء الطَّعْمَةُ ^(٢) يُفْسِدُ العِرْضَ ، وَيُخْلِقُ الوجه ، وَيَمَحِّقُ الدين ، الهَيِّية قرين الحرمان ، والجَسَارَةُ قرين الظُّفَرِ ، وَفِيكَ من أنصفك ، وأخوك من عانبك ، وشريكك من وَفَى لك ، وَصَفِيكَ من آثَرَكَ ، أَعْدَى الأَعْدَاءِ العقوقُ ، اتِّبَاعُ الشهوة يُورث النَّدَامَةَ ، وَفَوْتُ الفُرْصَةِ يورث الحُسْرَةَ ، جميع أركان الأدب التَّائِي لِلرَّفْقِ ، أَكْرَمَ نفسك عن كل دَنِيَّةٍ ، وإن ساقتك إلى الرغائب ، فَإِنَّكَ لَا تَجِدُ بِمَا تَبْذُلُ من دِينِكَ ونَفْسِكَ عِوَضًا ، لَا تَسَاعِدُ ^(٣) النِّسَاءَ فَيَمْلِكَنَّكَ ، واستبق من نفسك بقيَّةً ، فَإِنَّهُنَّ أَنْ يَرَيْنَ أَنَّكَ ذَوِ اقْدَارٍ ، خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَطْلُعْنَ مِنْكَ عَلَى انْكَسَارٍ ، لَا تَمْلِكِ المَرَأَةَ السُّفَاعَةَ لغيرها ، فَمِثْلُ مَنْ شَفَعَتْ لَهَا عَلَيْكَ معها ، أَيْ بَنِي ، إِنِّي فَدَاخَرْتُ لَكَ الوصية ، وَخَضَعْتُكَ للنصيحة ، وَأَدَّيْتُ الحقَّ إِلَى اللَّهِ فِي تَأْدِيكَ ، فَلَا تُغْفِلَنَّ الْأَخْذَ بِأَحْسَنِهَا ، وَالْعَمَلَ بِهَا ، وَاللَّهُ مَوْفِقُكَ .

(البيان والتبيين ٣ : ٢٣٢)

[١] نعى الحديث ونعماء بالتنديد : رصه . [٢] الطعمة : وجه المكسب . [٣] لها « لا تقاعد » .

٨٧ — وصية أخرى له

عن يزيد بن عقال قال :

وَصَّى عبد الملك بن صالح ابنه وهو أمير سرية ، ونحن ببلاد الروم فقال له :
« أنت تاجرُ الله لعباده ، فكن كالمضارب الكيس ، الذي إن وجد ربحاً
تَجَرَّ ، وإلا احتفظ برأس المال ، ولا تطلب الغنية حتى تحوز السلامة ، وكن
من احتيالك على عدوك ، أشدَّ خوفاً من احتيال عدوك عليك ^(١) » .

(البياض والتبيين ٢ : ٥٤)

٨٨ — كلمات حكيمة لابن السماك

وقال محمد بن صبح - المعروف بابن السماك ^(٢) - :

« خيرُ الإخوان أقلُّهم مصانعةً في النصيحة ، وخيرُ الأعمال أحلاها طائفةً ،
وخيرُ الثناء ما كان على أفواه الأخيار ، وأشرفُ السلطان ما لم يخالطه البَطَرُ ،
وأغنى الأغنياء من لم يكن للحرص أسيراً ، وخيرُ الإخوان من لم يخاصم ، وخيرُ
الأخلاق أعونها على الورع ، وإنما يُخْتَبَرُ ذلَّ الرجال عند الفاقة والحاجة » .

(دهر الآداب ٢ : ٢٠٥)

٨٩ — ابن السماك والرشيد

وذكر محمد بن هرون عن أبيه قال : حضرت الرشيد ، وقال له الفضل
ابن الربيع : يا أمير المؤمنين قد أحضرتُ ابن السماك كما أمرتني ، قال : أدخله ،

[١] أوردت هذه الرصية في الجزء الثاني ص ١٨٥ مروية إلى عبد الملك بن مروان كما أوردتها صاحب
العقد ، ويؤيد ذلك ما رواه الطبري - ح ٨ : ٣٧ - إذ يقول : « وفي سنة ٨٤ كانت عروة عبد الله بن
عبد الملك بن مروان الروم ، هتج فيها المصيبة - كسيفة - » وعراها الحافظ إلى عبد الملك بن صالح كما ترى
في هذه الرواية . [٢] كان راهباً طابعا حسن الكلام صاحب مواعظ ، وهو كوفي قدم بغداد دمر
الرشيد ، فمكث بها مدة ، ثم رحل إلى الكوفة فمات بها سنة ١٨٣ هـ .

فدخل ، فقال له : عِظْنِي ، قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ : اتَّقِ اللَّهَ وَحَدِّه لَا شَرِيكَ لَهُ ،
وَاعْلَمْ أَنَّكَ وَاقِفٌ غَدًا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ رَبِّكَ ، ثُمَّ مَصْرُوفٌ إِلَى إِحْدَى مَنَزَلَتَيْنِ ،
لَا ثَالِثَةَ لَهَا : جَنَّةُ أَوْ نَارٌ ، فَبَكَى هَارُونَ حَتَّى اخْضَلَّتْ ^(١) لَحْيَتُهُ ، فَأَقْبَلَ الْفَضْلُ
عَلَى ابْنِ السَّمَاكِ ، فَقَالَ : سُبْحَانَ اللَّهِ ! وَهَلْ يَتَخَالَجُ أَحَدًا شَيْئٌ فِي أَنْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
مَصْرُوفٌ إِلَى الْجَنَّةِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ؟ لَقِيَامِهِ بِحَقِّ اللَّهِ ، وَعَدْلِهِ فِي عِبَادِهِ ، وَفَضْلِهِ ،
فَلَمْ يَحْفَلِ بِذَلِكَ ابْنُ السَّمَاكِ مِنْ قَوْلِهِ ، وَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهِ ، وَأَقْبَلَ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ،
فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنْ هَذَا - يَعْنِي الْفَضْلُ بْنُ الرَّيْعِ - لَيْسَ وَاللَّهِ مَعَكَ وَلَا
عِنْدَكَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ ، فَاتَّقِ اللَّهَ وَانْظُرْ لِنَفْسِكَ ، فَبَكَى هَارُونَ حَتَّى أَشْفَقْنَا عَلَيْهِ ،
وَأُخِمَ الْفَضْلُ بْنُ الرَّيْعِ ، فَلَمْ يَنْطِقْ بِحَرْفٍ حَتَّى خَرَجْنَا .

قَالَ : وَدَخَلَ ابْنُ السَّمَاكِ عَلَى الرَّشِيدِ يَوْمًا ، فَبَيْنَا هُوَ عِنْدَهُ إِذَا اسْتَسْقَى مَاءً ،
فَأَتَتْ بِهَلَاةٍ مِنْ مَاءٍ ، فَلَمَّا أَهْوَى بِهَا إِلَى فِيهِ لِيَشْرِبَهَا ، قَالَ لَهُ ابْنُ السَّمَاكِ : عَلَى
رِسْلِكَ ^(٢) يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، بِقَرَابَتِكَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، لَوْ
مُنِعْتَ هَذِهِ الشَّرْبَةَ ، بِكَمْ كُنْتَ تَشْتَرِيهَا ؟ قَالَ : بِنِصْفِ مَلِكِي ، قَالَ : اضْرِبْ
هَذَاكَ اللَّهَ ، فَلَمَّا شَرِبَهَا ، قَالَ لَهُ . أَسَأَلْتُ بِقَرَابَتِكَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،
لَوْ مُنِعْتَ خُرُوجَهَا مِنْ بَدَنِكَ ، بِمَاذَا كُنْتَ تَشْتَرِيهَا ، قَالَ : بِجَمِيعِ مَلِكِي ،
قَالَ ابْنُ السَّمَاكِ : إِنْ مُلِكَا قِيمَتُهُ شَرْبَةُ مَاءٍ لَجْدِيرٌ أَلَّا يُنَافَسَ فِيهِ ، فَبَكَى هَارُونَ ،
فَأَشَارَ الْفَضْلُ بْنُ الرَّيْعِ إِلَى ابْنِ السَّمَاكِ بِالْأَنْصَرَفِ ، فَانْصَرَفَ .

(تاريخ الطبري ١٠ : ١١٦ ، وشرح ابن أبي الحديد ١ : ص ١٤٩)

الفتنة بين الأمين والمأمون

وفد الأمين إلى المأمون

لما عزم محمد الأمين على خلع أخيه عبد الله المأمون من ولاية العهد^(١) ، كتب إليه كتاباً يستقدمه ، ويحجّب أن يكون بقربه - وكان المأمون على خراسان - ودفع الكتاب إلى العباس بن موسى ، وإلى عيسى بن جعفر ، وإلى محمد بن عيسى بن نهيك ، وإلى صالح صاحب المصلى ، وأمرهم أن يتوجهوا به إلى المأمون ، وألا يدعوا وجهاً من اللين والرفق إلا يلقوه ، وسهّلوا الأمر عليه ، (وذلك سنة ١٩٤ هـ) فتوجهوا بكتابه ، فلما وصلوا إلى المأمون أذن لهم ، فدفعوا إليه الكتاب ، ثم تكلم العباس بن موسى :

٩٠ - خطبة العباس بن موسى

حمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : « أيها الأمير : إن أخاك قد تحمّل من الخلافة ثِقلاً عظيماً ، ومن النظر في أمور الناس عبثاً جليلاً ، وقد صدقت نيته في الخير ، فأعوزّه الوزراء والأعوان والكفّاء على العدل ، وقليل ما يأنس بأهل بيته ، وأنت أخوه وشقيقه ، وقد فزع إليك في أموره ، وأملك للموازرة والمكاشفة^(٢) ،

[١] ذكروا أن العصل بن الربيع وزير الأمين ، كان قد حاب المأمون ، لما فعله عند موت الرشيد بطرس من إحصار جميع ما كان في عسكره إلى الأمين ، بعد أن كان الرشيد قد أشهد به المأمون ، وعلم أن الخلافة إن أصت إلى المأمون يوماً وهو حي لم يبق عليه ، خشن الأمين حلق المأمون والبيعة لأمه موسى - ولم يكن ذلك من رأى الأمين ولا فزعه - واتفق مع العصل جماعة على ذلك ، فبال الأمين إلى أقوالهم ، ثم إنه استشار عقلاء أصحابه ، فهو عن ذلك وحذروه طاقة إلى ومكث اليهود ، وقالوا له : لا تحمى القواد على الكثر للأيمان وعلى الخلع يخطوك ، فلم يلتفت إليه ، ومال إلى رأى العصل بن الربيع ، وشرع في حدى المأمون باستدعائه إلى بغداد ، فلم يجدهم وكتب يستدر . [٢] المعاونة .

ولسنا نستبطنك في برّه ، اتهاماً لنضرك له ، ولا نمحضك على طاعة ، نخوفاً لخلافك عليه ، وفي قدومك عليه أنس عظيم ، ، وصلاح لدولته وسلطانه ، فأجيب أيها الأمير دعوة أخيك ، وآثر طاعته ، وأعنه على ما استعانك عليه في أمره ، فإن في ذلك فضاء الحق ، وصلة الرحم ، وصلاح الدولة ، وعزّ الخلافة ، عزم الله للأمير على الرشيد في أموره ، وجعل له الخيرة والصّلاح في عواقب رأيه .

٩١ - خطبة عيسى بن جعفر

وتكلم عيسى بن جعفر بن أبي جعفر ، فقال :

« إن الإكثار على الأمير - الله ، الله - في القول خرقٌ ، والاقتصار في تعريفه ما يجب من حق أمير المؤمنين تقصير ، وقد غاب الأمير - أكرمه الله - عن أمير المؤمنين ، ولم يستغن عن قربه من شهيد غيره من أهل بيته ، ولا يجد عنده غنى ، ولا يجد منه خلفاً ، ولا عوضاً ، والأمير أولى من برّ أخاه ، وأطاع إمامه ، فليعمل الأمير فيما كتب به إليه أمير المؤمنين بما هو أَرْضَى وأقرب من موافقه أمير المؤمنين ومحبته ، فإن القدوم عليه فضلٌ وحظ عظيم ، والإبطاء عنه وكف^(١) في الدين ، وضرر ومكروه على المسلمين . »

٩٢ - خطبة محمد بن عيسى بن نهيك

وتكلم محمد بن عيسى بن نهيك ، فقال :

« أيها الأمير إنا لا نريدك بالإكثار والتطويل فيما أنت عليه من المعرفة بحق أمير المؤمنين ، ولا نشحد نبتك بالأساطير والخطب فيما يلزمك من النظر والعناية بأمور المسلمين ، وقد أعوز أمير المؤمنين الكفاة والنصحاء بحضرته ،

[١] الكف : الميل والموار واليب والإيثم .

وَتَنَاوَلْكَ قَزَعًا إِلَيْكَ فِي الْمَعُونَةِ وَالتَّقْوِيَةِ لَهُ عَلَى أَمْرِهِ ، فَإِنْ تُجِبْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
فِيمَا دَعَاكَ إِلَيْهِ ، فَنِعْمَةٌ عَظِيمَةٌ يَتَلَفَّى بِهَا رَعِيَّتَكَ وَأَهْلَ بَيْتِكَ ، وَإِنْ تَقْعُدْ يُغْنِ اللَّهُ
أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَنْكَ ، وَلَنْ يَضْعَهُ ذَلِكَ مِمَّا هُوَ عَلَيْهِ مِنَ الْبِرِّ بِكَ ، وَالاعْتِمَادِ عَلَى
طَاعَتِكَ وَنَصِيحَتِكَ .

٩٣ - خطبة صالح صاحب المصلي

وتكلم صالح صاحب المصلي ، فقال :

« أَيُّهَا الْأَمِيرُ : إِنَّ الْخِلَافَةَ ثَقِيلَةٌ ، وَالْأَعْوَانُ قَلِيلٌ ، وَمَنْ يَكِيدُ هَذِهِ الدَّوْلَةَ ،
وَيَنْطَوِي عَلَى غَشَّهَا ، وَالْمَعَانِدَةُ لِأَوْلِيَائِهَا ، مِنْ أَهْلِ الْخِلَافِ وَالْمَعْصِيَةِ كَثِيرٌ ،
وَأَنْتَ أَخُو أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَشَقِيقُهُ ، وَصَلَاحُ الْأُمُورِ وَفَسَادُهَا رَاجِعٌ عَلَيْكَ وَعَلَيْهِ ،
إِذْ أَنْتَ وَلِيُّ عَهْدِهِ ، وَالْمُشَارِكُ فِي سُلْطَانِهِ وَوِلَايَتِهِ ، وَقَدْ تَنَاوَلْتَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
بِكِتَابِهِ ، وَوَثَّقَ بِمَعَاوَتِكَ عَلَى مَا اسْتَعَانَكَ عَلَيْهِ مِنْ أُمُورِهِ ، وَفِي إِجَابَتِكَ إِيَّاهُ إِلَى
الْقُدُومِ عَلَيْهِ صَلَاحٌ عَظِيمٌ فِي الْخِلَافَةِ ، وَأَنْسُ وَسُكُونُ أَهْلِ الْمِلَّةِ وَالذِّمَّةِ ، وَفَقَّ
اللَّهُ الْأَمِيرَ فِي أُمُورِهِ ، وَقَضَى لَهُ بِالَّذِي هُوَ أَحَبُّ إِلَيْهِ وَأَنْقَعَ لَهُ » .

٩٤ - خطبة المأمون

فحمد الله المأمون ، وأثنى عليه ، ثم قال :

« قَدْ عَرَّفْتُمُونِي مِنْ حَقِّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ - أَكْرَمَهُ اللَّهُ - مَا لَا أَنْكَرُهُ ،
وَدَعَوْتُمُونِي مِنَ الْمَوَازِرَةِ وَالْمَعُونَةِ إِلَى مَا أَوْثَرَهُ وَلَا أَدْفَعُهُ ، وَأَنَا لَطَاعَةُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
مُقَدَّمٌ ، وَالْمَسَارَعَةُ إِلَى مَاسَرِّهِ وَوَاقْفُهُ حَرِيصٌ ، وَفِي الرِّوَايَةِ تَبْيَانُ الرَّأْيِ ، وَفِي
إِعْمَالِ الرَّأْيِ نَصْحُ الْعِزَامِ ، وَالْأَمْرُ الَّذِي دَعَانِي إِلَيْهِ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَمْرٌ لَا أَتَأَخَّرُ

هتة تثبطاً ومُدافعةً ، ولا أتقدم عليه اعتسافاً وَعَجَلَةً ، وأنا في ثَمَرٍ ^(١) من ثغور المسلمين ، كَلِيبٌ عدوُّه ، شديدٌ شوكتُهُ ، وإن أهملتُ أمره لم آمن دخول الضرر والمكروه على الجنود والرعية ، وإن أتمت عليه لم آمن قوتَ ما أحِبُّ من معونة أمير المؤمنين وموازرتِه وإينار طاعته ، فانصرفوا حتى أنظرَ في أمري ، ويصحَّ الرأي فيما أعزِمُ عليه من مَسِيرِي إن شاء الله .

ثم بعث معهم بكتاب إلى الأمين ، يسأله أن يُعْفِيَه من الشخوص إليه ، وأن يُقِرَّه على عمله ، إذ يرى أن ذلك أعظم غناءً على المسلمين .

(تاريخ الطبري ١٠ : ١٤٦)

٩٥ - وصية السيدة زبيدة لعلی بن عيسى بن ماهان

وَنَمَى الشريرين الأخوين ، واستطار شرره ، وبعث الأمين جيشاً كثيفاً بقيادة علی بن عيسى بن ماهان لحرب المأمون ، وأعد المأمون للقائه جيشاً بقيادة طاهر بن الحسين ، فلما أراد علی الشخوص إلى خراسان ، ركب إلى باب السيدة زُبَيدة ^(٢) والدة الأمين فودَّعها ، فقالت له :

« يا علی ، إن أمير المؤمنين ، وإن كان ولدي ، إليه تناهت شفقتي ، وعليه تكامل حِذْري ، فإني علی عبد الله مُنْعَطِفَةٌ مُشْفِقَةٌ لما يَحْدُثُ عليه من مكروه وأذى ، وإنما ابني مَلِكٌ نَافِسُ أخاه في سلطانه ، وَغَارَاهُ ^(٣) علی ما في يده ، والكریم يؤكل لحمه ، وَيُمِيتُهُ غيره ، فأعْرِفْ لعبد الله حقَّ والده وأخوته ، ولا تَجِبْهُ ^(٤) بالكلام ، فَإِنَّكَ لست نظيره ، ولا تَقْتَسِرُهُ ^(٥) اقتسار العبيد ، ولا تُرْهِنُهُ ^(٦)

[١] الثمر : موضع المحاقه من فروع الدان . [٢] هي السيدة زبيدة أم جعفر بن جعفر بن المنصور .

[٣] في الأصل : « غاره » وأراه غَرَّاعاً « غاراه » ، طاربه مارة وعراء : لاجته .

[٤] حبه كسبه : لقيه بما يكره . [٥] سره واقتسره : قهره .

[٦] أرهه : أصعبه ، وفي العجري : « ولا يومه » وأرهه : أصعبه أيضاً ، والعل : القيد .

بقيد ولا غلّ ، ولا تمنع منه جارية ولا خادماً ، ولا تمنع عليه في السير ، ولا تساور في السير ، ولا تركب قبله ، ولا تستقلّ على دابتك حتى تأخذ بركابه ، وإن شتمك فاحتمل منه ، وإن سقّه عليك فلا تراده .

ثم دفعت إليه قيداً من فضّة ، وقالت : إن صار في يدك فقيده بهذا القيد ، فقال لها : سأقبل أمرك ، وأعمل في ذلك بطاعتك .

(تريح الطبري ١٠ : ١٤٩ ، والعنبري ص ١٩٥)

٩٦ — وصية الأمين لابن ماهان

وخرج علي بن عيسى بن ماهان من بغداد (في ٧ من شعبان سنة ١٩٥ هـ) وخرج معه الأمين يشيعه ، وأقبل يوصيه ، فقال :

« أمتنع جُنْدَكَ من العبث بالرعية ، والغارة على أهل القرى ، وقطع الشجر ، وانتهاك النساء ، وولّ الرئى يحيى بن علي^(١) ، واضمّ إليه جنداً كثيفاً ، ومُرّه ليدفع إلى جنده أرزاقهم مما يحيى من خراجها ، وولّ كل كورة رجل عنها رجلاً من أصحابك ، ومن خرج إليك من جند أهل خراسان ووجوهها فأظهره إكرامه ، وأحسن جائزته ، ولا تعاقب أخاً بأخيه ، وضع عن أهل خراسان ربع الخراج ، ولا تأمن أحداً رماك بسهم ، أو طعن في أصحابك برمح ، ولا تأذن لعبد الله في المقام أكثر من ثلاثة أيام ، من اليوم الذي تظهر فيه عليه ، فإذا أخلصته ، فليكن مع أوثق أصحابك عندك ، فإن غره الشيطان فناصرك ، فاحرص على أن تأسره أسراً ، وإن هرب منك إلى بعض كور خراسان ، فتولّ إليه السير بنفسك ، أفهمت كل أوصيك به ؟ » .

[١] هو يحيى بن علي بن عيسى بن ماهان .

قال : نعم ، أصلح الله أمير المؤمنين ، قال : سر على بركة الله وعونه .
(تاريخ الطبري ١٠ : ١٥٠)

٩٧ - استهابة ابن ماهان بأمر طاهر بن الحسين

وخرج ابن ماهان ، فلما جاز خلوان ، لقيته القوافل من خراسان ، فكان يسألها عن الأخبار ، فيقال له : إن طاهراً مقيم بالرّي ، يعرض أصحابه ، ويرم^(١) آله ، فيضحك ثم يقول :

« وما طاهر ؟ فوالله ما هو إلا شوكة من أغصاني ، أو شرارة من ناري ، وما مثل طاهر يتولى على الجيوش ، ويلقى الحروب » ، ثم التفت إلى أصحابه فقال : « والله ما بينكم وبين أن ينقص اتقصاص الشجر من الريح العاصف ، إلا أن يبلغه عبورنا عقبه^(٢) همدان ، فإن السخال^(٣) لا تقوى على نطاح الكباش ، والشعالب لا صبر لها على لقاء الأسد ، فإن يُقيم طاهر بموضعه يكن أول معرض لظبات^(٤) السيوف وأسنة الرماح » .

وسار حتى صار في أول بلاد الرّي ، وأتاه صاحب مقدمته وقال : « لو كنت - أبق الله الأمير - أذكيت العيون ، وبعثت الطلائع ، وارتدّت موضعاً تُسكّر فيه ، وتتخذ خندقاً لأصحابك يأمنون به ، كان ذلك أبلغ في الرأى ، وأنس للجند » .

قال : « لا ، ليس مثل طاهر يستعدّ له بالمكايد والتحفّظ ، إن حال طاهر تقول إلى أحد أمرين ، إما أن يتحصن بالرّي ، فيبته^(٥) أهلها ، فيكفونامتوته ،

[١] يصلح . [٢] الغنة : مرقى صعب من الحمال . [٣] السخال جمع سحلة بالفتح : وهو ولد الغم ذكر أو أنثى . [٤] الطائات جمع طية وهي حد السيف . [٥] يهته كنهه : أحده مته ، قال تعالى : « بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ » ، وفي مروح المعجم : « يئب به » .

أَوْ يُخْلِيَهَا وَيُذِيرُ رَاجِعًا لَوْ قَرُبَتْ خِيولنا وَعَسَا كَرْنَا مِنْهُ .
 وَأَنَّهُ يَحْيَى بْنُ عَلِيٍّ ، فَقَالَ : « اجْمَعْ مَتَفَرِّقِ الْعَسْكَرَ ، وَاحْذَرِ عَلَى جَنْدِكَ
 الْبَيَاتَ ، وَلَا تَسْرُحِ الْخَيْلَ إِلَّا وَمَعَهَا كَثْفٌ ^(١) مِنَ الْقَوْمِ ، فَإِنَّ الْعَسَاكَرَ
 لَا تُسَاسُ بِالتَّوَانِي ، وَالْحُرُوبُ لَا تُدَبَّرُ بِالْإِعْتِرَارِ ، وَالثَّقَةُ أَنْ تَحْتَرِزَ ، وَلَا تَقُلْ :
 الْمَحَارِبُ لِي طَاهِرٌ ، فَالْشَّرَارَةُ الْخَفِيَّةُ رُبَّمَا صَارَتْ ضِرَامًا ^(٢) ، وَالثُّلُمَةُ مِنَ السَّيْلِ
 رُبَّمَا اغْتَرَّتْ بِهَا وَتُهَوَّنَ ، فَصَارَتْ بِحَرًّا عَظِيمًا ، وَقَدْ قَرُبَتْ عَسَا كَرْنَا مِنْ طَاهِرٍ ،
 فَلَوْ كَانَ رَأْيُهُ الْمَهْرَبَ لَمْ يَتَأَخَّرْ إِلَى يَوْمِهِ هَذَا .

قَالَ : اسْكُنْ ، فَإِنَّ طَاهِرًا لَيْسَ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ الَّذِي تَرَى ، وَإِنَّمَا يَتَحَفَظُ
 الرِّجَالُ إِذَا لَقِيَتْ أَقْرَانُهَا ، وَتُسْتَعَدُّ إِذَا كَانَ الْمُنَاوِي ^(٣) لَهَا أَكْفَاءُهَا وَنَظَرَاءُهَا .

(تاريخ الطبري ١٠ : ١٠٠ ، ومروج الذهب ٢ : ٢٩٩)

٩٨ - حزم طاهر وقوة عزمه

وَعَسَكَرَ طَاهِرٌ عَلَى خَمْسَةِ فَرَاسِخٍ مِنَ الرَّيِّ ، وَأَنَّهُ مُحَمَّدُ بْنُ الْعَلَاءِ ، فَقَالَ :
 « أَيُّهَا الْأَمِيرُ ، إِنَّ جَنْدَكَ قَدْ هَابُوا هَذَا الْجَيْشَ ، وَامْتَلَأَتْ قُلُوبُهُمْ خَوْفًا وَرَعْبًا
 مِنْهُ ^(٤) ، فَلَوْ أَقَمْتَ بِمَكَانِكَ ، وَدَافَعْتَ الْقِتَالَ إِلَى أَنْ يَشَامَهُمْ ^(٥) أَصْحَابُكَ ،
 وَيَأْتَسُوا بِهِمْ ، وَيَعْرِفُوا وَجْهَ الْمَأْخِذِ فِي قِتَالِهِمْ » ، فَقَالَ :

« لَا ، إِنِّي لَا أَوْتَى مِنْ قَلَّةٍ تَجْرِبَةٍ وَحَزْمٍ ، إِنَّ أَصْحَابِي قَلِيلٌ ، وَالْقَوْمُ عَظِيمٌ
 سَوَادُهُمْ ، كَثِيرٌ عَدْدُهُمْ ، فَإِنْ دَافَعْتُ الْقِتَالَ ، وَأَخَّرْتُ الْمَنَاجِزَ ، لَمْ آمَنْ أَنْ
 يَطْلُعُوا عَلَى قُلْتِنَا وَعُورَتِنَا ، وَأَنْ يَسْتَمِيلُوا مِنِّي بِرَعْبَةٍ أَوْ رَهْبَةٍ ، فَيَنْفِرَ عَنِّي

[١] الْكُثْفُ : الْجَمَاعَةُ . [٢] الصَّرَامُ : اشْتَعَالُ النَّارِ فِي الْحُلَاءِ وَغَيْرِهَا ، وَدَقَاقُ الْمَطْبِ لَدَى
 يَسْرِعِ اشْتَعَالُ النَّارِ فِيهِ . [٣] الْعَادِي .

[٤] وَكَانَتْ عِدَّةُ عَسَاكِرِ ابْنِ مَاهَانَ حَمِينَ أَلْعَا ، وَذَكَرَ بَعْضُ أَهْلِ مَدَادِ أَنْهُمْ لَمْ يَرَوْا عَسَاكِرًا كَانَتْ أَكْثَرَ
 رَحَالًا ، وَأَقْوَمَ كِرَامًا ، وَأَطْهَرَ سِلَاحًا ، وَأَمَّ عِدَّةً ، وَآكَلَ هَيْئَةً مِنْ عَسَاكِرِهِ ، وَرَوَى أَنَّ طَاهِرًا كَانَ فِي
 أَقْلٍ مِنْ أُرْسَةِ آلِافٍ . [٥] شَامَا وَتَشَامَا : شَمَّ أَحَدُهُمَا الْآخَرَ ، وَالْمَعْنَى اقْتَرَبَا .

أكثر أصحابي ، ويخذلني أهل الحِفاظ والصبر ، ولكن أَلْفَ الرجال بالرجال ، وألحم^(١) الخيل بالخيـل ، وأعتمد على الطاعة والوفاء ، وأصبر صَبْرَ محتسب للخير ، حريص على الفوز بفضل الشهادة ، فإن يرزق الله الظفر والفأج^(٢) ، فذلك الذي نريد ونرجو ، وإن تكن الأخرى فليست أول من قاتل فقتل ، وما عند الله أجزل وأفضل . (شرح الطري ١٠ : ١٥١)

٩٩ - طاهر يشد عزيمة جنده

وكتب طاهر بن الحسين كتاباً به ، وَكَرَّدَ من كَرَادِيْسِه^(٣) ، وسوَّى صفوفه ، وجعل يمرُّ بقائد قائد ، وجماعة جماعة ، فيقول :

« يا أولياء الله ، وأهل الوفاء والشكر ، إنكم لستم كهؤلاء الذين ترون من أهل النكث والغدر ، إن هؤلاء ضيعوا ما حفظتم ، وصنروا ما عظمتهم ، ونكثوا الأيمان التي رعيتم ، وإنما يطلبون الباطل ، ويقاثلون على المدر والجهل ، أصحاب سلب ونهب ، فلو قد غضضتم الأبصار ، وأتبتم الأقدام ، قد أنجز الله وعده ، وفتح عليكم أبواب عزه ونصره ، فجالدوا طواعيت^(٤) الفتنة ، وبماسيب النار عن دينكم ، ودافعوا بحكم باطلهم ، فإنما هي ساعة واحدة ، حتى يحكم الله بينكم وهو خير الحاكمين . »

ونشب القتال بين الفريقين ، ودارت الدائرة على جيش ابن ماهان وقُتل^(٥) .

[١] أي أقرن الخيل بالخيـل ، من قولهم : ألحم الحرب فالتحم ، واللحم مع اللحم وفتح الحاء : اللصق بالقوم ، ولاحم الشيء بالشيء : ألصقه به . [٢] العور والطر . [٣] الكراديس جمع كردوسة بالهم ، وهي القطعة الطيبة من الخيل ، وكردس الخيل جعلها كتيبة كتيبة .

[٤] للطواعيب جمع طاعوت : وهو الشيطان وكل رأس صلال ، والبماسيب جمع صوب : وهو الرئيس الكبير . [٥] روى أن علي بن عيسى ورد إلى الأميين وهو على النمط يصيد السمك ، فقال للذي أحمره : والله دعني ، فإن كوبراً قد اصطاد سمكياً ، وأنا ما اصطدت شيئاً سداً - وكان كوبراً حاداً خياله وكان محمداً .

ووجه الأمين بعد ذلك لحرب طاهر جيشاً بقيادة عبد الرحمن بن جبلة ،
فهزم وقتل أيضاً . (تاريخ الطبري ١٠ : ١٥٢)

١٠٠ — وصف الفضل بن الربيع غفلة الأمين

وتدب أسد بن يزيد بن يزيد لقتال طاهر

وبعث الفضل بن الربيع بعد مقتل عبد الرحمن بن جبلة إلى أسد بن يزيد
ابن يزيد ، قال : فأتيته ، فلما دخلت عليه وجدته قاعداً في صحن داره ، وفي يده
رُقعة قد قرأها ، واحمرت عيناه ، واشتد غضبه ، وهو يقول :
« ينام نوم الظريان ^(١) ، وينتبه انتباه الذئب ، همته بطنه ، ولذته فرجه ،
لا يفكر في زوال نعمته ، ولا يروى في إمضاء رأى ولا مكيدة ، قد ألهاه كأسه ،
وشغله قدحه ، فهو يجري في لهوه ، والأيام تسرع ^(٢) في هلاكه ، قد شمر
عبد الله له عن ساقه ، وفوق له أصيب ^(٣) أسهمه ، يرميه على بعد النار بالحتف
النافذ ، والموت القاصد ^(٤) ، فدعني له المنايا على متون الخيل ، وناط ^(٥) له البلاء
في أسنة الرماح ، وشيفار السيوف »

ثم استرجع وتمثل بأبيات للبعيث ^(٦) ، ثم التفت إلى فقال :
« يا أبا الحارث ، إيا وإباك لنجري إلى غاية ، إن قصرنا عنها ذمنا ، وإن
اجتهدنا في بلوغها انقطعنا ، وإنما نحن شعب من أصل ، إن قوى قويتنا ، وإن

[١] الطريان : دوية فوق حرو الكلب متنة الرمح كثيرة القوس ، يصرب بها الثل فيقال : « أفسى من
طومان » . [٢] في الأصل « صرع » وراه محرفاً . [٣] أصيب : أصبل من صاب السهم يصيب
صيباً : أي أصاب ، وسهم صيوب كصبور . [٤] اقاصد أي الكاسر ، من القصد بالفتح : وهو
الكسر بأي وجه كان ، أو بالصف ، كالتقصيد ، يقال قصد الحجة وقصدها كسرهما وفصلها وقصدت .
[٥] علق . [٦] هو خدش بن شر الحاشمي ، أحد شعراء الدولة الأموية ، وكان يهاجى حريراً .

ضَعُفُ ضَعْفُنَا ، إِنْ هَذَا قَدْ أَلْقَى يَدَهُ إِلْقَاءَ الْأَمَةِ الْوَكْفَاءِ ^(١) ، يَشَاوِرُ النِّسَاءَ ،
وَيَعْتَمِدُ عَلَى الرُّوْيَا ، وَقَدْ أَمَكَّنَ أَهْلَ اللَّهِوِ وَالْخَسَارَةِ مِنْ صَمْعِهِ ، فَهُمْ يَعْدُونَهُ
الظَّفَرَ ، وَيَعْنُونَهُ عُقْبُ ^(٢) الْأَيَّامِ ، وَالْهَلَاكُ أَسْرَعُ إِلَيْهِ مِنَ السَّيْلِ إِلَى قَيْعَانِ ^(٣)
الرَّمْلِ ، وَقَدْ خَشِيتُ وَاللَّهِ أَنْ تَهْلِكَ بِهَلَاكِه ، وَنَعَطَبَ بِعَطَبِهِ .

وَأَنْتَ فَارِسُ الْمَرْبِ وَابْنُ فَارِسِهَا ، وَقَدْ قَزَعَ إِلَيْكَ فِي لِقَاءِ هَذَا الرَّجُلِ
(طَاهِر) ، وَأَطْمَعُهُ فِيمَا قَبْلَكَ أَمْرَانِ ؛ أَمَّا أَحَدُهُمَا فَصِدْقُ طَاعَتِكَ ، وَفَضْلُ
نَصِيحَتِكَ ؛ وَالثَّانِي يُؤْمِنُ تَقْيِيدَتِكَ ^(٤) ، وَشِدَّةُ بَأْسِكَ ، وَقَدْ أَمَرَنِي بِإِزَاحَةِ عِلَّتِكَ ،
وَبَسْطِ يَدِكَ فِيمَا أَحْبَبْتَ ، غَيْرَ أَنْ الْاِقْتِصَادَ رَأْسَ النِّصِيحَةِ ، وَمِفْتَاحَ الْيُؤْمِنِ
وَالْبَرَكَهَ ، فَأَنْجِزْ حَوَائِجِي ، وَعَجِّلِ الْمَبَادِرَةَ إِلَى عَدُوِّكَ ، فَإِنِّي أَرْجُو أَنْ يُؤَلِّيكَ
اللَّهُ شَرَفَ الْفَتْحِ ، وَيَلْمُ بِكَ شَعَثَ هَذِهِ الْخِلَافَةِ وَالْدَوْلَةِ .

فَأَجَابَ بِالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ ، غَيْرَ أَنَّهُ طَلَبَ مَطَالِبَ لَمْ تَرُقْ فِي عَيْنِ الْأَمِينِ
فَقَضَيْبَ عَلَيْهِ ، وَأَمَرَ بِسَجْنِهِ . (تَارِيخُ الطُّبْرِى ١٠ : ١٥٨ ، وَرَوَاهُ الْأَدَابُ ٢ : ١٥٨)

١٠١ - وَصِيَّةُ الْأَمِينِ لِأَحْمَدَ بْنِ مَزِيدَ

ثُمَّ نَدَبَ عَمَّهُ أَحْمَدَ بْنَ مَزِيدَ ، فَلَمَّا أَرَادَ الشُّخُوصَ دَخَلَ عَلَى الْأَمِينِ ، فَقَالَ :
أَوْصِنِي أَكْرَمَ اللَّهِ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، فَقَالَ :

« أَوْصِيكَ بِخِصَالِ عِدَّةٍ ، إِيَّاكَ وَالْبَغْيَ فَإِنَّهُ عِقَالُ ^(٥) النِّصْرِ ، وَلَا تَقْدِّمْ
رَجُلًا إِلَّا بِاسْتِخَارَةٍ ، وَلَا تَشْهَرْ سَيْفًا إِلَّا بَعْدَ إِعْذَارٍ ، وَمَهْمَا قَدِّرْتَ عَلَيْهِ بِاللَّيْنِ ،

[١] وَصَفَ مِنَ الْوَكْفِ بِالْحَرِيكِ : وَهُوَ الْإِثْمُ وَالْمُبِى وَالْعَصَ ، وَكَفَّ كَعْرَحَ إِذَا أَمَّ ، وَفِي رِوَايَةِ

الطُّبْرِى « الْوَكْفَاءُ » مَالِيْن ، وَفِي الْمَقَاءِ . [٢] الْفَقُّ كَقَعْلَ وَعَنِ : الْعَاقَةُ .

[٣] الْقَيْعَانُ جَمْعُ قَاعٍ : وَهُوَ أَرْضٌ مَطْمَشَةٌ سَهْلَةٌ مَدَاغِرُحٌ عَنْهَا الْحَالُ وَالْآكَامُ .

[٤] الْغِيَّةُ : الْعَصِ وَالطَّبِيعَةُ . [٥] الْعِقَالُ فِي الْأَصْلِ : الْحُلُّ الَّذِي يُعِيدُ بِهِ الدَّابَّةُ .

فلا تتمده إلى الخرق والشره، وأحسن صحابة من معك من الجند، وطالغني بأخبارك في كل يوم، ولا تخاطر بنفسك طلب الرثفة^(١) عندي، ولا تستقها فيما تخوف رجوعه عليّ، وكن لعبد الله أخاً مصافياً، وقريناً برّاً، وأحسن مجامعته، وصحبته ومعاشرته، ولا تحذله إن استنصرك، ولا تبطئ عنه إذا استنصرحك، ولتكن أيديكما^(٢) واحدة، وكلمتكما متفقة .

وتوجه أحمد بن مزيد في عشرين ألفاً من الأعراب، وعبد الله بن حميد بن قحطبة في عشرين ألفاً من الأبناء، حتى نزلا خاتقين - قريباً من خلوان - ولم يزل طاهر بمحتال في وقوع الاختلاف والشغب بينهم، حتى اختلفوا، وانتقض أمرهم، وقاتل بعضهم بعضاً، فأخلوا خاتقين ورجعوا عنها، دون أن يلتقوا طاهراً .

(تاريخ الطبري ١٠ : ١٥٩)

١٠٢ - مقال عبد الملك بن صالح للأمين

وكان عبد الملك بن صالح يشكر للأمين تحلية مبيلاه، ويوجب بذلك على نفسه طاعته ونصيحته، فلما قوى طاهر، واستعلى أمره، وهزم من هزم من فواد الأمين وجيوشه، دخل عبد الملك على الأمين، فقال :

« يا أمير المؤمنين : إني أرى الناس قد طمعوا فيك، وأهل العسكرين قد اعتمدوا ذلك، وقد بذلت مماحتك، فإن تمت على أمرك أفسدتهم وأبطرتهم، وإن كففت أمرك عن العطاء والبذل أسخطتهم وأغضببتهم، وليس تملك الجنود بالإمساك، ولا يبقى ثبوت الأموال على الإتيان والسرف، ومع هذا فإن جندك قد رعبتهم الهزائم ونهكتهم، وأضعفتهم الحرب والوقائع، وامتلات

[١] الرلة واللى : الفرقة . [٢] أى أت وعد الله بن حميد بن قحطبة .

قلوبهم هيبةً لعدوهم ، وَنُكُولاً ^(١) عن لقاءهم ومناهضتهم ، فَإِنْ سَيَّرْتَهُمْ إِلَى طَاهِرٍ ، غَلَبَ بِقَلِيلٍ مَنْ مَعَهُ كَثِيرُهُمْ ، وَهَزَمَ بِقُوَّةٍ نَيْتَهُ ضَعْفَ نَصَائِحِهِمْ وَنِيَّاتِهِمْ ، وَأَهْلُ الشَّامِ قَوْمٌ قَدْ ضَرَّ مَسْتَهُمْ ^(٢) الْحُرُوبُ ، وَأَذَابُهُمُ الشَّدَائِدُ ، وَجُلَّتْهُمْ مَنَاقِدُ إِلَى ، مَسَارِعُ إِلَى طَاعَتِي ، فَإِنْ وَجَّهْتَنِي أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ اتَّخَذْتُ لَهُ مِنْهُمْ جُنْدًا يَعْظُمُ نِكَائَتُهُمْ فِي عَدُوهِ ، وَيُؤَيِّدُ اللَّهُ بِهِمْ أَوْلِيَاءَهُ وَأَهْلَ طَاعَتِهِ .

فَقَالَ الْأَمِينُ : « فَإِنِّي مُؤَلِّيكَ أَمْرَهُمْ ، وَمَقْوِيكَ بِمَا سَأَلْتَ مِنْ مَالٍ وَعُدَّةٍ ، فَجَعَلْتُ الشَّخْصَ إِلَى مَا هُنَاكَ ، فَاعْمَلْ عَمَلًا يَظْهَرُ أَثَرُهُ ، وَيُحْمَدُ بَرَكَتُهُ ، بِرَأْيِكَ وَنَظَرِكَ فِيهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ » ، فَوَلَاهُ الشَّامَ وَالْجَزِيرَةَ .

(تاريخ الطبري ١٠ : ١٦١ ، والكامل لابن الأثير ٦ : ١٠٣)

١٠٣ - الشَّغْبُ فِي جَيْشِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ صَالِحٍ

وَسَارَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ صَالِحٍ ، فَلَمَّا قَدِمَ الرَّقَّةَ ^(٣) ، كَتَبَ إِلَى رُؤَسَاءِ أَجْنَادِ الشَّامِ وَوُجُوهِ الْجَزِيرَةِ ، فَلَمْ يَبْقَ أَحَدٌ مِمَّنْ يُرْجَى ، وَيَذْكُرُ بِأَمْنِهِ وَغَنَائِهِ إِلَّا وَعَدَهُ ، وَبَسَطَ لَهُ فِي أَمَلِهِ وَأَمْنِيَّتِهِ ، فَقَدِمُوا عَلَيْهِ رُئُوسًا بَعْدَ رُئُوسٍ ، وَجَمَاعَةً بَعْدَ جَمَاعَةٍ ، فَكَانَ لَا يَدْخُلُ عَلَيْهِ أَحَدٌ إِلَّا أَجَازَهُ ، وَخَلَعَ عَلَيْهِ وَحَمَلَهُ ، فَأَتَاهُ أَهْلُ الشَّامِ ، الزَّوَاqِيلُ ، وَالْأَعْرَابُ مِنْ كُلِّ فَجٍّ ، وَاجْتَمَعُوا عِنْدَهُ حَتَّى كَثُرُوا ، يَتَدَأَّنُهُ نَارُ الْفِتْنَةِ بَيْنَ جُنْدِ أَهْلِ خِرَاسَانَ وَبَيْنَ الزَّوَاqِيلِ ^(٤) ، وَأَقْضَى الْأَمْرَ إِلَى تَلَاحُظِهِمْ وَاقْتِتَالِهِمْ ، ثُمَّ قَامَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ خِصَصٍ ، فَقَالَ :

[١] حَسَاوِحًا . [٢] حَرَمُهُمْ وَأَحْكَمَهُمْ .

[٣] مَدَّةٌ عَلَى الْفَرَاتِ . [٤] وَسَمَّيْنَاهَا أَنَّ بَعْضَ أَهْلِ خِرَاسَانَ نَظَرَ إِلَى دَابَّةٍ كَانَتْ قَدْ أَخَذَتْ مَهًا فِي إِحْدَى الْوَبْعَاتِ مَحْ بَعْضَ الزَّوَاqِيلِ ، فَتَقَلَّبَ فِيهَا ، فَخَرَّ الْأَمْرَ بَيْنَهُمَا إِلَى أَنْ اخْتَلَعَا ، وَاجْتَمَعَتِ جَمَاعَةٌ مِنَ الزَّوَاqِيلِ وَالْمُتَدَلِّهِينَ ، وَأَمَّا كُلُّ دَرِيْقٍ مِنْهُمْ صَاحِبُهُ ، ثُمَّ اسْعَ لَطَاقُ الْعَسَةِ فَانْشَقَّتْ وَحِدَةُ الْجَيْشِ .

« يَأْهَلْ حِمص ، الْهَرَبُ أَهْوَنُ مِنَ الْعَطَبِ ، وَالْمَوْتُ أَهْوَنُ مِنَ الْقُلِّ ،
إِنَّكُمْ بَعُدْتُمْ عَنْ بِلَادِكُمْ ، وَخَرَجْتُمْ مِنْ أَقَالِيمِكُمْ ، تَرْجُونَ الْكَثْرَةَ بَعْدَ الْقَلَّةِ ، وَالْعِزَّةَ
بَعْدَ الدَّلَّةِ ، أَلَا وَفِي الشَّرِّ وَقَعْتُمْ ، وَإِلَى حَوْمَةِ الْمَوْتِ أُتِخْتُمْ ، إِنْ الْمَنَابِيا فِي شَوَارِبِ
الْمَسْوَدَةِ ^(١) وَقَلَانِيهِمْ ، النِّفِيرَ النِّفِيرَ ^(٢) قَبْلَ أَنْ يَنْقَطِعَ السَّبِيلُ ، وَيَنْزِلَ الْأَمْرُ
الْجَلِيلُ ، وَيَفُوتَ الْمَطْلَبُ ، وَيَعْسُرَ الْمَذْهَبُ ، وَيَبْعَدَ الْعَمَلُ ، وَيَقْتَرِبَ الْأَجَلُ » .
وَقَامَ رَجُلٌ مِنْ كَلْبٍ ، فَقَالَ :

« يَا مَعْشَرَ كَلْبٍ ، إِنَّهَا الرَايَةُ السَّوْدَاءُ ، وَاللَّهُ مَا وَلَّتْ وَلَا عَدَلَتْ ، وَلَا ذُلٌّ
نَصَرَهَا ، وَلَا ضَعْفٌ وَلِيَهَا ، وَإِنَّكُمْ لَتَعْرِفُونَ مَوَاقِعَ سَيُوفِ أَهْلِ حِرَاسَانَ فِي
رِقَابِكُمْ ، وَأَثَارَ أَسْنَنَتِهِمْ فِي صُدُورِكُمْ ، اعْتَزِلُوا الشَّرَّ قَبْلَ أَنْ يَعْظُمَ ، وَتَخْطُوهُ قَبْلَ
أَنْ يَضْطُرَّكُمْ ، شَأْمَكُمْ ، دَارَكُمْ دَارَكُمْ ، الْمَوْتُ الْفِلَسْطِينِيُّ خَيْرٌ مِنَ الْعَيْشِ الْجَزَرِيِّ ،
أَلَا وَإِنِّي رَاجِعٌ فَمَنْ أَرَادَ الْإِنْصِرَافَ فَلْيَنْصَرِفْ مَعِيَ » .
ثُمَّ سَارَ وَسَارَ مَعَهُ عَامَةٌ أَهْلُ الشَّامِ ، وَأَقْبَلَتِ الزَّوَاكِلُ حَتَّى أَضْرَمُوا مَا كَانَ
يُجْمَعُ مِنَ الْأَعْلَافِ بِالنَّارِ ، (وَكَانَ ذَلِكَ سَنَةَ ١٩٦ هـ) .

(تاريخ الطبري ١٠ : ١٦٢)

١٠٤ - خطبة الحسين بن علي بن عيسى بن ماهان

يدعو إلى خلع الأمين

ومات عبد الملك بن صالح بالرقّة ، وكان معه الحسين بن علي بن عيسى
ابن ماهان ، فَأَقْبَلَ الْجُنْدَ مِنَ الْجَزِيرَةِ إِلَى بَغْدَادَ ، فَتَلَقَّاهُ أَهْلُهَا بِالتَّكْرِمِ وَالتَّعْظِيمِ ،
وَضَرَبُوا لَهُ الْقُبَابَ ، وَاسْتَقْبَلَهُ الْقَوَادِ وَالرُّؤَسَاءُ وَالْأَسْرَافُ ، ثُمَّ اجْتَمَعَ إِلَيْهِ النَّاسُ
فَقَامَ فِيهِمْ فَقَالَ :

[١] كانت الجيود الحراسية التي تقاتل الأمويين في سبيل نشر الدعوة العباسية يحملون الرايات السوداء
معدوا من أجل ذلك المسودة . [٢] غر إلى الأمر كعرب غيرا : أسرع إليه .

« يا معشر الأبناء ، إن خلافة الله لا تُجَاوَز بالبطر ، ونِعْمَه لا تستصحب بالتجبر والتكبر ، وإن محمدًا يريد أن يُوتغ^(١) أديانكم ، وينكث بيعتكم ، ويفرق جمعكم ، وينقل عزكم إلى غيركم ، وهو صاحب الزواويل بالأس ، وبالله إن طالت به مدة ، وراجعه من أمره قوة ، ليرجعن وبال ذلك عليكم ، وليعرفن ضرره ومكروهه في دولتكم ودعوتكم ، فافطعوا أثره قبل أن يقطع آثاركم ، وضعوا عزه قبل أن يضع عزكم ، فوالله لا ينصره منكم ناصرٌ إلا خذل ، ولا يمنعه مانع إلا قتل ، وما عند الله لأحد هودة ، ولا يرأب على الاستخفاف بهوده ، والحنث بإيمانه .

وخلع الحسين بن علي محمدًا الأمين وجبسه^(٢) ، وأخذ البيعة لعبد الله المأمون .

(تاريخ الطبري ١٠ : ١٦٣)

١٠٥ - خطبة محمد بن أبي خالد

في فض الناس عن اتباع الحسين بن علي بن عيسى

فلما أصبح الناس من الند ، طلبوا من الحسين بن علي الأرزاق ، وماج الناس بعضهم في بعض ، وقام محمد بن أبي خالد ، فقال :

« أيها الناس ، والله ما أدرى ، بأي سبب يتأمر الحسين بن علي علينا ، ويتولى هذا الأمر دوننا ؟ ما هو بأكبرنا سنًا ، ولا أكرمنا حسَبًا ، ولا أعظمنا منزلةً ، وإن فينا من لا يرضى بالدينية ، ولا يُقاد بالخادعة ، وإني أولكم ، نقض عهده ، وأظهر التغير عليه ، والإنكار لعله ، فمن كان رأيُه رأيي ، فليعتزل معي . » (تاريخ الطبري ١٠ : ١٦٤)

[١] أوتغ ديه ملائم : أسده ، وأوتغه الله : أهلكه .

[٢] وكان جلس الحسين محمدًا الأمين في قصر أبي حنيفة يومئذ .

١٠٦ - إطلاق الأمين من سجنه ورده إلى مجلس الخلافة

وقام أسد الحرب ، فقال : « يا معشر الحرية ، هذا يوم له ما بعده ، إنكم قد نمتُم و طال نومكم ، وتأخرتم فقدم عليكم غيركم ، وقد ذهب أقوامٌ بذِكر خلع محمد وأسرِه ، فاذهبوا بد كرفكّه وإطلاقه » .

فأقبل شيخ كبير من أبناء الكفاية على فرس ، فصاح بالناس : اسكتوا ، فسكتوا ، فقال :

« أيها الناس ، هل تمتدّون على محمد بقطع منه لأرزاكم ؟ قالوا : لا ، قال : فهل قصّر بأحد منكم ، أو من رؤسائكم وكبرائكم ؟ قالوا : ما علمنا ، قال : فهل عزّل أحداً من قوادكم ؟ قالوا : معاذ الله أن يكون فعل ذلك ، قال : فما بالكم خذلتُموه ، وأعتم عدوّه على اصطهادِه وأسرِه ؟ أما والله ما قتل قومٌ خليفَتهم قطُّ ، إلا سلّط الله عليهم السيفَ القاتل ، والحُتفَ الجارِف ، انهضوا إلى خليفَتكم وادفعوا عنه ، وفاتلوا من أراد خلعه والفتك به » .

فنهضوا معه وقاتلوا الحسين بن عليّ وأصحابه قتالاً شديداً . وأكثرُوا في أصحابه الجراح ، وأسروا الحسين . ودخل أسد الحرب على محمد فكسر قيوده ، وأقعدَه في مجلس الخلافة

وأثنى الأمين بالحسين بن عليّ ، فلامه على خلافه وقال له : ألم أقدم أبك على الناس ، وأولّه أعنة الخيل . وأملاً يده من الأموال ، وأشرف أقداركم في أهل خراسان ، وأرفع منازلكم على غيركم من الفواد ؟ قال : بلى ، قال : فما الذي استحققتُ به منك أن تجام طاعتي ، وتؤلّب الناس عليّ . وتندبهم إلى قتالي ؟

قال : الثقة بعفو أمير المؤمنين ، وحسن الظن بصفحه وتفضله ، قال : فإن أمير المؤمنين ، قد فعل ذلك بك ، وولأك الطلب بئارك ، ومن قُتل من أهل بيتك ، ثم دعا له بخيلة ، فخلعها عليه ، وحمله على مراكب ، وأمره بالمسير إلى خلوان ، وخرج الحسين ، فهرب في نفر من خدمه ومواليه ، فنادى محمد في الناس ، فركبوا في طلبه فأدركوه وقتلوه . (تاريخ الطبري : ١٠ : ١٦٤)

١٠٧ — خطبة داود بن عيسى يدعو إلى خلع الأمين

وقام داود بن عيسى^(١) والى مكة والمدينة — وكان خطيباً فصيحاً جهوري الصوت — يدعو إلى خلع الأمين ومبايعة المأمون ، فقال :
« الحمد لله مالك الملك ، يُؤتي الملك من يشاء ، وَيُنزِع الملك ممن يشاء ، وَيُعِزُّ من يشاء ، وَيُذِلُّ من يشاء ، بده الخير ، وهو على كل شيء قدير ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، قائماً بالقسط ، لا إله إلا هو العزيز الحكيم ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أرسله بالدين ، وختم به النبيين ، وجعله رحمة للعالمين ، صلى الله عليه في الأولين والآخرين .

[١] هو داود بن عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ، وكان الأمين حين أفضت الخلافة إليه يثبته والياً على مكة والمدينة ، فأقام والياً عليهما حتى دخلت سنة ١٦٦ ، فكتب الأمين إلى داود بن عيسى يأمره بجمع عبد الله المأمون ، والبيعة لابنه موسى ، وحث إلى الكتابين اللذين كان الرشد كتبهما وعاقبهما في الكعبة ، فأحدهما ، فلما فعل ذلك جمع داود حجة الكعبة والقرشيين والعقهاء ، ومن كان شهد على ما في الكتابين من اليهود — وكان داود أحدهم — فقال داود : قد علمت ما أخذ علينا وعليكم الرشد من العهد واليثاق ، عبد الله الحرام ، حين ما يبايع لابنه لكون مع للطلوم منها على الظالم ، ومع المهي عليه على الناعي ، ومع المعتبر به على العادر ، فقد رأينا ورأينا أن محمداً (الأمين) قد بدأ بالظلم والهي والعدو على أخوته عبد الله المأمون ، والقاسم للوثاق ، وحلعهما ، وابع لابنه الطفل رضيع صغير لم يحطم ، واستخرج الشرطين من الكعبة طامياً ، خرعهما بالنار ، وقد رأيت خلقه ، وأن أبابيع لسد الله المأمون بالخلافة ، إذ كان مظلوماً مميهاً عليه ، فقال له أهل مكة : رأينا مع لرأيك ، ونحن حالوم معك ، شمع الناس ، وحطيم هذه الخطبة .

أما بعد ، يا أهل مكة ، فأنتم الأصل والفرع ، والعشيرة والأُسرة ، والشركاء في النعمة ، إلى بلدكم يَفِدُ وقد الله ^(١) ، وإلى قبلكم يَأْتُمُ المسلمون ، وقد عَلِمْتُمْ ما أخذ عليكم الرشيد هرون ، رحمة الله عليه وصلاته ، حين بايع لابنيه محمد وعبد الله بن أظهركم من العهد والميثاق ، لَتَنْصُرُنَّ المظلومَ منهما على الظالم ، والمبني عليه على الباغي ، والمغدور به على الغادر ، ألا وقد علمتم وعلمنا أن محمد ابن هرون قد بدأ بالظلم والبغي والغدر ، وخالف الشروط التي أعطاهَا من نفسه في بطن البيت الحرام ، وقد حَلَّ لنا ولكم خلعُه من الخلافة وتصييرها إلى المظلوم المبني عليه ، المغدور به ، ألا وإني أُشهِدُكم أنني قد خلعت محمد بن هرون من الخلافة ، كما خلعت قَلَنْسُوْتِي هذه من رأسي - وخلعت قَلَنْسُوْتَه عن رأسه ، فرمى بها إلى بعض الخدم تحته ، وكانت من بُرُودِ حَبْرَةٍ ^(٢) سلسلة حمراء ، وآتَى بقلنسوة سوداء هاشمية فَلَبِسَهَا - ثم قال . قد بايعت لعبد الله المأمون أمير المؤمنين بالخلافة ، ألا فقوموا إلى البيعة لخليفكم : فصعد جماعة من الوجوه إليه إلى المنبر رجل فرجل ، فبايعه لعبد الله المأمون بالخلافة وخلع محمداً .

(تاريخ الطبري ١٠ : ١٧٠)

١٠٨ - خطبة الأمين وقد تولى الأمر عنه

ولما رأى الأمين الأمر قد تولى عنه ، وأنصاره يتسلَّلون فيخرجون إلى طاهر ، أمر بإحضار كل من كان معه في المدينة من انقواد والجند ، فأشرف عليهم وقال :

[١] أي لتأدية فريضة الحج . [٢] برود حرة : صرب من الدود اليمامية ، يقال : برد حرة مثل عبة على الوصف والإضافة ، وبرود حرة ، وليس حبرة موصفاً أو شيئاً معلوماً ، إنما هو وثنى كقولك : ثوب قرمر ، والقرمر : صمغ .

« الحمد لله الذي يرفع ويضع ، ويعطي ويمنع ، ويقبض ويتسط ، وإليه المصير ، أحمد على نوائب الزمان ، وخذلان الأعوان ، وتشنت الرجال ، وذهاب الأموال ، وحلول النوائب ، وتوفد المصائب ، حمداً يَدْخُلُ به أجزل الجزاء ، ويرفدني ^(١) أحسن العزاء ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، كما شهد لنفسه ، وشهدت له ملائكتُه ، وأن محمداً عبده الأمين ، ورسوله إلى المسلمين صلى الله عليه وسلم ، آمين رب العالمين .

أما بعد : يا معشر الأبناء ، وأهل السبق إلى الهدى ، فقد علمتم غفاتي كانت أبام الفضل بن الربيع وزير علي ومشير ، فمادت ^(٢) به الأيام بما لزمني به من الندامة في الخاصة والعامة ، إلى أن نهتموني فانتبهت ، واستعتموني في جميع ما كرهتم من نفسي وفيكم ، فبذلت لكم ما حواه منكمي ، ونالته مقدرتي ، مما جمعه وورثته عن آبائي ، فقودت ^(٣) من لم يجز ، واستكفيت من لم يكف ، واجتهدت - علم الله - في طلب رضاكم بكل ما قدرت عليه ، واجتهدتم - علم الله - في مساءتي في كل ما قدرت عليه ، من ذلك توجيهي إليكم علي ابن عيسى شيخكم وكبيركم ، وأهل الرأفة بكم ، والتحنن عليكم ، فكان منكم ما يطول ذكره ، ففقرت الذنب ، وأحسنتم واحتملت ، وعزيت نفسي عند معرفتي بشذوذ الظفر ، وحرصت على مقامكم مسلحة ^(٤) بمحلوان مع ابن كبير صاحب دعوتكم ، ومن على يدي آية ^(٥) كان فخركم ، وبه تمت طاعتكم : عبد الله بن حميد ابن قحطبة ، فصرتم من التائب عايه إلى ما لا طاعة له به ، ولا صبر عليه ، يقودكم

[١] رفته وأرفقته : أعطاه . [٢] طاوله وأهلكه . [٣] أي الحمد لله طائداً .

[٤] السلحة : القوم ذوو سلاح . [٥] هي جد عبد الله بن حميد بن قحطبة ، وهو قحطبة

ابن سيب الطائي ، أحد العامة العاسسة والقواد الدين طالتوا الحياوش الأموية . انظر الجزء الثاني

رجل منكم وأنتم عشرون ألفاً إلى عامين ، وعلى سيدكم متوثبين ، مع سعيد الفرد ، سامعين له مطيعين ، ثم وثبتم مع الحسين عليّ ، تخلعتموني وشتمتموني ، واتهبتموني وحبستموني وقيدتموني ، وأشياء منعتموني من ذكرها ، حقد قلوبكم ، وتلكي^(١) طاعتكم أكبر وأكبر ، فالحمد لله حمد من أسلم لأمره ، ورضي بقدره ، والسلام .

وكانت عاقبة أمره أن قتل سنة ١٩٨ هـ وحمل رأسه إلى المأمون بخراسان .

(تاريخ الطرى ١٠ : ٢٠٥ ، ومروج الذهب ٢ : ٣٠٥)

١٠٩ - استعطاف الفضل بن الربيع للمأمون

وقال المأمون للفضل بن الربيع^(٢) لما ظفر به : « يا فضل ، أكان من حقّ عليك وحقّ آبائي ونعمهم عند أيك وعندك أن تلبّيتي^(٣) وتسبّيتي وتحرّض على دى ؟ أتحب أن أفعل بك ما فعلته بي ؟ »

فقال : « يا أمير المؤمنين ، إن عذرى يُحمدك إذا كان واصحاً جميلاً ، فكيف إذا حقت^(٤) العيوب ، وقبحته الذنوب ، فلا يضيق عني من عفوك ما وسع غيرى منك ، فأنت كما قال الشاعر^(٥) فيك :

صَفُوحٌ عَنِ الْأَجْرَامِ حَتَّى كَأَنَّهُ مِنْ الْعُفُوفِ لَمْ يَعْرِفْ مِنَ النَّاسِ مُجْرِمًا
وَلَيْسَ يُبَالَى أَنْ يَكُونَ بِهِ الْأَذَى إِذَا مَا الْأَذَى لَمْ يَغْشَ بِالْكَرْهِ مُسْلِمًا

(دهر الآداب ٢ : ١٦٣)

[١] مسهل عن ملكو . [٢] تولى سنة ٢٠٨ . [٣] تله كصره : لاه وعاه .

[٤] مكناى الأصل ، وربما كان « أحقته » لقوله قبل : « إذا كان واصحاً » .

[٥] هو الحسن بن رضاء بن أبي الضحاك .

١١٠ - خطبة طاهر بن الحسين ببغداد بعد مقتل الأمين

ودخل طاهر بن الحسين بغداد يوم الجمعة بعد قتل الأمين ، فصلى بالناس وخطبهم خطبة بليغة ، وقد حضره من بني هاشم والقواد وغيرهم جماعة كثيرة قال :

« الحمد لله مَالِكِ الْمَلِكِ ، يُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ يَشَاءُ ، وَيَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ يَشَاءُ ، وَيُمِيزُ مَنْ يَشَاءُ ، وَيُذِلُّ مَنْ يَشَاءُ ، بِيَدِهِ الْخَيْرُ ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ، لَا يُضْلِحُ عَمَلُ الْمُفْسِدِينَ ، وَلَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ ، إِنْ ظَهَرَ عَلَيْنَا لَمْ يَكُنْ مِنْ أَيْدِينَا وَلَا كَيْدِنَا ، بَلْ اخْتَارَ اللَّهُ لِلْخَلَاقَةِ ، إِذْ جَعَلَهَا عِمَاداً لِدِينِهِ ، وَقِيَاماً لِعِبَادِهِ ، وَضَبَطَ الْأَطْرَافَ ، وَسَدَّ التَّغُورَ ، وَإِعْدَادِ الْعُدَّةَ ، وَجَمَعَ النِّقْمَ ، وَإِنْفَازِ الْحُكْمِ ، وَنَشَرَ الْعَدْلَ ، وَإِحْيَاءِ الشَّيْءِ ، بَعْدَ إِذْ بَالَ الْبَطَالَاتُ ، وَالتَّلَذُّ بِمُوقِ السُّهَوَاتِ ، وَالْمُخْلِدُ إِلَى الدُّنْيَا مُسْتَحْسِنٌ لِدَاعِي عُرُورِهَا ، مُتَحَلِّبٌ دِرَّةً ^(١) نِعْمَتِهَا ، أَلْفٌ لَزَهْرَةٍ رَوْضَتِهَا ، كَلِيفٌ بَرُونِقٍ بِهَجَّتِهَا ، وَقَدْ رَأَيْتُمْ مِنْ وَفَاءٍ مُوَعِدِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لِمَنْ بَغَى عَلَيْهِ ، وَمَا أَحَلَّ بِهِ مِنْ بَأْسِهِ وَتَقَمَّتِهِ ، لَمَّا نَكَبَ ^(٢) عَنْ عَهْدِهِ ، وَارْتَكَبَ مَعْصِيَتَهُ ، وَخَالَفَ أَمْرَهُ ، وَغَيْرَهُ نَاهِيَةً ، وَعَظَمَتَهُ مُؤَدِّبَةً ، فَتَمَسَّكُوا بِدَقَائِقِ عِصْمِ ^(٣) الطَّاعَةِ ، وَاسْتَلْكَوْا مَنَاحِي سَبِيلِ الْجَمَاعَةِ ، وَاحْذَرُوا مَصَارِعَ أَهْلِ الْخِلَافِ وَالْمَعْصِيَةِ ، الَّذِينَ فَدَحُوا زِنَادَ الْفِتْنَةِ ، وَصَدَعُوا شَعَبَ الْأُلْفَةِ ، فَأَغْقَبَهُمُ اللَّهُ خَسَارَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ » . (تاريخ الطبري ١٠ - ٢٠٦ ، والنقد العرید ٢ . ١٥٥)

[١] الدرّة : اللؤلؤ . [٢] عدل .

[٣] جمع عصم ككتاب ، وعصام العربية : رباطها وسيرها الذي تحمل به .

خطب المأمون (توفي سنة ٢١٨ هـ)

١١١ - خطبته وقد ورد عليه نعي الرشيد

خطب الناس بمرو حين ورد عليه نعي الرشيد ، فقال :
 « إن ثمرة الصبر الأجر ، وثمره الجزع الوزر ، والتسليم لأمر الله عز وجل
 فائدة جليلة ، وتجارة مربحة ، فالموت حوض مورود ، وكأس مشروب ، وقد
 أتى على خليفكم ما أتى على نبيكم صلى الله عليه وسلم ، فإننا لله وإنا إليه راجعون ،
 فما كان إلا عبداً دعي فأجاب ، وأمر فاطاع ، وقد سدد أمير المؤمنين ثلثه ، وقام
 مقامه ، وفي أعناقكم من العهد ما قد عرفتم ، فأحسنوا العزاء على إمامكم الماضي ،
 واغبطوا بالنعماء والوفاء في خليفكم الباقي ، ي أهل الدنيا : الموت نازل ، والأجل
 طالب ، وأمس واعظ ، واليوم مغتتم ، وغد متظر » .

١١٢ - خطبته وقد سلم الناس عليه بالخلافة

ولما بلغه بخراسان قتل أخيه ، وأقبل الناس للتسليم عليه بالخلافة ، صعد
 المنبر ، فحمد الله ، وأثنى عليه ، وصلى على نبيه ، ثم قال :
 « أيها الناس : إني جعلتُ الله على نفسي ، إن استرعاني أموركم أن أطيعه
 فيكم ، ولا أسفك دماً عمداً لا نحلّه حدوده ، ونسفك فرائضه ، ولا آخذ لأحد
 مالا ، ولا أثاماً ، ولا نحلّه^(١) تحريم علي ، ولا أحكم بهواي ، في غضبي ولا
 رضاي ، إلا ما كان في الله وله ، جعلتُ كله لله عهداً مؤكداً ، وميثاقاً مشدداً ،

[١] نحلّه : أعطاه والاسم النحلة .

إني أني رغبةً في زيادته إياي في نعمتي ، ورهبةً من مسألتِهِ إياي عن حَقِّهِ
وخلقه ، فإن غيَّرتُ أو بدلتُ كنتُ للغيرِ مستأهِلاً ، وللنَّكالِ مُعرَّضاً ، وأعوذُ
بالله من سَخَطِهِ ، وأرغبُ إليه في المَعونة على طاعته ، وأن يحُولَ بيني
وبين معصيته »

١١٣ — خطبته يوم الجمعة

الحمد لله مستخلص الحمد لنفسه ، ومستوجبُه على خلقه ، أحمدُه وأستعينه ،
وأومن به ، وأتوكل عليه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد
أن محمداً عبده ورسوله ، أرسله بالهدى ودين الحق ليُظهرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ
كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ، أوصيكم عباد الله بتقوى الله وحَدَّهِ ، والعملِ لما عنده ،
والتَّجَزُّؤَ لوعده ، والخوفِ لوعيده ، فإنه لا يَسْلَمُ إلا من اتقاه ورجاه ، وعَمِلَ له
وأرضاه ، فاتقوا الله عباد الله ، وبادروا آجالكم بأعمالكم ، وابتاعوا ما بقي بما
يزول عنكم ، وترحلوا فقد جدَّ بكم ، واستعدُّوا للموت فقد أظلمكم ، وكونوا قوماً
صبيحَ بهم فانتبهوا ، وعلموا أن الدنيا ليست لهم بدارٍ فاستبدلوا ، فإن الله لم
يخلقكم عبداً ، ولم يترككم سُدًى ، وما بين أحدٍكم وبين الجنة والنار إلا الموتُ أن
ينزل به ، وإن غايةَ تنقُّصِها اللحظة ، وتهدُّمِها الساعةُ الواحدةُ ، لجديرةٌ بقصرِ
المدَّةِ ، وإن غائباً يَحْدُوهُ ^(١) الجديدان : الليل والنهار لحريٌّ بسرعة الأوبة ، وإن
قادمًا يحلُّ بالفوز أو بالشَّقْوَةَ لستحقِّ لأفضل المدَّةِ ، فاتقِ عبدُ ربِّه ، ونصح نفسه ،
وقدَّم توبته ، وعلب شهوته ، فإن أجله مستورٌ عنه ، وأمله خادع له ، والشيطان
موكلٌ به ، يزيِّن له المعصية ليركبها ، ويعيِّنه التوبة ليسوفها ، حتى تهجم عليه

منبته أغفل ما يكونُ عنها ، فيالها حيرةً على ذي غفلة ، أن يكون عمره عليه حجة ، أو تؤدّيه أيامه إلى شقوة ، نسأل الله أن يجعلنا وإياكم ممن لا تُبطره نعمة ، ولا تقصّره عن طاعته غفلة ، ولا تحلّ به بعد الموت قرعة . إنه سميع الدعاء ، ويده الخير ، وإنه فعال لما يريد .

(عيون الأبحار ٢ : من ٢٥٣ ، والقد القريد ٢ : ١٤٨)

١١٤ - خطبته يوم الأضحي

قال بعد التكبير والتحميد : إن يومكم هذا يوم أبان الله فضله ، وأوجب تشريفه ، وعظم حرّمته ، ووفّق له من خلقه صفوته ، وابتلى فيه خلقه ، وفدّى فيه من الذبح نبيه ، وجعله خاتم الأيام المعلومات من العشر ، ومتقدّم الأيام المعدودات من النحر^(١) ، يوم حرام ، من أيام عظام ، في شهر حرام ، يوم الحج الأكبر ، يوم دعا الله إلى مشهده ، ونزل القرآن بتعظيمه ، قال الله جل وعز : « وَادِّعْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ، لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ ، فَكُلُوا مِنْهَا ، وَأَطِيعُوا أَمْرَ الْفَقِيرِ ، ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ ، وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ ، وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ، ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ ، وَأُحِلَّتْ لَكُمْ الْأَنْعَامُ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ^(٢) » ففقرّوا إلى الله في

[١] يوم النحر : اليوم الذي يمر فيه الناس من مي ، وهو من يوم النحر (ويوم النحر بالفتح : اليوم الذي بعد يوم النحر ، لأن الناس يقرّون في ما رزقهم) .

[٢] رجلا : أي مشاة ، جمع راجل كقائم وقيام ، وعلى كل صامر : أي وركباً على كل صامر ، أي بغير مهول ، يأتين : أي الضواصر ، صفة لصامر حلا على للمي ، من كل فج عميق : أي طريق بعيد ، ليشهدوا ماع لهم : دينية ودينية ، في أيام معلومة : في عشر ذي الحجة ، وقيل : أيام النحر ، من

هذا اليوم بذبائحكم ، وعظموا شعائر الله ، واجعلوها من طيب أموالكم ، وبصحة التقوى من قلوبكم ، فإنه يقول : « لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ »^(١) ، ثم التكير والتحמיד والصلاة على النبي والوصية بالتقوى ، ثم قال بعد ذكر الجنة والنار : عَظُمَ قَدْرُ الدَّارَيْنِ ، وارتفع جَزَاءُ الْعَمَلَيْنِ^(٢) ، وطالت مدة الفريقين ، اللَّهُ اللَّهُ ، فوالله إنه أَلْبَدُ لَا اللَّيْبَ ، وإنه الحق لا الكذب ، وما هو إلا الموت والبعث ، والميزان والحساب والقصاص والصراط ، ثم العقاب والثواب ، فمن نجا يومئذ فقد فاز ، ومن هوى يومئذ فقد خاب ، الخير كله في الجنة ، والشر كله في النار .

(ميون الأجارم ٢ : ص ٢٥٤ ، والعد المريد ٢ : ١٤٨)

١١٥ — خطبته يوم الفطر

قال بعد التكير والتحמיד : إن يومكم هذا يوم عيد وَسُنَّةٌ ، وابتهاال ورغبة ، يوم ختم الله به صيام شهر رمضان ، وافتتح به حج بيته الحرام ، فجعله خاتمة الشهر ، وأوّل أيام شهور الحج ، وجعله مُعَقِّبًا لمفروض صومكم ، ومُتَنَفِّلًا قيامكم ، أَحَلَّ فِيهِ الطَّعَامَ لَكُمْ ، وَحَرَّمَ فِيهِ الصِّيَامَ عَلَيْكُمْ ، فاطلبوا إلى الله حوائجكم ، واستغفروه لتفريطكم ، فإنه يقال : « لَا كَبِيرَ مَعَ اسْتِغْفَارٍ ، وَلَا صَغِيرَ مَعَ إِصْرَارٍ » ، ثم التكير والتحמיד ، وذكر النبي عليه الصلاة والسلام ، والوصية بالتقوى ، ثم قال : فاتقوا الله عباد الله ، وبادروا الأمر الذي أَعْتَدَ لَهُ يَتَيْنُكُمْ ، ولم يَحْتَضِرْ^(٣) الشك فيه أحدًا منكم ، وهو الموت المكتوب عليكم ، فإنه لَا تُسْتَقَالُ بعده عَثْرَةٌ ، وَلَا تُحْظَرُ قبله تَوْبَةٌ ، واعلموا أنه لَا شَيْءَ قبله إِلَّا دُونَهُ ، وَلَا شَيْءَ بعده

هزيمة الأنام . الإل والقر والعم الى سحر الصحايا ، ثم يعصروا عنهم : أي يربطوا أوساحهم وشعهم من نحو منى الأَطْعَامَ ، وحلق الناقة ، وغير ذلك . [١] أي يرجع اليه منكم العمل الصالح . [٢] أي عمل الخير وعمل الشر . [٣] يحضر .

إلا فوقه ، ولا يُعِين على جَزَعِهِ وَعَلَزِهِ ^(١) وَكَرْبِهِ ، ولا يَعِين على القبر وظلمته ، وَضِيقِهِ وَوَحْشَتِهِ ، وَهَوْلِ مَطْلَمِهِ وَمَسْأَلَةِ مَلَأْنِكَته ، إلا العملُ الصالحُ الذي أَمَرَ اللهُ بِهِ ، فمن زَلَّتْ عند الموت قدمُهُ ، فقد ظهرت ندامتُهُ ، وفاتته استقالتُهُ ، ودعا من الرجعة إلى ما لا يُحَاب إليه ، وَبَذَلَ من الفِدْيَةِ ما لا يُقْبَل منه ، قالَ اللهُ عبادَ اللهِ ، وَكُونُوا قَوْمًا سَأَلُوا الرَّجْعَةَ فَأَعْطُوهَا ، إِذْ مُنِعَهَا الَّذِينَ طَلَبُوهَا ، فَإِنَّهُ لَيْسَ يَتَعْنَى الْمُتَقَدِّمُونَ قَبْلَكُمْ إِلَّا هَذَا الْمَهَلُ الْمَبْسُوطُ لَكُمْ ، واحذروا ما حَذَرَكم اللهُ ، واتقوا اليوم الذي يَجْمَعُكم اللهُ فِيهِ لَوْضِعَ مَوَازِينِكُمْ ، وَنُشِرَ صُحُفِكُمْ الحَافِظَةُ لأَعْمَالِكُمْ ، فليُنْظَرِ عَبْدٌ مَا يَضَعُ فِي مِيزَانِهِ مِمَّا يَنْقُلُ بِهِ ، وَمَا يُعِلُّ ^(٢) فِي صَحِيفَتِهِ الحَافِظَةُ لِمَا عَلَيْهِ وَلَهُ ، فقد حَكَى اللهُ لَكُمْ مَا قَالَ الْمُفَرِّطُونَ عِنْدَهَا ، إِذْ طَالَ إِعْرَاضُهُمْ عَنْهَا ، قَالَ : « وَوَضِعَ الْكِتَابُ قَدَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا ، مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظُنُّ رَبُّكَ أَحَدًا » ، وَقَالَ . « وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ ^(٣) أَيُّومَ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا ، وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أُنْزِلَتْ بِهَا وَكَفَى بِنَاحِسِينَ » ، وَلَسْتُ أَنُهَاكُمْ عَنِ الدُّنْيَا بِأَعْظَمِ مِمَّا نَهَيْتُكُمْ الدُّنْيَا عَنْ نَفْسِهَا ، فَإِنَّ كُلَّ مَا بِهَا يَهِي عَنْهَا ، وَكُلَّ مَا فِيهَا يَدْعُو إِلَى عَيْرِهَا ، وَأَعْظَمُ مِمَّا رَأَتْهُ أَعْيُنُكُمْ مِنْ عَجَائِبِهَا ذِمُّ كِتَابِ اللهِ لَهَا ، وَنَهَى اللهُ عَنْهَا ، فَإِنَّهُ يَقُولُ : « فَلَا تَتْرُكُوكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ، وَلَا يَفْرُكُكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ » ، وَقَالَ : « إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ .. الْآيَةُ » ، فَاتَّقُوا عَمْرَفَتِكُمْ بِهَا ، وَبِإِخْبَارِ اللهِ عَنْهَا ،

[١] العِلز : ما يصيب المريض عند حشرحة الموت من رعدة واضطراب . [٢] عِلُّ : على .

[٣] القسط : العدل ، مصدر وصف به للبالغة أو ذوات القسط .

واعلموا أن قوماً من عباد الله أدركتهم عصمة الله فخذروا مصارعها ، وجانبوا خدائهم ، وآثروا طاعة الله فيها ، فأدركوا الجنة بما تركوا منها .

(عيون الأحبار ٢ : ص ٢٥٥ ، والعقد العربد ٢ : ١٤٨)

١١٦ - خطبة ابن طباطبا العلوي

وخطب محمد ^(١) بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم طباطبا بن الحسن ابن الحسن بن علي بن أبي طالب ، حين انتهب قائد جيوشه أبو السرايا السريّ ابن منصور قصر العباس بن موسى بن عيسى ، فقال :

« أما بعد : فإنه لا يزال يبلغني أن القائل منكم يقول : إن بني العباس فينا ، لنا ، نخوض في دماءهم ، ونرتع في أموالهم ، ويُقبل قولنا فيهم ، وَتُصدّق دعوانا عليهم ، حُكم بلا علم ، وَعَزَم بلا روية ! عجباً لمن يُطلق بذلك لسانه ، ويحدث به نفسه ! أ بكتاب الله تعالى حُكم ، أم لِسنة نبيه صلى الله عليه وسلم أتبع ؟ أني مثلي ^(٢) معه طمع ، أم بسط يدي له بالجود أمّل ؟ هيهات ! فازدو الحق بما نوى ، وأخطأ ذو الباطل بما تمنى ، حق كل دى حق في يده ، وكل

[١] خرج مالكة لشر حلون من حمادى الآخرة سنة ١٩٩ هـ يدعو إلى الرضى من آل محمد ، والعمل بالكتاب والسنة ، وكان القم مأمراً في تدبير الحرب ، وقيادة جيوشه أبا السرايا السريّ بن منصور وكان سب حروجه صرف المأمون طاهر بن الحسين عما كان إليه من أعمال المدن التي استعها ، ونوحه إلى ذلك الحسن بن سهل ، لما فعل ذلك محمدت الناس بالراق أن الفصل بن سهل ود على المأمون ، وأنه قد أمره قصرأ حجه به عن أهل بيته ، ووجوه قواده من الخاصّة والعامة ، وأنه يرم الأمور على هواه ، ويستند بالرأى دونه ، صعب لذلك بالعراق من كان بها من بني هاشم ، ووجوه الناس ، وأهوا من عليه الفضل على المأمون ، واحتروا على الحسن بن سهل بذلك ، وهاحت الفتى في الأمصار ، فكان أول من خرج مالكة ابن طاطبا المذكور ، فوجه إليه الحسن بن سهل رهير بن السيب في عشرة آلاف فواقعهم فهرمزه واستأخوا عسكره ، لما كان من غد اليوم الذى كانت فيه الوقعة (وذلك يوم الخميس ليلة حات من رجب سنة ١٩٩) مات ابن طاطبا خائفاً ، وذكر أن أبا السرايا معه ، وذلك أن ابن طاطبا لما أحرر ما في عسكر رهير معه أبا السرايا ، وخطره عليه ، وكان الناس له مطيعين ، فعلم أبو السرايا أنه لا أمر له معه فسه . [٢] في الأصل : « أنى مثلى » وهو تحريف ، والصواب ما ذكرته .

مُدَّعٍ عَلَى حَجَّتِهِ ، وَيَلُزُّ لِمَنْ اغْتَصَبَ حَقًّا ، وَادَّعَى بَاطِلًا ، أَفْلَحَ مَنْ رَضِيَ بِحُكْمِ اللَّهِ ، وَخَافَ مِنْ أَرْغَمِ الْحَقُّ أَثَقَّهُ ، الْعَدْلُ أَوْثَى بِالْأَثَرَةِ وَإِنْ رَغِمَ الْجَاهِلُونَ ، حُقِّ لِمَنْ أَمَرَ بِالْمَعْرُوفِ أَنْ يَحْتَنِبَ الْمُنْكَرَ ، وَمَنْ سَلَكَ سَبِيلَ الْعَدْلِ أَنْ يَصْبِرَ عَلَى مَرَارَةِ الْحَقِّ ، كُلُّ نَفْسٍ تَسْمُو إِلَى هِمَّتِهَا ، وَنِعَمَ الصَّاحِبُ الْقَنَاعَةِ .

أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنْ أَكْرَمَ الْعِبَادَةُ الْوَرَعَ ، وَأَفْضَلَ الزَّادُ التَّقْوَى ، وَاعْمَلُوا فِي دُنْيَاكُمْ ، وَتَرَوُّدُوا لِآخِرَتِكُمْ ، اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ، وَإِيَّاكُمْ وَالْعَصْبِيَّةَ وَحِمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ ، فَإِنَّهُمَا يَمْحَقَانِ الدِّينَ ، وَيُورِثَانِ النِّفَاقَ ، وَلَا تَعَاوُنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ، يَصْلُحْ لَكُمْ دِينُكُمْ ، وَتَحْسُنِ الْمَقَالَةَ فِيكُمْ . الْحَقُّ أَوْبَحُّ ، وَالسَّبِيلُ مِنْهَجٌ ، وَالْبَاطِلُ لَجَلَجٌ ^(١) ، وَالنَّاسُ مُخْتَلِفُونَ ، وَلِكُلِّ فِي الْحَقِّ سَعَةٌ ، مِنْ حَارِبِنَا حَارِبُنَاهُ ، وَمَنْ سَأَلَنَا سَأَلَنَا ، وَالنَّاسُ جَمِيعًا آمِنُونَ إِلَّا رَجُلًا نَصَبَ لَنَا نَفْسَهُ ، وَأَعَانَ عَلَيْنَا بِمَالِهِ ، وَلَوْ شِئْتُ أَنْ أَقُولَ : وَرَجُلٌ قَالُ فِينَا يَتَنَاوَلُ مِنْ أَعْرَاضِنَا : لَقُلْتُ ، وَكَفَى ، حَسْبُ كُلِّ امْرِئٍ مَا يَصْنَعُهُ ، وَسَيُكْفِي الظَّالِمُونَ » .
(مواسم الأدب ٢ : ١١٣)

١١٧ — استعطاف إبراهيم بن المهدي المأمون

لَمَّا ظَفِرَ الْمَأْمُونُ بِعَمِّهِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمَهْدِيِّ ^(٢) أَمَرَ بِإِدْخَالِهِ عَلَيْهِ ، فَجِئَ بِإِبْرَاهِيمَ يَحْجُلُ ^(٣) فِي قَبُودِهِ ، فَقَالَ : السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَرَحِمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ ، فَقَالَ لَهُ الْمَأْمُونُ : لَا سَلَامَ اللَّهُ عَلَيْكَ ، وَلَا حَفِظْتُكَ ، وَلَا رَعَاكَ ، وَلَا كَلَّاكَ ^(٤)

[١] أُلْحَ . أَيُّ وَاصِحٍ هُوَ ، وَالتَّهَجُّ : الطَّرِيقُ الْوَاصِحُ ، وَالْبَاطِلُ لُحْجٌ : أَيُّ يَتَرَدَّدُ فِيهِ صَاحِبُهُ ، فَلَا يَصِلُ إِلَى مَحَرَّمَةٍ . [٢] كَانَ لِلْمَأْمُونِ قَدْ عَاهَدَ بِالْخِلَافَةِ لِعَلِيِّ الرِّضَا بْنِ مُوسَى الْكَاطِمِ ، فَلَمَّا سَمِعَ الْعَاسِيُونَ سَعْدَادَ (وَكَانَ لِلْمَأْمُونِ عَمْرُو حَاصِرَةً حِرَاسَانِ) مَاضِيَهُ لِلْمَأْمُونِ مِنْ تَغْيِيرِ الْخِلَافَةِ مِنَ الْبَيْتِ الْعَاسِيِّ إِلَى الْبَيْتِ الْعَلَوِيِّ ، أَمَكَّرُوا مِنْهُ ذَلِكَ ، وَخَلَعُوهُ مِنَ الْخِلَافَةِ ، وَابْتَعَرُوا عَمَّهُ إِبْرَاهِيمَ بْنَ الْمَهْدِيِّ سَنَةَ ٢٠١ هـ ، وَلَمَّا عَلِمَ الْمَأْمُونُ ذَلِكَ حَدَّثَ فِي السَّيْرِ إِلَى سَعْدَادَ ، وَهَرَبَ عَمَّهُ إِبْرَاهِيمَ وَتَوَارَى .

[٣] حَجَلٌ لِلْقَيْدِ كَصَرَبٍ وَهَرَبٌ : رَمَعَ رَجُلًا ، وَتَرِثُ فِي مَنِيهِ عَلَى رَحْلِهِ . [٤] كَلَامٌ : حَرَمُهُ .

يا إبراهيم ، فقال له إبراهيم : على رسلك ^(١) يا أمير المؤمنين ، ولي ^(٢) الثأر مُحْكَمٌ في القصاص ، والعفو أقرب للتقوى ، ومن مدَّ له الاعتذار في الأمل ، هَجَبَتْ به الأناة على التلَف ^(٣) وقد أصبح ذنبي فوق كل ذنب ، كما أن عفوك فوق كل ^(٤) عفو ، فإن تماقِبَ فَبِحَقِّكَ ، وإن تَعَفُّ فَبِفَضْلِكَ ، ثم قال :

ذَنبِي إِلَيْكَ عَظِيمٌ وَأَنْتَ أَعْظَمُ مِنْهُ
تَخَذَ بِحَقِّكَ أَوَّلًا فَاصْفَحْ بِفَضْلِكَ عَنْهُ
إِنْ لَمْ أَكُنْ فِي فِعَالِي مِنْ الْكِرَامِ فَكُنْهُ

فأطرق المأمون ملياً ، ثم رفع رأسه فقال : إني سأورت أبا إسحق ^(٥) والعباس في قتلك فأشارا عليَّ به ، قال : فما قلتَ لهما يا أمير المؤمنين ؟ قال : قلتُ لهما : بدأنا له بإحسان ، ونحن نستأمره فيه ، فإن غيرَ فاقه يغير ما به ، قال : أمّا أن يكونا قد نصحاك في عِظَمِ قدر الملك ، وما جرت عليه عادة السياسة فقد فعلا ، ولكن آيت أن تستجلب النصر إلا من حيث عودك الله ، ثم استعبر با كيّا ، فقال له المأمون : ما يُكيّك ؟ قال : جَدَلًا ، إذ كَانَ ذَنْبِي إِلَى مِنْ هَذِهِ صِفَتُهُ فِي الْإِنْعَامِ ، ثم قال : يا أمير المؤمنين إنه وإن كان جُرْمِي يَبْلُغُ مَفْكَ دَمِي ، فإم أمير المؤمنين وتفضله يُبَلِّغَانِي عَفْوَهُ ، ولي بعدها شفاعَةُ الإِقْرَارِ بِالذَّنْبِ ، وَحُرْمَةُ الْأَبِ بعد الأب ، قال المأمون : « القدرةُ تذهب الحفيظة ^(٦) ، والندم توبةٌ ، وعفوُ الله بينهما ، وهو أكبر ما يحاول ، يا إبراهيم : لقد حبَّبت إلى العفو ، حتى خِفْتُ

[١] المهل والتؤدة . [٢] صاحبه . [٣] وفي رواية : « ومن ناوله الاعتذار عما مدَّ له من أسباب الرءاء ، أمن طادية الدهر » . [٤] وفي رواية : « وقد أصبح فوق كل ذي دَب ، كما أصبح كل ذي هو دَرَك » ، وفي أخرى : « وقد حاك الله فوق كل ذي دَب ، كما جعل كل ذي دَب دَوْلَك » . [٥] أبو إسحق هو المعتصم أخو المأمون ، والعباس هو ابن المأمون .

[٦] الحفيظة : العصب ، وفي رواية الأمامي أن هذه الجملة من قول إبراهيم بن المهدي .

أن لا أوجرَ عليه ، أمالو عِلْمَ الناس مألنا في العفو من اللذة ، لتقربوا إلينا
بالجنابات ، لا تريب^(١) عليك ، ينفر الله لك ، ولو لم يكن في حق نسبك ما يبلغ
الصفح عن زلتك ، لبلغك ما أملت حسن توصلك ، ولطيف تنصلك ، ثم
أمر برّد ماله وضياعه ، فقال :

رَدَدْتُ مَالِي ، وَلَمْ تَبْخَلْ عَلَيَّ بِهِ وَقَبْلَ رَدِّكَ مَالِي قَدْ حَقَنْتُ دَمِي
فَأَبْتُ مِنْكَ - وَمَا كَأَفْأُهَا - يَدِي هَا الْحَيَاتَانِ مِنْ وَفْرِ وَمِنْ عَدَمِ^(٢)
وَقَامَ عَلَيْكَ بِي فَاحْتِجْ عِنْدَكَ لِي مَقَامَ شَاهِدٍ عَدْلٍ غَيْرِ مُتَّهِمٍ
فَلَوْ بَدَلْتُ دَمِي أَبْنِي رِضَاكَ بِهِ وَالْمَالُ ، حَتَّى أَسْأَلَ النُّعْلَ مِنْ قَدَحِي
مَا كَانَ ذَاكَ سِوَى عَارِيَةٍ رَجَمْتُ إِلَيْكَ ، لَوْ لَمْ تَهْبِهَا كُنْتُ لَمْ تُلَمِ
(الأمازي ٩ : ٥٧ ، والقند العرود ١ : ١٤٢ ، والأمال ١ : ٢٠٢ ، وروم الآداب ٣ : ١٩١)

١١٨ - إبراهيم بن المهدي وبختيشوع الطيب

تنازع إبراهيم بن المهدي هو وبختيشوع الطيب بين يدي أحمد بن أبي دؤاد
القاضي ، في مجلس الحكم ، في عقار بناحية السواد^(٣) ، فرزى عليه^(٤) ابن المهدي ،
وأغلظ له بين يدي أحمد بن أبي دؤاد ، فأحفظه^(٥) ذلك ، فقال : « يا إبراهيم
إذا نازعت أحداً في مجلس الحكم ، فلا أعلن أنك رفعت عليه صوتاً ، ولا
أشرت إليه يد ، وليكن قصدك أنما^(٦) ، وطريقك نهجاً^(٧) ، وريحك ساكنة ،
وكلامك معتدلاً ، ووق مجالس الحكومة حقوقها ، من التوقير والتعظيم
والاستكانة والتوجه إلى الواجب ، فإن ذلك أشبه بك ، وأشكل لمذهبك في

[١] لا لوم . [٢] اليد : العمة .

[٣] سواد العراق ، والعقار : كل مكان له أصل كالقار والجل ، ولجمع عقارات .

[٤] عابه . [٥] أعصه . [٦] الأهم : القصد الوسط . [٧] واضحاً .

مُحْتَدِكُ^(١) ، وَعَظِيمُ خَطَرِكَ^(٢) ، وَلَا تَعْجَلْ ، قَرُبُ عَجَلَةٍ تَهَبُ رَيْثًا^(٣) ، وَاللَّهُ يَمُصُّكَ مِنَ الزَّلَلِ ، وَخَطَلُ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ ، وَيَتِمُّ نِعْمَتُهُ عَلَيْكَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ ، إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ^(٤) .

قال إبراهيم : « أَصْلَحَكَ اللَّهُ أُمِرْتَ بِسَدَادٍ ، وَحَضَضْتَ عَلَى رَشَادٍ ، وَلَسْتُ بِعَائِدٍ إِلَى مَا يَنْقِلُ^(٥) مُرُوءَتِي عِنْدَكَ ، وَيُسْقِطُنِي مِنْ عَيْنِكَ ، وَيُخْرِجُنِي مِنْ مَقْدَارِ الْوَاجِبِ إِلَى الْإِعْتِذَارِ ، فَهَآنَا مُعْتَذِرٌ إِلَيْكَ مِنْ هَذِهِ الْبَادِرَةِ ، اعْتَذَارَ مُقَرَّرٍ بِذَنْبِهِ ، بِاخِيعِ بَجْرَمِهِ^(٦) ، فَإِنَّ الْغَضَبَ لَا يَزَالُ يَسْتَفِزُّنِي بِمَوَادِّهِ ، فَيُرِدُّنِي مِثْلَكَ بِحِلْمِهِ ، وَتِلْكَ عَادَةُ اللَّهِ عِنْدَنَا مِنْكَ ، وَحَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ، وَفَدَّ وَهَبْتَ حَقِّي مِنْ هَذَا الْعَقَارِ لِبُخْتِشُوعٍ^(٧) ، فَلَيْتَ ذَلِكَ الْيَوْمَ يَعُولُ^(٨) بِأَرْضِ^(٩) الْجَنَايَةِ ، وَلَمْ يَتَلَفَ مَالٌ أَفَادَ مَوْعِظَةً ، وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ » .

(القدر الفرد ١ : ٢٧ ، وزمر الآيات ١ : ٢٣٢)

١١٩ - استعطاف إسحاق بن العباس المأمون

وقال المأمون لإسحاق بن العباس : « لَا تَحْسَبْنِي أَغْفَلْتُ إِجْلَابَكَ مَعَ ابْنِ الْمَهْدِيِّ ، وَتَأْيِيدَكَ لِرَأْيِهِ ، وَإِيقَادَكَ لِنَارِهِ ، قَالَ : « يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَلَرَجِي أَمْسُ مِنْ أَرْحَامِهِمْ ، وَقَدْ قَالَ لَهُمْ كَمَا قَالَ يُوسُفُ لِأَخَوْتِهِ : « لَا تَثْرِيْبَ^(١) عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ » ، وَأَنْتَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَحَقُّ وَارِثٍ لِهَذِهِ الْمِنَةِ ، وَتُمَثِّلُ^(٢) لِحِلَالِ الْعَفْوِ وَالْفَضْلِ » .

قال : هيهات ! تلك أجرام جاهليّة ، عفا عنها الإسلام ، وجُرْمُكَ جَرْمٌ فِي إِسْلَامِكَ ، وَفِي دَارِ خِلَافَتِكَ . قَالَ : « يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَوَاللَّهِ لِلْمُسْلِمِ أَحَقُّ بِإِقَالَةِ

[١] أصلاك . [٢] قنوك . [٣] إطاء . [٤] يصب ويغنى . [٥] مهر .

[٦] يربد ويرجع . [٧] الأرض : الدية .

[٨] لا لوم . [٩] امتل طريقة . بمعها فلم يسدما .

العشرة، وغفران الزلة من الكافر، هذا كتاب الله يبنى وينك، يقول الله تعالى :
 « وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمُوتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ
 لِلْمُتَّقِينَ ، الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ
 النَّاسِ ، وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ » فهي للناس يا أمير المؤمنين سنة دخل فيها
 المسلم والكافر، والشريف والمشروف ، قال : صدقت ، اجلس ، وریت بك
 زنادی ، ولا برحت أرى من أهلك أمثالك .

(القند المرید ١ : ١٤٢ ، وزهر الآداب ٢ : ١٩٣)

١٢٠ - أحد وجوه بغداد يمدح المأمون حين دخلها

لما دخل المأمون بغداد ، تلقاه وجوه أهلها ، فقال له رجل منهم : « يا أمير
 المؤمنين ، بارك الله لك في مقدمتك ، وزاد في نعمتك ، وشكرك عن رعبتك ،
 تقدمت من قبلك ، وأتعبت من بعدك ^(١) ، وآيست أن يعان مثلك ، أما فيما
 مضى فلا نعرفه ، وأما فيما بقي فلا نرجوه ، فنحن جميعاً ندعوك ، ونثنى
 عليك ، خصب لنا جنابك ، وعذب ثوابك ، وحسنت نظرتك ، وكرمت
 مقدرتك ، جبرت الفقر ، وفككت الأسير ، فإنك يا أمير المؤمنين كما
 قال الأول :

ما زلت في البذل والثوال وإطلاق لعان مجرمه غلق ^(٢)

حتى تمنى البراء أنهم عندك أسرى في القيد والخلق ^(٣)

(القند المرید ١ : ١٣٢)

[١] إذاه يجهد أن يلحق بك فلا يستطيع . [٢] العاني : الأسير ، واللق : أصله من علق
 الرهن إذا استخقه المرتين ، وذلك إذا لم يتحك في الوقت للشروط . [٣] البراء كرام جمع برى .

١٢١ — أحد أهل الكوفة يمدح المأمون

وفد من الكوفة إلى بغداد ، فوقفوا للمأمون فأعرض عنهم ، فقال شيخ منهم : « يا أمير المؤمنين ، يدك أحقُّ يدٍ بتقيل ، لعلوها في المكارم ، وبُعدها من المآثم ، وأنت يوسفي العفو في قلة التريب ، مَنْ أرادك بسوء جعله الله حصيدَ سيفك ، وطريدَ خوفك ، وذليلَ دولتك » ، فقال يا عمرو : نعم الخطيب خطيبهم ، اقضِ حوائجهم . (مروج الذهب ٢ : ٣١٩)

١٢٢ — محمد بن عبد الملك بن صالح بين يدي المأمون

ودخل محمد بن عبد الملك بن صالح على المأمون حين قبض ضياعهم ، فقال : « يا أمير المؤمنين ، محمد بن عبد الملك بين يديك ، ربيب دولتك ، وسليل نعمتك ، وغصن من أغصان دوحتك ^(١) ، أتأذن في الكلام ؟ قال : نعم ، قال : « أَسْتَمْنَحُ اللهَ حَيَاطَةَ دِينِنَا وَدُنْيَانَا ، وَرِعَايَةَ أَدْنَانَا وَأَقْصَانَا بِبِقَائِكَ ، وَنَسْأَلُهُ أَنْ يَزِيدَ فِي عَمْرِكَ مِنْ أَعْمَارِنَا ، وَفِي أَثَرِكَ مِنْ آثَارِنَا ، وَيَقْبِلَ الْأَذَى بِأَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا ، هَذَا مَقَامُ الْمَائِذِ بِفَضْلِكَ ، الْمَارِبِ إِلَى كَنْفِكَ وَظِلِّكَ ، الْفَقِيرِ إِلَى رَحْمَتِكَ وَعَدْلِكَ » ، ثم تكلم في حاجته ، فقضاها . (العقد المرید ١ : ١٤٦)

١٢٣ — الحسن بن سهل يمدح المأمون

وقال الحسن بن سهل ^(٢) يوماً للمأمون :

« الحمد لله يا أمير المؤمنين على جزيل ما آتاك ، وَمَسْنِيَّ ما أعطاك ، إذ قسم لك الخلافة ، ووهب لك معها الحجة ، وَمَكَّنَكَ بالسلطان ، وَحَلَّاهُ لك بالعدل ،

[١] النوحة : الشجرة الطيبة .

[٢] وزير المأمون بعد أخيه الفضل بن سهل ، وتزوج المأمون أمه بوران ، وتوفي سنة ٢٣٦ هـ .

وأيُّدك بالظفر ، وشفِّعه لك بالعفو ، وأوجب لك السعادة ، وقرَّنها بالسيادة ، فمن فُسِحَ ^(١) له في مثل عطية الله لك ؟ أم من ألبسه الله تعالى من زينة المواهب ما ألبسك ؟ أم من ترادفت نعمة الله تعالى عليه ترادفها عليك ؟ أم هل حاولها أحدٌ وارتبطها بمنل محاولتك ؟ أم أي حاجة بقيت لرعتك لم يجدوها عندك ؟ أم أي قيم للإسلام انتهى إلى عنايتك ودرجتك ؟ تعالى الله تعالى ، ما أعظم ما خصَّ القرن الذي أنت ناصرُهُ ، وسبحان الله ! أيُّ نعمة طبقت ^(٢) الأرض بك إن أدَّى شكرها إلى بارئها والمنعم على العباد بها ؟ إن الله تعالى خلق السماء في فلكها ضياءً يستنير بها جميع الخلائق ، فكل جوهر زها حسنه ونوره ، فهل لبسته زينته إلا بما اتصل به من نورك ؟ وكذلك كل وليٍّ من أوليائك ، سجد بأفعاله في دولتك ، وحسنت صنائعه عند رعتك ، فإنما نالها بما أيَّدته من رأيك وتديرك ، وأسعدته من حسنك وتقويك » . (رمر الآداب ٣ : ٢٠٠)

١٢٤ — يحيى بن أكرم يمدح المأمون

وقال المأمون ليحيى بن أكرم ^(٣) : صف لي حالي عند الناس ، فقال :
« يا أمير المؤمنين ، قد انتقلت لك الأمور بأزمئتها ، وملكتك الأمة فضول أعنيها ، بالرغبة إليك ، والمحبة لك ، والرفق منك ، والعياذ بك ، بعدلك فيهم ، ومنك عليهم ، حتى لقد أنسيتهم سلفك ، وآيستهم من خلفك ، فالحمد لله الذي جمعنا بك بعد التقاطع ، ورفعنا في دولتك بعد التواضع » .

[١] أي وسع . [٢] ملأت وعت ، والاستعظام العظيم .

[٣] من ولد أكرم بن صبي التميمي ، وكان مقبلاً عالماً بالفتى بصيراً بالأحكام ، وقد قلب على المأمون ، حتى لم يقبله أحد عنده من الناس حياً ، وقلده نساء القضاة ، وتدير أهل مملكته ، فكانت الورراء لا تصل في تدبير الملك شيئاً إلا بعد مطالبة يحيى بن أكرم ، وتوفي سنة ٢٤٦ هـ ، وعمره ٨٣ سنة .

فقال : يا يحيى ، أتحييراً أم ارتجالاً ؟ قال : قلت : وهل يمتنع فيك وصف ، أو
يتعذر على مادحتك قول ، أو يُفحَم فيك شاعر ، أو يتلجلج فيك خطيب ؟
(الصائتين ص ٤٠)

١٢٥ — أحد بنى هاشم والمأمون

أذنب رجل من بنى هاشم ذنباً ، فعنقه المأمون ، فقال :
« يا أمير المؤمنين من كانت له مثلُ دالتي ، ولبس ثوب حُرمتي ، ومَتَّ
يَعِثْل قرايتي ، غُفِرَ له فوق زَلَّتِي » فأعجب المأمونَ كلامه وصفح عنه .
(الأمالي ٢ : ١٣٦ ، ودرر الآداب ٣ : ٨٩)

١٢٦ — رجل يتظلم إلى المأمون

وتظلمَ رجل إلى المأمون من حامل له فقال :
« يا أمير المؤمنين ، ما ترك لي فِضَّةً إلا فَضَّها ، ولا ذهباً إلا ذَهَبَ به ،
ولا غَلَّةً إلا غَلَّها ^(١) ، ولا ضِيعَةً إلا أضاعها ، ولا عِلْقاً ^(٢) إلا علقه ، ولا عَرَضاً
إلا عَرَضَ له ، ولا ماشيةً إلا أمتشَّها ^(٣) ، ولا جليلاً إلا أجلاه ، ولا دقيقاً
إلا دَقَّه » ، فعجب من فصاحته وقضى حاجته . (زمر الآداب ٢ : ١٣٧)

١٢٧ — عمرو بن سعيد والمأمون

وقال عمرو بن سعيد بن مسلم : كانت عليّ نوبةٌ أنوبها في حرس المأمون ،
فكنت في نوبتي ليلةً ، تخرج متفقداً من حضر ، فعرفته ولم يعرفني ، فقال :
من أنت ؟ قلت : عمرو ، عمرك الله ، ابن سعيد ، أسعدك الله ، ابن مسلم ، سلمك

[١] المراد اختارها ، والأصل فيه عله : أي وضع في عقه أو يده الل (بالضم) وهو القيد .

[٢] العلق : العيس من كل شيء ، وعلقه ، وعلق به كعرج أحبه ، أو هو « علقه » مشدداً مبياً

للمجهول ، على امرأة : أي أحبها . [٣] امتش ماى الصرع : أحد جميعه .

الله ، فقال : أنت تَكَلُّونَا منذ الليلة ؟ قلت : الله يكلؤك قبلي ، وهو خير حَافِظًا وهو أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ، فقال المأمون :

إِنْ أَخَاكَ الصَّدَقَ مَنْ يَسْعَى مَعَكَ وَمَنْ يَضُرُّ نَفْسَهُ لِيَنْفَعَكَ
وَمَنْ إِذَا صَرَفَ الزَّمَانَ صَدَّعَكَ بَدَّدَ شَمْلَ نَفْسِهِ لِيَجْمَعَكَ
(رهر الآداب ٢ : ١٣٧)

١٢٨ - الحسن بن رجاء والمأمون

ودخل المأمون بعض الدواوين ، فرأى غلاماً جميلاً على أذنه قلم ، فقال :
مَنْ أَنْتَ يَا غَلام ؟ فقال :

« أَنَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، النَّاشِئُ فِي دَوْلَتِكَ ، الْمُتَقَلِّبُ فِي نِعْمَتِكَ ، الْمُؤَمِّلُ
لِخِدْمَتِكَ ، خَادِمُكَ وَابْنُ خَادِمِكَ : الْحَسَنُ بْنُ رَجَاءٍ » ، فقال : أَحْسَنْتَ يَا غَلامُ ،
وَبِالْإِحْسَانِ فِي الْبَدِيهِ تَفَاضَلْتَ الْعُقُولُ ، وَأَمْرٌ بِرَفْعِ مَرْتَبَتِهِ .

(رهر الآداب ٢ : ١٧٣)

١٢٩ - سعيد بن مسلم والمأمون

وقال سعيد بن مسلم بن قُتَيْبَةَ لِلْمَأْمُونِ :

« لَوْلَمْ أَشْكُرِ اللَّهَ تَعَالَى إِلَّا عَلَى حُسْنِ مَا أَبْلَانِي مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، مِنْ
قَصْدِهِ إِلَيَّ بِحَدِيثِهِ ، وَإِشَارَتِهِ إِلَيَّ بِطَرَفِهِ ، لَقَدْ كَانَ فِي ذَلِكَ أَعْظَمُ الرَّفْعَةِ ،
وَأَرْفَعُ مَا تُوجِبُهُ الْحُرْمَةُ » .

فقال : « يَفْعَلُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ذَلِكَ ، لِأَنَّهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ يَجِدُ عِنْدَكَ مِنْ

حُسْنِ الْإِفْهَامِ إِذَا حَدَّثْتَ ، وَحُسْنِ الْفَهْمِ إِذَا حُدِّثْتَ ، مَا لَمْ يَجِدْهُ عِنْدَ أَحَدٍ مِمَّنْ

مضى ، ولا يظنُّ أنه يجدُّ عند أحدٍ ممن بقي ، فإنك لتستقصي حديثي ، وتقف عند مقاطع كلامي ، وتُخبر بما كنتُ أعفُّته منه . (رهر الآداب ١ : ١٧٣)

١٣٠ - أبو زهمان يعظ سعيد بن مسلم

وقال سعيد بن مسلم : « كنت والياً بأزمينية ، فغبر^(١) أبو زهمان العلاني على بابي أياماً ، فلما وصل إلى مثل بين يدي قائماً بين السماطين^(٢) وقال : « والله إني لأعرف أقواماً لو علموا أن سفَّ التراب يُقيم من أود^(٣) أصلابهم ، لجعلوه مُسَكَّةً^(٤) لازماً فيهم ، إيثاراً للتنزه عن عيش رقيق الحواشي ، أما والله إني لبعيد الوثبة ، بطيء العطفة ، إنه والله ما يثني عليك إلا مثل ما يصرفني عنك ، ولأن أكون مُقِلّاً مقرباً ، أحبُّ إليَّ من أن أكون مُكثِراً مُبتعداً ، والله ما نسأل عملاً لا تضبطه ، ولا مالا إلا نحن أكثر منه ، وهذا الأمر الذي صار إليك في يدك ، كان في يد غيرك ، فأمسوا والله حديناً ، إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر ، فتجيب إلى عباد الله بحسن البشر ، ولين الجانب ، فإن حُبَّ عباد الله موصول بحُبِّ الله ، وبغضهم موصول ببغض الله ، لأنهم شهداء الله على خلقه ، ورُقباءؤه على من اعوجَّ عن سبيله . (البيان والتبيين ٢ : ١٠٥)

١٣١ - وصية طاهر بن الحسين

لابنه عبد الله لما ولَّاه المأمون الرقة ومصر وما بينهما^(٥) سنة ٢٠٦ هـ « بسم الله الرحمن الرحيم ، أما بعد : فعليك بتقوى الله وحده لا شريك له ، وخشيته ومراقبته ومزاياه سُخْطه وحفظ رعيته ، والزَّم ما ألبسك الله من

[١] مكث . [٢] السماطين من الناس : الحامان ، يقال : مشى بين السماطين .

[٣] اعوجح . [٤] للسكة ما يملك الأعداء من العدا والشراب ، أو ما يتلغح منها .

[٥] أنشأ هذا الكتاب ما لأه في عداد الوصايا .

العافية بالذكر لمعادك ، وما أنت صائر إليه ، وموقوف عليه ، ومستول عنه ،
والعمل في ذلك كله بما يعصمك الله ، وينجيك يوم القيامة من عذابه ، وأليم
عقابه ، فإن الله قد أحسن إليك ، وأوجب عليك الرأفة بمن استرعاك أمرهم من
عباده ، وأزمتك العدل عليهم ، والقيام بحقه وحدوده فيهم ، والذب^(١) عنهم ،
والدفع عن حريمهم ويضتهم^(٢) ، والحقن لدمائهم ، والأمن لسبيلهم^(٣) ،
وإدخال الراحة عليهم في معاشهم ، ومؤاخذك بما فرض عليك من ذلك ،
وموقفك عليه ، ومسائلك عنه ، ومثيبك عليه بما قدمت وأخرت ، ففرغ لذلك
فكرك وعقلك وبصرك ورؤيتك ، ولا يذهلك^(٤) عنه ذاهل ، ولا يشغلك^(٥)
عنه شاغل ، فإنه رأس أمرك ، وملاك شأنك ، وأول ما يوقفك الله به لرشدك ،
وليكن أول ما تلزم به نفسك ، وتنسب إليه فعالك ، المواظبة على ما اقترض الله
عليك من الصلوات الخمس ، والجماعة عليها بالناس قبلك في مواقيتها على سنتها ، في
إسباغ^(٦) الوضوء لها ، وافتتاح ذكر الله فيها ، وترتل^(٧) في فرائدك ، وتمكن
في ركوعك وسجودك وتشهدك ، وتصدق فيها لربك نيتك ، واحضض عليها
جماعة من معك وتحت يدك ، وأدأب عليها فإنها كما قال الله : تأمر بالمعروف
وتنهي عن الفحشاء والمنكر ، ثم أتبع ذلك الأخذ بسنن رسول الله صلى الله
عليه وسلم ، والمثابرة على خلاصته ، واقتفاء آثار السلف الصالح من بعده ، وإذا
ورد عليك أمر فاستعن عليه باستخارة^(٨) الله وتقواه ، ولزوم ما أنزل الله في كتابه

[١] الرفع . [٢] البيضة : حورة كل شيء .

[٣] وفي مقدمة ابن خلدون : لرسولهم ، والرب : العرس . [٤] ذهلت عن الشيء (كفتح) غفلت
وقد يتعدى بنفسه . يقال ذهلت ، والأكثر أن يتعدى بالهجرة ، يقال : أدعاني طلائع من الشيء .

[٥] شغل من باب فتح وأصله لغة جيدة أو قليلة أو رديئة . [٦] أسع الوضوء : وفي كل عمرو حقه .

[٧] تمهل ولا تعمل . [٨] استعطر الله : طلب منه الحيرة .

من أمره ونهيه ، وحلاله وحرامه ، واثتمام ما جاءت به الآثار عن النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم قم فيه بما يحق لله عليك ، ولا تمل عن العدل فيما أحيت أو كرهت ، لقريب من الناس أو بعيد ، وآثر الفقه وأهله ، والدين وحملته ، وكتاب الله والعاملين به ، فإن أفضل ما ترين به المرء الفقه في دين الله ، والطلب له ، والحث عليه ، والمعرفة بما يتقرب به إلى الله ، فإنه الدليل على الخير كله ، والقائد له ، والآمر به ، والناهي عن المعاصي والموبقات كلها ، وبها مع توفيق الله تزداد العباد معرفة بالله عز وجل ، وإجلالا له ، ودَرَكا للدرجات العُلا في المعاد ، مع ما في ظهوره للناس من التوقير لأمره ، والهيبه لسلطانك ، والأنسة بك ، والثقة بعدلك ، وعليك بالاعتصام في الأمور كلها ، فليس شيء أئين نفعا ، ولا أحضر أمنا ، ولا أجمع فضلا من القصد ، والقصد داعية إلى الرشده ، والرشده دليل على التوفيق ، والتوفيق قائد إلى السعادة ، وقوام الدين والسنن الهادية بالاعتصام ، فأثره في دنياك كلها ، ولا تقصّر في طلب الآخرة والأجر والأعمال الصالحة ، والسنن المعروفة ، ومعالم الرشده ، فلا غاية للاستكثار من البر والسعي له ، إذا كان يُطلب به وجه الله ومرضاته ، ومرافقة أوليائه في دار كرامته ، واعلم أن القصد في شأن الدنيا يُورث العز ويحصّن من الذنوب ، وإنك لن تحوِط^(١) نفسك ومن يليك ، ولا تستصلح أمورك بأفضل منه ، فأته واهتد به تيمّ أمورك ، وتردّ مقدرتك ، وتصلح خاصتك وعامتك ، وأحسن الظن بالله عز وجل تستقم لك رعيتك ، والتمس الوسيلة إليه في الأمور كلها ، تستدّم به النعمة عليك ، ولا تهمن أحدا من الناس فيما توليه من عملك قبل أن تكشف أمره ،

فإن إيقاع النهم بالبُرَاء، والظنون السيئة بهم مأثم، واجعل من شأنك حُسن الظن بأصحابك، واطرد عنك سوء الظن بهم، وارقضه فيهم، يُعينك ذلك على اصطناعهم^(١) ورياضتهم، ولا يحدنَّ عدو الله الشيطانُ في أمرك مَفْخَرًا، فإنه إنما يكتنى بالقليل من وَهْنِكَ^(٢)، فَيُدْخِلُ عليك من النعم في سوء الظن ما ينقصك لَدَاذَةِ عَيْشِكَ، واعلم أنك تجد بِحُسْنِ الظن قوةً وراحةً، وتُكْنِي به ما أَحْبَبْتَ كفايته من أمورك، وتدعوه الناس إلى محبتك، والاستقامة في الأمور كلها لك، ولا ينعك حُسن الظن بأصحابك والرأفة برعينك، أن تستعمل المسألة والبحث عن أمورك، والمباشرة لأُمُور الأولياء، والحِياطة للرعية، والنظر فيما يُقيمها وَيُصْلِحُهَا، بل تكن المباشرة لأُمُور الأولياء، والحِياطة للرعية، والنظر في حوائجهم وَحَمْلُ مَثُونَاتِهِمْ، آثَرَ عندك مما سوى ذلك، فإنه أعمُّ للدين، وأحيا للسنة، وأخلص نيتك في جميع هذا، وتقرَّد بتقويم نفسك تفرَّد من يعلم أنه مسئول عما صنع، ومجزي بما أحسن، ومأخوذ بما أساء، فإن الله جعل الدين حِرْزًا وَعِزًّا، ورفع من اتبعه وعزَّزه، فاسلك بمن تسوسه وترعاه نَهْجَ الدين وطريقة الهدى، وأقيم حدود الله في أصحاب الجرائم على قدر منازلهم وما استحقوه، ولا تعطل ذلك ولا تتهاون به، ولا تؤخر عقوبة أهل العقوبة، فإن في تهريطك في ذلك كما يُفْسِدُ عليك حُسن ظنك، واعزم على أمرك في ذلك بالسنن المعروفة، وجانب الشبهة والبدعات، يسلم لك دينك، وتقم لك مرءوتك، وإذا عاهدت عهداً فَبِهِ، وإذا وعدت

[١] اصططعتك لعمى: احترتك لحاجة أمر أستاذكك إياه .

[٢] الوهن بكون الماء وتحتها: الضعف .

الخير فَأَنْجِزْهُ ، واقبل الحسنة وادفع بها ، وأغْمِضْ عن عيب كل ذي عيب من رعيّتك ، واشدد لسانك عن قول الكذب والزور ، وأَبْغِضْ أَهْلَهُ ، وَأَقْصِ أَهْلَ النِّمَةِ ، فَإِنْ أَوَّلُ فساد أَمْرِكَ فِي عاجِلِ الْأُمُورِ وآجِلِهَا تَقْرِيبُ الْكَذُوبِ وَالْجُرْأَةِ عَلَى الْكَذِبِ ، لِأَنَّ الْكَذِبَ رَأْسُ الْمَآثِمِ ، وَالزُّورَ وَالنِّمَةَ خَاتَمَتُهَا ، لِأَنَّ النِّمَةَ لَا يَسْلُمُ صَاحِبُهَا ، وَقَاتِلُهَا لَا يَسْلُمُ لَهُ صَاحِبُ ، وَلَا يَسْتَقِيمُ لِمَطِيعِهَا أَمْرٌ ، وَأَحِبَّ أَهْلَ الصَّدَقِ وَالصَّلَاحِ ، وَأَعِزَّ الْأَشْرَافَ بِالْحَقِّ ، وَوَاصِلَ الضُّعَفَاءِ ، وَصَلَ الرَّحِمَ ، وَابْتَغِ بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ وَعِزَّةَ أَمْرِهِ ، وَاتَّمَسْ فِيهِ ثَوَابَهُ وَالْدارَ الْآخِرَةَ ، واجتنب سوء الْأَهْوَاءِ وَالْجَوَرِ ، وَاصْرِفْ عَنْهُمَا رَأْيَكَ ، وَأَظْهَرِ بَرَاءَتَكَ مِنْ ذَلِكَ لِرَعِيَّتِكَ ، وَأَنْعِمِ بِالْعَدْلِ فِي سِيَاسَتِهِمْ ، وَقُمْ بِالْحَقِّ فِيهِمْ ، وَبِالْمَعْرِفَةِ الَّتِي تَنْتَهِي بِكَ إِلَى سَبِيلِ الْهَدْيِ ، وَامْلِكْ نَفْسَكَ عِنْدَ الْغَضَبِ ، وَآثِرِ الْوَقَارَ وَالْحِلْمَ ، وَإِيَّاكَ وَالْحِدَّةَ وَالطَّيْشَ وَالْعُرُورَ فِيمَا أَنْتَ بِسَبِيلِهِ ، وَإِيَّاكَ أَنْ تَقُولَ : إِنِّي مُسَلِّطٌ أَفْعَلُ مَا أَشَاءُ ، فَإِنْ ذَلِكَ سَرِيعٌ بِكَ إِلَى تَقْصِصِ الرَّأْيِ ، وَفَلَّةِ الْيَقِينِ بِاللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَخْلِصْ لِلَّهِ النِّيَّةَ فِيهِ وَالْيَقِينَ بِهِ ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْمُلْكَ لِلَّهِ ، يُعْطِيهِ مَنْ يَشَاءُ ، وَيَنْزِعُهُ مَنْ يَشَاءُ ، وَلَنْ تَجِدَ تَغْيِيرَ النِّعْمَةِ وَحُلُولَ النِّقْمَةِ إِلَى أَحَدٍ ، أَسْرَعَ مِنْهُ إِلَى حَمَلَةِ النِّعْمَةِ مِنْ أَصْحَابِ السُّلْطَانِ ، وَالْمُبْسُوطِ لَهُمْ فِي الدَّوْلَةِ ، إِذَا كَفَرُوا بِنِعْمِ اللَّهِ وَإِحْسَانِهِ ، وَاسْتَطَالُوا بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ، وَدَعَوْا عَنْكَ شَرَّهُ نَفْسِكَ ، وَلَتَكُنْ ذَخَائِرُكَ وَكُنُوزُكَ الَّتِي تَدَّخِرُ وَتَكْتُمُ الْبِرَّ وَالتَّقْوَى وَالْمَعْدِلَةَ ، وَاسْتِصْلَاحَ الرِّعْيَةِ وَعِمَارَةَ بِلَادِهِمْ ، وَالتَّفَقُّدَ لِأُمُورِهِمْ وَالْحِفْظَ لِذَنُوبِهِمْ ^(١) وَالْإِغَاثَةَ لِلْمُهِوِّفِمْ ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأَمْوَالَ إِذَا كَثُرَتْ وَذُخِرَتْ فِي الْخَزَائِنِ لَا تُثْمِرُ ، وَإِذَا

كَانَتْ فِي إِصْلَاحِ الرِّعْيَةِ وَإِعْطَاءِ حَقُّوْقِهِمْ ، وَكَفِّ الثُّوْنَةِ عَنْهُمْ ، نَمَتْ وَرَبَّتْ
وَصَلَحَتْ بِهِ الْعَامَّةُ ، وَتَزَيَّنَتْ بِهِ الْوَلَاةُ ، وَطَابَ بِهِ الزَّمَانُ ، وَاعْتَقَدَ فِيهِ الْعَزْ
وَالْمَنْعَةُ ، فَلْيَكُنْ كَنْزُ خَزَائِنِكَ تَفْرِيقَ الْأَمْوَالِ فِي عِمَارَةِ الْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ ، وَوَفَّرْ
مِنْهُ عَلَى أَوْلِيَاءِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ قَبْلَكَ حَقُّوْقَهُمْ ، وَأَوْفِ رِعْيَتِكَ مِنْ ذَلِكَ حِصَصَهُمْ ،
وَتَعَهَّدْ مَا يُصْلِحُ أُمُورَهُمْ وَمَعَاشَهُمْ ، فَإِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ قَرَّرْتَ النِّعْمَةَ عَلَيْكَ ،
وَاسْتَوْجِبْتَ الْمَزِيدَ مِنَ اللَّهِ ، وَكُنْتَ بِذَلِكَ عَلَى جَبَايَةِ خَرَايِكَ ، وَجَمَعَ أَمْوَالَ
رِعْيَتِكَ وَعَمَلِكَ أَقْدَرَ ، وَكَانَ الْجَمْعُ لِمَا شَمِلَهُمْ مِنْ عَدْلِكَ وَإِحْسَانِكَ أَسْلَسَ
لِطَاعَتِهِمْ ، وَأَطْيَبَ نَفْسًا لِكُلِّ مَا أُرِدْتَ . فَاجْهَدْ نَفْسَكَ فِيمَا حَدَّثَتْ لَكَ فِي
هَذَا الْبَابِ ، وَلْتَعِظُمْ حِسْبَتُكَ فِيهِ ، فَإِنَّمَا يَبْقَى مِنَ الْمَالِ مَا أَتَّقَى فِي سَبِيلِ حَقِّهِ ،
وَاعْرِفْ لِلشَّاكِرِينَ شُكْرَهُمْ وَأَثْبَهُمْ عَلَيْهِ ، وَإِيَّاكَ أَنْ تُنْسِيَكَ الدُّنْيَا وَغُرُورَهَا
هَوْلَ الْآخِرَةِ ، فَتَهَاوَنَ بِمَا يَحِقُّ عَلَيْكَ ، فَإِنَّ التَّهَاوُنَ يُوجِبُ التَّفْرِيطَ ، وَالتَّفْرِيطَ
يُورِثُ الْبَوَارَ ، وَلِيَكُنْ عَمَلُكَ لِلَّهِ وَفِيهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَارْجُ الْوَابِ ، فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ
أَسْبَغَ عَلَيْكَ نِعْمَتَهُ فِي الدُّنْيَا ، وَأَظْهَرَ لَدَيْكَ فَضْلَهُ ، فَاعْتَصِمِ بِالشُّكْرِ ، وَعَلَيْهِ
فَاعْتَمِدْ ، يَزِدُّكَ اللَّهُ خَيْرًا وَإِحْسَانًا ، فَإِنَّ اللَّهَ يُثِيبُ بِقَدْرِ شُكْرِ الشَّاكِرِينَ ، وَسِيرَةَ
الْمُحْسِنِينَ ، وَقَضَى الْحَقَّ فِيمَا تَحْمِلُ مِنَ النِّعَمِ ، وَأَلْبَسَ مِنَ الْعَافِيَةِ وَالْكَرَامَةِ ، وَلَا
تَحْقِرَنَّ ذَنْبًا ، وَلَا تَمَالُئَنَّ حَاسِدًا ، وَلَا تَرْجَمَنَّ فَاجِرًا ، وَلَا تَصِلَنَّ كَفُورًا ، وَلَا
تَدَاهِنَنَّ عَدُوًّا ، وَلَا تَصْدَقَنَّ نَمَّامًا ، وَلَا تَأْمَنَنَّ غَدَارًا ، وَلَا تَوَالِيَنَّ فَاسِقًا ، وَلَا
تَتَّبِعَنَّ غَاوِيًا ، وَلَا تَحْمَدَنَّ مُرَائِيًا ، وَلَا تَحْقِرَنَّ إِنْسَانًا ، وَلَا تَرُدَّنَّ سَائِلًا فَقِيرًا ، وَلَا
تَجِينَنَّ ^(١) بَاطِلًا ، وَلَا تَلَا حِظْنَ مُضْحَكًا ، وَلَا تُخْلِفَنَّ وَعْدًا ، وَلَا تَرْهُونَنَّ نَفْسًا ،

ولا تُظهرن غضباً ، ولا تأتين بدخاً ^(١) ، ولا تمشين مَرَحاً ، ولا تركبن سَفَهًا ^(٢) ، ولا تفرطن في طلب الآخرة ، ولا ترفع للنمام عيناً ، ولا تُغمِضن عن الظالم رهبة منه أو مخافة ، ولا تطلبن ثواب الآخرة بالدنيا ، وأكثر مشاورة الفقهاء ، واستعمل نفسك بالحلم ، وخذ عن أهل التجارب ، وذوى العقل والرأى والحكمة ، ولا تُدخلن في مشورتك أهل الدقة ^(٣) والبخل ، ولا تسمعن لهم قولاً ، فإن ضررهم أكثر من منفعتهم ، وليس شئ أسرع فساداً لما استقبلت في أمر رعيتك من الشح ، واعلم أنك إذا كنت حريصاً كنت كثير الأخذ قليل العطية ، وإذا كنت كذلك لم يستقم لك أمرك إلا قليلاً ، فإن رعيتك إنما تعتقد على محبتك ، بالكف عن أموالهم وترك الجور عنهم ، ويدوم صفاء أوليائك لك ، بالإفضال عليهم وحسن العطية لهم ، فاجتنب الشح ، واعلم أنه أول ماعصى به الإنسان ربه ، وأن العاصي بمنزلة خزي ، وهو قول الله عز وجل : « وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ » ، فسهل طريق الجود بالحق ، واحمل للمسلمين كلهم من نيتك حظاً ونصيبة ، وأيقن أن الجود من أفضل أعمال العباد ، فأعِدْهُ لنفسك خلقاً ، وارض به عملاً ومذهباً ، وتفقد أمور الجند في دواوينهم ومكاتبهم ، وأذرر عليهم أرزاقهم ، ووسّع عليهم في معاشهم ، ليذهب بذلك الله فاقهم ، ويقوم لك أمرهم ، ويزيد به قلوبهم في طاعتك وأمرك خلوصاً وانسراحاً ، وحسبُ ذى سلطان من السعادة أن يكون على جنده ورعيته رحمةً في عدله ، وحِيطَته ^(٤) وإنصافه ، وعنايته وشفقته ، وبره

[١] الدح : الكدر . [٢] وفي المقدمة : « ولا تركبن سَفَهًا » .

[٣] وفي المقدمة : « أهل الرّية » . [٤] في المقدمة : « وعطيته » .

وتوسعته ، فزایل مکروه أحد البایین باستشعار تکملة الباب الآخر ، ولزوم العمل به ، تلقَ إن شاء الله نجاحاً وصلاحاً وفلاحاً ، واعلم أن القضاء من الله بالمكان الذى ليس به شىء من الأمور ، لأنه ميزان الله الذى يعتدل عليه الأحوال فى الأرض ، وإقامة العدل فى القضاء والعمل تصلح الرعية ، وتأمين السبل ، وينتصف المظلوم ، يأخذ الناس حقوقهم ، وتحسن المعيشة ، ويؤدى حق الطاعة ، ويرزق الله العافية والسلامة ، ويقوم الدين ، وتجري السنن والشرائع ، وعلى مجاريها يتنجز الحق والعدل فى القضاء ، واشتد فى أمر الله ، وتورع عن التطف (١) ، وامض لإقامة الحدود ، وأفلل العجلة ، وابعد من الضجر والقلق ، واقنع بالقسم ، ولتسكن ریحك ، وقر جدك ، وانتفع بتجربتك ، واتق به فى صمتك ، وأسدد (٢) فى منطقك ، وأنصف الخصم ، وقف عند الشهة ، وأبلغ فى الحجة ، ولا يأخذك فى أحد من رعیتك محابة ولا محاماة (٣) ولا لوم لائم ، وتبت وتأن وراقب ، وانظر وتدبر ، وتهكر واعتبر ، وتواضع لربك ، وارف (٤) بجميع الرعية ، وسلط الحق على قفسك ، ولا تسرعن إلى سفك دم (فإن الدماء من الله بمكان عظیم) انها كآ لها بغير حقها ، وانظر هذا الخراج الذى قد استقامت عليه الرعية ، وجعله الله للإسلام عزاً ورفعة ، ولأهله سعة ومنعة ، ولعدوه وعدوم كبناً (٥) وغیظاً ، ولأهل الكفر من مُعاديهم ذلاً وصغاراً ، فوزعه بين أصحابه بالحق والعدل والتسوية والعموم فيه ، ولا ترفعن منه شيئاً عن شريف لشرفه ، ولا عن غنی لغناه ، ولا عن كاتب لك ، ولا أحد من خاصتك ، ولا تأخذن منه فوق الاحتمال

[١] الطوبى : الميب والشر والفساد . [٢] سدّ يصدّ كصرت : صار سديداً .

[٣] فى المقدمة : « ولا بجملة » . [٤] من باب كرم وقطع وطرب .

[٥] كتبه : صرعه وأحراه ، وردّ العدو ضبطه وأله .

له ، ولا تَكَلِّفْنِ أَمْرًا فِيهِ شَطَطٌ ، واحمل الناس كلهم عَلَى مَرٍّ الْحَقِّ ، فَإِنْ ذَلِكَ أَجْمَعُ لَأُفْتِهِمْ ، وَأَلْزِمِ لِرِضَا الْعَامَةِ ، واعلم أَنَّكَ جُعِلْتَ بِوِلَايَتِكَ خَازِنًا وَحَافِظًا وَرَاعِيًا ، وَإِنَّمَا سُمِّيَ أَهْلُ عَمَلِكَ رَعِيَّتَكَ ، لِأَنَّكَ رَاعِيهِمْ وَقِيَمُهُمْ ، تَأْخُذُ مِنْهُمْ مَا أَعْطَاكَ مِنْ عَفْوِهِمْ وَمَقْدَرَتِهِمْ ، وَتَنْفِقُهُ فِي قِيَامِ أَمْرِهِمْ وَصِلَاحِهِمْ وَتَقْوِيمِ أَوْدِهِمْ ، فَاسْتَعْمِلْ عَلَيْهِمْ فِي كُورِ عَمَلِكَ ذَوِي الرَّأْيِ وَالتَّدْيِيرِ وَالتَّجَرِبَةِ وَالْخُبْرَةِ بِالْعَمَلِ ، وَالْعِلْمِ بِالسِّيَاسَةِ وَالْعِفَافِ ، وَوَسِّعْ عَلَيْهِمْ فِي الرِّزْقِ ، فَإِنْ ذَلِكَ مِنَ الْحَقُوقِ اللَّازِمَةِ لَكَ فِيمَا تَقَلَّدْتَ وَأُسْنَدَ إِلَيْكَ ، وَلَا يَشْغَلَنَّكَ عَنْهُ شَاغِلٌ ، وَلَا يَصْرِفَنَّكَ عَنْهُ صَارِفٌ ، فَإِنَّكَ مَتَى آثَرْتَهُ وَقَمْتَ فِيهِ بِالْوَاجِبِ ، اسْتَدْعَيْتَ بِهِ زِيَادَةَ النِّعْمَةِ مِنْ رَبِّكَ وَحَسَنَ الْأَحْدُوثَةِ فِي عَمَلِكَ ، وَاحْتَرَزْتَ النَّصِيحَةَ مِنْ رَعِيَّتِكَ ، وَأُعْنَيْتَ عَلَى الصِّلَاحِ ، فَدَرَّرْتَ الْخَيْرَاتِ بِيَدِكَ ، وَفَشَتِ الْعِمَارَةُ بِنَاحِيَّتِكَ ، وَظَهَرَ الْخِصْبُ فِي كُورِكَ ، فَكَثُرَ خَرَاجُكَ ، وَتَوَفَّرَتْ أَمْوَالُكَ ، وَقَوِيَتْ بِذَلِكَ عَلَى ارْتِبَاطِ جَنْدِكَ ، وَإِرْضَاءِ الْعَامَةِ بِإِفَاضَةِ الْعَطَاءِ فِيهِمْ مِنْ نَفْسِكَ ، وَكَانَتْ مَحْمُودِ السِّيَاسَةِ ، مَرْضَى الْعَدْلِ فِي ذَلِكَ عِنْدَ عَدُوِّكَ ، وَكَانَتْ فِي أَمْوَالِكَ كُلِّهَا ذَا عَدْلٍ وَقُوَّةَ وَآلَةٍ وَعُدَّةٍ ، فَتَنَافَسَ فِي هَذَا وَلَا تَقْدُمُ عَلَيْهِ شَيْئًا ، تَحْمَدُ مَغِيَّةَ أَمْرِكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، وَاجْعَلْ فِي كُلِّ كُورَةٍ مِنْ عَمَلِكَ أَمِينًا يُخْبِرُكَ أَخْبَارَ عَمَالِكَ ، وَيَكْتُبُ إِلَيْكَ بِسِيرَتِهِمْ وَأَعْمَالِهِمْ ، حَتَّى كَأَنَّكَ مَعَ كُلِّ عَامِلٍ فِي عَمَلِهِ ، مُعَايِنٌ لِأَمْرِهِ كُلِّهِ ، وَإِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَأْمُرَهُ بِأَمْرٍ ، فَانْظُرْ فِي عَوَاقِبِ مَا أَرَدْتَ مِنْ ذَلِكَ ، فَإِنْ رَأَيْتَ السَّلَامَةَ فِيهِ وَالْعَافِيَةَ ، وَرَجَوْتَ فِيهِ حَسَنَ الدِّفَاعِ وَالنَّصِيحِ وَالصَّنْعِ فَأَمُضِهِ ، وَإِلَّا فَتَوَقَّفْ عَنْهُ ، وَرَاجِعْ أَهْلَ الْبَصَرِ وَالْعِلْمِ ، ثُمَّ خُدْ فِيهِ عُدَّتَهُ ، فَإِنَّهُ رَجَبًا نَظَرَ الرَّجُلَ فِي أَمْرٍ مِنْ أَمْرِهِ قَدْ وَاتَاهُ عَلَى مَا يَهْوَى فَقَوَّاهُ ^(١) ذَلِكَ وَأَعْجَبَهُ ، وَإِنْ لَمْ يَنْظُرْ فِي عَوَاقِبِهِ

[١] فِي الْقِسْمَةِ : « وَقَدْ وَاتَاهُ عَلَى مَا يَهْوَى فَأَعْوَاهُ ذَلِكَ » .

أهلكه وتقض عليه أمره ، فاستعمل الحزم في كل ما أردت ، وبأشبهه بعد عون الله بالقوة ، وأكثرت استخارة ربك في جميع أمورك ، وافترغ من عمل يومك ، ولا تؤخره لغدك ، وأكثرت مباشرة بنفسك ، فإن لغد أموراً وحوادث تلهمك عن عمل يومك الذي أخرت ، واعلم أن اليوم إذا مضى ذهب بما فيه ، فإذا أخرت عمله اجتمع عليك أمر يؤمن ، فشغلك ذلك حتى تُعرض عنه ، فإذا أمضيت لكل يوم عمله أرحت نفسك وبدنك ، وأحكمت أمور سلطانك ، وانظر أحرار الناس وذوى الشرف منهم ، ثم استيقن صفاء طويتهم ، وتهذيب مودتهم لك ، ومظاهرتهم بالنصح والمخالصة على أمرك ، فاستخلصهم وأحسن إليهم ، وتعاهد أهل البيوتات ممن قد دخلت عليهم الحاجة ، فاحتمل مئونتهم ، وأصلح حالهم ، حتى لا يجدوا خللتهم ^(١) مساً ، وأفرد نفسك بالنظر في أمور الفقراء والمساكين ، ومن لا يقدر على رفع مظلمته إليك ، والمحقر الذي لا علم له بطلب حقه ، فاسأل عنه أحن مسألة ، ووكل بأمتاله أهل الصلاح من رعيك ، ومُرهم برفع حوائجهم وحالاتهم إليك ، لتظرفيها بما يُصلح الله به أمرهم ، وتعاهد ذوى البأساء ويتامهم وأراملهم ، واجعل لهم أرزاقاً من بيت المال ، اقتداءً بأمير المؤمنين - أعزه الله - في العطف عليهم والصلة لهم ، ليُصلح الله بذلك عيشتهم ، ويرزقك به بركة وزيادة ، وأجر للأضرء من بيت المال ، وقدم حملة القرآن منهم والحافظين لأكثره في الجرایة ^(٢) على غيرهم ، وانصب لمرضى المسلمين دوراً تؤويهم ، وقواماً يرفقون بهم ، وأطباء يعالجون أسقامهم ، وأسعفهم بتسهواتهم ، ما لم يؤد ذلك إلى سرف في بيت المال ، واعلم أن الناس

إذا أعطوا حقوقهم وأفضل أمانيتهم ، لم يُرضهم ذلك ، ولم تُطِب أنفسهم دون رفع حوائجهم إلى ولايتهم ، طمعاً في نيل الزيادة وفضل الرفق منهم ، وربما برِم^(١) المتصفح لأموال الناس ، لكثرة ما يرد عليه ، وَيَشْغَلُ فكره وذهنه منها ما يناله به مؤنة ومشقة ، وليس من يرغب في العدل ، وَيَعْرِفُ محاسن أموره في العاجل ، وفضل ثواب الآجل ، كالذي يستقبل ما يقربه إلى الله ، ويلتبس رحمة به ، وأكثر الإذن للناس عليك ، وأبرز لهم وجهك ، وسكن لهم أحراسك ، واخفِض لهم جناحك ، وأظهر لهم بشرك ، وَلِنْ لهم في المسألة والمنطق ، واعطِ عليهم مجودك وفضلك ، وإذا أعطيت فأعط بسماحة وطيب نفس ، والتمس الصنيعة والأجر غير مكدر ولا متأن ، فإن العطية على ذلك تجارة مربحة إن شاء الله ، واعتبر بما ترى من أمور الدنيا ومن مضى من قبلك من أهل السلطان والرياسة في القرون الخالية والأُمم البائدة ، ثم اعتصم في أحوالك كلها بأمر الله ، والوقوف عند محبته ، والعمل بشريعته وسنته ، وإقامة دينه وكتابه ، واجتنب ما فارق ذلك وخالفه ودعا إلى سخط الله ، واعرف ما تجمع عمالك من الأموال ، وما ينفقون منها ، ولا تجمع حراماً ، ولا تُفِقِ إسرافاً ، وأكثر مجالسة العلماء ومشاورتهم ومخالطتهم ، وليكن هواك اتباع السنن وإقامتها ، وإيتار مكارم الأمور ومعاليها ، وليكن أكرم دُحلائك وخاصتك عليك ، مَنْ إذا رأى عيباً فيك لم يمنعه هيبتك من إنهاء ذلك إليك في سر ، وإعلامك ما فيه من النقص ، فإن أولئك أنصح أوليائك ، ومظاهريك لك ، وانظر عمالك الذين بحضرتك وكتابك ، فوقت لكل رجل منهم في كل يوم

وقتاً يدخل عليك فيه ، بكتبه ومؤامراته وما عنده من حوائج عمالك ، وأمر
كورك ورعيتك ، ثم فرغ لما يورده عليك من ذلك سمعك وبصرك وفهمك
وعقلك ، وكرّر النظر إليه والتدبير له ، فما كان موافقاً للحزم والحق
فأمنّ به ، واستخّر الله فيه ، وما كان مخالفاً لذلك فاصرفه إلى الثبت فيه
والمسألة عنه ، ولا تمنّ على رعيتك ولا على غيرهم بمعروف تأتيه إليهم ، ولا تقبل من
أحدهم إلا الوفاء والاستقامة والعون في أمور أمير المؤمنين ، ولا تضعن المعروف
إلا على ذلك ، وتفهم كتابي إليك ، وأكثر النظر فيه والعمل به ، واستعن بالله
على جميع أمورك واستخيره ، فإن الله مع الصلاح وأهله ، وليكن أعظم سيرتك
وأفضل رعيتك ، ما كان لله رضا ، ولدينه نظاماً ، ولأهله عزاً وتمكيناً ، وللذمة
والملة عدلاً وصلاحاً ، وأنا أسأل الله أن يصلح عونك وتوفيقك ورؤسك
وكلاءك ، وأن ينزل عليك فضله ورحمته بتمام فضله عليك وكرامته لك ،
حتى يجعلك أفضل أمثالك نصيباً ، وأوفرهم حظاً ، وأسنهم ذكراً وأمرأ ، وأن
يهلك عدوك ومن ناواك وبغى عليك . ويرزقك من رعيتك العافية ، ويحجز
الشیطان عنك ومساوئته ، حتى يستعلى أمرك بالعزّ والقوة والتوفيق ، إنه
قريب محیب .

وذكروا أن طاهراً لما عهد إلى ابنه عبد الله هذا العهد ، تمزعة الناس
وكتبوه وتدارسوه ، وشاع أمره حتى بلغ المأمون ، فدعا به وقرئ عليه ، فقال :
ما بقى أبو الطيب (یعنی طاهراً) شيئاً من أمر الدين والدنيا والتدبير والرأى
والسياسة ، وإصلاح الملك والرعية ، وحفظ البيضة ، وطاعة الخلفاء ، وتقويم

الخلافة إلا وقد أحكمه وأوصى به وتقدم ، وأمر أن يكتب بذلك إلى جميع العمال في نواحي الأعمال .

(تاريخ الطبري ١٠ : ٢٥٨ ، ومقدمة ابن خلدون ص ٢٢٩)

١٣٢ - خطبة عبد الله بن طاهر

خطب عبد الله بن طاهر الناس ، وقد تيسر لقتال الخوارج ^(١) فقال :
« إني فئت الله المجاهدون عن حقه ، الدائبون عن دينه ، الدائبون عن محارمه ،
الداعون إلى ما أمر به ، من الاعتصام بحبله ، والطاعة لولاة أمره ، الذين جعلهم
رعاة الدين ، ونظام ^(٢) المسلمين ، فاستنجزوا موعود الله ونصره ، بمجاهدة عدوه ،
وأهل معصيته ، الذين أثروا ^(٣) وتمردوا ، وشقوا العصا ، وفارقوا الجماعة ، وترقوا
من الدين ، وسعوا في الأرض فساداً ، فإنه يقول تبارك وتعالى : « إِنْ تَنْصُرُوا
اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ » ، فليكن الصبر معقلكم الذي إليه تلجئون ^(٤) ،
وعُدَّتكم التي بها تستظهرون ، فإنه الوزر المنيع ، الذي دلّم الله عليه ، والجنة ^(٥)
الحصينة التي أمركم الله بلباسها ، غُضُّوا أبصاركم ، وأخفِّتوا أصواتكم في مصافكم ،
وأمضوا قُدُماً على بصاركم ، فارغين إلى ذكر الله ، والاستعانة به كما أمركم الله ،

[١] الوارد في كتاب « الفرق بين الفرق » أن للأمويين طاهر بن الحسين لقتال حمزة بن أكرح
— هكذا به ، وفي اللال والجل حمزة بن أدركم — وهو وعيم فرقة الحرورية إحدى فرق الخوارج
العارضة ، وقد عاش في سجستان وخراسان ومكران وقوهستان وكرمان ، وهرم الجيوش الكثيرة ،
وكان ظهوره في أيام هرون الرشيد سنة ١٧٩ ، وبقى الناس في قتله إلى أن مضى صدر من أيام خلافة
الأمويين ، طاهراً تمكن للأمويين من الخلافة كتب إليه كتاباً استعطاء به إلى طاعته ، فما ارداد إلا عتوا ،
فقتل طاهر بن الحسين ، فدارت بينه وبين حمزة حروب قتل فيها من الفريقين مقدار ثلاثين ألفاً ،
أكثرهم من أتباع حمزة ، وانهرم حمزة إلى كرمان ، ثم استدعى للأمويين طاهراً من خراسان ، فطعم فيها
حمزة ، وأقل بمحيشه من كرمان ، فخرج إليه عبد الرحمن النيسابوري في عشرين ألفاً فهرموه ، وقتلوا
الألوف من أصحابه ، واهلك منهم حمزة حريماً ، ومات في هريته — انظر ص ٧٩ .

[٢] النظام : الملك يطم به ، وملاك الأمر . [٣] بطروا .

[٤] اللجأ والمتصم ، وكذا الورد . [٥] كل ما بقي .

فإنه يقول : « إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَأَبِيتُوا وَادَّكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ »
أيديكم الله بعز الصبر، ووليكم بالحياة والنصر . (القدر العبد ٢ : ١٥٥)

١٣٣ - العباس بن المأمون والمعتصم (المتوفى سنة ٢٢٧ هـ)

قال العباس بن المأمون : لما أفضت الخلافة إلى المعتصم دخلت ، فقال :
هذا مجلس كنت أكرهه الناس لجلوسى فيه ، فقلت : « يا أمير المؤمنين ، أنت
تعفو عما تيقنته ، فكيف تعاقب على ما توهمت ؟ » ، فقال : لو أردت عقابك ،
لتركت عتابك » (زهر الآداب ٣ : ٩١)

١٣٤ - استعطاف تميم بن جميل للمعتصم

كَانَ تَمِيمُ بْنُ جَمِيلٍ السَّدُوسِيُّ قَدْ خَرَجَ بِسَاطِيءِ الْفُرَاتِ ، وَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ كَثِيرٌ
مِنَ الْأَعْرَابِ ، فَعَظُمَ أَمْرُهُ ، وَبَعُدَ ذِكْرُهُ ، فَكَتَبَ الْمُعْتَصِمُ إِلَى مَالِكِ بْنِ طَوَّاقٍ
فِي النَّهْرُوسِ إِلَيْهِ ، فَبَدَّدَ جَمْعَهُ ، فَظَفَّرَ بِهِ ، فَحَمَلَهُ مُوثَقًا إِلَى الْمُعْتَصِمِ ، قَالَ أَحْمَدُ بْنُ
أَبِي دُوَادٍ : مَا رَأَيْتُ رَجُلًا عَيْنَ الْمَوْتِ ، فَمَا هَالَهُ ، وَلَا أَذْهَلَهُ عَمَّا كَانَ يَجِبُ عَلَيْهِ
أَنْ يَفْعَلَ إِلَّا تَمِيمَ بْنَ جَمِيلٍ ، فَإِنَّهُ أَوْفَى بِهِ الرَّسُولُ بَابَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُعْتَصِمِ ، فِي
يَوْمِ الْمَوْكَبِ ، حِينَ يَجْلِسُ لِلْعَامَةِ ، وَدَخَلَ عَلَيْهِ ، فَلَمَّا مَثَلَ بَيْنَ يَدَيْهِ ، دَعَا بِالنُّطْعِ (١)
وَالسِّيفِ فَأَخْضَرَا ، فَجَعَلَ تَمِيمُ بْنُ جَمِيلٍ يَنْظُرُ إِلَيْهِمَا وَلَا يَقُولُ شَيْئًا ، وَجَعَلَ
الْمُعْتَصِمُ يَصْعَدُ النَّظَرَ فِيهِ وَيَصُوبُهُ ، وَكَانَ حَسِيًّا وَسِيًّا (٢) ، وَرَأَى أَنْ يَسْتَنْطِقَهُ
لِيَنْظُرَ أَيْنَ جَنَانُهُ وَلِسَانُهُ مِنْ مَنْظَرِهِ ، فَقَالَ : يَا تَمِيمُ إِنْ كَانَ لَكَ عَذْرُ فَاتِّبِعْهُ ،
أَوْ حِجَّةً فَادْلِ بِهِ ، فَقَالَ : أَمَّا إِذَا قَدْ أَذِنَ لِي أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فَإِنِّي أَقُولُ :

« الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ، وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ،

[١] الطع كحل وشمس وسب وعب : ساط من الأديم . [٢] جملا .

ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ ، جَبَّرَ بِكَ صَدْعَ الدِّينِ ، وَلَمْ يَكْ شَعَثَ
المسلمين ، وَأَوْضَحَ بِكَ سُبُلَ الْحَقِّ ، وَأَخَذَ بِكَ شِهَابَ الْبَاطِلِ ، يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
إِنَّ الذُّنُوبَ تُخْرِسُ الْأَلْسِنَةَ الْفَصِيحَةَ ، وَتُعَيِّي الْأَقْلُدَةَ الْمَصْحُوحَةَ ، وَلَقَدْ عَظُمَتِ
الْجَرِيرَةُ ، وَانْقَطَعَتِ الْحُجَّةُ ، وَكَبُرَ الذَّنْبُ ، وَمَاءُ الظَّنِّ ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا عَفْوُكَ أَوْ
اتِّقَامُكَ ، وَأَرْجُو أَنْ يَكُونَ أَقْرَبُهُمَا مِنِّي ، وَأَسْرَعُهُمَا إِلَيَّ ، أَوْ لَا هُمَا بِامْتِنَانِكَ ،
وَأَشْبَهُمَا بِخَلْقِكَ ، ثُمَّ أَنْشَأَ يَقُولُ :

أَرَى الْمَوْتَ بَيْنَ السِّيفِ وَالنَّطْعِ كَأَمْنًا	يَلَاظِنِي مِنْ حَيْثُمَا أَتَيْتُ
وَأَكْبَرُ ظَنِّي أَنَّكَ الْيَوْمَ قَاتِلِي	وَأَيُّ أَمْرٍ مِمَّا قَضَى اللَّهُ يُفْلِتُ ؟
وَمَنْ ذَا الَّذِي يُذِلِّي بِعُذْرٍ وَحُجَّةٍ	وَسَفُّ الْمَنَابِي بَيْنَ عَيْنَيْهِ مُصَلَّتٌ ؟ ^(١)
يَعِزُّ عَلَى الْأَوْسِ بْنِ تَغْلِبٍ مَوْقِفُ	يُسَلِّ عَلَى السِّيفِ فِيهِ وَأَسْكُتُ
وَمَا جَزَعَنِي مِنْ أَنْ أَمُوتَ وَإِنِّي	لَأَعْلَمُ أَنَّ الْمَوْتَ شَيْءٌ مُوَقَّتٌ
وَلَكِنْ خَلَقَ صَبِيئَةً قَدْ تَرَكْتَهُمْ	وَأَكْبَادُهُمْ مِنْ حَسْرَةٍ تَتَفَتَّتُ
كَأَنِّي أَرَاهُمْ حِينَ أَنْتَنِي إِلَيْهِمْ	وَقَدْ حَمَشُوا تِلْكَ الْوُجُوهُ وَصَوَّتُوا ^(٢)
فَإِنْ عَسَتْ حَاشُوا خَافِضِينَ بِغَيْظَةٍ	أَذُودُ الرَّدَى عَنْهُمْ وَإِنْ مِتَّ مَوْتًا ^(٣)
فَكَمْ فَائِلٍ لَا يُبْعِدُ اللَّهُ رُوحَهُ	وَأَخَرَهُ جَذْلَانِ يُسَرُّ وَيَشْتَمُّ
فَتَبَسَّمَ الْمُعْتَصِمُ وَقَالَ : « كَادَ وَاللَّهِ يَا تَعِيمُ أَنْ يَسْبِقَ السِّيفُ الْعَذْلَ ^(٤) ، أَذْهَبَ	

[١] ملول . [٢] حشروحه كسر وصر وخصه واطمه وصره . [٣] كثر فيهم اللوت .
[٤] العذل كشس وسب : اللوم ، وهو مثل ، وأول من قاله حسنة بن أد بن طابخة ، وكان له ابنان
يقال لأحدهما سعد ، وللآخر سعيد ، فعرت إبل لسة تحت الليل ، فوجه أبيه في طلبها ففرقا ، فوجدها
سعد فردّها ، ومضى سعيد في طلبها ، فلقية الحرث بن كعب ، وكان على العلام بردان ، فسأله الحرث إلهما
فأبى عليه فقتل وأحد رديه ، فكان صبة إذا أسي فرأى تحت الليل سوادا . قال : أسعد أم سعيد ؟
فكث صبة بذلك فساء الله أن تمكث ، ثم إنه حجّ فواري عكاظ ، فلقى بها الحرث بن كعب ، ورأى عليه

فقد غفرت لك الصبوة^(١) ، ووهبتك للصبيّة ، ثم أمر بك قيوده وخلع عليه ، وعقد له بشاطئ الفرات . (القدرديد ١ : ١٤٥ ، ورمز الآداب ٣ : ٨٩)

١٣٥ — بين يدي سليمان بن وهب وزير المهدي بالله

ولما ولي المهدي بالله^(٢) بن الواثق بن المعتصم سليمان بن وهب وزارته ، قام إليه رجل من ذوى حرمة ، فقال : « أعز الله الوزير ، أنا خادمك ، المؤمل لبولتك ، السعيد بأيامك ، المنظور القلب على ودك ، المنشور اللسان بمدحك ، المرتين بشكر نعمتك » . (رمز الآداب ٣ : ١٩٧)

١٣٦ — أحمد بن أبي دواد والواثق (المتوفى سنة ٢٣٣ هـ)

دخل أحمد بن أبي دواد^(٣) على الواثق فقال : ما زال اليوم قوم في ثلبك وتقصك ، فقال : يا أمير المؤمنين ، لكل أمرئ منهم ما اكتسب من الإثم ، والذي تولى كبره^(٤) منهم له عذاب عظيم ، والله ولي جزائه ، وعقاب أمير المؤمنين من ورأه ، وما ذك يا أمير المؤمنين من أنت ناصره ، وما ضاق من كنت جاراً له ، فما قلت لهم يا أمير المؤمنين ؟ قال : قلت يا أبا عبد الله :

بردى أنه سعيد فرفهما ، فقال له : هل أت بحرى ما هذان اللذان عليك ؟ قل لي : لقيت فلاناً ، وهما عليه فسأله إياهما ، فأبى عليّ فقتلته ، وأخذت رديه هذين ، فقال صة : سيك هذا ؟ قال نعم ، فقال : فأعطيه أطر إليه فأبى أطه صارما ، فأعطاه الحرت سيفه ، فلما أحده من يده مره وقال : الحديث دوشحون ، ثم صربه به حتى قتل ، قيل له يا صة : أي الشهر الحرام ؟ فقال : سقى السيف الملك . [١] حيلة الفتوة . [٢] تولى الخلافة سنة ٢٥٥ إلى سنة ٢٥٦ هـ .

[٣] هو القاضي أبو عداة أحمد بن أبي دواد من كبار أئمة المعتزلة ، وصراء الاعتزال ، كان مقرباً من للأموه أنيرا عسده ، ولما ولي للمعتصم الخلافة حطه قاضي القضاة ، وعزل يحيى بن أكرم ، وخص به أحمد ، حتى كان لا يعمل صلاطاً ولا طاهراً إلا رأيته ، ولما مات للمعتصم ، وتولى بعده ابنه الواثق بالله حجت حال ابن أبي دواد عنده ، ثم طلع في أول خلافة للتوكل ، فقلده ولده محمداً القضاء مكانه ، وتوفى سنة ٢٤٠ هـ . [٤] أي معطيه ، وفي قراءة « كره » ضم الكاف .

وَسَعَى إِلَى بَيْتِ عَزَّةَ مَعَشَرٌ جَعَلَ الْإِلَهَ خَدُودَهُمْ نِعَاً لَهَا

(زمر الآداب ٣ : ٢٠٨ ، والقدر الفريد ١ : ١٤١)

١٣٧ - ابن أبي دؤاد والوائق أيضاً

وقال الواثق يوماً لابن أبي دؤاد تضجراً بكثرة حوائجه : قد أخليت بيوت الأموال بطلبك للأنذنين بك ، والمتوسلين إليك ، فقال :

« يا أمير المؤمنين ، نتأجج شكرها متصلة بك ، وذخايرها موصولة لك ، ومالي من ذلك إلا عشق اتصال الألسن بخلود المدح » ، فقال : « والله لا منعناك ما يزيد في عشقك ، ويقوى في همتك فينا ولنا » ، وأمر فأخرج له خمسة وثلاثين ألف درهم . (زمر الآداب ٢ : ٢١٠)

١٣٨ - ابن أبي دؤاد وابن الزيات

وكان بين القاضي أحمد بن أبي دؤاد وبين الوزير محمد بن عبد الملك الزيات^(١) منافسة وشحناء ، حتى منع الوزير شخصاً كان يصحب القاضي ، ويختص بقضاء حوائجه ، من التردد إليه ، فبلغ ذلك القاضي ، فجاء إلى الوزير فقال له :

« والله ما أجيئك متكرراً بك من قلة ، ولا متعزراً بك من ذلة ، ولكن أمير المؤمنين رتبك مرتبة أوجببت لقاءك ، فإن لقيناك فله ، وإن تأخرنا عنك فلك^(٢) » . (وفيات الأعيان ١ : ٢٥)

[١] ودر المعتصم ، والوائق من سده ، ثم دكة التوكل كما سيأتي .

[٢] وكان الواثق قد أمر ألا يرى أحد من الناس ابن الزيات ، إلا قام له ، فكان ابن أبي دؤاد إذا رآه قام واستقبله القلة على .

١٣٩ - الجاحظ وابن أبي دؤاد

وكان الجاحظ مختصاً بمحمد بن عبد الملك الزيات ، منحرفاً عن أحمد بن أبي دؤاد ، فلما نكسب ابن الزيات ^(١) ، حُمل الجاحظ مقيداً من البصرة ، وفي عنقه سلسلة ، وعليه قميص تَمَل ^(٢) ، فلما دخل على القاضي أحمد قال له : « والله ما أعلمك إلا متناسياً للنعمة ، كفوراً للصنيعة ، ممدناً للمساوي ، وما فتنتي باستصلاحك ، ولكن الأيام لا تُصلح منك ، لفساد طورتك ، ورداءة دخیلتك ، وسوء اختيارك ، وغالب طباعك » .

فقال الجاحظ : « خَفَضَ عليك - أيذك الله - فوالله لأن يكون لك الأمر على ، خيرٌ من أن يكون لي عليك ، ولأن أُمِيءَ وتُحْسِنَ ، أحسنُ في الأخذوة عليك ، من أن أحسن وتُمِيءَ ، ولأن تعفو عني في حال قدرتك ، أجمل بك من الانتقام مني » .

فقال أحمد : والله ما علمتُك إلا كثير ترويق الكلام ، فخل عنه الغُلّ والقيد ، وأحسن إليه ، وصدّره في المجلس .

(دهر الآداب ٢ : ١٠٦ ، والنية والأمل ص ٣٩)

[١] كان في عهد التوكل من ابن الربيع شيء كثير ، وذلك أنه لما مات الواثق (وهو أخو التوكل) - أشار ابن الربيع تولية ولد الواثق ، وأشار ابن أبي داود بتولية للتوكل ، وقام في ذلك وقد حتى عمه بيده وألصقه البردة ، وقوله بين عبيده ، وكان التوكل في أيام الواثق يدخل على ابن الربيع ويصحه ويقاط له في الكلام - بقرب ذلك إلى الواثق - فحمد للتوكل ذلك عليه ، فلما ولي الخلافة ، أمره أربعين يوماً حتى يطعن إليه ، ثم قضى عليه وسجّه ، واستصحب أمواله ، وكان ابن الربيع ياتن وزارته قد أخذ توراً من حديد ، وأطراف مساميره إلى داخل ، وهي قائمة مثل رؤوس المسالّة ، يصدف فيه من يستحقون العقوبة وكان إذا قال أحدهم ارحمني أيها الورر . قال له : الرحمة حور في الطبيعة ، فلما اعتقله للتوكل أمره بالدخول في التور ، وقيده بحزمة عشر رطلا من الحديد ، فقال : يا أمير المؤمنين ارحمني ، فقال له : الرحمة خور في الطبيعة ، وبقي في العذاب أربعين يوماً حتى مات سنة ٢٢٣ هـ .

[٢] السمل : الخلق من الثياب .

١٤٠ - أبو العيْناء وابن أبي دُواد

وقال أبو العيْناء لابن أبي دُواد : إن قوماً من أهل البصرة قَدِمُوا إلى
«سُرْمَنْ رَأَى» يَدَا عَلِيٍّ ، فقال : «يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ» ، فقلت : إن لهم مَكْرًا ،
فقال : «وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ» ، فقلت : إنهم كثير ، قال :
«كَمْ مِنْ فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِتْنَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ» .

(زمر الآداب ٢ : ٣١٠ ، والقدر العبد ١ : ١٤١)

تم الجزء الثالث

ويليه

ذيل الجهرة



فهرس

الجزء الثالث

من جمهرة خطب العرب

الباب الرابع

الخطب والوصايا في العصر العباسي الأول

الخطبة أو الوصية	رقم الخطبة	رقم المصحة
خطبة أنى العباس السفاح وقد نوبع بالخلافة	١	١
» داود بن عليّ	٢	٣
» داود بن عليّ وقد أرتج على السفاح	٣	٦
» أخرى له	٤	٧
» » للسفاح بالكوفة	٥	٧
» السفاح بالشام حين قتل مروان	٦	٨
» عيسى بن عليّ » »	٧	٨
» داود بن عليّ بمكة	٨	٩
خطبته بالمدينة	٩	١٠
خطبة أخرى له	١٠	١٠
خطبته وقد بلغه أن قوما أظهروا شكاة بنى العباس	١١	١١
» وقد أرتج عليه	١٢	١٢
خطبة صالح بن عليّ	١٣	١٣
» صديق بن ميمون	١٤	١٣
» أنى مسلم الحراماني	١٥	١٥

الخطبة أو الوصية

رقم
الصفحة
رقم
الخطبة

١٧	١٦	خالد بن صفوان وأحوال السفاح
١٩	١٧	» » » ورجل من بني عبد الدار
٢٠	١٨	» » » يرثي صديقاً له
٢٠	١٩	» » » يمدح رجلاً
٢٠	٢٠	كلمات بليغة لخالد بن صفوان
٢١	٢١	عمارة بن حمزة والسفاح
٢٢		خطب أبي جعفر المنصور
٢٢	٢٢	خطبته بمكة
٢٢	٢٣	» » بعد بناء ببغداد
٢٣	٢٤	» ببغداد
٢٣	٢٥	» وقد أخذ عبد الله بن الحسن وأهل بيته
٢٦	٢٦	» حين خروج محمد وإبراهيم ابني عبد الله بن الحسن
٢٦	٢٧	» وقد قتل أبا مسلم الحراساني
٢٧	٢٨	خطبة أخرى
٢٧	٢٩	قوله وقد قوطع في خطبته
٢٨	٣٠	المنصور يصف خلفاء بني أمية
٢٩	٣١	» » عبد الرحمن الناحل
٢٩		وصايا المنصور لابنه المهدي
٢٩	٣٢	وصية له
٣٠	٣٣	» أخرى له
٣١	٣٤	» » »
٣٢	٣٥	خطبة النفس الزكية حين خرج على المنصور

الخطبة أو الوصية	رقم الخطبة	رقم الصفحة
وصية عبد الله بن الحسن بن الحسن بن عليّ لآلته	٣٦	٣٣
قوله وقد قتل ابنته محمد	٣٧	٣٤
امراة محمد بن عبد الله والنصور	٣٨	٣٤
جعفر الصادق والنصور	٣٩	٣٥
صفح للنصور عن معيان بن معاوية بن يزيد بن المهلب	٤٠	٣٦
استعطاف أهل الشام أنا جعفر للنصور	٤١	٣٧
» » » المنصور أيضاً	٤٢	٣٨
أبو جعفر المنصور والربيع	٤٣	٣٩
مقام عمرو بن عبيد بين يدي المنصور	٤٤	٤٠
» رجل من الزهاد » » »	٤٥	٤٠
» الأوزاعي بين يدي المنصور	٤٦	٤٣
نصيحة يزيد بن عمر بن هبيرة المنصور	٤٧	٤٦
معن بن رائدة والنصور	٤٨	٤٧
» » » وأحد زوّاره	٤٩	٤٨
للنصور وأحد الأعراب	٥٠	٤٨
أعرابية تعزى للنصور وتهنئه	٥١	٤٨
حطّة محمد بن سليمان	٥٢	٤٩
وصية مسلم بن قتيبة	٥٣	٤٩
خطبة المهدي	٥٤	٥٠
مشاورة المهدي لأهل بيته في حرب خراسان		٥٢
مقال سلام صاحب الطالم	٥٥	٥٣
» الربيع بن يونس	٥٦	٥٤
» الفضل بن العباس	٥٧	٥٥

٥٧	٥٨	مقال طي بن للهدى
٥٩	٥٩	» موسى بن للهدى
٦٠	٦٠	» العباس بن محمد
٦٢	٦١	» هرون بن للهدى
٦٤	٦٢	» صالح بن طي
٦٤	٦٣	» محمد بن الليث
٦٦	٦٤	» معاوية بن عبد الله
٦٨	٦٥	» للهدى
٧٠	٦٦	» محمد بن الليث
٧١	٦٧	» للهدى
٧٤	٦٨	ابن عتبة يعزى للهدى ويهنته
٧٤	٦٩	يعقوب بن داود يستعطف المهدى
٧٥	٧٠	رحل من أهل خراسان يخطب بمصرة المهدى
٧٥	٧١	مقام صالح بن عبد الجليل بين يدي للهدى
٧٦	٧٢	عطة شبيب بن شبة للهدى
٧٦	٧٣	خطبته في تعزية للهدى بابنته
٧٧	٧٤	خطبة أخرى له في مدح الخليفة
٧٨	٧٥	كلمات لشبيب بن شبة
٧٨	٧٦	خطبة يوسف بن القاسم بن صبيح الكاتب يوم ولي الرئيد الخلافة
٨٠	٧٧	خطبة هرون الرئيد
٨٢	٧٨	وصية الرئيد لمؤدب ولده الأمين
٨٢	٧٩	خطبة لجمع بن يحيى البرمكي
٨٥	٨٠	استعطاف أم جعفر بن يحيى للرئيد

الخطبة أو الوصية

رقم
الصفحة

رقم
الخطبة

خطبة يزيد بن يزيد الشيباني	٨١	٨٩
» عبد الملك بن صالح	٨٢	٩٠
عبد الملك بن صالح يعزى الرشيد ويهتته	٨٣	٩٠
غضب الرشيد على عبد الملك بن صالح	٨٤	٩٠
قوله بعد خروجه من السجن	٨٥	٩٤
وصية عبد الملك بن صالح لابنه	٨٦	٩٥
» أخرى له	٨٧	٩٧
كلمات حكيمة لابن السماك	٨٨	٩٧
ابن السماك وارشيد	٨٩	٩٧
الفتنة بين الأمين والمأمون		٩٩
وقد الأمين إلى المأمون		
خطبة العباس بن موسى	٩٠	٩٩
» عيسى بن جعفر	٩١	١٠٠
» محمد بن عيسى بن هبةك	٩٢	١٠٠
» صالح صاحب للصلي	٩٣	١٠١
» المأمون	٩٤	١٠١
وصية السيدة زبيدة لعلی بن عيسى بن ماهان	٩٥	١٠٢
» الأمين لابن ماهان	٩٦	١٠٣
استهانة ابن ماهان بأمر طاهر بن الحسين	٩٧	١٠٤
حرم طاهر وقوة عزمه	٩٨	١٠٥
طاهر يشد عزيمته حننه	٩٩	١٠٦
وصف الفصل بن الربيع عفة الأمين	١٠٠	١٠٧
وصية الأمين لأحمد بن مرید	١٠١	١٠٨

رقم الصفحة	رقم الخطبة	الخطبة أو الوصية
١٠٩	١٠٢	مقال عبد الملك بن صالح للأمين
١١٠	١٠٣	الشغب في جيش عبد الملك بن صالح
١١١	١٠٤	خطبة الحسين بن علي بن عيسى بن ماهان يدعو إلى خلع الأمين
١١٢	١٠٥	» محمد بن أبي خالد
١١٣	١٠٦	إطلاق الأمين من سجنه ورده إلى مجلس الخلافة
١١٤	١٠٧	خطبة داود بن عيسى يدعو إلى خلع الأمين
١١٥	١٠٨	» الأمين وقد تولى الأمر عنه
١١٧	١٠٩	استعطاف الفضل بن الربيع للمأمون
١١٨	١١٠	خطبة طاهر بن الحسين بغداد بعد مقتل الأمين
١١٩		خطب المأمون
١١٩	١١١	خطبته وقد ورد عليه من الرعييد
١١٩	١١٢	» وقد سلم الناس عليه بالخلافة
١٢٠	١١٣	» يوم الجمعة
١٢١	١١٤	» يوم الأضحى
١٢٢	١١٥	» يوم العطر
١٢٤	١١٦	خطبة ابن طباطبا العلوي
١٢٥	١١٧	استعطاف إبراهيم بن المهدي للمأمون
١٢٧	١١٨	إبراهيم بن المهدي ومختبشوع الطيب
١٢٨	١١٩	استعطاف إسحاق بن العباس للمأمون
١٢٩	١٢٠	أحد وحوه بغداد يمدح للمأمون حين دخلها
١٣٠	١٢١	أحد أهل الكوفة يمدح للمأمون
١٣٠	١٢٢	محمد بن عبد الملك بن صالح بين يدي للمأمون

الخطبة أو الوصية

رقم
الصفحة

الحسن بن سهل يمدح للآمون	١٢٣	١٣٠
يحيى بن أكثم يمدح للآمون	١٢٤	١٣١
أحمد بنى هاشم وللآمون	١٢٥	١٣٢
رحل يتظلم إلى للآمون	١٢٦	١٣٢
عمرو بن سعيد وللآمون	١٢٧	١٣٢
الحسن بن رجاء وللآمون	١٢٨	١٣٣
سعيد بن مسلم وللآمون	١٢٩	١٣٣
أورهمان يعط سعيد بن مسلم	١٣٠	١٣٤
وصية طاهر بن الحسين لانه عبد الله لما ولاه الآمون الرقة ومصر وما بينهما	١٣١	١٣٤
خطبة عبد الله بن طاهر	١٣٢	١٤٦
العباس بن للآمون والمعتصم	١٣٣	١٤٧
استعطاف تميم بن جميل للمعتصم	١٣٤	١٤٧
بين يدي سليمان بن وهب وزير للبتدي بالله	١٣٥	١٤٩
أحمد بن أبي دواد والواق	١٣٦	١٤٩
ابن أبي دواد والواق أيضاً	١٣٧	١٥٠
ابن أبي دواد وابن الريات	١٣٨	١٥٠
الجاحظ وابن أبي دواد	١٣٩	١٥١
أبو العيناء وابن أبي دواد	١٤٠	١٥٢

فهرس أعلام الخطباء

مرتب بترتيب الحروف الهجائية

مع إتباع اسم كل خطيب بأرقام المصحات التي وردت فيها خطبه

ح	أ
الحارث بن عبد الرحمن ٣٧	إبراهيم بن للهدى ١٢٥ - ١٢٧
الحسن بن رجاء ١٣٣	ابن السماك ٩٧
الحسن بن سهل ١٣٠	ابن طباطبا العلوى ١٢٤
الحسين بن على بن عيسى بن ماهان ١١١	ابن عتبة ٧٤
خ	أبو جعفر للنصور ٢٢ - ٢٣ - ٢٦
خلاد بن صفوان ١٧ - ١٩ - ٢٠	٢٧ - ٢٨ - ٢٩ - ٣٠ - ٣١ - ٣٦
د	أبوزمان العلانى ١٣٤
داود بن على	أوالعاس السقاح ١ - ٧ - ٨
٣ - ٦ - ٧ - ٩ - ١٠ - ١١ - ١٢	أومسلم الحراسانى ١٥
داود بن عيسى ١١٤	أحمد بن أبى دواد ١٤٩ - ١٥٠ - ١٥٢
ر	إسحاق بن العباس ١٢٨
الربيع بن يونس ٣٩ - ٥٤	أم حفتر بن يحيى ٨٥
ز	الأمين ١٠٣ - ١٠٨ - ١١٥
السيلة زبيلة ١٠٢	الأوزاعى ٤٣
س	ت
سديف بن ميمون ١٣	تميم بن جميل ١٤٧
سعيد بن مسلم ١٣٣	ج
سلام (صاحب المطالم) ٥٣	الجاحظ ١٥١
ش	جعفر الصادق ٣٥
شبيب بن شيبه ٧٦ - ٧٧ - ٧٨	جعفر بن يحيى التومكى ٨٢

- ص -

صالح (صاحب الصلي) ١٠١

صالح بن عبد الجليل ٧٥

صالح بن علي ٦٤ - ١٣

- ط -

طاهر بن الحسين

١٣٤ - ١١٨ - ١٠٦ - ١٠٥

- ع -

العباس بن للأمون ١٤٧

العباس بن محمد ٦٠

العباس بن موسى ٩٩

عبد الله بن الحسن ٣٤ - ٣٣

عبد الله بن طاهر ١٤٦

عبد الملك بن صالح

٩٠ - ٩١ - ٩٤ - ٩٥ - ٩٧ - ١٠٩

عثمان بن خزيم ٣٨

علي بن عيسى بن ماهان ١٠٤

علي بن المهدي ٥٧

عمارة بن حمزة ٢١

عمرو بن سعيد ١٣٢

عمرو بن عبيد ٤٠

عيسى بن جعفر ١٠٠

عيسى بن علي ٨

- ف -

الفصل بن الربيع ١١٧ - ١٠٧

الفضل بن العباس ٥٥

- م -

لأمون ١٠١ - ١١٩ - ١٢٠ - ١٢١ - ١٢٢

محمد بن أبي خالد ١١٢

محمد بن سليمان ٤٩

محمد بن عبد الملك بن صالح ١٣٠

محمد بن عيسى بن نهيك ١٠٠

محمد بن الليث ٦٤ - ٧٠

مسلم بن قتيبة ٤٩

معاوية بن عبد الله ٦٦

معن بن زائدة ٤٧

للهدى ٥٠ - ٦٨ - ٧١

- ن -

النفس الزكية ٣٢

- ه -

الهادي ٥٩

هرون الرشيد ٦٢ - ٨٠ - ٨٢

- ي -

يحيى بن أكثم ١٣١

يزيد بن عمر بن هيرة ٤٦

يزيد بن مريد الشيباني ٨٩

يعقوب بن داود ٧٤

يوسف بن القاسم بن صليح ٧٨

تم فهرس أعلام الخطاء

جدول الخطأ والصواب

الخطأ	الخطأ	الخطأ	الخطأ
أرومض	أرومض	٢١	٤
لأولي	لأولي	٨	١٧
ثقلت	ثقلت	٧	٣٩
إن	إن	١٠	٤٣
المنصور	المنصور	٨	٤٤
سجالها	سجالها	٩	٥٣
الخطب	الخطب	١٠	٥٧
٣٠	٣٠	١٠	٦٠
بالمعدلة	بالمعدلة	١٤	٦٩
حسنة	حسنة	١٨	٧٧
الرشد	الرشد	٥	١٠٠
كل ما أوصيك	كل ما أوصيك	١٩	١٠٣

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

جَمْعُ خُطَبِ الْعَرَبِ

فِي عَصُورِ الْعَرَبِ الزَّاهِرَةِ

وَيَحْوِي خَمْسَةَ أَبْوَابٍ :

- الباب الأول : في خطب الأندلسيين والمغاربية
- » الثاني : في خطب ووصايا مجهول عصرها أو قائلها
- » الثالث : في نثر الأعراب
- » الرابع : في خطب النكاح
- » الخامس : في خطب من أرتج عليهم ونوادير طريقة لبعض الخطباء .

فهرس المآخذ

- فتح الطيب ، للمقرى : الجزء الأول - الثانى - الرابع
- مطمح الأقس ، للفتح بن خاقان :
- المعجب ، فى تلخيص أخبار المغرب ، :
- لمحي الدين بن على الراشى
- الإحاطة : فى أخبار غرناطة ، للسان :
- الدين بن الخطيب :
- الأمالى : لأبى على القالى : الجزء الأول - الثانى - ذيل الأمالى
- الأغانى : لأبى الفرج الأصبهانى : » الثالث عشر - السابع عشر
- صبح الأعشى : لأبى العباس القلقشندى : » الأول
- نهاية الأرب : لشهاب الدين النويرى : » السابع
- عيون الأخبار : لابن قتيبة الدينورى : المجلد الثانى
- الكامل : لأبى العباس المبرد : الجزء الأول
- العقد الفريد : لابن عبد ربه : » الأول - الثانى - الثالث
- زهر الآداب : لأبى إسحق الحضرى : » الأول - الثانى - الثالث
- البيان والتبيين : للجاحظ : » الأول - الثانى - الثالث
- أمالى السيد المرتضى : » الرابع
- مجمع الأمال . لأبى الفضل الميدانى : » الأول - الثانى
- تاريخ الأم والملوك : لابن جرير الطبرى : » السابع - الثامن
- مروج الذهب : للمسعودى : الجزء الثانى

- : الصناعتين ، لأبي هلال العسكري
 - : بلاغات النساء : لابن أبي طاهر طيفور
 - : شرح العيون : لابن نباتة المصري
 - : سيرة عمر بن عبد العزيز : لابن الجوزي
 - مواسم الأدب للسيد جعفر البيهقي العلوي : الجزء الثاني
 - بلوغ الأرب : للسيد محمود شكرى الألوسى : « الثالث
 - مفتاح الأفكار : للشيخ أحمد مفتاح
-



الباب الأول

في

خطب الأندلسيين والمغاربة

١ - خطبة عبد الرحمن الداخل (المتوفى سنة ١٧١ هـ)

يوم حربه مع يوسف الفهري صاحب الأندلس

لما اشتد الكرب بين يدي عبد الرحمن الداخل^(١) ، يوم حربه مع يوسف الفهري^(٢) صاحب الأندلس ، ورأى شدة مقاساة أصحابه قال :
« هذا اليوم هو أسُّ ما يُبْنَى عليه ، إِمَّا ذَلَّ الدهر ، وإِمَّا عَزَّ الدهر ،
فاصبرُوا ساعةً فيما لا تشتهون ، تَرْبَحُوا بها بقيةَ أعماركم فيما تشتهون . »
ولما أُنْحِيَ أصحابه على أصحاب الفهري بالقتل يوم هزيمتهم على قرطبة قال :

[١] هو عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان المروفي الداخل ، وذلك أنه لما أصاب دولتهم بالشرق ما أصابها ، وتقطع السبل من بقي من بني أمية بالقتل والإهلاك ، فرَّ عبد الرحمن إلى الأندلس ، واسطاع بهته أن يؤسس هناك دولة أورثها عنه حقه من الدهر ، وهي دولة بني أمية في العرب من سنة ١٢٨ إلى سنة ٤٢٢ هـ ، وكانت عاصمة ملكها قرطبة ، وهي مدينة على نهر الوادي الكبير .
[٢] يوسف الفهري هو ابن عبد الرحمن بن حبيب بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع باني القيروان ، وأمير معاوية على أفريقيا والمغرب ، وكانت ولاية يوسف الفهري الأندلس سنة ١٢٩ هـ مات له سبع سنين وتسعة أشهر ، وعنه انتقل سلطاتها إلى بني أمية .

« لَا تَسْتَأْصِلُوا شَأْفَةً ^(١) أَعْدَاءِ تَرْجُونَ صِلَاقَتَهُمْ ، وَاسْتَبْقُوهُمْ لِأَشَدِّ عَدَاوَةٍ مِنْهُمْ »
- يشير إلى استبقائهم ، لِيُسْتَعَانَ بِهِمْ عَلَى أَعْدَاءِ الدِّينِ - . (مع الطيب ٢ : ٧٠)

٢ - عبد الرحمن الداخل ورجل من جند قنسرين

ولما أذعن يوسف صاحب الأندلس لعبد الرحمن ، واستقر ملكه ، استحضر
الوفود إلى قُرْطُبَةٍ ، فَاثَالُوا ^(٢) عَلَيْهِ ، وَوَالَى الْقَعُودَ لَهُمْ فِي قَصْرِهِ عِدَّةَ أَيَّامٍ ، فِي
مَجَالِسٍ يَكْلَمُ فِيهَا رُؤَسَاءَهُمْ وَوُجُوهَهُمْ ، بِكَلَامٍ سَرَّاهُمْ ، وَطَيَّبَ قُوسَهُمْ .
وَفِي بَعْضِ مَجَالِسِهِمْ هَذِهِ مَثَلٌ بَيْنَ يَدَيْهِ رَجُلٌ مِنْ جُنْدِ قَنْسَرِينَ ^(٣)
يَسْتَجِدُّهُ ، فَقَالَ لَهُ :

« يَا بَنَ الْخِلَافَةِ الرَّاشِدِينَ ، وَالسَّادَةِ الْأَكْرَمِينَ ، إِلَيْكَ فَرَزْتُ ، وَبِكَ
عُذْتُ ، مِنْ زَمَنِ ظُلُومٍ ، وَدَهْرِ غَشُومٍ ، قَلَّلَ الْمَالُ ، وَكَثُرَ الْعِيَالُ ، وَشَعَتْ ^(٤)
الْحَالُ ، فَصَيَّرَ إِلَى تِلْكَ الْمَالِ ، وَأَنْتَ وَلِيُّ الْحَمْدِ وَالْمَجْدِ ، وَالْمَرْجُوُّ لِلرَّفْدِ ^(٥) .
فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ مُسْرِعًا :

« قَدْ صَمَعْنَا مَقَالَاتِكَ ، وَقَضَيْنَا حَاجَتَكَ ، وَأَمَرْنَا بِمَوْتِكَ عَلَى دَهْرِكَ ، عَلَى
كُرْهِنَا لِسُوءِ مَقَامِكَ ، فَلَا تَعُودَنَّ وَلَا سِوَاكَ لِمَتْلِهِ ، مِنْ إِرَاقَةِ مَاءٍ وَجْهَكَ بِتَصْرِيحِ
الْمَسْأَلَةِ ، وَالْإِلْحَافِ فِي الطَّلِبَةِ ^(٦) ، وَإِذَا أَلَمَ بِكَ خَطْبٌ ، أَوْ حَزَبَكَ ^(٧) أَمْرٌ ،
فَارْفَعِهِ إِلَيْنَا فِي رُقْعَةٍ لَا تَعْدُوكَ ، كَيْمَا نَسْتُرَ عَلَيْكَ خَلَّتَكَ ، وَنَكْفُ شِمَاتَ الْعَدُوِّ
عَنْكَ ، بَعْدَ رَفْعِكَ لَهَا إِلَى مَالِكِكَ وَمَالِكِنَا - عَزَّ وَجَّهٌ - بِإِخْلَاصِ الدُّعَاءِ ،
وَصَدَقَ النِّيَّةُ » .

[١] الشَّافَةُ : قُرْعة تَخْرُجُ فِي أَسْفَلِ الْقَدَمِ فَتَكْوِي تَدْفَعُ ، أَوْ إِذَا قَطَعْتَ مَاتَ صَاحِبُهَا ، وَالْأَصْلُ ،
وَأَسْتَأْصِلُ اللَّهَ شَأْفَتَهُ : أَدْعَاهُ كَمَا تَدْفَعُ تِلْكَ الْقُرْعةُ ، أَوْ مَعَاذَ أَرَاهُ مِنْ أَصْلِهِ .

[٢] اِثَالُ : أَصَبَ ، أَيْ تَنَاصَرُوا وَتَوَاقَفُوا عَلَيْهِ . [٣] مَالِثَامٌ .

[٤] شَعَتْ الْأَمْرُ : نَفَسَتْ وَفَرَقَتْ . [٥] الرَّدُّ : الْعَطَاءُ وَالصَّلَاةُ .

[٦] الطَّلِبَةُ : الطَّلَبُ . [٧] أَيْ اشْتَدَّ عَلَيْكَ ، وَالْحَلَّةُ : الْحَاجَةُ .

وأمر له بجائزة حسنة ، وخرج الناس يتعجبون من حسن منطقته ، وبراعة أدبه ، وكفت فيما بعدُ ذو الحاجات عن مقابلته بها شفاهاً في مجلسه .

(فتح الطيب ٢ : ٦٨)

٣ - عبد الرحمن الداخل ورجل من جنده يهنئه بفتح سرقسطة

ولما فتح عبد الرحمن الداخل سَرَقُسْطَةَ^(١) ، وَحَصَلَ في يده ثأرُها الحسين الأنصاري ، وانهى نصره فيها إلى غاية أمله ، أقبل خواصه يهشونه ، فجرى بينهم أحدٌ من لا يُؤْبَهُ به من الجند ، فهتأه بصوت عال ، فقال له عبد الرحمن : « وَاللَّهِ لَوْ لَا أَنَّ هَذَا الْيَوْمَ يَوْمٌ أُسْبِغَ عَلَيَّ فِيهِ النِّعْمَةُ مَنْ هُوَ فَوْقِي ، فَأَوْجِبَ عَلَيَّ ذَلِكَ أَنْ أُنْعِمَ فِيهِ عَلَى مَنْ هُوَ دُونِي ، لِأَصْلِيَّتِكَ مَا تَعَرَّضْتَ لَهُ مِنْ سُوءِ الشَّكَالِ ، مَنْ تَكُونُ ؟ حَتَّى تُقْبِلَ مُهْتِكًا رَافِعًا صَوْتَكَ ، عَيْرَ مُتَلَجِّجٍ وَلَا مُتَهَيِّبٍ لِمَكَانِ الْإِمَارَةِ ، وَلَا عَارِفٍ بِقِيَمَتِهَا ، حَتَّى كَأَنَّكَ تَخَاطِبُ أَبَاكَ أَوْ أَخَاكَ ! وَإِنْ جِهَلَك لِيَجِيْلَكَ عَلَى الْعَوْدِ لِمَنْهَا ، فَلَا تَجِدُ مِثْلَ هَذَا الشَّافِعِ فِي مَنْهَا مِنْ عَقُوبَةٍ . » فقال : « وَلَعَلَّ فُتُوحَاتِ الْأَمِيرِ يَقْتَرِنُ اتِّصَالُهَا بِاتِّصَالِ جَهْلِي وَذُنُوبِي ، فَتَشْفَعَ لِي مَتَى أَتَيْتَ بِمِثْلِ هَذِهِ الرَّزَّةِ ، لَا أَعِدُ مِنْهُ لَكَ تَعَالَى . »

فتهلل وجه الأمير ، وقال : ليس هذا باعتذار جاهل ، ثم قال : نبهونا على أنفسكم إذا لم تجدوا من ينبهنا عليها ، ورفع مرتبته وزاد في عطائه . (فتح الطيب ٢ : ٧٠)

٤ - تأديب عبد الرحمن الأوسط لابنه المنذر

كَانَ الْمُنْذِرُ بْنُ الْأَمِيرِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْأَوْسَطِ^(٢) سَيِّءَ الْخُلُقِ فِي أَوَّلِ أَمْرِهِ ، كَبِيرَ الْإِسْغَاءِ إِلَى أَقْوَالِ الْوُشَاةِ ، مُفْرِطَ الْقَلَقِ مِمَّا يُقَالُ فِي جَانِبِهِ ، مُعَاقِبًا عَلَى

[١] مدينة على نهر إبرة . [٢] هو عبد الرحمن الأوسط (الثاني) ابن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل ، حكم الأندلس من سنة ٢٠٦ إلى سنة ٢٣٨ هـ .

ذلك من يقدر على معاقبته ، مكثر التشكى ممن لا يقدر عليه لوالده الأمير عبد الرحمن ، فطال ذلك على الأمير ، فأمر ثقة من ثقاه أن يننى بجبل متقطع عن العمران بناءً يسكن فيه ابنه ، وألاً يدع أحداً من أصحابه يزوره ، فلما استقر المنذر في ذلك المكان ، وبقى وحده ، ونظر إلى ما سلبه من الملك ، صَجِرَ وقال للثقة : عسى أن يصلني غلمانى وأصحابى آنسُ بهم ! فقال له : إن الأمير أمر ألا يصلك أحد ، وأن تبقى وحدك ، لتستريح مما يرفع لك أصحابك من الوشاية ، فعلم أن الأمير قصد بذلك محنته وتأديبه ، فكتب إليه يشكو استيحاشه ^(١) بمكانه ، فلما وقف الأمير على رفقته ، وعلم أن الأدب بلغ به حقه استدعاه ، فقال له :

« وصلت رققتك ، تشكو ما أصابك من توحش الاقتراد ، في ذلك الموضع ، وترغب أن تأنس بمخولك ^(٢) وعبيدك وأصحابك ، وإن كان لك ذنب يترتب عليه أن تطول سُكنائك في ذلك المكان ، وما فعلت ذلك عقاباً لك ، وإنما رأيناك تُكثر الضجر والتشكى من القال والْقِيل ، فأردنا راحتك بأن نَحْجُبَ عنك سماعَ كلامٍ من يرفع لك وَيَنِمُّ ، حتى تستريح منهم . »
فقال له : « سماعُ ما كنت أضجرُ منه ، أخفُّ على من التوحد والتوحش ، والتخلَّى مما أنا فيه من الرفاهية والأمر والنهى . »

فقال له : « فَإِذَا قَدْ عَرَفْتَ وَتَأَدَّبْتَ ، فارجع إلى ما اعتدته ، وَعَوِّلْ على أن تسمع كأنك لم تسمع ، وترى كأنك لم ترَ ، وقد قال النبي صلى الله

[١] وص الكتاب : « إني قد توحشت في هذا الموضع توحشاً ما عليه من مزيد ، وصلت فيه من كبت آس إليه ، وأصحت مسلوب المز ، فقيد الأمر والنهى ، فإن كان ذلك عقاباً لذات كبير ارتكبتها ، وعلمه مولاي ولم أعلمه ، فإني صابر على تأديبه ، صارع إليه في عزمه وصمته . »

وإني أمير المؤمنين وعلمه لكلامه ، لا طارىء على الأمر .

[٢] الحول : مثل الخدم والختم ورناء وبعى .

عليه وسلم : « لو تكاشفتُم ما تدافتم » ، واعلم أنك أقربُ الناسِ إلىَّ ، وأحبُّهم فيَّ ، وبعد هذا فما يخلو صدرك في وقت من الأوقات عن إنكارٍ عليَّ ، وسُخْط لما أفعله في جانبك ، أو جانب غيرك ، مما لو أطلعني الله تعالى عليه لساءني ، لكن الحمد لله الذي حَفِظَ ما بين القلوب ، بِسَرٍّ بعضها عن بعض ، فيما يحول فيها ، وإنك لنو هِمة ومطمَح ، ومن يكن هكذا يَصْبِر وَيُغْضِر وَيَحْمِل ، وَيُبدِل بالعقاب الثواب ، ويصيرُ الأعداء من قِبل الأصحاب ، ويصبر من الشخص على ما يسوء ، فقد يرى منه بعد ذلك ما يسرُّ ، ولقد يخفُّ عليَّ اليومَ مَنْ قاسيتُ من فعله وقوله ما لو قطعتم عضواً عضواً لما ارتكبه مني ، ما شفيتُ منهم غيظي ، ولكن رأيت الإغضاء والاحتمال ، لا سيما عند الاقتدار أولى ، ونظرت إلى جميع مَنْ حولي ممن يُحْسِن وَيُسِيء ، فوجدت القلوب متقاربةً بعضها من بعض ، ونظرت إلى السيء يعود محسناً ، والمحسن يعود مسيئاً ، وصرتُ أُنْدم على من سَبَقَ له مني عقاب ، ولا أُنْدم على من سَبَقَ له مني ثواب ؛ فالزَمَ يا بني معالي الأمور ، وإنَّ جماعها في التفاضي ، ومن لا يتفاض لا يسلم له صاحب ، ولا يُقَرَّب منه جانبٌ ، ولا ينال ما ترقى إليه همتُه ، ولا يظفر بأمله ، ولا يجد مُعيناً حين يحتاج إليه .

فقبل المنذريده وانصرف ، ولم يزل يأخذ نفسه بما أوصاه والده ، حتى تحلَّق بالخلق الجميل ، وبلغ ما أوصاه به أبوه ، ورُفِع قدره (مع الطب ٢ : ٣٢٧) ه — عبد الرحمن الأوسط وابنه المنذر أيضا

وقال له أبوه يوماً : إن فيك لشيئاً مُفْرِطاً ، فقال له : حَقُّ لفرع أنت أصله أن يعلو ، فقال له : يا بني ، إن العيون تَحْجُ الثِّيَّاء ، والقلوب تنفِرُ عنه ، فقال :

يا أباي ، لي من العز والنسب وعلو المكان والسلطان ما يحل^(١) عن ذلك ، وإني لم أراعيون إلا مقبله على ، ولا الأسماع إلا مضغية إلى ، وإن لهذا السلطان روتقا يريته التبذل ، وعلوا يخفضه الانبساط ، ولا يصونه ويشرفه إلا التيه والاتقباض^(٢) ، وإن هؤلاء الأندال ، لهم ميزان يسبرون^(٣) به الرجل منا ، فإن رأوه راجحا ، عرفوا له قدر رجاحته ، وإن رأوه ناقصا عاملوه بنقصه ، وصيروا تواضعه صغرا ، وتخفضه خسة ، فقال له أبوه : لله أنت ! فائق وما رأيت .
(مع الطب ٢ : ٢٢٩)

٦ - يعقوب بن عبد الرحمن الأوسط وأحد خدامه

ومدح بعض الشعراء يعقوب بن عبد الرحمن الأوسط ، فأمر له بجال جزيل ، فلما كان مثل ذلك الوقت ، جاءه بمدح آخر ، فقال أحد خدام يعقوب :
هذا اللئيم له دين عندنا يقتضيه ! فقال الأمير :

« يا هذا ، إن كان الله تعالى خلقك مجيولا على كرهه رب الصنائع ، فاجر على ما جيلت عليه في نفسك ، ولا تكن كالأجرب يُعدي غيره ، وإن هذا رجل قصدنا قبل ، فكان منا ما أشر^(٤) به ، وحمله على العودة ، وقد ظن فينا خيرا ، فلا تخيب ظنه ، والحديث أبدا يحفظ القديم ، وقد جاءنا على جهة التهئة بالعمر ، ونحن نسأل الله تعالى أن يطيل عمرنا ، حتى يكثر ترداده ، ويديم نعمنا حتى

[١] في الأصل : « يحل » ، وأرى صوابه : « يحل » .

[٢] حري في ذلك على سنن أبي مسلم الحراساني ، وكان يقول لقواده إذا أخرجهم : « لا تكلموا الناس إلا رمرا ، ولا تلحظوهم إلا شررا ، لتتلى صدورهم من هيجكم » - اطر القدر الفريد ٢ : ٢٩٩ -

[٣] السبر : امتحان غور الجرح . [٤] أشر : مرج .

نجد ما نُتَمِّم به عليه ، ويحفظ علينا مَرُوءتنا ، حتى يعيننا على التَّجَمُّل معه ، ولا يُثَلِّينا بِمَجْلِسٍ مِثْلِكَ ، يَقْبِضُ أَيْدِيَنَا عَنْ إِسْدَاءِ الْأَيْدِي .

وأمر للشاعر بما كان أمر له به قبل ، وأوصاه بالعود عند حلول ذلك الأوان

ما دام العمر . (مع الطب ٢ : ٢٣٠)

٧ — وفاة الوزير ابن غانم لصديقه الوزير هاشم بن عبد العزيز

واعذاره عنه لدى الأمير محمد بن عبد الرحمن الأوسط

كَانَ الْوَزِيرُ الْوَلِيدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ غَانِمٍ صَدِيقًا لِلْوَزِيرِ هَاشِمِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، ثَابِتًا عَلَى مَوَدَّتِهِ ، فَلَمَّا قَضَى اللَّهُ عَلَى هَاشِمٍ بِالْأَمْرِ ، أَجْرَى السُّلْطَانُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْأُمَوِيُّ ^(١) ذِكْرَهُ فِي جَمَاعَةٍ مِنْ خُدَّامِهِ ، وَالْوَلِيدُ حَاضِرٌ ، فَنَسَبَهُ إِلَى الطَّيْشِ وَالْعَجَلَةِ وَالْإِسْتِبْدَادِ بِرَأْيِهِ ، فَلَمْ يَكُنْ فِيهِمْ مَنْ اعْتَذَرَ عَنْهُ غَيْرَ الْوَلِيدِ ، فَقَالَ :

« أَصْلَحَ اللَّهُ تَعَالَى الْأَمِيرَ ، إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ عَلَى هَاشِمٍ التَّخَيُّرُ فِي الْأُمُورِ ، وَلَا الْخُرُوجُ عَنِ الْمَقْدُورِ ، بَلْ قَدْ اسْتَعْمَلَ جَهْدَهُ ، وَاسْتَفْرَغَ نَصَحَتَهُ ، وَفَضَى حَقَّ الْإِقْدَامِ ، وَلَمْ يَكُنْ مِلَّاكَ النَّصْرَ يَدُهُ ، فَخَذَلَهُ مِنْ وَثْقٍ بِهِ ، وَنَكَلَ عَنْهُ مَنْ كَانَ مَعَهُ ، فَلَمْ يُرْجَحْ قَدَمُهُ عَنْ مَوْطِنِ حِفَازِهِ ، حَتَّى مُلِكَ مُقْبِلًا غَيْرَ مُذِيرٍ ، مُبْتَلِيًا غَيْرَ فَشِيلٍ ، فُجُوزِي خَيْرًا عَنْ نَفْسِهِ وَسُلْطَانِهِ ، فَإِنَّهُ لَا طَرِيقَ لِلْمَلَامِ عَلَيْهِ ، وَلَيْسَ عَلَيْهِ مَا جَنَّتْهُ الْحَرْبُ الْعَشُومُ ، وَأَيْضًا فَإِنَّهُ مَا وَصَدَ أَنْ يَجُودَ بِنَفْسِهِ إِلَّا رِضًا لِلْأَمِيرِ ، وَاجْتِنَابًا لِسُخْطِهِ ، فَإِذَا كَانَ مَا اعْتَمَدَ فِيهِ الرِّضَا جَالِبَ التَّقْصِيرِ ، فَذَلِكَ مَعْدُودٌ فِي سُوءِ الْحِظِّ . »

[١] هو الأمير محمد بن عبد الرحمن الأوسط ، حكم الأندلس من سنة ٢٣٨ إلى سنة ٢٧٣ هـ ، وكان عرّاء لأهل الشرك والخلاف ، وربما أوغل في بلاد العدو سنة أشهر أو أكثر يحرق ويسف ، وله في العدو وقعة وادي سليط ، وهي من أهمّات الوقائع لم يعرف مثلها في الأندلس قط .

فأعجب الأمير كلامه ، وشكر له وقاءه ، وأقصر عن تفنيدها ثم ، وسعى
في تخليصه . (مع الطيب ٢ . ١٣٠)

٨ - خطبة منذر بن سعيد البلوطي ^(١) (المتوفى سنة ٣٥٥ هـ)

في الاحتفال بقدم رسل ملك الروم

روى المؤرخون أن الخليفة عبد الرحمن الناصر لدين الله ^(٢) ، بلغ من عزّة
الملك ، ورفعة السلطان بالأندلس ، أن كانت ملوك الروم والإفرنجية ترّدّلف إليه ،
تطلب مهادنته ، وتُهدي إليه أقمّس الدخائر ، ومن جملةهم قسطنطين بن ليون
صاحب القسطنطينية ، فقد رعب في مواعنته ، وبعث إليه سنة ٣٣٨ هـ
وفداً من قبله بهدية له ، فتأهبّ الناصر لورودهم ، واحتفل بقدمهم احتفالاً
رائعاً ، أحبّ أن يقوم فيه الخطباء والشعراء بين يديه ، لتذكّر جلالة ملكه ،
وعظيم سلطانه ، وتصف ما تهبّأ من توطيد الخلافة في دولته ، وتقدم إلى الأمير
الحكم ابنه ووليّ عهده ، بإعداد من يقوم بذلك من الخطباء ، فأمر الحكم
صنيعة الفقيه محمد بن عبد البر بالتأهبّ لذلك ، وكان يدعى من القدرة على تأليف
الكلام ما ليس في وسع غيره ، وحضر المجلس السلطاني ، فلما قام يحاول التكلم ،
بهره هولّ المقام ، وأبته الخلافة ، فلم يهتد إلى لفظة ، بل عشي عليه وسقط

[١] ولد سنة ٢٦٥ هـ ، وتوفى سنة ٣٥٥ هـ ، وكان خطيباً بليغاً عالماً بالحدل حداً فيه ، شديد المارضة
حاصر الخواب عتيده ، ثات الحجة ، ولي قرطبة قضاء الجماعة - البرعة في الشرق قضاء القضاة -
لعد الرحمن الناصر ، ثم لأمه الحكم للسقصر ، سنة عشر طاماً من سنة ٣٣٩ إلى سنة ٣٥٥ هـ ، لم يحط
عليه فيها حور في قصة ، ولا قسم غير سوية ، ولا ميل طوى .

[٢] هو عبد الرحمن الثالث ابن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن الثاني ابن الحكم بن هشام بن
عبد الرحمن الداخل ، حكم الأندلس من سنة ٣٠٠ هـ إلى سنة ٣٥٠ هـ ، وهو أول من نسي من أمراء بني
أمية بالأندلس أمير المؤمنين عندما الثالث أمر الخلافة بالشرق ، وعل موالى الترك على بني العباس ، وبلغه
أن المقدر قتله مولاة مؤنس المظفر سنة ٣١٧ هـ .

إلى الأرض ، فقيل لأبي عليّ القالي - صاحب الأمانى ، وهو حينئذ ضيف الخليفة
الوافد عليه من العراق - : ثم فارق هذا الوهم^(١) ، فقام فحمد الله ، وأثنى عليه بما
هو أهله ، وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم ، ثم انقطع به القول ، فوقف ساكناً
متفكراً فى كلام يدخل به إلى ذكر ما أريد منه ، فلما رأى ذلك مندرين سعيد
البلوطي - وكان ممن حضر فى زُمرَة الفقهاء - قام من ذاته بدرجة من مرقاته ،
فوصل افتتاح أبي عليّ لأول خطبته بكلام كان يسُحّه سحاً ، كأنما كان
يحفظه قبل ذلك بمدة ، فقال :

« أما بعد حمد الله ، والثناء عليه ، والتَّعَدَادُ لآلائه ، والشكر لِنِعَمائه ، والصلاة
والسلام على محمد صَفِيّه وخاتم أنبيائه ، فإن لكل حادثة مقاماً ، ولكل مقام مقال ،
وليس بعد الحقّ إلا الضلال ، وإني قد قمتُ فى مقام كريم ، بين يدَي ملك عظيم ،
فأصغوا^(٢) إلى معشر اللأ بأسماعكم ، وأتقنوا عني^(٣) بأفئدتكم ، إن من الحق
أن يقال للمُحِقِّ صدقت ، وللمُبْطِل كَذَبْت ، وإن الجليل تعالى فى سمائه ، وتقدَّس
فى صفاته وأسمائه ، أمر كَلِيمَهُ موسى صلى الله على نبينا وعليه وعلى جميع أنبيائه ،
أن يذكر هُومَهُ بأيام الله جل وعز عندهم ، وفيه وفى رسول الله صلى الله عليه وسلم
أُسُوءَ حَسَنَةٍ ، وإني أذكركم بأيام الله عندهم ، وتَلَاْفِيهِ لكم بخلافة أمير المؤمنين ،
التي لَمْتُ شَعْبَكُمْ ، وأمنت سِرْبَكُمْ^(٤) ، ورفعت قوتكم ، بعد أن كنتم قليلاً
فكثركم ، ومستضعفين فقواكم ، ومُستَذَلِّين فنصركم ، ولأه الله رعايتكم ، وأسند

[١] الوهم : الشك فى الشيء . [٢] الذى فى كتب اللغة : « أصى إليه صممه : أماله ، وأصى

إليه : مال سممه نحوه » ولعل زيادة الباء فى « بأسماعكم » من السباح لا من الخطيب .

[٣] مكنا فى معج الطيب ، وفى مطبع الأهرس : « وموا على بأفئدتكم » .

[٤] السرب : النفس .

إليه إمامتكم ، أيام ضربت الفتنة مُرَادِقَهَا على الآفاق ، وأحاطت بكم شُعلُ النفاق ،
حتى صرتم في مثل حَدَقَةِ البعير ، من ضيق الحال ، ونكد العيش والتغير ،
فاستبدلتم بخلافته من الشدة الرخاء ^(١) ، وانتقلتم يُمْنُ سياسته إلى تمهيد كَنَفِ
العافية بعد استيطان البلاء .

أَنشُدْكم بالله معاشرَ الملأ ، ألم تكن السماء مسفوكة فحقنها ، والسُّبُلُ مخوفة
فأثمتها ، والأموال متهبة فأحرزها وحصنها ؟ ألم تكن البلاد خراباً فعمرها ،
وثغور المسلمين مُتَهَضِّئة فحماها ونصرها ؟ فاذكروا آلاء الله عليكم بخلافته ،
وتلا فيه جمع كلنكم بعد افتراقها بإمامته ، حتى أذهب الله عنكم غيظكم ، وتبقى
صدوركم ، وصِرتم يداً على عدوكم ، بعد أن كان بأسكم بينكم .

فأَنشُدْكم الله ، ألم تكن خلافته قُفْلُ الفتنة بعد انطلاقتها من عقالها ؟ ألم
يَتَلَفَ صلاحُ الأمور بنفسه بعد اضطراب أحوالها ؟ ولم يَكِلْ ذلك إلى القواد
والأجناد ، حتى باسره بالقوة والمهجة والأولاد ، واعتزل النسوان ، وهجر
الأوطان ، ورفض الدعة ، وهي محبوبة ، وترك الرثا كون إلى الراحة ، وهي مطلوبة ،
بطوية صحيحة ، وعزعة صريحة ، وبصيرة ثابتة ، نافذة ناقبة ، وريح هابئة
غالبة ، ونُصْرُهُ من الله واقعة واجبة ، وسلطان قاهر ، وجِدَّ طاهر ، وسيف
منصور ، تحت عدل مشهور ، متحملاً للنصب ، مستقلاً لما ناله في جانب الله
من التعب ، حتى لانت الأحوال بعد شدتها ، وانكسرت شوكة الفتنة عند
حدتها ، ولم يبق لها غاربٌ إلا جبَّه ^(٢) ، ولا نجم ^(٣) لأهلها قرْنٌ إلا جدّه ،

[١] في الأصل « فاستبدلتم بخلافته من الشدة بالرخاء » والصواب ما ذكرنا :

[٢] اللارب : الكلل ، أو ما بين اللام والحق ، وحته : قطعه .

[٣] في الأصل : « نجم » وهو تحريف ، والصواب « نجم » أي طهر وطلع ، وحده : قطعه .

فأصبحتم بنعمة الله إخواناً ، ويلمَّ أمير المؤمنين لشعثكم على أعدائه أعواناً ، حتى تواترت لديكم الفتوحات ، وفتح الله عليكم بخلافته أبواب الخيرات والبركات ، وصارت وفود الروم وافدة عليه وعليكم ، وآمال الأقصيين والأذنين مستخدمة إليه وإليكم ، يأتون من كل فجٍ عميق ، وبلد سحيق ^(١) ، لأخذ حبل ^(٢) يئنه وبينكم جملة وتفصيلاً ، ليقضي الله أمراً كان مفعولاً ، ولن يخلف الله وعده ، ولهذا الأمر ما بعده ، وتلك أسباب ظاهرة بادية ، تدل على أحوال باطنة خافية ، دليلها قائم ، وجفتها غير قائم « وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ، وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ ، وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا » ، ولبس في تصديق ما وعد الله أرتياب ، ولكل نبأ مستقر ، ولكل أجل كتاب ، فاحمدوا الله أيها الناس على آلائه ، واسألوه المزيد من نعمائه ، فقد أصبحتم بين ^(٣) خلافة أمير المؤمنين - أيده الله بالعصمة والسداد ، وألهمه خالص التوفيق إلى سبيل الرشاد - أحسن الناس حالاً ، وأنعمهم بالاً ، وأعزهم قراراً ، وأمنهم داراً ، وأكثفهم جمعاً ، وأجلهم صنفاً ، لا تُهاجون ولا تُذادون ، وأنتم بحمد الله على أعدائكم ظاهرون ، فاستعينوا على صلاح أحوالكم بالمناصرة لإمامكم ، والتزام الطاعة لخليفكم وابن عم نبيكم صلى الله عليه وسلم ، فإن من نزع يده من الطاعة ، وسعى في تفريق الجماعة ، ومَرَّق من الدين ، فقد خسر الدنيا والآخرة ، ذلك هو الخسران المبين .

[١] سحيق : بعيد . [٢] أي مطاعة به وبيدكم . [٣] هكذا في مع الطيب ، ومطبع الأنفس ، ولعل صوابه : « أصبحتم بخلافة أمير المؤمنين » .

وقد علمتم أن في التعلق بِعِصْمَتِهَا ، والتمسك بِعُرْوَتِهَا ، حفظ الأموال ، وَحَقْنُ الدماء ، وصِلَاحُ الْخَاصَّةِ وَالذَّهْمَاءِ ^(١) ، وَأَنْ بَدَاوَمَ ^(٢) الطَّاعَةِ تُقَامُ الْحُدُودُ ، وَتُؤَفَّى الْعُهُودُ ، وَبِهَا وَصِلَتِ الْأَرْحَامُ ، وَوَضَحَتِ الْأَحْكَامُ ، وَبِهَا سَدَّ اللَّهُ الْخَلَلَ ، وَأَمَّنَ السَّبِيلَ ، وَوَطَأَ الْأَكْنَافَ ، وَرَفَعَ الْاِخْتِلَافَ ، وَبِهَا طَابَ لَكُمْ الْقَرَارُ ، وَاطْمَأْنَنْتُمْ بِكُمْ الدَّارُ ، فَاعْتَصِمُوا بِمَا أَمَرَكمُ اللَّهُ بِالْاِعْتِصَامِ بِهِ ، فَإِنَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ : « وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ » ، وقد علمتم ما أحاط بكم في جزيرتكم هذه من ضروب المشركين ، وصنوف الملجدين الساعين في شقِّ عصاكم ، وتفريق مَلَّتِكُمْ ، الْآخِذِينَ فِي مَخَاذِلِ دِينِكُمْ ، وَهَتَكِ حَرِيمِكُمْ ، وتوهين دعوة نبيكم ، صلوات الله وسلامه عليه ، وعلى جميع النبيين والمرسلين ، أقول قولي هذا وأختم بحمد الله رب العالمين ، مستغفراً الله الغفور الرحيم ، فهو خير العاقرين .

وخرج الناس يتحدثون عن حسن مقامه ، وثبات جنانه ، وبلاغة لسانه ، وكان الناصر أشدهم تعجباً منه ، فولاه الصلاة والخطابة في المسجد الجامع بالزهراء ، ثم توفى محمد بن عيسى القاصي ، فولاه قضاء الجماعة بقرطبة ، وأقره على الصلاة بالزهراء . (ن - الطب ١ : ١٧٢ ، ومطبع الأهرس ص ٤٣)

٩ - خطبة أخرى له

وخطب منذر بن سعيد يوماً - وأراد التواضع - فكان من فصول خطبته ، أن قال :

« حتى متى ، وإلى متى ، أعِظْ وَلَا أَتَعِظْ ، وَأُزَجِّرْ وَلَا أَتَزَجِّر ؟ أدلَّ الطريق

[١] الذمماء : جماعة الناس . [٢] في الأصل : « قوام » ، وأضفه : « بدوام » .

إلى المستدلين ، وأبقي مقياً مع الحائرين ! كلا ، إن هذا هو البلاء المبين ! إن
هي إلا فتنتك تُضِلُّ بها مَنْ تشاء ، وتهدي مَنْ تشاء ، أنتَ وَلِيْنَا فَأَغْفِرْ لَنَا
وَارْحَمْنَا ، وأنتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ ، اللهم فرغني لما خلقتني له ، ولا تشغلني بما
تكفلت لي به ، ولا تحرمني وأنا أسألك ، ولا تعذِّبني وأنا أستغفرك ،
يا أرحم الراحمين . (فتح الطيب ١ : ٣٣٣)

١٠ — أحد حساد الرمادي الشاعر والمنصور بن أبي عامر

(المتوفى سنة ٣٩٤ هـ)

وقال المنصور بن أبي عامر المَعَاوِيَّ (١) يوماً لأبي عمر يوسف الرمادي
الشاعر : كيف ترى حالك معي ؟ فقال : « فوق قدرى ، ودونَ قدرك (٢) » ،
فأطرق المنصور كالغضبان ، فَأَسَلَّ الرمادي وخرج وقد نَدِمَ على ما بَدَر منه ،
وجعل يقول : أخطأتُ ! لا والله ، ما يُفْلِح مع الملوك من يعاملهم بالحق ، ما كَانَ
ضَرَّتْني لو قلت له : إني بلغتُ السماء ، وتمنطقتُ بالجوزاء ! وأشد :
متى يَأْتِ هذا الموتُ لا يُلْفِ حاجةٌ لِنَفْسِي إلا قد قَضَيْتُ قضاءها
وكان في المجلس من يحسُّده على مكانه من المنصور ، فوجد قُرْصَةً فقال :

[١] هو المنصور أبو طاهر محمد بن عبد الله بن طاهر بن أبي عامر بن الوليد بن يزيد بن عبد الملك
للعماري . دخل جده عبد الملك الأندلس مع طارق ، وكان عظيمًا في قومه ، وله في الفتح أثر ، وكان
الحكم بن الناصر قد استورر ابن أبي طاهر ، ووثق إليه أموره ، وترقت حاله عنده ، ثم تولى الحكم
سنة ٣٦٦ هـ ، وولى بعده ابنه هشام ، وكانت معه سبع سنين ، حدثت ابن أبي طاهر منه بالطلب عليه
لصبره ، وتمَّ له ما أُمِّل ، فعاب عليه ، وترجع على سرير الملك ، وأمر أن يحيا تحية الملوك ، وتسمى
بالخاحب للمنصور ، وهدت الكتب والمحاطات والأوامر باسمه ، وأمر بالثناء له على اللابر باسمه عفا الله
الخطيئة ، ولم يبق لهشام من رسوم الخلافة أكثر من الثناء له على اللابر ، وكتابة اسمه في السكة والطرر ،
وهذا للمنصور أعظم ما كان ما كان سنة ٣٩٤ هـ سبع وعشرين سنة من ملكه .

[٢] يريد « ودون ما ينبغي أن يطيه ملك لثلى » .

« وَصَلَ اللَّهُ لِمَوْلَانَا الظَّفَرَ وَالسَّعْدَ ، إِنَّ هَذَا الصِّنْفَ صَنَفُ زُجُورٍ وَهَذَيَانِ ، لَا يَشْكُرُونَ نِعْمَةً ، وَلَا يَرْعَوْنَ إِلَّا ^(١) وَلَا ذِمَّةً ، كَلَابُ مَنْ غَلَبَ ، وَأَصْحَابُ مَنْ أَخْصَبَ ، وَأَعْدَاءُ مَنْ أَجْدَبَ ، وَحَسْبُكَ مِنْهُمْ أَنَّ اللَّهَ جَلَّ جَلَالُهُ يَقُولُ فِيهِمْ : « وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ، أَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ مِيمٌ ، وَأَنْتُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ » وَالْإِبْتِعَادُ مِنْهُمْ أَوْلَى مِنَ الْإِقْتِرَابِ ، وَقَدْ قِيلَ فِيهِمْ : مَا ظَنُّكَ بِقَوْمٍ ، الصَّدَقُ يُسْتَحْسَنُ إِلَّا مِنْهُمْ ؟ » .

* *

فرغ المنصور رأسه - وكان مُحَامِي أهل الأدب والشعر - وقد اسودَّ وجهه ، وظهر فيه الغضب المفرط ، ثم قال :

« مَا بَالُ أَقْوَامٍ يُشِيرُونَ فِي شَيْءٍ لَمْ يُسْتَشَارُوا فِيهِ ، وَيَسِيثُونَ الْأَدَبَ بِالْحُكْمِ فِيمَا لَا يَكْدُرُونَ ، أَيْرُضِي أَمْ يُسْخِطُ ؟ وَأَنْتَ أَيُّهَا الْمُبْتَعِثُ لِلشَّرِّ دُونَ أَنْ يُبْعَثَ ، قَدْ عَلِمْنَا غَرَضَكَ فِي أَهْلِ الْأَدَبِ وَالشُّعْرَاءِ ، وَحَسَدُكَ لَهُمْ ، لِأَنَّ النَّاسَ كَمَا قَالَ الْقَائِلُ :

مَنْ رَأَى النَّاسَ لَهُ فَضْلٌ لَا عَلَيْهِمْ حَسَدُوهُ

وَعَرَفْنَا غَرَضَكَ فِي هَذَا الرَّجُلِ خَاصَّةً ، وَلَسْنَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ نَبْلُغُ أَحَدًا عَرْضَهُ فِي أَحَدٍ ، وَلَوْ بَلَّغْنَاكُمْ بَلَّغْنَا فِي جَانِبِكُمْ ، وَإِنَّكَ ضَرِبْتَ فِي حَدِيدٍ بَارِدٍ ^(٢) ، وَأَخْطَأْتَ وَجْهَ الصَّوَابِ ، فَزِدْتَ بِذَلِكَ احْتِقَارًا وَصَغَارًا . وَإِنِّي مَا أَطْرَقْتُ مِنْ كَلَامِ الرَّمَادِيِّ إِنْكَارًا عَلَيْهِ ، بَلْ رَأَيْتُ كَلَامًا يَجِلُّ عَنِ الْأَقْدَارِ الْجَلِيلَةِ ، وَتَعَجَّبْتُ مِنْ تَهْدِيهِ لَهُ

[١] الْإِلَ : الْعَهْد .

[٢] مِنْ أَمْثَالِ الْعَرَبِ : « تَضْرِبُ فِي حَدِيدٍ بَارِدٍ » وَهُوَ مَثَلٌ يَضْرِبُ لِمَنْ طَمَعَ فِي غَيْرِ مَطْمَعٍ .

بسرعة ، واستنباطه له على قلة من الإحسان العامر ، ما لا يستنبطه غيره بالكثير ،
والله لو حكمتُه في بيوت الأموال ، لرأيتُ أنها لا ترجح ما تكلم به قلبه ذرَّةً ،
وإياكم أن يعود أحد منكم إلى الكلام في شخص ، قبل أن يؤخذ معه فيه ، ولا
تحكموا علينا في أولياتنا ، ولو أبصرتم منا التغير عليهم ، فإننا لا نغير عليهم
بغضاً لهم ، وانحرافاً عنهم ، بل تأديباً وإنكاراً ، فإننا من نريد إبعاده لم نُظهر له
التغير ، بل نبذنه مرة واحدة ، فإن التغير إنما يكون لمن يُراد استبقاؤه ، ولو
كنتُ مائل السمع لكل أحد منكم في صاحبه ، لفرقتُم أيدي سباً^(١) ،
وجوَّنتُ أنا بجانب الأجر ، وإني قد أطلعتكم على ما في ضميري ، فلا تعدلوا
عن مرضاتي ، فتجنبوا سُخطي بما جئتموه على أنفسكم .



ثم أمر أن يُردَّ الرمادي ، وقال له : أعِدْ عليّ كلامك ، فارتاع ، فقال :
الأمرُ على خلاف ما قدرت ، النوابُ أولى بكلامك من العقاب ، فسكن
لتأنيسه ، وأعاد ما تكلم به .

فقال المنصور : « بلغنا أن النعمان بن المنذر خشاً فَمَ النابغة بالدُّر ، لكلام
استملحه منه ، وقد أمرنا لك بما لا يقصُر عن ذلك ، ما هو أنوّه وأحسن عائدةً ،
وكتب له ببال وخالع وموضع يعيش منه ، ثم رد رأسه إلى المتكلم في شأن
الرمادي . وقد كان ينوص في الأرض لو وجد ، لشدة ما حلَّ به مما رأى وسمع .

[١] من أمثالهم أيضاً : « دهموا أيدي ساء ، وعرقوا أيدي ساء ، وأيادي ساء » ، واليد : الطريق
أي فرقهم طرقهم التي سلكوها كما عرق أهل ساء في مذاهب مختلفة . صرت النملهم ، لأنه لما عرق مكابهم ،
ودمت حامهم ، تددوا في اللاد . انظر القصة في الجزء الأول صفحة ٣٤٥ . وقد سوا أيدي ساء ،
وأيادي ساء على الكون لكونه مركباً تركيباً حجة عشر .

وقال : « وَالْعَجَبُ مِنْ قَوْمٍ يَقُولُونَ : الْإِبْتَعَادُ مِنَ الشُّعْرَاءِ أَوْلَى مِنَ الْإِقْتِرَابِ ،
نَعَمْ ، ذَلِكَ لِمَنْ لَيْسَ لَهُ مَفَاخِرٌ ، يَرِيدُ تَحْلِيدَهَا ، وَلَا أَيَادٍ يَرْغَبُ فِي نَشْرِهَا ، فَأَيْنَ
الَّذِينَ قِيلَ فِيهِمْ :

عَلَى مُكَثَرِيهِمْ رِزْقٌ مِمَّنْ يَعْتَرِيهِمْ وَعِنْدَ الْمُقْلِينَ السَّاحَةُ وَالْبَذْلُ^(١)
وَأَيْنَ الَّذِي قِيلَ فِيهِ :

إِنَّمَا الدُّنْيَا أَبُو دُلْفٍ بَيْنَ مَبْدَآءِهَا وَمُحْتَضَرَةٍ
فَإِذَا وَلَّى أَبُو دُلْفٍ وَلَّتِ الدُّنْيَا عَلَى أَثَرَةٍ^(٢)

أَمَّا كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَالْإِسْلَامِ أَكْرَمُ مِمَّنْ قِيلَ فِيهِ هَذَا الْقَوْلُ ؟ بَلَى ، وَلَكِنْ
صُحْبَةُ الشُّعْرَاءِ وَالْإِحْسَانُ إِلَيْهِمْ ، أَحَبُّتُ فَايَرِ ذِكْرَهُمْ ، وَخَصَّتْهُمْ بِمَفَاخِرِ عَصْرِهِمْ ،
وغيرهم لَمْ تَخْلُدِ الْأَمْدَاحُ^(٣) مَا يَرْتَمِ ، فَدَثَّرَ ذِكْرَهُمْ ، وَدَرَسَ نَفَرُهُمْ .

(مع الطيب ٢ : ٢٢٦)

١١ — ابن اللبابة الشاعر وعز الدولة بن المعتصم بن صمادح

لَمَّا مَاتَ الْمُعْتَصِمُ بْنُ صَمَادِحٍ^(٤) مَلِكُ الْمَرْيَةِ رَكِبَ الْبَحْرَ ابْنُهُ وَوَلَّى عَهْدَهُ
الْوَاتِقُ عِزُّ الدَّوْلَةِ ، وَفَارَقَ الْمَلِكُ كَمَا أَوْصَاهُ وَالِدُهُ الْمُعْتَصِمُ .

[١] البيت لزمير بن أبي سلمى من قصيدة في مدح آل هرم بن سنان .

[٢] البيتان لعلّ بن حلة الأماري للقف بالعمكوك من قصيدة قالها في مدح أبي دلف إمام بن عيسى
السجلى — وكان حواداً ممدحاً — وفيها يقول :

كُلُّ مَنْ فِي الْأَرْضِ مِنْ عَرَبٍ مِنْ بِلَادِهِ إِلَى حَصْرِهِ
مُسْتَعِيرٌ مِنْهُ مَكْرَمَةٌ يَكْتَسِبُهَا يَوْمَ مَفْتَحِهِ

وهذا البيتان الأخيران أحفظا عليه الأمويون ، وظلّ حتى ظهر به ، قبل لبابة من قباء ، ويقال : بل هرب
ولم يرل متوارباً منه حتى مات ، قل صاحب الأعالي : « وهذا هو الصحيح من الغوالي ، والآخرة شاذ » .

[٣] لم أجدها هنا في كتب اللغة ، وإنما الذي فيها : « اللدحة بالكسر والفتح والأمدوحة : ضم :
ما يمدح به ، والجمع مدح كمت ومدح وأمدح » .

[٤] هو أحد ملوك الطوائف بالأندلس ، وكان صاحب المروية « لك بالأندلس على الساحل الجنوبي » ،
وكان منافقاً للمعتد بن عماد صاحب إشبيلية ما وثقه ، وقد سعى له لدى أمير الأندلس يونس بن تاشفين

قال أبو بكر بن اللبابة الشاعر : ما علمتُ حقيقةَ جَوْرِ الدهر ، حتى اجتمعت
بِجَيِّة ^(١) مع عزِّ الدولة بن المعتصم ، فإني رأيت منه خيراً من يُجْتَمَع به ، كأنه
لم يخلقه الله تعالى إلا للمُلكِ والرياسة ، وإحياء الفضائل ، ونظرت إلى همته تَنِمُّ
من تحت مُحمّوله ، كما يَنِمُّ فِرْنْدُ ^(٢) السيف وَكَرْمُهُ من تحت الصِّدَأ ، مع حفظه
لفنون الأدب والتواريخ ، وحسن استماعه وإسماعه ورقة طباعه ، ولطافة ذهنه ،
ولقد ذكرته لأحد من صحبته من الأدباء في ذلك المكان ، ووصفته بهذه
الصفات ، فتشوّق إلى الاجتماع به ، وَرَغِبَ إلىَّ في أن أستاذته في ذلك ، فلما
أعلمت عزَّ الدولة قال :

« بأبا بكر ، إنك لتعلم أنا اليوم في مُحمول وَضِيق ، لا يتسع لنا معها ، ولا
يحمل بنا الاجتماعُ مع أحد ، لا سيما مع ذي أدب ونباهة ، يلقانا بعين الرحمة ،
ويزورنا بمنّة التفضل في زيارتنا ، ونكابد من ألفاظ توجّع ، وألحاظ تفجّع ،
ما يجدد لنا همّاً قد بلى ، وَيُحْيِي كدّاً قد فني ، ومالنا قدرة على أن نجود عليه
بما يَرْضَى عن همّنا ، فدَعْنَا كأننا في قبر ، تدرّع لسِهام الدهر ، بدرّع الصبر ،
وأما أنت فقد اختلطت بنا اختلاط اللحم بالدم ، وامتزجت امتزاج الماء بالحر ،
فكأننا لم نكشِف حالنا لسِوانا ، ولا أظهرنا ما بنا لغيرنا ، فلا نحمل غيرك بحملك » .
قال ابن اللبابة : فلا والله سمعي بلاعة لا تصدر إلا عن سداد ، ونفس آية
ممكنة من أعنة البيان ، وانصرفت متملاً :

وأفد ما بينهما ، وكان ابن عداد قد استعصر من ماشقين لصد عارة الإنسان ، فمر بحبشه من مرا كاش
إلى الأمدلى ، وأبلى ملاء حساً في قاعهم حتى دارت عليهم الدائرة في وقعة الرّلاقة ، ثم مال على ملوك
الطوائف ، ما كنتح دولهم ، ودأب له الأمدلى . [١] بجاية : مله بالمعرب على ساحل بلاد الجزائر .
[٢] جوهرة .

لسانُ الفتى نصفٌ، ونِصفُ فؤادهُ فلم يبقَ إلا صورةُ اللحم والدمِ
وَكأنَّ ترى من صامتٍ لك مُعجِبٍ زيادتهُ أو قصتهُ في التكلمِ^(١)
(فتح الطيب ٢ : ٢٢٨)

١٢ — دفاع ابن الفخار عن القاضي الوحيدى

بحضرة ابن تاشفين

لما تآلب بنو حسون على القاضي أبى محمد عبد الله الوحيدى قاضى مالقة^(٢) ،
انبرى للدفاع عنه العالم الأصولى أبو عبد الله بن الفخار ، فقصده إلى حضرة
الإمامة « مرّاكش » ، وقام فى مجلس أمير المسلمين ، يوسف بن تاشفين ، وقد
غصَّ بأربابه ، فقال :

«إله لمقام كريم ، نبدا فيه بحمد الله على الدنوة منه ، ونصلّى على خيرة أنبيائه ،
محمد الهادى إلى الصراط المستقيم ، وعلى آله وصحابه نجوم الليل البهيم^(٣) ،
أما بعد ، فإننا نحمد الله الذى اصطفاك للمؤمنين أميراً ، وجعلك للدين الحنيفيّ
نصيراً وظهيراً ، ونفزع إليك بما دَهِمنا^(٤) فى حِماكَ ، وثبّت إليك ما لحقنا من
الضيم ، ونحن تحت ظلِّ علاك ، ويأبى الله أن يذهم من احتسى بأمر المسلمين ،
ويُصاب بضيمٍ من أدّرع بحصنه الحصين ، شكوى قت بها بين يديك ، فى
حق أمرك الذى عضده^(٥) مؤيّدك ، لتسمع منها ما تختبره برأيك وتنقّده ، وإن
قاضيتك ابن الوحيدى الذى قدّمته فى مالقة للأحكام ، ورضيت ببدله فيمن بها

[١] البتان لرهبر بن أنى سلمى من مملكتيه . [٢] بلد بالأندلس على الساحل الجبوى .

[٣] الأسود . [٤] دهمه كسع ومع : غتبه .

[٥] عضده كصره : أصاب صده ، والمراد بمؤيده مو حسون ، والمعنى : إن من حسون — وكانوا
أحقّ تأييد أمرك وتوطيده — قد أوهوه وأوهوه بتعرضهم لأحكام القاضى ، والطمع فيها ، أو معى
عضده : صره ، فالمراد بمؤيده القاضى الوحيدى ، والمعنى على ذلك ، إن أقاضى القائم بأمرك يدأب على
صره ، وثبتت دطامه ، بانتهاحه طريق الحق فى حكمه ، ولو عصت من حراء ذلك طريق من الرعية .

من الخاصة والعوام ، لم يزل يَدُلُّ على حسن اختيارك بحُسن سيرته ، وَيَرْضَى
الله تعالى وَيَرْضَى الناس بظاهره وسريته ، مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ ، وَلَا دَرَيْنَا
له موقف خِزْيٍ ، ولم يزل جارياً على مَا يَرْضَى الله تعالى ويرضيك ورضينا ،
إلى أن تعرضت بنوحشون للطعن في أحكامه ، والهدد من أعلامه ، ولم يعلموا
أن اهتضام المقدم ، راجع على المقدم ، بل جَحَّحُوا في لجأهم ، فَعَمُوا وَصَمُوا ،
وَقَعَلُوا وَأَمَضُوا مَا بِهِ هُمُومًا ، وإلى السُّحُبِ يَرْفَعُ الكَفُّ من قد جَفَّ عَنْهُ مَسِيلُ
عين ونهر .

فَلَا سَمْعَهُ بِلَاغَةٍ أَعْقَبَتْ نَصْرَهُ وَنَصَرَ صَاحِبَهُ . (نهج الطب ٢ : ٢٤٠)

١٣ — موعظة ابن أبي رندة الطرطوشي المتوفى سنة ٥٢٠ هـ

للأفضل بن أمير الجيوش

دخل ابن أبي رندة الطرطوشي^(١) مره على الأفضل^(٢) بن أمير الجيوش
فوعظه ، وقال له :

« إِنْ أَمْرُ الذِي أَصْبَحْتَ فِيهِ مِنَ الْمُلْكِ ، إِنَّمَا صَارَ إِلَيْكَ بِمَوْتٍ مِنْ كَانَ
قَبْلَكَ ، وَهُوَ خَارِجٌ عَنْ يَدِكَ ، بِمَثَلِ مَا صَارَ إِلَيْكَ ، فَاتَّقِ اللَّهَ فِي مَا خَوَّلَكَ مِنْ هَذِهِ
الْأَمَةِ ، فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ سَأَلُكَ عَنِ النَّقِيرِ وَالْقَمْطِيرِ وَالْفَقِيلِ^(٣) ، وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ

[١] هو الفقيه العالم أبو بكر محمد بن الوليد بن محمد بن حلف بن سليمان بن أيوب الهري الطرطوشي
(هم الطائيين ، وقد تفتح الطاء الأولى ، نسة إلى طرطوشة من بلاد الأندلس) ويعرف بابن أبي رندة
وكان راهباً عادياً متورطاً متقللاً من الدنيا قوَّالاً للحق ، رحل إلى الشرق ، ودخل سداد والصره ،
وسكن الشام مدة ، ودرس بها ، وكان الأفضل بن أمير الجيوش يكرمه ، طما ولي معه للآمنون بن الطائحي
أكرم الطرطوشي إكراماً كثيراً ، وله ألف الشيخ « سراج الملوك » وتوفي مالا سكندرية سنة ٥٢٠ هـ .
[٢] هو الوزير الأفضل بن بدر الجمالي أمير الجيوش المشهور ، وكان أبوه بدر الجمالي حاكماً عكا ، فأرسل
إليه الخليفة العاطبي المستنصر يسأله القدوم إلى مصر لإصلاح أحوالها المصطربة إذ ذاك ، فقدم إليها ، وتولى
شئونها ، وأقام مبعوها ، وصارت له فيها الكلمة النافذة ، ثم لاته الأفضل .

[٣] النقيير : القرة التي في ظهر الراهة ، والقمطير : القشرة الرقيقة التي بين الراهة والتمر ، والفقيل :
ما يكون في شق الراهة .

عز وجل " آتَى سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ مَلَكَ الدُّنْيَا بِحِذَافِيرِهَا ، فَسَخَّرَ لَهُ الْإِنْسَ وَالْجِنَّ وَالشَّيَاطِينَ وَالطَّيْرَ وَالْوَحُوشَ وَالْبَهَائِمَ ، وَسَخَّرَ لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً ^(١) حَيْثُ أَصَابَ ، وَرَفَعَ عَنْهُ حِسَابَ ذَلِكَ أَجْمَعَ ، فَقَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ : « هَذَا عَطَاؤُنَا قَائِمَتُنْ » ^(٢) أَوْ أَمْسِكَ بِغَيْرِ حِسَابٍ ، فَمَاعَدَ ذَلِكَ نِعْمَةً كَمَا عَدَدْتُمُوهَا ، وَلَا حَسِبَهَا كِرَامَةً كَمَا حَسِبْتُمُوهَا ، بَلْ خَافَ أَنْ يَكُونَ اسْتِدْرَاجًا مِنْ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَقَالَ : « هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي ، لِيَتْلُوَنَ ^(٣) أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ » ، فَانْفَتَحَ الْبَابُ ، وَسَهَّلَ الْحِجَابَ ، وَانصَرَ الْمَظْلُومَ . (فتح الطيب ١ : ٢٦٢)

١٤ - خطبة ابن تومرت مؤسس دولة الموحدين

(المتوفى سنة ٥٣٤ هـ)

استدعى محمد بن عبد الله بن تومرت ^(١) مؤسس دولة الموحدين أصحابه ، قبل موته بأيام يسيرة ، وقد أراد أن يستخلف عليهم عبد المؤمن بن علي ، فلما حضروا بين يديه قام :

[١] الرخاء : الريح اللينة . [٢] أي فأعطاه من شئت . [٣] ملاه : احتبزه .
[٤] هو محمد بن عبد الله بن تومرت من حل السوس في أقصى بلاد العرب ، ولد سنة ٤٨٥ هـ ، ورحل إلى المشرق سنة ٥٠١ هـ في طلب العلم ، وانتهى إلى سواد ، وقيل إنه لقي أبا حامد العراقي ، ثم رحل إلى العرب ، وقامت دعوته في أول الأمر في صورة أسرار للعروف ، فاه عن السكر ، فانتبه بصر القوم ، وخرج هو وأصحابه إلى السوس ، وشرع في التدريس والدعاء إلى الخير ، وما زال يستميل القلوب حتى كثرت شيعته ، ثم حل بذكر المهدي ويشوق إليه ، وجمع الأحاديث التي جاءت فيه ، فلما قرر في هرسهم صيلة المهدي ، ادعى ذلك لنفسه ، وتسمى بالمهدي ، ورمع سبه إلى النبي صلى الله عليه وسلم وادعى إنه من سل الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، وصرح يدعوى العصبة لنفسه ، وأنه المهدي المصوم ، وروى في ذلك أحاديث كثيرة حتى استغفر عدم أنه المهدي ، فابصوه على ذلك ، ولما كانت سنة ٥١٧ هـ حفر حيتا عظيما - وكانت مراكش تحت إمرة للراطين - فقال : اقتصدوا هؤلاء المارقين للدلائل الذين تسموا بالراطين ، فادعواكم إلى إمارة المنكر ، وإحياء للعروف ، وإزالة البدع ، والإقرار بالإمام المهدي المصوم ، فإن أحابوكم بهم أحواكم ، لهم ما لكم وعليهم ما عليكم ، وإن لم يعملوا فقاتلوهم فقد أمانت لكم السنة قتالهم ، وأمر على الجيش عبد المؤمن بن علي ، فخرجوا إلى مراكش فقيم الرايطون

فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله، وصلى على محمد نبيه صلى الله عليه وسلم، ثم أنشأ يترضى عن الخلفاء الراشدين، رضوان الله عليهم، ويذكر ما كانوا عليه من الثبات في دينهم، والمزية في أمرهم، وأن أحدهم كان لا تأخذه في الله لومة لائم، وذكر من حدّ عمر رضى الله عنه ابنة بني الحمر، وتصميمه على الحق، في أشباه لهذه الفصول، ثم قال :

فأقرضت هذه العصاة، نضر الله وجوهها، وشكر لها سعيها، وجزاها خيراً عن أمة نبيها، وخبّطت الناس فتنة تركت الحليم حيران، والعالم متجاهلاً مداهناً، فلم ينتفع العلماء بعلمهم، بل قصّدوا به الملوك، واجتلبوا به الدنيا، وأمالوا وجوه الناس إليهم، في أشباه لهذا القول، إلى هلمّ جراً .

ثم إن الله سبحانه - وله الحمد - منّ عليكم - أيّها الطائفة - بتأييده، وخصّكم من بين أهل هذا العصر بحقيقة توحيده، وفيض^(١) لكم من^(٢) ألفاكم ضللاً لا تهتدون، وعمياً لا تبصرون، لا تعرفون معروفاً، ولا تنكرون منكراً، قد فشت فيكم البدع، واستهوتكم الأباطيل، وزين لكم الشيطان أضاليل وتزّهات^(٣)، أنزه لسانى عن النطق بها، وأربأ^(٤) بلفظى عن

قريباً منها بحيش صحم أميرهم الربرى على بن يوسف بن تاشفين، فدعواهم إلى ما أسرم به ابن تومرت ردوا عليهم أسوأ ردّ، ثم التفت العشاق، فأسرم أصحاب ابن تومرت وقتل منهم خلق كثير، طارح القوم إلى ابن تومرت حل برؤن عليهم أمر الهزيمة، ويقرّون في هوسهم أن قتلاهم شهداء، لأنهم دابّون عن دين الله، فإدام ذلك نصيرة في أمرهم، وحرصاً على لقاء عدوهم، وحطوا يشون العارات على نواحي مراكن وقتلون ويسون ولا يقولون على أحد من قدروا عليه، وكثر الداحلون في طاعتهم، ولم يزل أصحاب طاهرين، وأحوال للرايطين تحتل، واشتاق دولتهم يترأّد، إلى أن توفى ابن تومرت سنة ٥٣٤ هـ بد أن أسس الأمور، وأنكم التدبير، وقام بأمر اللوحدين من بعده عبد المؤمن بن على. وقد استوثق له الأمر بموت على بن يوسف بن تاشفين ملك المرابطيين سنة ٥٣٧ هـ .

[١] أتاح لكم رسل وحياناً . [٢] يعنى نفسه . [٣] جمع ترحمة : وهى اللاطل .

[٤] ارتفع .

ذكرها ، فهذا كم الله به بعد الضلالة ، وبصركم بعد العمى ، وجمعكم بعد الفرقة ، وأعزكم بعد الذلة ، ورفع عنكم سلطان هؤلاء المارقين ^(١) ، وسبورتكم أرضهم وديارهم ، ذلك بما كسبته أيديهم ، وأضرته قلوبهم ، ومآ ربك بظلام للعبيد .
فجددوا لله سبحانه خالص نيّاتكم ، وأرووه من الشكر قولاً وفعلًا ما يُزَكِّي به سعيكم ، ويتقبل أعمالكم ، وينشر أمركم ، واحذروا الفرقة واختلاف الكلمة ، وشتات الآراء ، وكونوا يداً واحدةً على عدوكم ، فإنكم إن فعلتم ذلك ، هابكم الناس ، وأمرعوا إلى طاعتكم ، وكثُر أتباعكم ، وأظهر الله الحق على أيديكم ، وإلاّ تفعلوا شعلكم النك ، ونعمكم الصغار ^(٢) ، واحتقرتكم العامة ، فخطفتكم الخاصة ، وعليكم في جميع أموركم بمنزج الرأفة بالغلظة ، واللين بالعنف ، واعلموا مع هذا أنه لا يصلح أمر آخر هذه الأمة ، إلا على الذي صلح عليه أمر أولها .
وقد اخترنا لكم رجلاً منكم ، وجعلناه أميراً عليكم ، هذا بعد أن بلّوناه ^(٣) في جميع أحواله ، من ليله ونهاره ، ومدخله ومخرجه ، واختبرنا سريرته وعلا نيّته ، فرأيناه في ذلك كله نبّاً ^(٤) في دينه ، متبصراً في أمره ، وإني لأرجو أن لا يخلف الظن فيه ، وهذا المشار إليه هو : « عبد المؤمن » ، فاسمعوا له وأطيعوا ما دام سامعاً مطيعاً لربه ، فإن بدّل أو نكص على عقبيه ، أوارتاب في أمره ، ففي الموحدين - أعزهم الله - بركة وخير كبير ، والأمر أمر الله يقلده من شاء من عباده » .

فبايع القوم عبد المؤمن ، ودعاهم ابن تومرت .

(للمصنف ، في تاريخ أخبار العرب ص ١٠٨)

[١] يريد المارقين . [٢] الدل . [٣] احترقوا . [٤] أي ثانياً .

١٥ — مقال لسان الدين بن الخطيب (المتوفى سنة ٧٧٦ هـ) في الحَضُّ على الجهاد

وقال لسان الدين بن الخطيب ^(١) في الحَضُّ على الجهاد ^(٢) .

« أَيُّهَا النَّاسُ - رَحِمَكُمُ اللَّهُ تَعَالَى - :

إِخْوَانُكُمْ الْمُسْلِمُونَ بِالْأَنْدَلُسِ قَدْ دَهَمَ الْعَدُوُّ - قَصَمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - سَاحَتَهُمْ ،
وَرَامَ الْكُفْرَ - خَذَلَهُ اللَّهُ تَعَالَى - اسْتَبَاحَتَهُمْ ، وَزَحَفَتِ أَحْزَابُ الطُّوَاعِيتِ
إِلَيْهِمْ ، وَمَدَّ الصَّلِيبُ ذِرَاعَيْهِ عَلَيْهِمْ ، وَأَيْدِيكُمْ - بِعِزَّةِ اللَّهِ تَعَالَى - أَقْوَى ، وَأَنْتُمْ
الْمُؤْمِنُونَ أَهْلُ الْبِرِّ وَالتَّقْوَى ، وَهُوَ دِينُكُمْ فَانصُرُوهُ ، وَجِوَارُكُمْ الْقَرِيبُ فَلَا
تُخْفِرُوهُ ^(٣) ، وَسَبِيلُ الرُّشْدِ قَدْ وَضَحَ فَلْتَبْصُرُوهُ ، الْجِهَادَ الْجِهَادَ فَقَدْ تَعَيَّنَ ،
الْجَارَ الْجَارَ فَقَدْ قَرَّرَ الشَّرْعُ حَقَّهُ وَبَيَّنَّ ، اللَّهُ اللَّهُ فِي الْإِسْلَامِ ، اللَّهُ اللَّهُ فِي أُمَّةِ
مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ، اللَّهُ اللَّهُ فِي الْمَسَاجِدِ الْمَعْمُورَةِ بِدُكْرِ اللَّهِ ، اللَّهُ اللَّهُ فِي
وَطَنِ الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، قَدْ اسْتَغَاثَ بِكُمْ الدِّينُ فَأَغِيثُوهُ ، قَدْ تَأَكَّدَ عَهْدُ اللَّهِ

[١] هو لسان الدين محمد بن عداقة بن سعيد المشهور بـان الخطيب حاتمة أدباء الأندلس ، ولد بـغرناطة سنة ٧١٣ هـ ، وكان أول أمره في عتاد كتاب السلطان أبي الحجاج يوسف أحد ملوك بني الأحمر ، ثم اصطفاه وجاهه وزيره ، وفوض إليه شئون مملكته ، ولما مات أبو الحجاج ، وحلقه امره محمد أقره على الوزارة ، ثم وثب إسماعيل أخو السلطان على ملكه ، فاضطر أن يعاديه إلى المغرب مع وزيره لسان الدين ، فلما تحسنت الأحوال عاد محمد إلى ملكه ، وبقى مدة كتب له فيها ابن زمرك أحد تلاميذ لسان الدين ، ثم عاد لسان الدين إلى غرناطة ، وحل مكانه من سلطانه ، فألف ذلك ناز الحسد في ابن زمرك وأبصاره ، فسعوا به إليه حتى أخطوه عليه ، فهرب إلى المغرب - وكان في حوزة بني مرين ، وهم من البربر - حكموا المغرب بعد الموحدون من سنة ٦٦٨ إلى سنة ٨٩٠ هـ - فأكرمه سلطان المغرب عبد العزيز ، وحاطب ابن الأحمر في أهله وولده ، فصرهم إليه إلى أن مات (عبد العزيز) ، وقار أحد أمراء بني مرين على ابن عبد العزيز ، وساعده ملك بني الأحمر بشرط سلبه ابن الخطيب ، وتم له أمره ، وقص عليه ، وسجن بهاس ، وبوطر في كلمات له في كتابه « المحبة » وأفتى الفقهاء بقتله ، فدنس عليه من حقه في سنة ٧٧٦ هـ .

[٢] وكان سلطانه محمد بن أبي الحجاج أسعره إلى ملوك بني مرين يستعصم على الإيسان .

[٣] آخره : عذره به ونفس عهده .

وحاشاكم أن تنكثوه، أعينوا إخوانكم بما أمكن من الإعانة، أعانكم الله تعالى عند الشدائد، جددوا عوائد الخير، يصل الله تعالى لكم جميل العوائد، صلوا رحم الكلمة^(١)، واسئوا بأنفسكم وأموالكم تلك الطوائف المسلمة، كتاب الله بين أيديكم، وألسنة الآيات تُناديكم، وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم قائمة فيكم، والله سبحانه يقول فيه: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَذُكُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُحِبُّكُمْ»، ومما صح عنه قوله: «من أغبرت قدماء في سبيل الله حرَّهما الله على النار»، «لا يجمع عُبَّار في سبيل الله ودُّخان جهنم»، «من جهز غازياً في سبيل الله فقد غرا»، أدركوا رمق الدين قبل أن يفوت، بادروا عليل الإسلام قبل أن يموت، احفظوا وجوهكم مع الله تعالى يوم يسألكم عن عبادته،جاهدوا في الله بالأسن والأقوال حق جهاده:

ماذا يكون جوابكم لنبيكم وطريق هذا المذر غير مُمهد
إن قال: لم فرطتم في أمي وتركتموهم للعدو المتدي؟
تالله لو أن العقوبة لم تُخف لكفى الحياء من وجه داك السيد

اللهم اعطِ علينا قلوب العباد، اللهم بُث لنا الحمية في البلاد، اللهم دافع عن الحرم والضعيف والأولاد، اللهم انصرنا على أعدائك، بأحبائك وأوليائك، يا خير الناصرين، اللهم أفرغ علينا صبراً، وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

(مع الطيب ٤ : ٢)

١٦ - ما خاطب به لسان الدين تربة السلطان الكبير أبي الحسن المريني
وخاطب لسان الدين بن الخطيب تربة السلطان الكبير أبي الحسن المريني
لما قصد لها عقب ما شرع في جواره ، فقال :

« السلام عليك ثم السلام ، أيها المولى الهمام ، الذي عرف فضله الإسلام ،
وأوجبت حقه العلماء الأعلام ، وخفقت بعز نصره الأعلام ، وتنافست في
إقناذ أمره ونهيه السيوف والأقلام ، السلام عليك أيها المولى الذي قسم زمانه
بين حكم فصل ، وإمضاء نصل ، وإحراز خصل ^(١) ، وعبادة قامت من اليقين
على أصل ، السلام عليك يا مقرر الصدقات الجارية ، ومُشيع البطون الجائعة ،
وكايسي الظهور العارية ، وقادح زناد العزائم الوارية ، ومكتب الكتاب الغازية ،
في سبيل الله تعالى والسرايا ^(٢) السارية ، السلام عليك يا حجة الصبر والتسليم ،
ومتلقى أمر الله تعالى بالخلق الموصي والقلب السليم ، ومفوض الأمر في الشدائد
إلى السميع العليم ، ومُعيل البنان الطاهر في اكتاب الذكر الحكيم ، كرم
الله تعالى تربتك وقدمتها ، وطيب روحك الزكية وآنسها ، فلقد كنت للدهر
جَمَلاً ، وللإسلام ثَمَلاً ^(٣) ، وللمستجير مُجِيراً ، وللمظلوم ولياً ونصيراً ، لقد كنت
للمحارب صَدرًا ، وفي الواكب بَذراً ، وللمواهب بحرًا ، وعلى العباد والبلاد
ظِلًّا ظليلاً وسِتْرًا ، لقد فرَعْتَ ^(٤) أعلام عِزك الثنايا ، وأجزلت همتك للملوك
الأرض الهدايا ، كأنك لم تعرّض الجنود ، ولم تشر البُود ^(٥) ، ولم تبسط العدل

[١] الحصل : العلة في الصال . [٢] السرايا جمع سرية وهي من حملة أنفس إلى ثمانية

أو أرسائة . [٣] الجمال : العبات الذي يقوم بأمر قومه .

[٤] فرعت : عات ، والثنايا : جمع ثنية كهدية ، وهي الفتحة ، أو الجبل ، أو الطريقة فيه .

[٥] البود جمع بد كشس : وهو العلم الكبير .

المحدود ، ولم تُوجد الجود ، ولم تزين الركع السجود ، فتوسدت الثرى ، وأطلت
الكرى ، وشربت الكأس التي يشربها الورى ، وأصبحت ضارع ^(١) الخد ،
كليل الخد ، سالكاً سنن الأب والجد ، لم تجذ بعد انصرام أجلك ، إلا صالح
عمك ، ولا صبحت لقبرك ، إلا رابع تجرك ^(٢) ، وما أسلفت من رضاك وصبرك ،
ففسأل الله تعالى أن يؤنس اغترابك ، ويجود بسحاب الرحمة تُرابك ، وينفك
بصدق اليقين ، ويجعلك من الأئمة المتقين ، ويُعلي درجتك في عليين ^(٣) ،
ويجعلك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين .

وليُهنك أن صير الله تعالى ملكك من بعدك ، إلى نير سعدك ، وبارق
رعدك ، ومنجز وعدك ، أرضى ولدك ، ورينحانة خلدك ^(٤) ، وشقة ^(٥) نفسك ،
والسرحة المباركة من عزمك ، ونور شمسك ، وهوصل عمك البر إلى رمسك ،
فقد ظهر عليه أثر دعواتك ، في خلواتك ، وأعقاب صلواتك ، فكلمتك والمئة لله
تعالى باقية ، وحسنتك إلى محل الفبول راقية ، يرعى بك الوسيلة ، ويتم مقاصدك
الجميلة ، أعانه الله تعالى ببركة رضاك على ما قلده ، وعمر بتقواه يومه وغده ،
وأبعد في السعد أمدّه ، وأطلق بالخير يده ، وجعل الملائكة أنصاره والأقدار عُددّه .
وإني أيها المولى الكريم ، البرّ الرحيم ، لما اشتراني ، ورأشني ^(٦) وبراني ،
وتعبّدني بإحسانه ، واستعمل في استخلاصي خط بنانه ، ووصية لسانه ، لم أجد
مكافأة إلا التقرب إليك وإليه برئائك ، وإعراء لسانى بنخيلد عليائك ، وتعفير

[١] دليل . [٢] تحر تحراً وتحارة .

[٣] اسم لأعلى الحمة ، أو دو كتاب جامع لأعمال الخير . [٤] الخد : اللبس والغلب .

[٥] الشقة : نصف الشيء إذا شق ، والسرحة : الشجرة الطيبة .

[٦] راش السهم : ألق عليه الريش ، وراش الصديق : أطعمه وسقاه وكاء وأصلح حاله .

الْوَجْنة في حَرَمِكَ ، والإِشادة بعد المات بِمَجْدِكَ وَكَرَمِكَ ، ففتحت البابَ في هذا الغرض ، إلى القيام بِمَجْدِكَ المُفترَض ، الذي لولاه لاتصلت النقلة عن أدائه وقمادت ، فما يَبَسَّتِ الألسُن ولا كادت ، متحيزاً بالسبق ، إلى أداء هذا الحق ، بادئاً بزيارة قبرك الذي هو رحلة الغرب ، ما نويته من رحلة الشرق ، وما أعرضت عنه فأقطعه أثر مواقع الاستحسان ، وقد جمع بين الشكر والتنويه والإحسان ، والله سبحانه يجعله عملاً مقبولا ، ويبلغ فيه من القبول مأمولا ، ويتعمد من ضاجعته من سلفك الكرام بالمنقرة الصيبة ، والتحيات الطيبة ، فتحم الملك الكبار ، والخلفاء الأبرار ، والأئمة الأخيار ، الذين كُرِّمت منهم السَّير وحسنت الأخبار ، وسعدت بعزمااتهم الجهادية المؤمنون وشقي الكفار ، وصلوات الله تعالى عوداً وبدءاً على الرسول الذي اصطفاه واختاره فهو المصطفى المختار ، وعلى آله وأصحابه الذين هم السادة الأبرار ، وسلم تسليماً . (مع الطيب ٤ : ١٣٥)

١٧ - وصية لسان الدين بن الخطيب لأولاده

« الحمد لله الذي لا يروغُهُ الحِمَامُ المَرْتُوب ، إذا شِيمَ ^(١) نَجْمُهُ المَثْقُوب ، ولا يَبْتَغِيهِ الأَجَلُ المَكْتُوب ، ولا يَفْجُوهُ الفِرَاقُ المَعْتُوب ، مَلْهُمُ الهُدَى الذي تَطْمِئُنُّ به القلوب ، ومَوْصِحُ السبيل المطلوب ، وجاعل النصيحة الصريحة من قِسْمِ الوجوب ، لا سِيَّماً لِلوَلِيِّ المَحْبُوب ، والولد المنسوب ، القائل في الكتاب المَعْجِزِ الأَسْلُوب : « أَمَّ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ^(٢) » ، « وَوَصَّى بِهَا

[١] من شام برق : طر إليه أين يقصد ، وأين يحطر . [٢] وتعام الآية الكريمة :

« إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ اللَّوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا مَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهاً وَاحِداً وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ » .

إِزْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ^(١) ، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد رسوله ،
 أكرم من زُرْتُ على نُوره جُيُوبُ الغيوب ، وأشرف من خُلِعَتْ عليه حُلَلُ
 المَهَابَةِ والعِصْمَةِ ، فلا تَقْتَحِمُهُ^(٢) العيونُ ، ولا تَصِيْهُه العيوبُ ، والرضا عن آله
 وأصحابه الثابرين على لسان^(٣) الاستقامة بالهوى المغلوب ، والأمل المسلوب ،
 والافتداء الموصِّل المرغوب ، والعز والأمن من اللُّغُوب^(٤) ، وبعد : فإني لما
 علاني المشيب بَقِيَّتُهُ^(٥) ، وقادني الكِبَرُ بِرُمَّتِهِ^(٦) ، وأدَّ كَرَّتُ الشَّبابُ بعد
 أُمَّتِهِ^(٧) ، أسِفْتُ لِمَا أَضَعْتُ ، وَنَدِمْتُ بعد الفِطَامِ على مَا رَضَعْتُ ، وتأكدَ
 وجوبُ نصحي لمن لَزِمَنِي رَعِيَّتُهُ ، وتعلَّقَ بِيَمِينِي سَمْعُهُ ، وأملتُ أن تتعدَّى إلى
 عُمرَةٍ استقامته وأنا رهين قَواتٍ ، وفي بَرْزَخِ أمواتٍ ، ويأمن العُشُورُ في الطريق
 التي اقتضت عُثَارِي ، إن سلك - وعسى ألا يكون ذلك - على آثارِي ، فقلت
 أخاضب الثلاثة الولدَ ، وثمراتِ الخلد^(٨) بعد الضراعة إلى الله تعالى في توفيقهم ،
 وإيضاح طريقهم ، وَجَمْعَ تَهْرِيقِهِمْ ، وَأَنْ يَمُنَّ عَلَى مِنْهُمْ بِحَسَنِ الْخَلْفِ ،
 والتَّلاَفِي من قَبْلِ التَّلَفِ ، وَأَنْ يَرْزُقَ خَلْفَهُم التمسك بهدى السلف ، فهو وليُّ
 ذلك ، والهادي إلى خير المسالك : اعلموا هذا كم الله تعالى الذي بأنواره تهتدي

[١] وتعام الآية الكريمة : « إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ ، قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ، وَوَصَّى بِهَا
 إِزْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ » .

[٢] تردده وتخنقه ، ووصفه : عام . [٣] اللسان : الرسالة .

[٤] اللعوب : أشد الإعياء . [٥] اللعة : أعلى كل شيء .

[٦] الزمة بالعصم وكسر : قطعة من حل .

[٧] الأمة ها : الخبي ، اقتبس من قوله تعالى : « وَقَالَ الَّذِي نَحَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ » .

[٨] الخلد : ائتم والمسي .

الضلال ، وِرضاه تُرْفَع الأغلال ، وبِالتماس قُرْبِهِ يحصل الكمال ، إذا ذهب
 المال ، وأخْلَقَتِ الآمال ، وتَبَرَّأت من عَيْنِهَا الشَّمال ، أنى مُودَّعِكُم وإن سَأَلْنِي
 الرَّدَى ، وَمُفَارِقُكُمْ وإن طال المَدَى ، وما عَدَا عِجَابُهَا ، فكيف وأدواتُ
 السَّفَرِ تُجْمَع ، ومنادى الرِّحْلِ يُسْمَع ، ولا أَقْلٌ للحبيب المودَّع ، من وصية
 مُحَضَّرٍ ، وَعَجَالَةٍ مُقْتَصِرٍ ، وَرَتِيمَةٍ ^(١) تُنْقَدُ فِي خِنِصَرٍ ، ونصيحةٍ تكون نَسِيدَةً ^(٢)
 وَاعٍ مُبْصِرٍ ، تتكفل لكم بِحَسَنِ العَوَاقِبِ من بعدى ، وتوضِّح لكم من الشَّفَقَةِ
 والحنوِّ قَصْدِي ، حَسْبَمَا تَضْمَنُ وَعْدُ اللَّهِ من قَبْلِ وَعْدِي ، فهى أَرْبُكُمْ الذى
 لا يَتَغَيَّرُ وَقْفُهُ ، ولا يَنَالُكم المَكْرُوهُ ما رَفَّ عَلَيْكم سَقْفُهُ ، وكأَنى بِشبابِكُم قد
 شَاخَ ، وَبِرَاحِلِكُم قد أَنَاخَ ، وَبِنَاشِطِكُم قد كَسَلَ ، واستبدل الصَّابَ ^(٣) من
 الْعَسَلِ ، وَنُصُولُ ^(٤) الشَّيْبِ تَرَوِّعٌ بِأَسَلٍ ، لا بِلِ السَّامِ ^(٥) من كل حَدَبٍ قد
 نَسَلَ ، وَالْمَعَادُ اللَّحْدُ ولا نَسَلَ ، فبالأَمْسِ كَتَمَ فِرَاحَ حِجْرٍ ^(٦) ، واليوم أَبْنَاءُ
 عَسْكَرٍ حَجْرٍ ، وغداً شيوخ مَضْبُوعَةٍ وَهَجْرٍ ، والقبورُ فَاغِرَةٌ ^(٧) ، والنفوسُ عن
 المألوفات صَاغِرَةٌ ، والدنيا بأهلها سَاخِرَةٌ ، والأولى نَعَقُوبُهَا الآخِرَةُ ، والحازمُ من لم
 يُتَعَزَّ بِه فى أَمْرٍ ، وقال : « يَدِي لا يَدِي عَمَرُو ^(٨) » ، فاقْتَنَوْهَا من وَصِيَّةٍ ،

[١] الرتيمة : حيط يقذفه الإصبع لتذكير .

[٢] الصاب : عصارة شجر مرّ . [٣] الصول جمع صل : وهو حديدة الرمح والسيف ،
 والأسل : الرماح . [٤] السام : الموت ، والمحدب : ما ارتفع من الأرض ، وسل كصرب : أسرع
 والمعاد : للرحل . [٥] أى كالمراح فى حمر أمها وحضنها ، والحجر : الكبير من كل شيء ، وحيش
 حجر . كثير جدا . [٦] أى فائحة أدواها للموتى .

[٧] هو مثل قلته الرءاء ملكة الحريرة ، وذلك أنها كانت دعت حديعة الأبرش ملك ما على شاطئ
 الهرات إلى رواحها ، فلما استقرت عندها قتله ثأراً بأبها - وكان حديعة قد قتله - فاحتال مولاه قصير للتأثر
 منها ، فخدع أمه وأثر آثاراً نظهره ، ثم حرج إلى الرءاء ، وأظهر أن عمرو بن عدى - ابن أخ حديعة -
 صل ذلك به ، وأنه زعم أنه مكر بحاله حديعة وعمره من الرءاء ، فلما استرسلت إليه ووقفت به ، رين لها

وَمَرَامٍ ^(١) فِي النَّصِيحِ قَصِيَّةٌ ، وَخُصُّوا بِهَا أَوْلَادَكُمْ إِذَا عَقَلُوا ، لِيَجِدُوا زَادَهَا إِذَا
 انْتَقَلُوا ، وَحَسْبِي وَحَسْبُكُمْ اللَّهُ الَّذِي لَمْ يَخْلُقِ الْخَلْقَ هَمَلًا ، وَلَكِنْ لِيَبْلُوَهُمْ أَثْمَهُمْ
 أَحْسَنُ هَمَلًا ، وَلَا رِضَى الدُّنْيَا مِنْزَلًا ، وَلَا لَطْفٌ بِمَنْ أَصْبَحَ عَنْ قِتَّةِ الْخَيْرِ مُنْعَزِلًا ،
 وَلَقَدْ لَقِّنَا تَلْقِينًا ، وَتَعَلَّمُوا عِلْمًا يَقِينًا ، أَنْكُمْ لَنْ تَجِدُوا بَعْدَ أَنْ أَفْرَدَ بَذَنِي ،
 وَيَفْتَرِشَ التُّرَابَ جَنِبِي ، وَيَسْعَ انْسِكَابِي ، وَتَهْرُولَ عَنِ الْمَصْلَى رِكَابِي ، أَخْرَصَ
 مِنِّي عَلَى سَعَادَةٍ إِلَيْكُمْ تُجْلَبُ ، أَوْ غَايَةِ كَمَالٍ بِسَبِيلِكُمْ تُرْتَادُ وَتُطْلَبُ ، حَتَّى لَا يَكُونَ
 فِي الدِّينِ وَالْدُّنْيَا أَوْزَفُ ^(٢) مِنْكُمْ ظِلًّا ، وَلَا أَشْرَفُ مَحَلًّا ، وَلَا أَغْبَطُ نَهْلًا وَعَلَا ^(٣) ،
 وَأَقْلُ مَا يُوْجِبُ ذَلِكَ عَلَيْكُمْ أَنْ تُصَيِّحُوا ^(٤) إِلَى دَوْلِ الْآذَانِ ، وَتَسْتَهِيحُوا صُبْحَ
 نُصْحِي فَقَدْ بَانَ . وَسَأُعِيدُ عَلَيْكُمْ وَصِيَّةَ لُقْمَانَ ، أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ :
 « وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ : يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ ، إِنَّ الشِّرْكََ أَظْلَمُ
 عَظِيمٌ » - « يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ
 عَلَى مَا أَصَابَكَ ، إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ » وَلَا تُصَعِّرْ ^(٥) خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا

أَنْ تَعْتَهُ إِلَى الْعِرَاقِ لِيَحْمِلَ إِلَيْهَا مِنْ طَرَائِثِهَا وَثِيَابَهَا وَطَبِيبًا ، وَأَبَا مَنصِبٍ فِي ذَلِكَ أَرْبَاحًا عَظِيمًا ، فَأَدَّتْ
 لَهُ وَقْدَ الْعِرَاقِ ، وَأَتَى الْحَيْرَةَ مُتَكْرَأً ، وَرَوَّدَهُ عَمْرُو بْنُ مَرْثَدَةَ إِلَى الْأَمْتَةِ ، وَرَجَعَ إِلَى الرِّبَاءِ ، فَتَحَبَّهَا
 مَا رَأَتْ وَسَرَّهَا ، وَارْدَدَتْ بِهِ تَقَةً ، وَحَبْرَةَ ثَائِبَةً ، فَارْحَتْ حَتَّى قَدِمَ عَلَى عَمْرُو بْنِ مَرْثَدَةَ وَعَدَّ إِلَيْهَا ، ثُمَّ عَادَ
 الثَّلَاثَةَ وَجَمَعَ تَقَاتٍ مِنْ رِحَالِ عَمْرُو ، وَحَلَّاهُمْ فِي الْعِرَاقِ عَلَى الْحِمْلِ ، وَسَارَ إِلَى الرِّبَاءِ ، وَدَخَلَتْ الْإِثْلُ الْمَدِينَةَ
 - وَكَانَتْ الرِّبَاءُ قَدْ حَدَّثَتْ عَمْرًا ، وَاتَّخَذَتْ مَقَامًا إِلَى حَصَى لَهَا ، فِي دَخَلِ مَدِينَتِهَا ، وَطَلَّتْ : بِنُ خَائِي أَمْرَ
 دَخَلَاتِ الْعَقِ إِلَى حَصَى - وَدَلَّتْ قَصِيرَ عَمْرًا عَلَى مَابِ الْعَقِ ، فَلَمَّا حَرَحَتْ لِرِحَالِ مِنَ الْعِرَاقِ صَاحِبًا بِأَهْلِ
 لِلْمَدِينَةِ وَوَضَعُوا فِيهِمُ السَّلَاحَ ، وَقَامَ عَمْرُو عَلَى مَابِ الْعَقِ ، وَأَمَلَتْ الرِّبَاءُ تَرِيدَ الْعَقَ ، فَأَصْرَتْ عَمْرًا مَعْرِفَةً
 بِالصُّورَةِ الَّتِي صَوَّرَتْ لَهَا - فَصَلَّتْ حَاتِمَهَا وَكَانَ فِيهِ السَّمُّ ، وَقَلَّتْ : « يَدِي لَا يَدُ عَمْرُو » فَجَبَّ سَلًا ،
 وَتَقَفَا عَمْرُو خَلْفَهَا بِالسَّيْفِ وَقَتْلَهَا ، وَأَصَابَ مَا أَصَابَ مِنَ الْمَدِينَةِ وَهَيْبَهَا . وَانْكَأَ رَاحَتَهُ إِلَى الْعِرَاقِ .

[١] مَرَامٍ - جَمْعُ مَرَمٍ ، وَتَقْصِيَّةٌ : مَبِيدَةٌ .

[٢] وَزَفُ الْظُلِّ : اتَّسَعَ وَطَالَ وَامْتَدَّ . [٣] الْهَلِيلُ : تَشْرِبُ الْأَوَّلِ ، وَالْعَلَّ وَالْمَلَّ : اشْرَبَ

الثَّانِي أَوْ الشَّرَبَ بَعْدَ الشَّرَبِ تَامًا [٤] أَصَاحَ لَهُ : اسْتَعَمَّ . [٥] صَعَرَ خَدَّه : أَمْلَأَهُ كِبَرًا

تَمُشُّ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا، إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ، وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ،
وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ، إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ » ، وأُعيد وصية
خليل الله وإسرائيل عليه ، حُكْمٌ ^(١) مَا تَضَمَّنَهُ حُكْمٌ تَنْزِيلُهُ : « يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ أَصْطَفَى
لَكُمْ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ » والدين الذي ارتضاه واصطفاه ،
وأكمله ووفاه ، وقرَّره مُصْطَفَاهُ ، من قبل أن يتوفاه ، إذا أُعْمِلَ فيه انتقاد ،
فهو عمل واعتقاد ، وكلاهما مُقَرَّرٌ ، ومستمدٌّ من عقل أو نقل محرر ، والعقل
متقدِّمٌ ، وبنائوه مع رَفَضِ أَخِيهِ مُتَهَدِّمٌ ، فالله واحد أحد ، فَرَدَّ صَمَدٌ ^(٢) ،
ليس له والد ولا ولد ، تنزَّه عن الزمان والمكان ، وَسَبَقَ وجوده وجودًا لا كوان ،
خالِقُ الخلق وما يعملون ، الذي لَا يُسْأَلُ عن شيءٍ وهم يُسْأَلُونَ ، الحَيُّ العليم المدبِّرُ
القدير ، لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ، أرسل الرسل رحمةً لتدعو الناس
إلى النجاة من الشقاء ، وتوجَّهَ الْحُجَّةُ في مصيرهم إلى دارالبقاء ، مؤيِّدَةً بالمعجزات
التي لَا تُصِيفُ أَنْوَارُهَا بِالْإِخْتِفَاءِ ، ولا يجوز على قواثرها دعوى الاتقاء ، ثم
ختم ديوانهم بنبيٍّ مِلَّتْنَا الرعية المَهْمَلُ ، الشاهدة على المِلَلِ ، فتلخَّصت الطاعة ،
وَتَعَيَّدَتِ الْأَمْرَةَ الْمُطَاعَةَ ، ولم يَبْقَ بعده إلا ارتقابُ الساعة ، ثم إن الله تعالى قَبَضَهُ
إِذْ كَانَ بَشَرًا ، وترك دينه يَضُمُّ من الأمة نَشْرًا ^(٣) ، فمن تَبِعَهُ لِحَقِّ بِهِ ، ومن تركه
نُوطٌ ^(٤) عنه في مَنْسِيهِ ، وكانت نجاته على قدر مَسَبِّهِ ، رُوي عنه عليه الصلاة
والسلام أنه قال : « تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِ لَمْ تَضِلُّوا بَعْدِي ، كِتَابَ اللَّهِ
وَسُنِّي » ، فَعَضُّوا عليهما بالنواجذ ^(٥) .

[١] إسرائيل : يعقوب عليه السلام ، والحكم : الحكمة ، وهو مد من وصية .

[٢] الصمد : السيد ، لأنه يصمد أي يقصد في قضاء الحوائج . [٣] النشر : النشر ، ومنه :

« اللَّهُمَّ اصْنَمْ فَتَرَى » . [٤] أي أهدعه وطرده ، يقال ناطت النار : أي سدت .

[٥] أقصى الأصراس .

فاعملوا يا بني بوصية من ناصح جاهد ، ومُشْفِقٍ شفقةً والد ، واستشعروا حُبَّ الذي توافرت دواعيه ، وعُوا مَرَّاشِدَ هَدْيِهِ ، فَيَا فَوْزَ وَاعِيهِ ! وَصِلُوا السَّبَبَ بِسَبَبِهِ ، وَآمِنُوا بِكُلِّ مَا جَاءَ بِهِ ، مُجْتَمِلًا أَوْ مُفَصَّلًا عَلَى حَسَبِهِ ، وَأَوْجِبُوا التَّجَلَّةَ لِصَحْبِهِ ، الَّذِينَ اخْتَارَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى لَصَحْبَتِهِ ، واجعلوا محبتكم إِيَّاهُمْ مِنْ تَوَابِعِ مَحَبَّتِهِ ، واشملوهم بالتوقير ، وَفَضِّلُوا مِنْهُمْ أَوْلَى الْفَضْلِ الشَّهِيرَ ، وَتَبَرَّءُوا مِنَ الْعَصِيَّةِ الَّتِي لَمْ يَدْعِكُمْ إِلَيْهَا دَاعٍ ، وَلَا تَعِ التَّشَاوُجَ بَيْنَهُمْ أَذُنُ وَاعٍ ، فَهُوَ عِنْوَانُ السَّدَادِ ، وَعَلَامَةُ سَلَامَةِ الْإِعْتِقَادِ ، ثُمَّ اسْحَبُوا فَضْلَ تَعْظِيمِهِمْ عَلَى فَقْهَاءِ الْمِلَّةِ ، وَأَعْتَمِ الْخِلَّةَ ^(١) ، فَهُمْ صَقَلَةُ نُصُولِهِمْ ، وَفُرُوعُ نَاشِئَةٍ مِنْ أَصُولِهِمْ ، وَوَرَثَتُهُمْ وَوَرِثَةُ رَسُولِهِمْ ، وَاعْلَمُوا أَنَّنِي قَطَعْتُ فِي الْبَحْثِ زَمَانِي ، وَجَعَلْتُ النِّظْرَ شَانِي ، مِنْذُ بَرَأَنِي اللَّهُ تَعَالَى وَأَنْشَانِي ، مَعَ ثُبُلٍ ^(٢) يَعْتَرِفُ بِهِ الشَّانِي ، وَإِدْرَاكِ يَسْلَمُهُ الْعَقْلُ الْإِنْسَانِي ، فَلَمْ أَجِدْ خَاطِبَ وَرَقٍ ، وَلَا مُصِيبَ عَرَقٍ ، وَلَا نَازِعَ خِطَامٍ ، وَلَا مُتَكَلِّفَ فِطَامٍ ، وَلَا مُقْتَحِمَ بَحْرِ طَامٍ ، إِلَّا وَفَايْتُهُ الَّتِي يَقْصِدُهَا قَدْ نَضَلَّهَا الشَّرِيعَةُ وَسَبَقَهَا ، وَفَرَعَتْ ^(٣) ثَنِيَّتَهَا وَارْتَقَتْهَا ، فَعَلَيْكُمْ بِالْإِزَامِ جَادَّتِهَا ^(٤) السَّابِلَةُ ، وَمُصَاحِبَةُ رَفَقَتِهَا الْكَمَامَةُ ، وَالْإِهْتِدَاءُ بِأَقْمَارِهَا غَيْرِ الْآفَلَةِ ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ . وَهُوَ أَصْدَقُ الْقَائِلِينَ : « وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَإِنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ » ، وَقَدْ عَلَتْ شَرَائِعُهُ . وَرَاعَ الشُّكُوكَ وَائِعُهُ ، فَلَا تَسْتَنْزِلُكُمْ الدُّنْيَا عَنِ الدِّينِ ، وَابْذُلُوا دُونَهُ النُّفُوسَ فِعْلَ الْمُهْتَدِينَ ، فَلَنْ يَنْفَعَ مَتَاعٌ بَعْدَ الْخُلُودِ فِي النَّارِ أَبَدَ الْآبَدِينَ ، وَلَا يَضُرُّ مَفْتُودٌ مَعَ الْفُوزِ بِالسَّعَادَةِ وَاللَّهُ أَصْدَقُ الْوَاعِدِينَ .

[١] جمع حليل . [٢] الل : الذكاء والحكمة ، والشان : المعنى .

[٣] مرعه : علاه ، والنيبة : العفة ، أو الخلل أو الطريقة به أو إليه .

[٤] الجادة : الطريق الواضح ، والساعة من الطرق . المسلوكة .

ومتاع الحياة الدنيا أحسن ما وُثِرَ الأولاد عن الوالدين ، اللهم قد بلغتُ فانت
خير الشاهدين ، فاحذروا المعاطيبَ التي توجب في الشقاء الخلود ، وتستدعي
شوة الوجوه وَنَضِجَ الجلود ، واستعيذوا برضا الله من سُخْطِهِ ، وارَبُّوا بنفوسكم
عن غَمَطِهِ ، وارفعوا آمالكم عن القنوع بِغُرُورٍ قد خَدَعَ أسلافكم ، ولا تحمدوا
على جيفة العَرَضِ الزائلِ أثلافكم ، واقنعوا منه بما تيسر ، ولا تأسوا ^(١) على
ما فات وتعذر ، فإنما هي دُجَّةٌ ^(٢) ينسخها الصَّبَاح ، وَصَفْقَةُ يتعاقبها الخَسَار أو
الرَّيَّاح ، ودونكم عقيدة الإيمان فَشُدُّوا بالنواجذ عليها ، وَكَفِّفُوا الشُّبَّةَ أَنْ
تَذْنُوَ إِلَيْهَا ، واعلموا أن الإخلال بشيء من ذلك خَرَقٌ لَا يَرْفُوه ^(٣) عمل ، وكلُّ
ما سوى الراعى هَمَلٌ ، وما بعد الرأس في صلاح الجسم أَمَلٌ ، وتمسكوا بكتاب
الله تعالى حِفْظًا وَنِيْلًا ، واجعلوا حِمْلَهُ على حِمْلِ التَّكْلِيفِ عِلَاوَةً ، وتفكروا في
آياته ومعانيه ، وامتلأوا بأوامره ونواهيه ، ولا تتأولوه ولا تتألفوه ، وأشربوا
قلوبكم حُبًّا مِنْ أَنْزَلِ عَلَى قَلْبِهِ ، وَأَكْثَرُوا مِنْ بَوَاعَتِ حُبِّهِ ، وصونوا شعائرَ
الله صونَ المحترَم ، واحفظوا القواعد التي ينبني عليها الإسلام حتى لا يتخرم ،
اللهُ اللهُ في الصلاة ذريعة التَّجَلُّة ، وخاصَّة المِلَّة ، وحاقنة الدم ، وَغِنَى المستأجرِ
المستخدم ، وأمَّ العبادة ، وحافظة اسم المراقبة لعالم الغيب والشهادة ، والناحية
عن الفحشاء والمنكر ، إن عَرَضَ الشيطانُ عَرَضَهَا ، ووطأ للنفس الأُمارة سماءها
وأرضها ، والوسيلة إلى بَلِّ الجوانح يبرود الذكر ، وإيصال تُحْفَةٍ اللهُ إلى مَرِيضٍ
الفكر ، وضامنة حسن العشرة من الجار ، وداعية للمسالمة من الفجار ، والواسمة

[١] ولا تحرموا . [٢] الدحة : الطلة .

[٣] رفاً التوب كعب : لأمر حرقه ، وصمَّ صمَّه إلى صم .

Checked
1987

بِسْمَةِ السَّلَامَةِ ، وَالشَّاهِدَةِ لِلْعَبْدِ بِرَفْعِ الْمَلَامَةِ ، وَغَسُولٍ ^(١) الطَّلَعِ إِذَا طَلَعَ ،
وَالْخَيْرِ الَّذِي كُلُّ مَاسِوَاهُ لَهُ تَبَعٌ ، فَاصْبِرُوا النَّفْسَ عَلَى وِظَائِقِهَا ، بَيْنَ بَدْءٍ وَإِعَادَةٍ ،
فَالْخَيْرُ عَادَةٌ ، وَلَا تَفْضَلُوا عَلَيْهَا الْأَشْغَالَ الْبَدَنِيَّةَ ، وَتَوَثَّرُوا عَلَى الْعَلِيَّةِ الدِّينِيَّةِ ،
فَإِنْ أَوْقَاتُهَا الْمَعِينَةُ بِالْأَتَقَلَاتِ تَنْبَسُ ^(٢) ، وَالْفَلَكَ بِهَا مِنْ أَجْلِكُمْ لَا يُجَبَسُ ،
وَإِذَا قُورِنَتْ بِالشَّوَاغِلِ فَلَهَا الْجَاهُ الْأَصِيلُ ، وَالْحُكْمُ الَّذِي لَا يَغْيِرُهُ الْغُدُورُ
وَلَا الْأَصِيلُ ، وَالْوِظَائِفُ بَعْدَ أَدَائِهَا لَا تَقُوتُ ، وَأَيْنَ حَقٌّ مِنْ يَمُوتُ مِنْ حَقِّ
الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ ؟ وَأَحْكُمُوا أَوْضَاعَهَا إِذَا أَقْتَمُوهَا ، وَأَتَّبِعُوهَا النَّوَافِلَ
مَا أَطَقْتُمُوهَا ، فَبِالِإِتْقَانِ تَفَاصَلَتْ الْأَعْمَالُ ، وَبِالْمُرَاعَاةِ اسْتَحَقَّتِ الْكَمَالُ ، وَلَا
شُكْرَ مَعَ الْإِهْمَالِ ، وَلَا رِبْحَ مَعَ إِضَاعَةِ رَأْسِ الْمَالِ ، وَدَلَّكَ أُخْرَى بِإِقَامَةِ
الْفَرَضِ ، وَادَّعَى إِلَى مُسَاعَدَةِ الْبَعْضِ الْبَعْضَ .

وَالطَّهَارَةُ الَّتِي هِيَ فِي تَحْصِيلِهَا سَبَبٌ مُوَصَّلٌ ، وَشَرْطٌ لِمَشْرُوطِهِ مُحْصَلٌ ،
فَاسْتَوْفُوهَا ، وَالْأَعْضَاءَ نَظَّفُوهَا ، وَمِيَاهَهَا بَنِّيرَ أَوْصَافِهَا الْحَمِيدَةِ فَلَا تَصْفُوهَا ،
وَالْحُجُولَ وَالْفُرُرَ ^(٣) فَأَطِيلُوهَا ، وَالنِّيَّاتِ فِي كُلِّ ذَلِكَ فَلَا تُهْمِلُوهَا ، فَالْبِنَاءُ
بِأَسَاسِهِ ، وَالسَّيْفُ بِعِرَاسِهِ ، وَاعْلَمُوا أَنَّ هَذِهِ الْوُظَيْفَةَ مِنْ صَلَاةٍ وَطُهُورٍ ، وَذِكْرٍ
مَجْهُورٍ وَتَعَبٍ مَجْهُورٍ ، تَسْتَعْرِقُ الْأَوْقَاتَ ، وَتَنَازِعُ شَيْئَ الْخَوَاطِرِ الْمَفْتَرَقَاتِ ،

[١] السَّيْلُ كَصَبُورٍ وَتَوَرُّدٍ : الْمَاءُ يَمْتَلِئُ بِهِ ، وَفِي الْأَصْلِ « عَاسُولٌ » وَهُوَ تَحْرِيفٌ ، وَالطَّلَعُ :
الشَّيْءُ وَالْبَيْتُ . [٢] أَيْ تَذَهَبُ وَتَصْبِيحٌ ، يُقَالُ : اسْتَبَسَّ الرَّجُلُ إِذَا دَهَبَ ، وَفِي الْأَصْلِ « تَنَسَّ »
وَأَرَادَ مَحْرَمًا .

[٣] الْحُجُولُ جَمْعُ حُجْلٍ مَالِكُ الْكُسْرِ وَالْفَتْحِ : وَهُوَ الْحُلْعَالُ ، وَالرَّادُّهَا هِيَ الْأَطْرَافُ ، وَنَاطَاتُهَا
اسْتِطَابَ عَلَيْهَا ، وَالْفُرُرُ جَمْعُ عُرَةٍ بِالصَّمِّ وَهِيَ الْوَحْه ، وَالرَّادُّهَا تَطْوِيلُهَا فِي الْوُضُوءِ : غَسَلَ مَقْعَ الرَّأْسِ
مَعَ الْوَحْهِ ، وَغَسَلَ صَفْحَةَ الصَّقِ ، وَحَمَلَةُ الْمَعَى : أَنَّهُ يَأْمُرُ بِإِسْبَاحِ الْوُضُوءِ ، وَفِي الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ :
« أَمَتِي الْعُرُّ الْمُتَجَبَّلُونَ » وَالرُّ جَمْعُ الْأَعْرَ مِنْ الرِّقَّةِ ، وَهِيَ بَيَاضٌ فِي حِمَاةِ الْفَرَسِ مَوْقِ الْفَرَسِ ،
يُقَالُ : فَرَسٌ أَغْرَ وَعَرَاءٌ ، وَالْمَحْضَلُ : الْفَرَسُ الَّذِي يَرْتَفِعُ الْبَيَاضُ فِي قَوَائِمِهِ فِي مَوْضِعِ الْفَيْدِ ، أَيْ بِيضُ
مَوَاضِعِ الْوُضُوءِ مِنَ الْوَحْهِ وَالْأَيْدِي وَالْأَقْدَامِ ، اسْتَعَارَ أَثَرُ الْوُضُوءِ فِي الْوَحْهِ وَالْيَدَيْنِ وَالرِّجْلَيْنِ مِنَ الْبَيَاضِ
الَّذِي يَكُونُ فِي وَحْهِ الْفَرَسِ وَيَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ .

فلا يضبطها إلا مَنْ ضَبَطَ نَفْسَهُ بِعِقَالٍ ، واستعاض صدأه بصِقَالٍ ^(١) ، وإن
 تراخى قَهَقَرٌ ^(٢) الباعُ ، وسَرَقَتْهُ الطَّبَاعُ ، وكان لما سواها أضيّع ، فشمل الضياع .
 والزكاة أختها الحبيبة ، ولَدَتْهَا الْقَرِيبَةُ ، مفتاح السعادة بالعرض الزائل ،
 وشكران المسئول على الضدِّ من درجة السائل ، وحق الله تعالى في مال من
 أغناه ، لمن أجهده في المعاش وعَنَاه ^(٣) ، من غير استحقاق مَلء يده وإخلاء يد
 أخيه ، ولا عِلَّةَ إِلَّا الْقَدَرُ الَّذِي يُخَفِّيه ، وما لم ينله حظَّ الله تعالى فلا خَيْرَ فيه ،
 فامسحوا بتفريقها للحاضر لإخراجها ، في اختيار عَرْضِهَا وَتِاجِهَا ، واستحيوا
 من الله تعالى أَنْ تَبْخَلُوا عَلَيْهِ بَعْضُ مَا بَدَّلَ ، وخالفوا الشيطان كلما عَدَلَ ،
 واذكروا خروجكم إلى الوجود لا تَمْلِكُونَ ، ولا تدرون أين تسلكون ،
 فوهب وأقدر ، وأورد بِفَضْلِهِ وَأَصْدَرَ ، ليرتَّب بكرمه الوسائل ، أو يقيم
 الحجج والدلائل ، فابتغوا إليه الوسيلة بماله ، واعتَمُوا رضاه ببعض نَوَالِهِ .
 وصيام رمضان عبادة السرِّ الْمُقَرَّبَةِ إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ، الْمُحَوَّضَةِ ^(٤) لمن يعلم السِّرَّ
 وَأَخْفَى ، مؤكَّدة بصيام الجوارح عن الآثام ، والقيام بِيَرِّ الْقِيَامِ ، والاجتهاد
 وإيثار الشَّهَادِ ، على المهاد ، وإن وَسِعَ الْعَتَاكُفُ فهو من مُنَنِّهِ الْمَرْعِيَّةِ ، ولواحقه
 الشرعية ، فبذلك تَحَسَّنَ الْوَجْهُ ، وتحصل من الرِّقَّةِ على ما ترجوه ، وتذهب
 فسوة الطباع ، ويمتد في مَيْدَانِ الْوَسَائِلِ الْبَاعِ ، والحج مع الاستطاعة الركن
 الواجب ، والفرض على العين لا يَحْجِبُهُ الْحَاجِبُ ، وقد بين رسول الله صلى الله
 عليه وسلم قدره فيما فرض عن ربه وسَنَّهُ ، وقال : « ليس له جزاء عند الله إلا

[١] صواب البارة « واستعاض صدأه صقالا » يقال : استبدل الشيء غيره إذا أحده مكانه (ومه

تري أن الاء داحلة على التزوك) واعتاضه به واستعاضه (والباء كي) .

[٢] قهقر وقهقرى : رجع القهقرى . [٣] أقمه . [٤] الخالصة .

الجنة ، ويلحق بذلك الجهاد في سبيل الله تعالى إن كانت لكم قوة عليه ، وغنى لديه ، فكونوا ممن يسمع تقيده ويطيعه ، وإن عجزتم فأعينوا من يستطيعه . هذه عُمْدُ الاسلام وفروضة ، وتقود مهْره وعُرُوضه ، فحافظوا عليها تعيشوا مبرورين ، وعلى من يُدَاوِيكُمْ ^(١) ظاهرين ، وتَلَقَّوْا الله لامبديلين ولا مغيِّرين ، ولا تضيعوا حقوق الله فتهلكوا مع الخاسرين .

واعلموا أن بالعلم تستعمل وظائف هذه الألقاب ، وتَجَلَّى حَاسِنُهَا من بعد الانتقاب ^(٢) ، فعليكم بالعلم النافع دليلاً بين يدي السامع ، فالعلم مفتاح هذا الباب ، والموصِّل إلى الباب ، والله عز وجل يقول : « قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ، إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ » والعلم وسيلة النفوس الشريفة ، إلى المطالب النيفة ، وترطبه الخشية لله تعالى والخيفة ، وخاصةً الملأ الأعلى ، وصفة الله في كتبه التي تتلى ، والسبيل في الآخرة إلى السعادة ، وفي الدنيا إلى النجاة ^(٣) مادة ، والنَّخْر الذي قليله يشفع ، وكثيره ينفع ، لا يغلبه الغاصب ، ولا يسلبه العدو المناصب ، ولا يترزه الدهر إذا نال ، ولا يستأثر به البحر إذا هال ، من لم ينلّه فهو ذليل ، وإن كثرت آماله ، وقليل ، وإن جمَّ ماله ، وإن كان وقته قد فات اكتسابكم ، وَتَخَطَّى حِسَابُكُمْ ، فالتمسوه لبنىكم ، واستدرِكُوا منه ما خرج عن أيديكم ، واتمِّلُوهُم على جمِّعه ودَرْسه ، واجعلوا طباعهم تَرَى لِعَرْسِهِ ، واستسهِلُوا ما ينالهم من تعبٍ مِن جَرَاهِ ^(٤) ، وسهِّرْ بهجر له الجفن كَرَاهِ ، تَعَقِّدُوا لهم ولاية عز لا تُعْزَلْ ، وَتُحِلُّوهم متابة رفعة لا يُحِطْ فارغها ولا يُسْتَنْزَلْ ، واختاروا العلوم التي يتعقبها الوقت ، فلا ينالها

[١] يداويكم ، وظاهرين : قالين . [٢] أى بعد الاحتفاء ، من انتفت المرأة لست القاب .
[٣] محله : أعطاه ، والاسم النحلة . [٤] يقال : فعلت ذلك من جرّاء ومن جرّاه بالتحديد ويحفان ، ومن جريرته : أى من أجله ، والكبرى : اليوم .

في غيره^(١) المقت ، وخير العلوم علوم الشريعة ، وما نجمَ مِنَّا بِهَا المريعة^(٢) ،
من علوم لسان لا تستغرق الأعمارَ فصولها ، ولا يضايق ثمراتِ المعاد حصولها ،
فإنها هي آلات لغير ، وأسباب إلى خير منها وخير ، فمن كان قابلاً للزيادة ،
وألقي فهمه ذات قياد ، فليخصَّ تجويد القرآن بتقدمه ، ثم حفظ الحديث ومعرفة
صحيحه من منقبه ، ثم الشروع في أصول الفقه فهو العلم العظيم المنة ، المهدي
كنوز الكتاب والسنة ، ثم المسائل المنقولة عن العلماء الجلة ، والتدرج في
طرق النظر بصحيح الأدلة ، وهذه هي العاية القصوى في الملة ، ومن قصر
إدراكه عن هذا المرزى ، وتعاقد عن التي هي أسمى ، فليزِر الحديث بعد تجويد
الكتاب وإحكامه ، وليقرأ المسائل الفقهية على مذهب إمامه ، وإياكم والعلوم
القديمة ، والفنون المهجورة النعيسة ، فأكثرها لا يفيد إلا تشكيكا ، ورأيا
ركيكا ، ولا يُشمر في العاجلة إلا اقترام العيون ، وتطريق الظنون ، وتطويق
الاحتقار ، ورسمة الصغار ، وخمول الأقدار ، والخسف من بعد الإبدار ، وجادة
الشريعة أغرق في الاعتدال ، وأوفق من قطع العمر في الجدال ، هذا ابن
رشد^(٣) قاضي مصر ومفتيه ، وملتبسُ الرشد ومؤليه ، عادت عليه بالسُّخطة

[١] غير النهر : أحداثه الميرة ، والمسير فيه يود على الوقت . [٢] المحضة .

[٣] هو أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن رشد ، أعظم فلاسفة الأندلس وأطبائها ، ولد سنة ٥٢٠ هـ
ودرس علوم الدين والفلسفة والطب ، واتصل بيوسف بن عبد اللّو من رعم اللوحدين ، وشرح له فلسفة
أرسطو ، وقد ولاء قضاء إشبيلية ، ثم استدعاه إلى مراکش ، وحله طبيب الحاص ، ثم حله قاضي القضاة
قرطبة ، ولما ولي بعده ابنه الدور بالله عت مكانة ابن رشد عنده ، فأثار ذلك حسد خصومه ، فكادوا
له عند السلطان واتهموه أنه يحمي القرآن ، ويشتط الفلسفة وعلوم الأوائل بدلا من علوم الدين ، وبصر
مذهب القدماء في القول بالوهمية مع الكواكب ، فزله للصوم من قضاء قرطبة ، ثم تعا عنه ،
واستدعاه إلى مراکش ، ولم يطل مقامه بها ، فمات سنة ٥٩٥ هـ ، وقد ترجم أكثر كتبه إلى اللغات
الأجنبية ، وعليها عول الأوروبيون في تهافتهم الحديثة .

الشيعة ، وهو إمام الشريعة ، فلا سبيل إلى اقتحامها ، والتورط في ازدحامها ، ولا تخلطوا جامكم ^(١) بجامها ، إلا ما كان من حساب ومِساحة ، وما يعود بِمَجْدَوِي فلاحه ، وعلاج يرجع على النفس والجسم براحة ، وما سوى ذلك فمُحْجُور ، وَضَرَمَ ^(٢) مَسْجُور ، وممقوت مهجور ، وأمرؤا بالمعروف أمراً رفيقاً ، وانتهوا عن المنكر نهياً حَرِيّاً بالاعتدال حَقِيقاً ، وَأَغْبِطُوا مَنْ كَانَ مِنْ مِثْنَةِ الْعُقَلَةِ مُفِيقاً ، واجتنبوا ما تُنْهَوْنَ عَنْهُ حَتَّى لَا تَسْلُكُوا مِنْهُ طَرِيقاً ، وأطيعوا أمر من ولّاه الله تعالى من أموركم أمراً ، ولا تَقْرَبُوا مِنَ الْفِتْنَةِ جَمْعاً ، ولا تُدَاخِلُوا فِي الْخِلَافِ زَيْدًا وَلَا عُمَرَا ، وعليكم بالصدق فهو شعار المؤمنين ، وَأَهْمُ مَا أَصْرَى ^(٣) عَلَيْهِ الْآبَاءُ أَلْسِنَةُ الْبَيْنِ ، وَأَكْرَمُ مَنْسُوبٍ إِلَى مَذْهَبِهِ ، وَمَنْ أَكْثَرَ مِنْ شَيْءٍ عُرِفَ بِهِ ، وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ ، فهو العَوْرَةُ الَّتِي لَا تُوَارَى ، وَالسَّوْءَةُ الَّتِي لَا يُرْتَابُ فِي عَارِهَا وَلَا يُتَمَارَى ، وَأَقْلُ عَقُولَاتِ الْكَذَابِ ، بَيْنَ يَدَيَّ مَا أَعَدَّ اللَّهُ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ ، أَنْ لَا يَقْبَلَ صِدْقُهُ إِذَا صَدَقَ ، وَلَا يَبُولَ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ بِالْحَقِّ نَاطِقٌ ، وعليكم بالأمانة فالحيانة لَوْمٌ ، وفي وَحْيِ الدِّيَانَةِ كَلُومٌ ^(٤) ، ومن الشريعة التي لَا يُعْذَرُ بِجَهْلِهَا ، أداء الأمانات إلى أهلها ، وحافظوا على الْحِشْمَةِ وَالصِّيَانَةِ ، وَلَا تَجْزُوا مَنْ أَقْرَضَكُمْ دِينَ الْخِيَانَةِ ، وَلَا تَوْجِدُوا لِلْعَذْرِ قَبُولًا ، وَلَا تُقَرِّبُوا عَلَيْهِ طَبْعًا مَحْيُولًا ، وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنْ الْعَهْدُ كَانَ مَسْئُولًا ، وَلَا تَسْتَأْثِرُوا بِكَثْرٍ وَلَا خَزْنٍ ، وَلَا تَذْهَبُوا لِغَيْرِ مَنَاصِحَةِ الْمُسْلِمِينَ فِي سَهْلٍ وَلَا حَزْنٍ ، وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ فِي كَيْلٍ أَوْ وَزْنٍ ، وَاللَّهُ اللَّهُ أَنْ تُعِينُوا فِي سَفْكَ الدِّمَاءِ

[١] الحام - إزاء من دعة . [٢] جمع صرمة بالتحريك وهي الحمرة والبار ، وسحر الثور : أحماه

[٣] صرى بالشئ : كتب : اعتاده وأولع به ، ويعدى بالهزم والتصنيف ، ويقال : أصريته وصريته :

لئى أغريته به . [٤] الكلوم جمع كلم بالفتح وهو المرح .

ولو بالإشارة أو الكلام ، أو ما يرجع إلى وظيفة الأقلام ، واعلموا أن الإنسان في
فُسْحَةٍ ممتدة ، وَسُبُلُ اللَّهِ تَعَالَى غير مُتَسَدِّة ، ما لم يَنْبِذْ إلى اللَّهِ تَعَالَى بِأَمَانِهِ ،
وَيَمَسَّ الدَّمَّ الحَرَامَ يَدَهُ أَوْ لِسَانَهُ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ : الَّذِي هَدَى بِهِ
سَنًّا قَوِيًّا ، وَجَلَّى مِنَ الْجَهْلِ وَالضَّلَالِ لَيْلًا بَهِيًّا : « وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا
فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا ، وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا » ،
واجتناب الزنا وما تعلق به ، مِنْ أَخْلَاقٍ مَنْ كَرُمَتْ طِبَاعُهُ ، وامتد في سبيل
السعادة بآعِهِ ، لو لم تلتق نورَ اللَّهِ الذي لم يَهْدِ شُعَاعُهُ ، فَالْحَلَالُ لم تَضِقْ عَنْ
الشهوات أنواعُهُ ، وَلَا عُدِمَ إِقْنَاعُهُ ، وَمَنْ غَلَبَتْ غَرَائِزُ جَهْلِهِ ، فَلْيَنْظُرْ : هل
يَحِبُّ أَنْ يُزْنِيَ بِأَهْلِهِ ؟ وَاللَّهُ قَدْ أَعَدَّ لِلزَّانِي عَذَابًا وَبِيلًا ، وَقَالَ : « وَلَا تَقْرَبُوا
الزَّانَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا » ، والحرَامُ الكَبِيرُ ، ومفتاح الجرائم
والجرائر ^(١) ، وَاللَّهُ لم يجعله في الحياة شرطًا ، والمحرم قد أغنى عنه بالحلال
الذي سَوَّغَ وَأَعْطَى ، وقد تركها في الجاهلية أقوامٌ لم يَرْضَوْا لعقولهم بالفساد ،
وَلَا لِنَفْسِهِمْ بِالْمُضَرَّةِ فِي مَرْضَاةِ الْأَجْسَادِ ، وَاللَّهُ تَعَالَى قَدْ جَعَلَهَا رِجْسًا مُحَرَّمًا
عَلَى الْعِبَادِ ، وَقَرَّتْهَا بِالْأَنْصَابِ وَالْأَزْلَامِ فِي مُبَايَنَةِ السَّدَادِ ^(٢) ، وَلَا
تَقْرَبُوا الرِّبَا ، فَإِنَّهُ مِنْ مَنَاهِي الدِّينِ ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ : « وَذَرُّوا مَا بَقِيَ
مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ » . وَقَالَ : « فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ
وَرَسُولِهِ » فِي الْكِتَابِ الْمِينِ ، وَلَا تَأْكُلُوا مَالَ أَحَدٍ بِغَيْرِ حَقٍّ يُبَيِّحُهُ ، وَاتْرَعُوا

[١] الحرائر جمع حريرة : وهي الحرمة .

[٢] يشير إلى قوله تعالى : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْحَرَمُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ

رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ »

الطَّعْمُ ^(١) عن ذلك حتى تذهب ريحُه ، والتمسوا الحلال يَسْتَعْنِي فِيهِ - م ي
قَدَمَهُ ، وَلَا يَكِلُ خِيَارَهُ إِلَّا لِلتَّقَى مِنْ خَدَمِهِ ، وَلَا تَلَجُّوا إِلَى الْمُتَشَابِهِ إِلَّا عِنْدَ
عَدَمِهِ ، فَهُوَ فِي السُّلُوكِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى أَصْلُ مَشْرُوطٍ ، وَالْمَحَافِظُ عَلَيْهِ مَغْبُوطٌ ، وَإِيَّاكُمْ
وَالظُّلْمَ ، فَالظُّلْمُ مَمْقُوتٌ بِكُلِّ لِسَانٍ ، مُجَاهِرِ اللَّهِ تَعَالَى بِصَرْحِ الْعِصْيَانِ ، « وَالظُّلْمُ
ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » كما ورد في الصَّحَاحِ الْحَسَنِ ، وَالنِّمِةُ فَسَادٌ وَشَتَاتٌ ،
لَا يَبْقَى عَلَيْهِ مُنَاتٌ ^(٢) ، وَفِي الْحَدِيثِ : « لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَتَاتٌ ^(٣) » وَاطَّرَحُوا
الْحَسَدَ ، فَمَا سَادَ حَسُودٌ ، وَإِيَّاكُمْ الْغِيبةَ : فَبَابُ الْخَيْرِ مَعَهَا مَسْدُودٌ ، وَالْبُخْلُ ، فَارْتَضَى
الْبُخْلُ وَهُوَ مَوْجُودٌ ، وَإِيَّاكُمْ وَمَا يُعْتَذَرُ مِنْهُ ، فَوَاقِعُ الْخِزْيِ لَا تُسْتَقَالُ عَثَرَاتُهَا ،
وَمَظَنِّاتُ الْفَضَائِحِ لَا تُؤْمَنُ غَمَرَاتُهَا ، وَتَقْقَدُوا أَنْفُسَكُمْ مَعَ السَّاعَاتِ ، وَأَفْشُوا
السَّلَامَ فِي الطَّرِيقَاتِ وَالْجَمَاعَاتِ ، وَرِقُّوا عَلَى ذَوِي الزَّمَانَاتِ ^(٤) وَالْعَاهَاتِ ، وَتَاجَرُوا
مَعَ اللَّهِ بِالصَّدَقَةِ يُرِيحُكُمْ فِي الْبِضَاعَاتِ ، وَعَوَّلُوا عَلَيْهِ وَحْدَهُ فِي الشَّدَائِدِ ، وَاذْكُرُوا
الْمَسَاكِينَ إِذَا نَصَبْتُمْ الْمَوَائِدَ ، وَتَقَرَّبُوا إِلَيْهِ بِالْيَسِيرِ مِنْ مَالِهِ ، وَاعْلَمُوا أَنَّ الْخَلْقَ
عِيَالُ اللَّهِ ، وَأَحَبُّ الْخَلْقِ إِلَيْهِ الْمُحْتَاطُ لِعِيَالِهِ ، وَارْعَوْا حَقُوقَ الْجَارِ ، وَاذْكُرُوا
مَا وَرَدَ فِي ذَلِكَ مِنَ الْآثَارِ ، وَتَعَاهَدُوا أَوْلَى الْأَرْحَامِ ، وَالْوَشَائِحِ ^(٥) الْبَادِيَةِ
الْإِتْحَامِ ، وَاحْذَرُوا شَهَادَةَ الزُّورِ : فَإِنَّهَا تَقْطَعُ الظُّهْرَ ، وَتُفْسِدُ السَّرَّ وَالْجَهْرَ ،
وَالرِّشَاءَ ، فَإِنَّهَا تَحْطُّ الْأَقْدَارَ ، وَتُسْتَدْعَى الْمَذَلَّةُ وَالصُّغَارُ ، وَلَا تَسَاحَوْا فِي لُعبةِ
قَمَرٍ ^(٦) . وَلَا تَسَارِكُوا أَهْلَ الْبَطَالَةِ فِي أَمْرِ ، وَصُونُوا الْمَوَاعِيدَ مِنَ الْإِخْلَافِ ،
وَالْأَيْمَانَ مِنْ حَنْثِ الْأَوْغَادِ وَالْأَجْلَافِ . وَحَقُوقُ اللَّهِ تَعَالَى مِنَ الْإِزْدِرَاءِ

[١] الطعم : الشهوة . [٢] المنات : ما يمتنع أي جوسل . [٣] المنات : النمام .

[٤] الزمان : العاهة .

[٥] الوشائح جمع وشيعة : وهي اشتراك القرابة . [٦] قمر : قماره في لعب القمار .

والاعتساف، ولا تلهجُوا بالآمالِ العِجافِ^(١) ولا تَكَلَّفُوا بالكهانة والإرجاف،
 واجعلوا العمر بين معاشٍ ومعاد ، وخصوصيةً وابتعاد ، واعلموا أن الله سبحانه
 بالمرصاد، وأن الخلق بين زرع وحصاد، وأقلوا بغير الحالة الباقية الهموم ، واحذروا
 القواطع عن السعادة كما تُحذَرُ السُّموم ، واعلموا أن الخير أو الشر في الدنيا مُحالٌ
 أن يدوم ، وقابلوا بالصبر أذيةً المؤذنين ، ولا تعارضوا مقالات الظالمين ، فالله لمن
 بُغِيَ عليه خيرُ الناصرين ، ولا تستعظموا حوادث الأيام كلما نزلت ، ولا تضيِّجُوا
 للأمراض إذا أغضَلت ، فكلُّ مُنْقَرِضٍ حقير ، وكلُّ مُنْقَضٍ وإن طال قصير ،
 وانتظروا الفرج ، وانتشِقُوا من جناب الله تعالى الأريج^(٢) ، وأوسعُوا بالرجاء
 الحوائج ، واجنَحُوا إلى الخوف من الله تعالى فَطُوبَى لِعَبْدٍ إِلَيْهِ جَانِحٌ ، وتضرَّعوا
 إلى الله تعالى بالدعاء ، وألجئُوا إليه في البأساء والضراء ، وقابلوا نعم الله تعالى
 بالشكر الذي يقيّد به الشارد ، وَيَعَذِّبُ الوارد ، وَأُسْهِمُوا^(٣) منها للمساكين
 وأفضوا عليهم ، وعيَّنُوا الحُظُوظَ منها لديهم ؛ فمن الآثار: « باعائشة أحسن جوار
 نعم الله ، فإنها قلما زالت عن قوم فعادت إليهم » ، ولا تطفنوا في النعم وتقصروا
 عن شكرها ، وتغلبكم^(٤) الجهالة بِسُكْرِها ، وتوهّموا أن سميعكم جَلَبَها ، وَجِدَّكم
 حَلَبَها ، فالله خير الرازقين ، والعاقبة للمتقين ، ولا فِئْلُ إِلَّا اللهُ إذا نُظِرَ بين
 اليقين ، والله الله لا تَنَسُوا الفضلَ بينكم ، ولا تَذْهَبُوا بذهابه زَيْنكم ، وليتزم
 كل منكم لأخيه ، ما يشتد به تَوَاحِيه ، بما أمكنه من إخلاص وَبَرٍّ ، ومراعاةٍ
 في علانية وسرٍّ ، وللإنسان مزية لا تُجْهَلُ ، وحق لا يُهْمَلُ ، وأظهروا التعاضد

[١] الصاف جمع عجماء : وهي للمهرولة . [٢] الأريج : توهج ريح الطيب .

[٣] أسهم له : أعطاه سهماً . [٤] في الأصل : « وتغلبكم » ، وأراد محرفاً عن « وتطدكم » .

والتناصر، وصلوا التعاهد والتزاور، تَرَعْمُوا بذلك الأعداء، وتستكثروا الأوداء، ولا تتنافسوا في الحظوظ السخيفة، ولا تتهاوشوا تهاوش السباع على الجيفة، واعلموا أن المعروف يكدّر بالامتنان، وطاعة النساء شرّ ما أفسد بين الإخوان، فإذا أسديتم معروفا فلا تذكروه، وإذا برز قبيح فاستروه، وإذا أعظم النساء أمراً فاحقرّوه، والله الله لا تنسوا مقارضة سَجَلِي^(١)، وبرّوا أهل مودتي من أجلي، ومن رزق منكم مالا بهذا الوطن القلق المهاد، الذي لا يصلح لغير الجهاد، فلا يستهلكه أجمع في المقار، فيصبح عرضة للمذاة والاحتقار، وساعياً لنفسه - إن تغلب العدو على بلده - في الافتضاح والافتقار، ومعوقاً عن الانتقال، أمام الثوب الثقيل، وإذا كان رزق العبد على المولى، فالإجمال في الطلب أولى، وازهدوا جهدكم في مصاحبة أهل الدنيا، تغيّر لها لا يقوم بشرّها، ونعمها لا يقوم بضرّها، وأعقاب من تقدّم شاهدة، والتواريخ لهذه الدعوى عاصدة، ومن بُلي بها منكم فليستظهر بسعة الاحتمال، والتقلّل من المال، وایحذر معاداة الرجال، وتزلّات الإدلال. وفساد الخيال، ومداخلة العيال، وإفشاء السر، وسكر الاعتار، فإنه دأب النیر، وليصنّ الديانة، ويؤثر الصمت ويلزم الأمانة، ويسر من رضا الله على أوضح الطرق، ومهما اشتبه عليه أمران قصّد أقربهما إلى الحق، وليقف في التماس أسباب الجلال دون الكمال غير النقصان. والزارع تسالم اللذن^(٢) اللطيف من الأعصان، وإياكم وطلب الولايات وغبة واستجلاباً، واستظهاراً على الخطوب وعيلاً، فذلك صرر بالمروءات والأقدار، داخ إلى الفضيحة والعار، ومن أمّتحن بها منكم اختياراً، أو جبر عليه إكراهاً

[١] المجل : النصيب . والمعنى : إياكم مديون لي بما قدمت لكم من معروف، ولا تنسوا أن تردّوه لي بإكرام من أودّه . [٢] اللذن اللين .

وإثارة ، فليتلق وظائفها بسعة صدره ، ويبدل من الخير فيها ما يشهد أن قدرها دون قدره ، فالولايات فتنة ومحنة ، وأسروا إخنة ، وهي بين إخطاء سعادة ، وإخلال بعبادة ، وتوقع عزل ، وإدالة ^(١) بإزاء بيع جد بهزل ، ومزلة قدم ، واستتباع ندم ، ومآل العمر كله موت ومعاد ، واقتراب من الله وابتعاد ، جعلكم الله ممن تقع بالتبصير والتنبيه ، ومن لا ينقطع بسببه عمل أيه ، هذه - أسعدكم الله - وصيتي التي أصدرتها ، وتجارتني التي لربكم أدرتها ، فتلقوها بالقبول لنصحها ، والاهتداء بضوء صبحها ، وبقدر ما أمضيت من فروعها ، واستغشيت من دروعها ، اقتنيت من المناقب الفاخرة ، وحصلت على سعادة الدنيا والآخرة ، وبقدر ما أضعت لآلتها النفيسة القيم ، استكثرت من بواعث الندم ، ومهما سئتم إبطالها ، واستغزرت مقالها ، فاعلموا أن تقوى الله فذلك ^(٢) الحساب ، وضابط هذا الباب ، كأن الله خليفتي عليكم في كل حال ، فالدنيا مناخ ارتحال ، وتأميل الإقامة فرض محال ، فالموعد للالتقاء ، دار البقاء ، جعل الله من وراء خطته النجاة ، وتفق بضائعها المزجاء ^(٣) ، بلطائفه المرتجاة ، والسلام عليكم من حبيبكم المودع ، والله سبحانه يُلثمه ^(٤) حيث شاء من شمل متصدع ، والدم محمد بن عبد الله بن الخطيب ورحمة الله وبركاته . (مع الطيب ٤ : ٤١٩)

١٨ — خطبة وعظية له

وصدر عنه على لسان واعظ :

« الحمد لله الولي الحميد ، المبدئ المعيد ، البعيد في قربه من العبيد ، القريب

[١] الإدالة : العلة . [٢] تلك حماه كدحرج : أنباء وفرع منه ، محترعة من قوله إذا أحل حسابه : تلك كدا وكدا . [٣] ساعة مرحة : رديئة أو قلية يرد لها ويدعها من رآها رغبة عنها ، وهي السلة تقيفاً : روحها . [٤] لأم المحرج والصدع كقطع والألم : سده .

في بعده وهو أقرب من حبل الوريد ^(١) ، مُنحى ربوع العارفين بنحيات حياة التوحيد ، ومُفني قوس الزاهدين بكنوز احتقار الافتقار إلى العَرْض الزهيد ، ومُخلص خواطر المُحَقِّقِينَ من سجون دُجُون ^(٢) التقييد ، إلى فُسْح التجريد ، نَحْمَدُه وله الحمد المتظمة دُرُرُه في سُلوْك الدوام ، ومُموط ^(٣) التأيد ، حَمْد من نَزَره أحكام وَحْدَانِيَّتِه ، وأعلام فَرْدَانِيَّتِه ، عن مَرَابِط التقييد ، ومَخَابِط الطَّبْع البليد ، ونشكره شكر من افتتح بِشكره أبواب المزيد ، ونشهد أنه الله الذي لا إله إلا هو شهادة تخطى بها معالم الخلق ، إلى حضرة الحق ، على كِبِد التفريد ، ونشهد أن محمداً عبده ورسوله قِلَادَة الْجِيد المَجِيد ، وهلال العيد ، وقَدْ لَكَة الحساب وبيت القَصِيد ، المخصوص بنشور الإدلال ^(٤) ، وإقطاع الكمال ، بين مقام المراد ومقام المرید ، الذي جعله السبب الأوصل في نَجَاة الناجي وسعادة السعيد ، وخاطب الخلائق على لسانه الصادق بِمُجَبِّي الوعد والوعيد ، فكان مما أوحى به إليه ، وأنزل الملك به عليه ، من الذكر الحميد ، ليأخذ بِالْحِجْزِ ^(٥) والأطواق من العذاب الشديد : « وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلَّمَ مَا تَوْسُو بِهِ نَفْسَهُ ، وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ، إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشَّمَالِ قَعِيدٌ ، مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ، وَجَاءَتْ مَكْرَتُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ ، وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ ، وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَنَهِيدٌ ، لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا

[١] عرق في العنق. [٢] أي طلام التقييد ، والمجون جمع دجن مفتح : وهو لباس العير الأرض وأقطار السماء. [٣] مموط جمع ممط بالكسر : وهو حيط العظم. [٤] أدل عليه : وثق بمحتة. [٥] الحيز جمع حرة كعرصة : وهي مقعد الإزار ، ومن الراويل موضع التكة.

فَكشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ» ، صلى الله عليه وعلى آله صلاة
تقوم ببعض حقه الأكيد ، وتُسرَى إلى تربيته الزكية من ظهور المواجد الجائية
على البريد :

فعدتُ لتذكير ، ولو كنتُ منصفاً لذكرتُ نفسي فهي أحوجُّ للذكري
إذا لم يكن مني لنفسي واعظٌ فبليت شعري كيف أفل في الأخرى ؟
آه ، أي وعظ بعد وعظ الله تعالى يا أحبابنا يُسمع ، وفي ماذا - وقد تبين الرشدُ
من النفي - يُطمع ؟ يا من يُعطى ويمنع ، إذا لم تُقيم الصنعة فماذا نصنع ؟ أنجمعنا
بقلوبنا يا من يُفرِّق ويجمع ، وَلَيِّنْ حَدِيدَهَا بِنَارِ خَشْيَتِكَ ، فقد استعاذ بنبك
صلى الله عليه وسلم من قلب لا يَخْشَع ، ومن عين لا تَدْمَع : اعلما رحمكم الله أن
الحكمة ضالة المؤمن يأخذها من الأقوال والأحوال ، ومن الجماد والحيوان ، وما
أملأه اللَّوَانُ ^(١) ، فإن الحق نور لا يضاهيه أن صدر من الحامل ، ولا يقصر
بحموله احتقار الحامل ، وأنتم تدرون أنكم في أطوار سفر لا تستقر لها دون
الغاية رحلة ، ولا تنأى معها إقامة ولا مهلة ، من الأصلاب إلى الأرحام إلى
الوجود ، إلى القبور إلى النشور إلى إحدى دارى البقاء ، أفى الله شك ؟ فلو
أبصرتم مسافراً في البرية يبنى ويفرش ، ويمهد ويعرش ، ألم تكونوا تضحكون
من جهله ، وتعجبون من ركاكة عقله ؟ والله ما أموالكم ولا أولادكم ،
وشوائكم عن الله ، التي فيها اجتهدكم ، إلا بقاء سفر ^(٢) في قفر ، أو إعراس في
ليلة نقر ^(٣) ، كأنكم بها مطرحة تغبر فيها المواشي ، وتنبو العيون عن خبرها

[١] اللوان : الليل والنهار .

[٢] السفر : جماعة للسافرين . [٣] أعرس القوم وعرسوا : برلوا في آخر الليل للاستراحة ،

وهر الخاج من مى كصرت مرأ وضورا . الطرج ٣ ص ١٢١ .

المتلاشي « إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ ، وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ » ما بعد
 المقييل إلا الرحيل ، ولا بعد الرحيل إلا المنزل الكريم ، أو المنزل الويل ، وإنكم
 تستقبلون أهوالا ، سكرات الموت بواكير حسابها ، وعتب أبوابها ، فلو
 كشف الغطاء عن ذرة منها ، لذهلت العقول وطاشت الأبواب ، وما كل
 حقيقة يشرحها الكلام ، « يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ، فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ
 الدُّنْيَا ، وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ » ، أفلا أعددتُم لهذه الوزطة حيلة ، وأظهرتم
 للاهتمام بها مخيلة^(١) ؟ أتعويل على عفوه مع المقاطعة ؟ وهو القائل في مقام
 التهديد : « إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ » ، أأمننا من مكروهه مع المنابذة ؟ « وَلَا يَأْمَنُ
 مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ » أطمعنا في رحمته مع المخالفة ؟ وهو يقول :
 « فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ » ، أُمسأفة ومائدة ؟ « وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ
 شَدِيدُ الْعِقَابِ » ، أشكنا في الله ؟ فتعالوا نُعيد الحساب ، ونقرر العقد ، ونُصِف
 بدعوة الحق (أو غيرها) من اليوم ، يُفقد عقد العقد عند التساهل بالوعيد^(٢) ،
 فالعاقب يُذمى الأصبع الوجعة ، والعارف يضمّد لها مبدأ العصب .

هكذا هكذا يكون التعامى هكذا هكذا يكون الغرور

« يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ » وما عدا
 مما بدا ، ورسولكم الحريص عليكم الرؤوف الرحيم يقول لكم : « الْكَافِرُ
 مَنْ دَانَ نَفْسَهُ ، وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ : وَالْأَحْمَقُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا ، وَتَمَنَّى
 عَلَى اللَّهِ الْأَمَانِي » ، فعلام بعد هذا المعول ، وماذا يتأول ؟ اتقوا الله تعالى في

[١] الحيلة الطي . [٢] أي أن للراء إذا لم يجب لوعيد الله حسابا ، واسترحل في اعتذار لمعاصي
 واللوائح ، أفضى ذلك إلى رلة القيدة ، ولو أنه كان حالم الإيمان لارعوى عما مضى عنه .

تقومكم وأنصحوها ، واغتنموا فرص الحياة وارتجوها ، « أَنْ تَقُولَ نَفْسُ
يَا حَسْرَتًا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ ، وَإِنْ كُنْتُ لِمِنَ السَّخِرِينَ » ، وتنادى
أخرى : « هَلْ إِلَى مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلٍ ؟ » ، وتستغيث أخرى : « يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ
فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ » ، وتقول أخرى : « رَبِّ أَرْجِعُونِي » ، فرحِمَ
الله من نظر لنفسه ، قبل غروب شمسهِ ، وقَدَّم لِنَعْدِهِ من أمسه ، وَعَلِمَ أَنَّ الحياة
تَجْرُؤُ إلى الموت ، والنفلة تقود إلى القوت ، والصحة مَرَكَبُ الألم ، والشبيبة
سفينة تقطع إلى ساحل الهرم .

وإن شاء قال بعد الخطبة :

« إخواني ، ما هذا التواني ؟ والكَلَفُ بالوجود الفاني ، عن الدائم الباقي ،
والدهر يقطع الأماني ، وهادمُ اللذات قد شرع في تقض المباني ، ألا معتبر في
عالم هذه المعاني ، ألا مرتحل عن مغايب هذه المغاني ^(١) ؟

أَلَا أُذُنٌ تُصْنِي إِلَى سَمِيعَةٍ أَحَدَّثَهَا بِالصَّدَقِ مَا صَنَعَ الْمَوْتُ
مَدَدْتُ لَكُمْ صَوْتِي فَأَوَّاهُ حَسْرَةً عَلَى مَا بَدَأَ مِنْكُمْ فَلَمْ يُسْمَعْ الصَّوْتُ
هُوَ الْقَدَرُ الْآتِي عَلَى كُلِّ أُمَّةٍ فَتَوَبُوا سِرَّاءَ قَبْلِ أَنْ يَقَعَ الْقَوْتُ
يَا كَلِيفًا بِمَا لَا يَدُومُ ، يَا مَفْتُونًا بِغُرُورِ الوجودِ المَعدومِ ، يَا صَرِيحَ جِدَارِ الأجلِ
المهدومِ ، يَا مُشْتَغِلًا بَيْنَانِ الطَّرِيقِ قَدْ ظَهَرَ الْمُنَاخُ وَقَرُبَ الْقُدُومُ ، يَا غَرِيقًا فِي
فِي بَحَارِ الأملِ مَا عَسَاكَ تَعُومُ ! يَا مُعَلَّلَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ ، وَلَمَعَ السَّرَابِ ^(٢) ،
لَا بَدَأَ تَهْجُرُ الْمَشْرُوبَ وَتَتْرَكَ الْمَطْعُومَ ، دَخَلَ سَارِقُ الأجلِ بَيْتَ عَمْرٍ ،
فَسَلَبَ الدِّشَاطَ وَأَنْتَ تَنْظُرُ ، وَطَوَى الْبَسَاطَ وَأَنْتَ تُكْرَبُ ^(٣) ، واقتلع جواهر

[١] المعاني جمع معنى وهو القتل .

[٢] السراب : ما يرى وسط النهار كأنه ماء . [٣] كرهه المم كنصر : اشتد عليه .

الجوارح ، وقد وقع بك النهب ، ولم يبقَ إلا أن يجعل الوسادة على أنفك ويقعد .

لو خُفِّفَ الوجدُ عني دعوتُ طالبِ ناري

« كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا » ، كيف التَّراخي والفوتُ مع الأنفاس يُنتظر ، كيف الأمان وهاجم الموت لا يُبقي ولا يذر ، كيف الركون إلى الطمع الفاضح وقد صَحَّ الخبر ؟ من فكَّر في كرب الخمار ^(١) تنغصت عنده لذة النبيذ ، من أَحَسَّ بلفظ ^(٢) الحريق فوق جداره ، لم يُصغِر بصوته لِنِعْمَةِ العود ، من تَيَقَّنَ بذلَّ العزلة ، هان عليه ترك الولاية .

ما قامَ خيرُك يا زمانُ بشره أولى لنا ما قلَّ منك وما كفى
أوحى الله سبحانه إلى موسى صلوات الله وسلامه عليه : أن ضع يدك على متنِ ثور ، فبعدد ما حادثه من شعره تعيش سنين ، فقال : يارب وبعد ذلك ؟ قال : تموت ، قال : يارب فالآن .

رأى الأمرُ يُفْضَى إلى آخرِ فصيرَ آخره أولاً

إذا شعرت نفسك بالميل إلى شيءٍ فأعرض عليها غصّة فراقه « لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنِّي نَفْسٌ ، وَيَحْيِيَ مَنْ حَيَّ عَنِّي نَفْسٌ » فالمفروح به هو المحزون عليه ، أين الأبواب مرؤوا ؟ فبالت شعري أين استقروا ؟ استكانوا والله واضطربوا ، واستغاثوا من سبقتك ^(٣) بأوليائهم ففرؤوا ، وليتهم إذ لم ينفعوا ما صرؤوا ، فالمنازل من بعدهم خالية خاوية ، والعروش ذابلة ذاوية ، والعظام من بعد التفاصيل متشابهة متساوية ، والمساكن تنذب في أطلالها الذئبُ العاوية

[١] الخمار : صناع الخمر وأدائها . [٢] أي رمية . [٣] هكذا في الأصل ، ولكن يمكن أن يقول : « واستكان من سبقتك أوليائهم » إلا أن يجرح على أن « من » متبداً مؤخر كما في قوله تعالى : « ثُمَّ نَحْنُ نَعْمُوا وَصَعَوْا كَثِيرٌ مِنْهُمْ » وقوله : « وَأَسْرَعُوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا » أو « من » بدل من واد الجلالة .

صَحْتُ بِالرَّبِّعِ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَيْتَ شِعْرِي أَيْنَ يَمُضِي الْغَرِيبُ ؟
وَيَجْتَنِبُ الدَّارَ قَبْرُ جَدِيدٍ مِنْهُ يَسْتَسْقِي الْمَكَانُ الْجَدِيبُ
خَافَنَ قَلْبِي فِيهِ عِنْدَ النَّجَاحِ قُلْتُ : هَذَا الْقَبْرِ فِيهِ الْحَيِّبُ ^(١)
لَا تَسْأَلُ عَنْ رَجْعَتِي كَيْفَ كَانَتْ إِنَّ يَوْمَ الْبَيْنِ يَوْمَ عَصِيبُ
بِاقْتِرَابِ الْمَوْتِ عَلَّتْ نَفْسِي بَعْدَ إِلَنِي ، كُلُّ آتٍ قَرِيبُ
أَيْنَ الْمَعْمَرُ الْخَالِدُ ، أَيْنَ الْوَلَدُ أَيْنَ الْوَالِدُ ، أَيْنَ الطَّارِفُ أَيْنَ التَّالِدُ ، أَيْنَ الْمَجَادِلُ أَيْنَ
الْمُجَالِدُ ؟ هَلْ تَحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ؟ ^(٢) وَجْوهَ عَلاهُنَّ الثُّرَى ،
وَصَحَائِفُ تُقْفَضُ ، وَأَعْمَالٌ عَلَى اللَّهِ تُعْرَضُ ، بَحَثَ الزُّهَادُ وَالْعُبَادُ ، وَالْعَارِفُونَ
وَالْأَوْتَادُ ، وَالْأَنْبِيَاءُ الَّذِينَ يُهْدَى بِهِمُ الْعِبَادُ ، عَنْ سَبَبِ الشَّقَاءِ الَّذِي لَا مَعَادَةَ
بَعْدَهُ ، فَلَمْ يَجِدُوا إِلَّا الْبُعْدَ عَنْ اللَّهِ تَعَالَى ، وَسَبَبَهُ حُبُّ الدُّنْيَا ، « لَنْ تَجْتَمِعَ أُمَّتِي
عَلَى ضَلَالَةٍ » .

هَجَرْتُ حَبَائِي مِنْ أَجْلِ لَيْلِي فَمَا لِي بَعْدَ لَيْلِي مِنْ حَيِّبٍ
وَمَاذَا أُرْتَجَى مِنْ وَصْلِ لَيْلِي مَسْجُزِي بِالْقَطِيعَةِ عَنْ قَرِيبٍ
وَقَالُوا : مَا أوردَ النَّفْسَ الْمَوَارِدُ ، وَفَتَحَ عَلَيْهَا بَابَ الْخَفِّ إِلَّا الْأَمَلُ ، كَلِمَا قَوْمَتِهَا
مُنَاقِفُ الْحُدُودُ ، فَنَحَ لَهَا أَرْكَانَ الرُّخَصِ كَلِمَا عَقَدَتْ صَوْمَ الْعَزِيمَةِ ، أَهْدَاهَا
طُرْفُ الْغُرُورِ فِي أَطْبَاقٍ « حَتَّى وَإِذَا وَلَكِنْ وَرُبَّمَا » فَأَفْرَطَ الْقَلْبُ فِي تَقْلِيلِهَا
حَتَّى أَفْطَرَ :

مَا أَوْيَقَ الْأَنْفَسَ إِلَّا الْأَمَلُ وَهُوَ غُرُورٌ مَا عَلَيْهِ عَمَلُ
يَفْرُضُ مِنْهُ الشَّخْصُ وَهَمَّامَالَهُ حَالٌ ، وَلَا مَاضٍ ، وَلَا مُسْتَقْبَلُ

[١] لَحَى وَالْحَى وَالْتَمَحَ : إِذَا أَصْرَهُ سَطَرَ حَمِيف . [٢] الزَّكْر : الصَّوْتُ الْحَيُّ .

ما فوق وجه الأرض نفس حية إلا قد اتقن عليها الأجل
لو أنهم من غيرها قد كونوا لا مثلاً السهل بهم والجبل
ما تم إلا لقم قد هيئت للموت، وهو الأكل المستعجل
والوعد حق، والورى في غفلة قد خودعوا بما جل وصلوا
أين الذين شيدوا واغترسوا ومهدوا واقرشوا وظلوا؟
أين ذوو الراحة زادت حسرة إذ جنبوا إلى الثرى وانتقلوا^(١)
لم تدفع الأحباب عنهم غير أن بكوا على فراقهم وأغولوا
الله في نفسك أولى من له ذخرت نصحا وعتابا يقبل^(٢)
لا تركنها في غمى وخيرة عن هول ما بين يديها تنقل
حقرها الفانى، وحاول زهدها وشوقها إلى الذى تستقبل
وفد إلى الله بها مضطرة حتى ترى السير عليها يسهل^(٣)
هو الفناء، والبقاء بمسده والله عن حكته لا يسأل
يا قرّة العين ويا حسرتها يوم يؤفى الناس ما قد عملوا

باطرد^(٤) المخالفة، أنكم مدركون فاستبقوا باب التوبة، فإن رب تلك الدار يجبر ولا
يُجار عليه « فإذا أميتم فاذكروا الله كما هداكم »، يا طفيلية الهمة، دُسوا
أنفسكم بزمر التائين، وقد دُعوا إلى الله دعوة الحبيب، فإن لم يكن أكل فلا
أقل من طيب الولية، قال بعض العارفين : إذا عقد التائبون الصلح مع الله
تعالى، انتشرت رعايا الطاعة في عمالة الأعمال، « وأشرقت الأرض بنور ربها »

[١] حه : دعه . [٢] أى اتق الله فى ملك الذى هو أولى . . . الخ .

[٣] قد : أمر من وعد أى اقم . [٤] الطريدة : ما طردت من صيد أو غيره .

وَوَضَعَ الْكِتَابُ ، معاني هذا المجلس والله نَسِيمٌ سَحَرٍ ، إذا أَسْتَشَقَّهُ مَخْمُور
 الثَّقَلَةُ أَفَاق ، سَعُوطٌ ^(١) هذا الوعظ يَنْقُضُ ^(٢) إِنْ شَاءَ اللَّهُ زَكَمَةَ الْبَطَالَةِ ، إِنْ
 الَّذِي أَنْزَلَ الدَّاءَ أَنْزَلَ الدَّوَاءَ ، إِكْسِيرٌ ^(٣) هذا الكتاب يَلْقَبُ بِحِكْمَةِ جَابِرٍ ^(٤) ،
 الْقُلُوبِ الْمُنْكَسِرَةِ عَيْنٍ مِنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ « إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى
 يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ » إِلَهِي دُلَّنَا مِنْ حَيَرَةٍ يَضِلُّ فِيهَا - إِلَّا إِنْ هَدَيْتَ - الدَّلِيلُ ،
 وَأَجْرُنَا مِنْ غَمْرَةٍ ^(٥) وَكَيْفَ - إِلَّا بِإِغَاثَتِكَ - السَّبِيلُ ، نفوسٌ صَدَى مِنْ مَرٍّ
 الْأَزْمَانِ مِنْهَا الصَّقِيلُ ، وَنَبَاً يَجْنُوبُهَا عَنِ الْحَقِّ الْمَقِيلُ ، وَأَذَانٌ أَنْهَضَهَا الْقَوْلُ
 الثَّقِيلُ ، وَعَثَرَاتٌ لَا يَقْبَلُهَا إِلَّا أَنْتَ يَا مُقِيلَ الْعَثَرَاتِ يَا مُقِيلَ ، أَنْتَ حَسْبُنَا
 وَنَعْمُ ^(٦) الْوَكِيلُ . (مع الطب ٤ : ٨٥)

١٩ - وصية موسى بن سعيد العنسى ^(٧) لابنه

قال أبو الحسن علي بن موسى بن محمد بن عبد الملك بن سعيد العنسى :

لما أردت النهوض من نهر الإسكندرية إلى القاهرة ، أول وصولي إلى

[١] في الأصل « سوط » وأراه محرفاً عن « سعوط » كما يدل عليه سياق الكلام ، والسعوط : الدواء
 يصب في الأف . [٢] في الأصل « يمس » وأراه « ينقص » أي يذهب .
 [٣] الإكسير : الكيمياء .

[٤] يريد حار بن حيان . قال ابن القطبي في تاريخ الحكماء في ترجمته : « هو حار بن حيان الصوفي
 الكوفي ، وكان مقدماً في العلوم الطبيعية ، وفي صناعة الكيمياء . . . الخ » وذكره ابن ريدون في
 رسالته الهرلية ، فقال : « وأظهرت حار بن حيان على سر الكيمياء » قال ابن مائة في شرح البيوت :
 « وأما حار بن حيان المذكور فلا أعرف له ترجمة صحيحة في كتاب يعتمد عليه ، وهذا دليل على قول
 أكثر الناس إنه اسم موضوع وصحة للصنع في هذا الفن ، وورعوا أنه كان في زمن حمير الصادق ،
 وأنه إذا قال في كتبه : قال لي سيدي ، وصفت من سيدي ، فإنه يعني به حميراً الصادق » وقد قدمنا لك
 أن حميراً الصادق توفي سنة ١٤٨ هـ .

[٥] العمرة : الشدة . [٦] أورد القرطبي في مع الطب لسان الدين عفيف ذلك كلاماً آخر في الوعظ
 وهو على نمط ما أوردناه لك فاطره هناك إن شئت .

[٧] هو الكاتب الشهير أبو عمران موسى بن محمد بن عبد الملك بن سعيد العنسى ، من سلالة
 عمار بن ياسر رضي الله تعالى عنه ، وقد توفاه ابن هود ملك الأندلس ، وولاه الجزيرة الحضرية ، وهو

الإسكندرية، رأى أبي أن يكتب لي وصية أجعلها إماماً في الغربية، فبقى فيها أياماً إلى أن كتبها عنه، وهي هذه :

أودِعْكَ الرَّحْمَنُ فِي غُرْبَتِكَ	مُرْتَقِباً رُحْمَاهُ فِي أَوْبَتِكَ
وَمَا اخْتِيَارِي كَانَ طَوْعَ النَّوَى	لَكِنِّي أَجْرِي عَلَى بُعَيْتِكَ ^(١)
فَلَا تُطِلْ حَبْلَ النَّوَى ، إِنِّي	وَاللَّهِ أَشْتَاقُ إِلَى طَلْعَتِكَ
مَنْ كَانَ مَفْتُونًا بِأَبْنَائِهِ	فَإِنِّي أَمْنَعْتُ فِي خَيْرَتِكَ
فَاخْتَصِرِ التَّوْدِيْعَ أَخْذًا ، فَمَا	لِي نَاطِرٌ يَقْوَى عَلَى فُرْقَتِكَ
وَاجْعَلْ وَصَاتِي نُصْبَ عَيْنٍ ، وَلَا	تَبْرَحْ مَدَى الْأَيَّامِ مِنْ فِكْرَتِكَ
خُلَاصَةَ الْعَمْرِ الَّتِي حُنَّكَتْ	فِي سَاعَةِ زُفَّتْ إِلَى فِطْنَتِكَ ^(٢)
فَللتَّجَارِبُ أُمُورٌ إِذَا	طَالَعَتَهَا تَشَحَّدُ مِنْ غَفْلَتِكَ
فَلَا تَنْمَ عَنْ وَغِيهَا سَاعَةً	فَإِنهَا عَوْنٌ إِلَى يَقْظَتِكَ ^(٣)
وَكُلُّ مَا كَابَدْتَهُ فِي النَّوَى	إِيَّاكَ أَنْ يَكْسِرَ مِنْ هِمَّتِكَ
فَلَيْسَ يُدْرِي أَصْلُ ذِي غُرْبَةٍ	وَإِنَّمَا تُعْرِفُ مِنْ شَيْعَتِكَ

من رحل من علماء الأندلس إلى الشرق، وتوفي بالإسكندرية سنة ٦٤٠ هـ ص ٦٧ طاما . وكان أبوه محمد وزيراً حليلاً عيّد الصيت، عالي الذكر، ربيع الهمّة، كثير الأموال، وكان ذا خطوة لدى الموحدين، وولى لهم أعمالاً كثيرة بمراكش وإشبيلية وعرناطة، واتصلت ولايته على أعمال عرناطة، وكان من شيوخها وأعيانها .

وكان حده عبد الملك بن سعيد صاحب قلعة بني سعيد تحت طاعة علي بن يوسف بن تاشفين ملك البربر، إلى أن استند بها سنة ٥٣٩ هـ .

وابنه أبو الحسن علي هو منتم كتاب : « العرب في أحبار العرب »، وكان السبب في تأليفه هو حده عبد الملك بن سعيد، ثم تلمه ابنه محمد بن عبد الملك، ثم تلم ما تقي منه ابنه موسى بن محمد، ثم أربى على الجميع في إتمامه علي بن موسى، وقد ذكر في خطته أنه بدأ فيه من سنة ٥٢٠ هـ، وستماء إلى عرناطة سنة ٦٤١ هـ، وكان مولد أبي الحسن بمرناطة سنة ٦١٠ هـ، ووفاته بتونس سنة ٦٨٥ هـ [١] النوى : العدد . [٢] حكى : أحكى . [٣] البقعة بالتحريك وسكنه لتعمر .

وكل ما يُقْضَى لِمُذْرٍ فَلَا
ولا تجالِسَ مَنْ فُشَا جَهْلُهُ
ولا تجادلْ أبداً حاسِداً
وامشِ الهَوَيْنَى مظهرًا عِفَّةً
أَفْشِ التحِيَّاتِ إِلَى أَهْلِهَا
وَأَنْطِقْ بِحَيْثُ الْعِيُ مُسْتَقْبَحٌ
ولا تَزَلْ مُجْتَمِعًا طَالِبًا
وَكَلِمَا أَبْصَرْتَهَا أَمَكَنْتَ
وَلِجْ عَلَى رِزْقِكَ مِنْ بَابِهِ
وَأَيَّاسٌ مِنَ الْوَدِّ لَدَى حَاسِدٍ
وَوَفَّرِ الْجَهْدَ ، فَمَنْ قَصَدُهُ
وَوَفَّ كَلًّا حَقَّهُ ، وَلَتَكُنْ
وَلَا تَكُنْ تَحْقِرُ ذَا رُبَّةٍ
وَحَيْثَا خَيَّمتَ فَاقْصِدْ إِلَى
وَالرِّزَابِ وَثُبَّةً ، مَا لَهَا
وَلَا تَقُلْ : (أَسْلَمْتُ لِي وَحَدَّثَنِي)
وَأَلْتَزِمِ الْأَحْوَالَ وَزَنًا وَلَا
وَلِتَجْعَلَ الْعَقْلَ مُحْكَمًا ، وَخُذْ
واعتبرِ النَّاسَ أَلْفَاظَهُمْ
تَجْعَلُهُ فِي الْغَرِيبَةِ مِنْ إِرْبَتِكَ^(١)
وَأَقْصِدْ لِمَنْ يَرْغَبُ فِي صَنِيعِكَ
فَإِنَّهُ أَدْعَى إِلَى هَيْئَتِكَ
وَأَبْغِ رِضَا الْأَعْيُنِ عَنْ هَيْئَتِكَ
وَنَبِّهِ النَّاسَ عَلَى رُبَّتِكَ
وَاصْمُتْ بِحَيْثُ الْخَيْرُ فِي سَكَتِكَ
مِنْ دَهْرِكَ الْمُرُصَّةِ فِي وَثْبَتِكَ
ثَبِّ وَاثِقًا بِاللَّهِ فِي مَكْتَبَتِكَ^(٢)
وَأَقْصِدْ لَهُ مَاعِشَتَ فِي بُكْرَتِكَ
ضِدِّ ، وَنَافِسُهُ عَلَى خُطْبَتِكَ^(٣)
قَصْدُكَ لَا تَعْنِيهِ فِي بَغْضَتِكَ
تَكْسِرُ عِنْدَ الْفَخْرِ مِنْ حَدِّتِكَ
فَإِنَّهُ أَنْفَعُ فِي غُرْبَتِكَ
مُصْحَبَةٌ مِنْ تَرْجُوهُ فِي نُصْرَتِكَ
إِلَّا الَّذِي تَدَّخِرُ مِنْ عُدَّتِكَ
فَقَدْ تُقَاسِي الذَّلَّ فِي وَحْدَتِكَ
تَرْجِعْ إِلَى مَا قَامَ فِي شَهْوَتِكَ
كُلًّا بِمَا يَظْهَرُ فِي تَقَدُّتِكَ
وَأَنْصَبْ أَخَا يَرْغَبُ فِي مُصْحَبَتِكَ

[١] الإبرة : الملاحظة . [٢] للكفة جمع كسر : التمكن والقدرة ، وسكبه لشعر .

[٣] في الأصل « وأس من الود . . . » وقد أصلحته « وأياس » وهو يستقيم المعنى .

بعد اختبار منك يقضي بما
 كم من صديق مظهر نصحه
 إياك أن تقربه ، إنه
 واقنع إذا ما لم تجد مطمعا
 وأنم نموّ النبت قد زاره
 وإن نبأ دهر فوطن له
 فكل ذي أمر له دولة
 ولا تضيع زمنا ممكنا
 والشرهما أسطمت لا تاتيه
 يحسن في الآخذ من خلطتك^(١)
 وفكره وقف على عثرتك
 عون مع الدهر على كرتك
 وأطمع إذا أنعشت من عسرتك
 غيب الندى ، واسم إلى قدرتك
 جأشك ، وانظره إلى مدتك
 فوف ما وافاك في دولتك
 تذكاره يذكى لظى حسرتك
 فإنه حوز على مهجتك^(٢)

* *

يا مبنى الذى لا ناصح له مثلى ، ولا منصوح لى مثله ، قد قدمت لك فى هذا
 النظم ما إن أخطرت به بخاطرك فى كل أوان ، رجوت لك حسن العاقبة إن شاء
 الله تعالى ، وإن أخف منه للحفظ ، وأعلق بالفكر ، وأحق بالتقدم قول الأول :
 يرين الغريب إذا ما اعترب ثلاث ، فمنهن : حسن الأدب
 وثانية : حسن أخلاقه وثالثة : إجتنب الريب
 وإذا اعتبرت هذه الثلاثة ، ولزمتها فى الغربة ، رأيتها جامعة نافعة ، لا يلحقك
 إن شاء الله مع استعمالها ندم ، ولا يفارقك بر ولا كرم ، والله در القائل :
 يعدد رفيع القوم من كان عاقلا وإن لم يكن فى قومه بحبيب

[١] الخلطة مثل العشرة وروا ومسى ، والخلطة : اسم من الاختلاط ، مثل الفرقة من الافتراق .
 [٢] حظه حوزا : جمعه وضمه واملكه كاختاره اختياراً ، والمعنى : أنك إن أتيت الشر استحوذ على
 منك وملكك .

إِذَا حَلَّ أَرْضًا حَاشَ فِيهَا بِعَقْلِهِ وَمَا عَاقِلٌ فِي بِلَدِهِ بِغَرِيبٍ
وَمَا قَصَّرَ الْقَائِلُ حَيْثُ قَالَ :

وَاصْبِرْ عَلَى خُلُقٍ مِنْ تَعَاشِيرُهُ وَدَارِهِ ، فَالْيَبِ مَنْ دَارَى
وَاتَّخِذِ النَّاسَ كُلَّهُمْ سَكَنًا وَمَثَلِ الْأَرْضِ كُلَّهَا دَارًا
وَأَصْنَعْ يَا بُنَيَّ إِلَى الْبَيْتِ الَّذِي هُوَ بَقِيَّةُ الدَّهْرِ ^(١) ، وَسَلِّمِ الْكِرْمَ وَالصَّبْرَ :
وَلَوْ أَنَّ أَوْطَانَ الدِّيَارِ نَبَتْ بِكُمْ لَسَكَنْتُمُ الْأَخْلَاقَ وَالْآدَابَ ^(٢)
إِذْ حُسْنُ الْخُلُقِ أَكْرَمُ تَزِيلٍ ، وَالْأَدَبُ أَرْحَبُ مَنْزِلٍ ، وَلِتَكُنْ كَمَا قَالَ بَعْضُهُمْ
فِي أَدِيبٍ مُتَغَرَّبٍ : « وَكَانَ كُلُّهَا طَرَأً ^(٣) عَلَى مَلِكٍ ، فَكَانَتْهُ مَعَهُ وَلَدٌ ، وَإِلَيْهِ قَصْدٌ ،
غَيْرَ مُسْتَرِيبٍ بِدَهْرِهِ ، وَلَا مُنْكَرٍ شَيْئًا مِنْ أَمْرِهِ » ، وَإِذَا دَعَاكَ قَلْبُكَ إِلَى
صَحْبَةٍ مَنْ أَخَذَ بِمَجَامِعِ هَوَاهُ ^(٤) ، فَاجْعَلِ التَّكْلِفَ لَهُ سُلْمًا ، وَهُبْ فِي رَوْضِ
أَخْلَاقِهِ هَبُوبَ النَّسِيمِ ، وَحُلْ بِطَرَفِهِ حُلُولَ الْوَسَنِ ^(٥) ، وَاتَّزِلْ بِقَلْبِهِ تَزُولَ الْمَسْرَةِ ،
حَتَّى يَتِمَّ لَكَ وَدَادُهُ ، وَيَخْلُصَ فَيْكَ اعْتِقَادُهُ ، وَطَهَّرْ مِنَ الْوُقُوعِ فِيهِ لِسَانَكَ ،
وَأَغْلِقْ سَمْعَكَ ، وَلَا تُرَخِّصْ فِي جَانِبِهِ لِحْسُودَ لَكَ مِنْهُ ، يَرِيدُ إِبْعَادَكَ عَنْهُ لِمَنْفَعَتِهِ ،
أَوْ حُسُودَ لَهُ يَغَارُ لِتَجَمُّلِهِ بِصَحْبَتِكَ ، وَمَعَ هَذَا فَلَا تَغْتَرَّ بِطُولِ صَحْبَتِهِ ، وَلَا تَتَمَهَّدُ
بِدَوَامِ رَقْدَتِهِ ، فَقَدْ يَنْبُتُهُ الزَّمَانُ ، وَيُغَيِّرُ مِنْهُ الْقَلْبَ وَاللَّسَانَ ، وَلِذَا قِيلَ : « إِذَا
أُحْيِيَتْ فَأَحْبَبَ هَوْنًا مَّا ، فَنِي الْمُمْكِنِ أَنْ يَنْقَلِبَ الصَّدِيقُ عَدُوًّا ، وَالْعَدُوُّ صَدِيقًا »
وَإِنَّمَا الْعَاقِلُ مَنْ جَعَلَ عَقْلَهُ مِغْيَارًا ، وَكَانَ كَالْمَرَاةِ يَلْقَى كُلَّ وَجْهِ بِمَنَالِهِ ، وَجَعَلَ
نُصْبَ نَازِلِهِ فَوَلَّ أَبَا الطَّيِّبِ :

[١] يقال : حرة بقية : أي لا تطير لها ، وكل شيء معد يرم طيره فهو يقيم .
[٢] ما به سرله : إذا لم يواقه . [٣] طرأ عليهم كعب : أقام من مكان ، أو حرج عليهم منه خاة .
[٤] الصبر به يعود على « قلبك » . [٥] الوسن . العاس .

ولما صار ودّ الناس خبيّا جزيتُ على ابتسام بابتسام^(١)

وفي أمّال العامة : « من سبقك يوم فقد سبقك بعقل » ، فاختدِ بأمثلة من جرّب ، واستمع إلى ما خلد الماصون بعد جهدهم وتعبهم من الأقوال ، فإنها خلاصة عمرهم ، وزبدة تجاربهم ، ولا تتكلّ على عقلك ، فإن النظر فيما تعب فيه الناس طول أعمارهم ، وابتاعوه غالبا بتجاربهم ، يُرجمحك ويقع عليك رخيصا ، وإن رأيت من له مروءة وعقل وتجربة ، فاستفد منه ، ولا تضيع قوله ولا فعله ، فإن فيما تلقاه تلقيا لعقلك ، وحثا لك واهتداء .

وإياك أن تعمل بهذا البيت في كل موضع : وَالْحُرُّ يُخَدِّعُ بِالْكَلَامِ الطَّيِّبِ : فقد قال أحدهم : ما قيل أضر من هذا البيت على أهل التجمل ، وليس كل مانسح من أقوال الشعراء يحسن بك أن تتبعه حتى تدبره ، فإن كان موافقا لعقلك ، مُصْلِحًا لحالك ، فراع ذلك عندك ، وإلا فانبذه نبذ النواة ، فليس لكل أحد يُتَّبَعُ ، ولا كل شخص يُكَلِّمُ ، ولا الجود مما يُعَمُّ به ، ولا حُسن الظن وطيب النفس مما يعامل به كل أحد ، والله درّ القائل :

ومالي لا أوفي البرية قسطنها على قدر ما يُعْطَى وَعَقْلِي مِيزَانُ

وإياك أن تُعْطِيَ من نفسك إلا بقدر ، فلا تعامل الدون بعمالة الكف ، ولا الكف بعمالة الأعلى ، ولا تضيع عمرك فيمن يعاملك بالمطامع ، ويُثَبِّتُكَ على مصلحة حاضرة عاجلة ، بغائبة آجلة ، واسمع قول الأول :

وَبِعْ أَجَلًا مِنْكَ بِالْعَاجِلِ : وَأَقْلِلْ مِنْ زِيَارَةِ النَّاسِ مَا اسْتَطَعْتَ ، وَلَا تَجْفُهُمْ بِالْجَمَلَةِ ، وَلَكِنْ يَكُونُ ذَلِكَ بِحَيْثُ لَا يُلْحَقُ مِنْهُ مَثَلٌ وَلَا ضَجَرٌ وَلَا جَفَاءٌ ،

ولا تقل أيضاً : أفتدُّ في كِسْرِيَّتِي ، ولا أرى أحداً ، وأستريح من الناس ، فإن ذلك كسل دافع إلى الذل والمهانة ، وإذا علم عدوك أو صديق منك ذلك ، ماملاك بحسبه ، فازدراك الصديق ، وجسر عليك العدو ، وإياك أن يترك صاحب عن أن تدخر غيره للزمان ، وتطيعه في عداوة سواء ، ففي الممكن أن يتغير عليك ، فتطلب إغاثة غيره عليه ، أو استغناء عنه ، فلا تجد ذخيرة قدّمتها ، وكان هو في أوسع حال ، وأعلى رأي ، بما دبره بحيلته في انقطاعك عن غيره ، فلو اتفق لك أن تصحب من كل صناعة وكل رياسة ، من يكون لك عدو ، لكان ذلك أولى وأصوب ، ومثلني فإني خير ، طال - والله - ما صحبتُ الشخص أكثرَ عمري ، لأعتمد على سواء ، ولأعتمد إلا إياه ، منخدما بسرائره ، موثوقاً في حبائل خطابه ، إلى أن لا يحصل لي منه غير العَضِّ على البنان ، وقول : لو كان ولو كان ! ولا يحملُك أيضاً هذا القول أن تظنه في كل أحد ، وتعجل المكافأة ، وليكن حسن الظن بمقدار ما ، واصبر بمقدار ما ، والفطن لا يتخفى عليه تخاليل الأحوال ، وفي الوجوه دلالات وعلامات ، وأصغر إلى القائل :

ليس ذا وجهٍ من يضيف ولا يقف سري ولا يدفع الأذى عن حريم^(١)
فمن يكن له وجه مثل هذا الوجه قولٌ وجهك عنه قبلةٌ ترضاها ، وتحرص
جهذك على أن لا تصحب أو تخدم إلا رباً حشمةً ونعمة ، ومن نشأ في
رفاهية ومروءة ، فإنك تنام معه في مهاد العافية ، وإن الجياد على أعراقها^(٢)
تجري ، وأهل الأحساب والمروءات يتركون منافعهم منى كانت عليهم فيها

[١] صافه يصيه : رل ه صيفاً ، وقرى الصيف كرمى : أحسن إليه .

[٢] الأعراق جمع عرق بالكسر وهو الأصل .

وَصَمَّةٌ ، وقد قيل في مجلس عبد الملك بن مروان : أَشْرِبَ مُصْنَبُ الْجَمْرِ ؟ فقال عبد الملك - وهو عدو له محارب له على الملك - : لو عَلِمَ مُصْنَبُ أَنْ الْمَاءَ يُفْسِدُ مَرْوَتَهُ مَاشَرِيهِ ؛ وَالْفَضْلُ مَا شَهِدَتْ بِهِ الْأَعْدَاءُ .

يا بني ، وقد علمت أن الدنيا دار مفارقة وتغير ، وقد قيل : « أَصْحَبْ مَنْ شِئْتَ فَإِنَّكَ مُفَارِقُهُ » ، فمتى فارقت أحداً فعلى حُسْنِي فِي الْقَوْلِ وَالْفِعْلِ ، فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي : هَلْ أَنْتَ رَاجِعٌ إِلَيْهِ ؟ فَذَلِكَ قَالَ الْأَوَّلُ :

« وَلَمَّا مَضَى سَلَمٌ بِكَيْتٍ عَلَى سَلَمٍ ، وَإِيَّاكَ وَالْبَيْتَ السَّائِرَ :

وَكُنْتَ إِذَا حَلَلْتَ بَدَارَ قَوْمٍ رَحَلْتَ بِخَزِيَّةٍ وَتَرَكْتَ عَارَا

واحرص على ما جمع قول القائل : « ثَلَاثَةٌ تُبْقِي لَكَ الْوَدَّ فِي صَدْرِ أَخِيكَ : أَنْ

تَبْدَأَهُ بِالسَّلَامِ ، وَتَوْسِعَ لَهُ فِي الْمَجْلِسِ ، وَتَدْعُوهُ بِأَحَبِّ الْأَسْمَاءِ إِلَيْهِ » ، واحذر كل

مَآيِنِهِ لَكَ الْقَائِلُ : « كُلُّ مَا تَقْرِسُهُ تَجْنِيهِ إِلَّا ابْنَ آدَمَ ، فَإِنَّكَ إِذَا غَرَسْتَهُ يَقْلَعُكَ »

وقول الآخر : « ابْنَ آدَمَ يَتَمَسَّكُنُ حَتَّى يَتَمَكَّنَ » وقول الآخر : « ابْنَ آدَمَ

ذُئِبَ مَعَ الضَّعْفِ ، أَسَدٌ مَعَ الْقُوَّةِ » .

وإياك أن تثبت على صُحْبَةِ أَحَدٍ قَبْلَ أَنْ تُطِيلَ اخْتِبَارَهُ ، فيحكى أن ابن المقفع

خطب من الخليل صُحْبَتَهُ ، فجأوبه : « إِنْ الصُّحْبَةُ رِقٌّ ، وَلَا أَضْعُ رِقِّي فِي يَدِكَ

حَتَّى أَعْرِفَ كَيْفَ مَلَكَتُكَ ^(١) » ، وَأَسْتَمِلُ ^(٢) مِنْ عَيْنٍ مَن تَعَاثَرَهُ ، وَتَقَعْدُ

فِي فَلَتَاتِ الْأَلْسِنِ وَصَفَحَاتِ الْأُجُوهِ ، وَلَا يَحْمِلُكَ الْحَيَاءُ عَلَى السَّكُوتِ عَمَّا

[١] ملكة بالتحريك ، وملكة مثلث اللام ، وملكة مثلث الهمزة : اختراها قادراً على الاستعداد .

[٢] من استملته الكتاب : سأله أن يملأه عي ، وللمعنى : استرشد وتبين من طرائف عيبه وأحجب

لك هو أم عدو .

يضرّك أن لا تبينه ، فإن الكلام سلاح السلم ، وبالأين يُعرّف ألم الجرح ،
واجعل لكل أمر أخذت فيه غاية تجعلها نهاية لك .

وأكّد ما أوصيك به أن تطرح الأفكار ، وتسلم للأقدار .

واقبل من الدهر ما أتاك به مَنْ قرّ عيناً بعيشه نعمة

إذ الأفكار تجلب الهموم ، وتضاعف الغموم ، وملازمة القُطوب ، عنوان
المصائب والخطوب ، يستريب به الصاحب ، ويشمت العدو المُجانب ، ولا
تضدّ بالوساوس إلا نفسك ، لأنك تنصر بها الدهر عليك ، والله درّ القائل :

إذا ما كنتَ للأحزان عوناً عليك مع الزمان فمن تلوم ؟

مع أنه لا يردّ عليك الفائت الحزن ، ولا يرعوى بطول عتبك الزمن ، ولقد
شهدتُ بغيرناطة شخصاً قد ألفتَه الهموم ، وعشيقته الغموم ، من صغره إلى
كبره ، لا تراه أبداً خليّاً من فكره ، حتى لُقّب بصدر الهم ، ومن أعجب ما
رأيتُ منه أنه يتكّد في الشدة ، ولا يتعلل بأن يكون بعدها فرج ، ويتكّد في
الرخاء خوفاً من أن لا يدوم .

ويُنشِد : توقّع زوالاً إذا قيل تمّ ، ويُنشِد : وعند التناهي يقصّر المتطاوّل .

وله من الحكايات في هذا الشأن عجائب ، ومثل هذا عمره مخسور يمرّ ضياعاً .
ومتى رفعت الزمان إلى قوم يدُمّون من العلم ما تُحسِنُه حسداً لك ، وقصداً
لتصغير قدرك عندك ، وترهيداً لك فيه ، فلا يحمّلك ذلك على أن ترهّد في علمك ،
وتركّن إلى العلم الذي مدحوه ، فتكون مثل الغراب الذي أعجبه مشيُّ الحجة^(١)

[١] المحرّك : طائر على قدر الحمام كلفاً أحرّ المقار والرحلين ، والواحدة حقة ، واسم جمعه
حالي بكسر ميمون ميمج ولا خير له سوى طرقي (ومعه طرياق مفتح فكسر وهو دوية منة الريح)

فرام أن يتعلمه فصَّص عليه ، ثم أراد أن يرجع إلى مشيه فتسَّيه ، فبقي مُخْبِلَ
المشي ، كما قيل :

إن الغراب (وكان يمشي مشيةً فيما مضى من سالف الأجيال) ^(١)
حَسَدَ الْقَطَا ، وأراد يمشي مشيتها فأصابه ضَرْبٌ من الْعُقَالِ ^(٢)
فَأَضَلَّ مَشِيَّتَهُ ، وأخطأ مشيتها فلذلك سمَّوه أبا مِرْقَالٍ ^(٣)

ولا يُفْسِدُ خَاطِرُكَ مَنْ جَعَلَ يَدُومَ الزَّمانَ وأَهْلَهُ ، ويقول : « ما بَقِيَ في الدُّنيا
كَرِيمٌ ولا فَاضِلٌ ، ولا مَكَانٌ يُرْتاحُ فيه » ، فإنَّ الدِّينَ تَراحمٌ على هذه الصِّفةِ ،
أَكْثَرُ ما يَكُونُونَ مِنْ صَحْبَةِ الجِرْمانِ ، واستَحَقَّتْ طَلْعَتُهُ لِلهَوَانِ ، وَأَبْرَمُوا ^(٤)
على النَّاسِ بالسُّؤالِ فمَقْتومٌ ، وعَجَزُوا عن طلبِ الأُمُورِ مِنْ وجوهها ، فاستراحوا
إلى الوقوعِ في النَّاسِ ، وإقامةِ الأعذارِ لأنفسِهِمْ بقطعِ أسبابِهِمْ ، وتعذيرِ أُمُورِهِمْ ،
ولا تُزِلُّ هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ مِنْ فِكْرِكَ :

لِنْ إِذَا مَا نِلْتَ عِزًّا فَأَخُو الْعِزِّ يَلِينُ
فَإِذَا نَابَكَ دَهْرٌ فَكَمَا كُنْتَ تَكُونُ

وقول الآخر :

تَهْ وَارْتَفِعْ إِنْ قِيلَ أَقْسَرُ ، وَانْحَقِضْ إِنْ قِيلَ أَثَرَى ^(٥)
كَالْغَصَنِ يَسْفُلُ مَا أَكْتَمَى نَمْرًا ، وَيَعْلُو مَا تَعَرَّى

[١] هذا البيت ليس مشتقاً في الأصل ، وقد أورده الحميري مع البيتين بعده في حياة الحيوان
الكبرى ٢ : ٢٤٤ . [٢] العقال : داء في رجل العالة إذا مشى طلع ساعة ثم اعسط .
[٣] من أرفقت العالة إنا أسرع . [٤] أورد العمل لارما وهو متعد ، جاء في كتب اللغة :
« أرمه مرم كرم وترم : أله دل » . [٥] أقر : اضر .

ولا قول الآخر :

الخير يَبْقَى وإن طال الزمانُ به والشرُّ أَخْبَثُ ما أُوْعِيَتْ مِنْ زاد
واعتمد في الناس ما قاله القائل :

وَمَنْ يَلْقَ خَيْرًا يَحْمَدِ النَّاسُ أَمْرَهُ وَمَنْ يَلْقَ لَا يَعْدَمُ عَلَى النَّفَى لَأَمَّا
وقريب منه قول القائل :

بِقدر الصُّعُودِ يَكُونُ الْمَبْوَطُ فإياك والرَّثَبَ الْعَالِيَةَ
وكن في مكانٍ إذا ما سَقَطْتَ تقومُ وربلاك في عافية
وَتَحْفَظْ بما تَضَمَّنَهُ قول الآخر :

ومن دما الناسَ إلى ذمِّه ذمُّه بالحقِّ وبالباطلِ
ولله درُّ القائل .

ما كلُّ ما فوق البسيطة كافياً فإذا قَنِعْتَ فكلُّ شيءٍ كافٍ
والأمثال يَضْرِبُهَا لَدَى الْقَبِّ الْحَكِيمُ ، وذو الْبَصَرِ يَمْشِي عَلَى الصُّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ ،
وَالْفِطْنِ يَقْنَعُ بِالْقَلِيلِ ، وَيَسْتَدَلُّ بِالْيَسِيرِ ، وَاللَّهُ سَبْحَانَهُ خَلِيقَتِي عَلَيْكَ ،
لَا رَبَّ سِوَاهُ . (مع الطيب ١ : ٤٩٣)

٢٠ - خطبة ابن الزيات المنزوعة الألف (توفي سنة ٧٢٨ هـ)
وخطب أحمد بن الحسن بن علي بن الزيات ^(١) خطبة ألغيت الألف من
حروفها على كثرة تردها في الكلام ، وهي :

[١] هو أحمد بن الحسن بن علي بن الزيات الخطيب التصوف ، من أهل بلش مائة ولد سنة ٦٤٩ هـ ،
وتوفي سنة ٧٢٨ هـ . قال فيه لسان الدين بن الخطيب : « كان يفتح مجالسه أكثر الأحياء محط عريفة ،
يطلق بها معاصِل الأعراض التي يشرع فيها ، ويظم الشعر دائماً في مراحته ومحابته وإحارته من غير
تأن ولا روية ، حتى اعتاده ملكة ، واستعمل في العبارات بين اللوك لبعض السحائم ، وإصلاح الأمور ،
فكانوا يوحون حقه ، ويلتمسون بركته ودعائه » وله تصانيف كثيرة ذكرها ابن الخطيب .

« حِدَّتْ رَبِّي جَلَّ مِنْ كَرِيمٍ مَحْمُودٍ ، وَشَكَرْتُهُ عَزَّ مِنْ عَظِيمٍ مَعْبُودٍ ،
وَنَزَّهْتُهُ عَنْ جَهْلٍ كُلِّ مُلْحِدٍ كَفُورٍ ، وَقَدَّسْتُهُ عَنْ قَوْلٍ كُلِّ مُفْسِدٍ غُرُورٍ .
كَبِيرٌ لَوْ تَقَوَّمُ فِي فَهْمٍ لِحُدٍّ ^(١) ، قَدِيرٌ لَوْ تَصَوَّرُ فِي رَسْمٍ لِحُدٍّ ^(٢) ، لَوْ عَرَّتَهُ ^(٣)
فِكْرُهُ تَصَوُّرَ لَتَصَوَّرَ ، وَلَوْ حَدَّتْهُ فِكْرُهُ لَتَقَدَّرَ ^(٤) ، وَلَوْ فُهِمَتْ لَهُ كَيْفِيَّةُ لِبَطَلٍ
قِدَمُهُ ، وَلَوْ عُظِّمَتْ لَهُ كَيْفِيَّةُ لِحَصَلِ عَدَمِهِ ، وَلَوْ حُصِرَ فِي ظَرْفٍ لَقُطِعَ بَتَجَسُّمِهِ ،
وَلَوْ قَهَرَ وَصَفَ لَصُدِعَ ^(٥) بِتَقْسُّمِهِ ، وَلَوْ قُرِضَ لَهُ شَبَحَ لَرَهِقَهُ ^(٦) كَيْفٌ .
عَظِيمٌ مِنْ غَيْرِ تَرْكِيبٍ قُطِرَ ، عَلِيمٌ مِنْ غَيْرِ تَرْتِيبٍ فِكِرَ ، مَوْجُودٌ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ
يُنْسِكُهُ ، مَعْبُودٌ مِنْ غَيْرِ وَهْمٍ يُذَكِّرُهُ ، كَرِيمٌ مِنْ غَيْرِ عَوَاضٍ يُلْحَقُهُ ، حَكِيمٌ مِنْ
غَيْرِ عَرَضٍ يُلْحَقُهُ ^(٧) ، قَوِيٌّ مِنْ غَيْرِ سَبَبٍ يَجْمَعُهُ ، عَلِيٌّ مِنْ غَيْرِ سَبَبٍ يَرْفَعُهُ ،
لَوْ وُجِدَ لَهُ جِنْسٌ لَعُورِضٌ فِي قِيُومِيَّتِهِ ^(٨) ، وَلَوْ ثَبَّتَ لَهُ حِسٌّ لَتَوَزَعَ فِي
دَيُّومِيَّتِهِ ^(٩) .

ومنها : نَقَدَّسَ وَعَزَّ فَعْلُهُ ، وَتَنَزَّهَ عَزَّ اسْمُهُ وَفَضْلُهُ ، جَلَّ قَاهِرُ قُدْرَتِهِ ، وَعَزَّ
بَاهِرُ عِزَّتِهِ ، وَعَظُمَتْ صِفَتُهُ ، وَكَثُرَتْ مِثَّتُهُ ، فَتَقَّ وَرَتَقَ ، وَصَوَّرَ وَخَلَقَ ،
وَقَطَعَ وَوَصَلَ ، وَانْصَرَّ وَخَذَلَ ، تَحَدَّثَتْهُ تَحَدَّثَ مِنْ عَرَفَ رَبَّهُ ، وَرَهَبَ ذَنْبَهُ .
وَصَفَّتْ حَقِيقَةُ يَقِينِهِ قَلْبَهُ . وَزَكَّتْ ^(١٠) بِصِيرَةٍ دِيْبِهِ لُبَّهُ ، رَبَّطَ بِمَلِكٍ سُلُوكَهُ

[١] أى لعرّف ، من الحد : وهو التعريف . [٢] من التجديد ، أى لما رت له ذات محدودة ،
ولو أنه قال : « قديم » بدل « قدير » لاسب أن يقول عدم : « لحد » بالحيم المفتوحة أى لما ر
حديثاً حادثاً . [٣] عرّة : أى اعترة وتناولته ، وفي الأصل « عدة » بالفتح وأراه محرفاً ،
وتصوّر أى تمثّل في صورة ، يقال : صورته تصور . [٤] لتقدر : أى صار له قدر محتم ، وفي
الأصل « لتقدر » وأراه محرفاً . [٥] صدع به : جهر . [٦] رهقه : عثيه ولحقه .

[٧] يلحقه الأول : أى يئاه ويأحده ، ويلحقه الثاني بمعنى يتصف به .

[٨] انعيم : من أسماء تعالى ، أى الذى لا يد له . [٩] الدعومة : الدوام .

[١٠] زكت : طهرت .

وَشَدَّ^(١)، وَهَدَمَ صَرَحَ عُنُوهُ وَهَدَّ، وَحَرَسَ مَعْقِلَ عَقْلِهِ وَحَدَّ، وَطَرَدَ غُرُورَ غِرَّتِهِ^(٢) وَرَذَلَهُ^(٣)، عِلِمَ عِلْمَ تَحْقِيقِ فَنَحَا نَحْوَهُ، ثَقَّرَ لَهُ عَزَّ وَجَلَّ بَنُوتَ رُبُوبِيَّتِهِ وَقَدَمَهُ، وَنَعْتَقَدُ صُدُورَ كُلِّ جَوْهَرٍ وَعَرَضٍ عَنِ جُودِهِ وَكَرَمِهِ، وَنَشْهَدُ بِتَبْلِيغِ مُحَمَّدٍ صَلَى رَبُّهُ وَسَلَّمُ عَلَيْهِ، رَسُولَهُ وَخَيْرَ خَلْقِهِ، وَنُعَلِّنُ بَنُوهُضَهُ فِي تَبْيِينِ فَرْضِهِ، وَتَبْلِيغِ شَرْعِهِ، ضَرْبَ قُبَّةِ شَرْعِهِ فَتَسْخَتْ كُلُّ شَرْعٍ، وَجَدَّدَ عَزَمَتَهُ فَقَمَعَ عَدُوَّهُ خَيْرَ قَمَعٍ، قَوْمَ كُلِّ مَقُومٍ بِقَوْمٍ سَنَتِهِ، وَكَرِيمَ هَدْيِهِ، يُؤَيِّسُ لِقَوْمِهِ كَيْفَ يَرَكُونُ^(٤)، فَتَازُوا بِقَصْدِهِ وَسَدِيدِ سَعْيِهِ، بِشَرِّ مُطِيعَةٍ فَظْفَرِ بُرْجَتِهِ، وَحَذَرِ طَاصِيَةِ فَشَقِّ بِنَقْمَتِهِ.

وبعد : فقد نصحتكم لو كنتم تعقلون ، وهديتكم لو كنتم تعلمون ، بُصِّرْتُمْ لو كنتم تُبْصِرُونَ ، وَذُكِّرْتُمْ لو كنتم تَذْكُرُونَ ، ظَهَرَتْ لَكُمْ حَقِيقَةُ نَشْرِكُمْ ، وَبَرَرَتْ لَكُمْ حَقِيقَةُ خَشْرِكُمْ ، فَكَمْ تَرَكُضُونَ فِي طَلَقِ^(٥) عَفْلِكُمْ ، وَتَعْقُلُونَ عَنْ يَوْمِ بَعَثَكُمْ ، وَلِلْمَوْتِ عَلَيْكُمْ سَيْفٌ مُسَلُولٌ ، وَحُكْمٌ عَزِيزٌ غَيْرُ مُعَاوَلٍ ، فَكَيْفَ بِكُمْ يَوْمَ يَأْخُذُ كُلُّ بَذَنَبَةٍ ، وَيُخْبِرُ بِمَجْمِيعِ كَسْبِهِ ، وَيَفْرُقُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ صَحْبِهِ ، وَيَعْدَمُ نَصْرَةَ حِزْبِهِ ، وَيَشْتَغِلُ بِهِمَّةً وَكَرْبَةً ، عَنْ صَدِيقِهِ وَتَرْبِهِ ، وَتُنْشَرُ لَهُ رُقْعَةٌ ، وَتَمَيَّنَ لَهُ بُقْعَةٌ ؟ فَرَبِّحْ عَبْدٌ نَظَرَ وَهُوَ فِي مَهَلٍ لِنَفْسِهِ ، وَتُرْسَلْ فِي رَضِيٍّ عَمَلٍ جَنَّةٍ لِحُلُولِ رَمْسِهِ^(٦) ، وَكَسْرِ صَتَمِ شَهْوَتِهِ ، لِيَقْرَأَ فِي مُجَبُّوحَةٍ^(٧) قُدْسِهِ .

[١] في الأصل « وشيد » وأراه عرماً عن « شد » إدهى التي تلاثم قوله قبلها « وربط » .

[٢] المرة الملة . [٣] رذله وأرطه : عداه رذلاً .

[٤] ركن إلى الشيء ركناً : مل إليه وإطمأن ، أي بين لهم كيف يركبون إلى الحق والصواب ،

وقد كانوا من قبل يصهرون في صلاتهم ويحيطون .

[٥] يقال : جرى الهرس طقاً أو طقياً : أي شوطاً أو شوطين . [٦] الرمس : القبر .

[٧] محوكة الكفن : وسطه .

ومنها : فتنبة - ويحك - من سنتك ونومك ، وتذكر فيمن هلك من صحبتك وقومك ، هتف بهم من تعلم ، وشب عليهم منه حرق^(١) مظلم ، فخربت بصيخته ربوعهم ، وتفرقت لهوله جموعهم ، وذلك عزيزهم ، وخسى ربيعهم ، وصم سميعهم ، فخرج كل منهم عن قصره ، ورعى غير مؤسد في قبره ، فهم بين سعيد في روضة مقرب ، وبين شقي في حفرة معذب ، فاستوهب منه عز وجل عصمة من كل خطيئة ، وخصوصية بقي من كل نفس جريئة .

(الإحاطة ، في أخبار غرناطة ١ : ١٥٤)

٢١ - خطبة القاضي عياض التي ضمنها سور القرآن

وخطب القاضي أبو الفضل عياض^(٢) خطبة ضمنها سور القرآن ، فقال : « الحمد لله الذي افتتح بالحمد كلامه ، و بين في سورة البقرة أحكامه ، ومد في آل عمران والنساء مائدة الأنعام ليتم إنعامه ، وجعل في الأعراف أقوال توبة يونس وأل كتاب أخبرت آياته ، بمجاورة يوسف الصديق في دار الكرامة ، وسبح الرعد بحمده ، وجعل النار برزداً وسلاماً على إبراهيم ، ليؤمن أهل الحجر^(٣) أنه إذا أتى أمر الله سبحانه فلا كهف ولا ملجأ إلا إليه ، ولا يظلمون قلامه ، وجعل في حروف كهيعص سراً مكنوناً ، قدم بسببه طه صلى الله عليه وسلم على سائر الأنبياء ، ليظهر إجلاله وإعظامه ، وأوضح الأمر حتى حج المؤمنون

[١] الحرق : الدار ولهبها .

[٢] هو القاضي أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض ولد سنة ٤٧٦ هـ ، سنة - طه بمراكش على الساحل الشبالي - ودخل الأندلس طالباً للعلم ، وأخذ قرطبة عن جماعة ، وجمع من الحديث كثيراً ، وكان له به كبير عاية ، وكان إمام وقته فيه ، وفي النحو والفقه ، واستقصى ببلده سنة ، ثم هجر منها إلى قضاء غرناطة ، وتوفي عمراً أكثر سنة ٥٤٤ هـ ، قال القرطبي بعد أن أورد هذه الخطبة : « وفي بعض من نسبتها له شيء ، لأن من القاضي في الالاعة أعلى من هذه الخطبة ، والله تعالى أعلم » .

[٣] واد بين المدينة والشام ، وهو منازل عمود .

بِنُورِ الْفُرْقَانِ ، وَالشَّعْرَاءُ صَارُوا كَالنَّمْلِ ذُلًّا وَصَغَارًا لِعَظَمَتِهِ ، وَظَهَرَتْ قَصَصُ
الْمُنْكَبُوتِ فَأَمَّنَ بِهِ الرُّومُ ، وَأَيَقَنُوا أَنَّهُ كَلَامُ الْحَيِّ الْقَيُّومِ ، نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ
عَلَى زَيْنٍ مِّنْ وَآفَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَأَوْضَحَ لِقَمَانُ الْحِكْمَةِ بِالْأَمْرِ بِالسُّجُودِ لِرَبِّ
الْأَحْزَابِ ، فَسَبَّأَ فَاطِرُ السَّمَوَاتِ أَهْلَ الطَّاغُوتِ ، وَأَكْتَسَبَهُمْ ذُلًّا وَخِزْيًا وَحَسْرَةً
وَنَدَامَةً ، وَأَمَدَّ يُسَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَأْيِيدَ الصَّافَّاتِ ^(١) ، فَصَادَ الزُّمَرُ يَوْمَ
بَذَرِهِ ، وَأَوْقَعَ بِهِمْ مَا أَوْقَعَ حَنَادِيدُهُمْ فِي الْقَلِيبِ ^(٢) مَكْدُوسٌ وَمَكْبُوبٌ ، حِينَ
شَالَتْ بِهِمُ النِّعَامَةُ ^(٣) ، وَغَفَرَ غَافِرُ الذَّنْبِ وَقَابِلُ التَّوْبِ لِلْبَدْرَيْنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ
مَا تَقَدَّمَ وَمَا تَأَخَّرَ حِينَ قُصِّلَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ ، فَذَلَّ مِنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ
وَأَبَسَ مِنَ السَّلَامَةِ ، ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ ، وَشَغَلَهُمْ زُخْرُفُ الْآخِرَةِ
عَنْ دُخَانِ الدُّنْيَا ، فَجَنَّوْا أَمَامَ الْأَحْقَافِ ^(٤) لِقَتَالِ أَعْدَاءِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَمِينَهُ
وَشِمَالَهُ وَخَلْفَهُ وَأَمَامَهُ ، فَأَعْطُوا الْفَتْحَ وَبُوءُوا حُجْرَاتِ الْجَنَانِ ، وَحِينَ تَلَّوْا :
قَ وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ ، وَتَدَبَّرُوا جَوَابَ قَسَمِ الدَّارِيَّاتِ ^(٥) وَالطُّورِ ، لَاحَ لَهُمْ نَجْمُ
الْحَقِيقَةِ ، وَاشْتَقَّ لَهُمْ قَرَالِيْقِينَ ، فَتَافَرُوا السَّامَةَ ، ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ أَمَّنُّهُمْ الرَّحْمَنُ
إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ، وَاعْتَرَفَ بِالضَّعْفِ لَهُمُ الْحَدِيدُ ، وَهَزُمَ الْمُجَادِلُونَ ، وَأَخْرِجُوا
مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ ، يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ ، حِينَ
تَافَرُوا السَّلَامَةَ .

أَحْمَدُهُ حَمْدًا مِنْ أَمْتَحَتِهِ صُفُوفُ الْجُمُوعِ فِي تَفَقُّ التَّعَابُنِ ، فَطَلَّقَ الْحُرُمَاتِ
حِينَ اعْتَبَرَ الْمُلُوكَ وَعَامَةً ، وَقَدْ سَمِعَ صَرِيْفَ الْقَلَمِ وَكَأَنَّهُ بِالْحَاقَّةِ ^(٦) وَالْمَعَارِجِ يَمِينَهُ

[١] الْمَلَائِكَةُ تَصِفُ نَوْمَهَا لِعِبَادَةِ . [٢] الْقَلِيبُ : النَّارُ .

[٣] شَالَتْ مَنَاتِهِمْ : خَفَّتْ مَارِلُهُمْ مِنْهُ ، أَوْ تَهَرَّقَتْ كَلِمَتُهُمْ ، أَوْ دَعَتْ عَرْمَ .

[٤] وَادَّالِمِي بِهِ مَارِلُ عَادَ . [٥] الدَّارِيَّاتِ : الرِّيحُ تَدْرُو التُّرَابَ وَغَيْرَهُ .

[٦] الْحَاقَّةُ : الْبَيَامَةُ الَّتِي فِيهَا مَحَقٌّ مَا أَمُكِرَ مِنَ الْبَيْتِ وَالْخَرَاءِ .

وَشِمَالَهُ وَخَلْفَهُ وَأَمَامَهُ ، وَقَدْ نَاحَ نوحُ الْجَنِّ فَتَزَمَّلَ ^(١) وَتَذَنَّرَ فَرَقًا مِنْ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَأَنَسَ بِمُرْسَلَاتِ النَّبَأِ ، فَزَرَ الْعُبُوسَ مِنْ تَحْتِ كُورِ الْعِمَامَةِ ، وَظَهَرَ لَهُ بِالْأَقْطَارِ التَّطْفِيفُ ، فَانْشَقَّتْ بُرُوجُ الطَّارِقِ بِتَسْبِيحِ الْمَلِكِ الْأَعْلَى وَغَشِيَتْهُ الشَّهَامَةُ ، فَوَرَبَّ الْفَجْرِ وَالْبَلَدِ وَالشَّمْسِ وَاللَّيْلِ وَالضُّحَى ، لَقَدْ انْشَرَحَتْ صُدُورُ الْمُتَقِينَ ، حِينَ تَلَوْا سُورَةَ التِّينِ ، وَعَلِقَ الْإِيمَانُ بِقُلُوبِهِمْ ، فَكَلَّ عَلَى قَدَرِ مَقَامِهِ يُبَيِّنُ ، وَلَمْ يَكُونُوا بِمَنْفَكَيْنِ دَهْرَهُمْ ، لَيْلَهُ وَنَهَارَهُ وَصِيَامَهُ وَقِيَامَهُ ، إِذَا ذَكَرُوا الزَّلْزَلَةَ رَكَبُوا الْعَادِيَاتِ ^(٢) لِيَطْفُئُوا نُورَ الْقَارِعَةِ ، وَلَمْ يُلْهِمِهِمُ التَّكَاثُرُ حِينَ تَلَوْا سُورَةَ الْعَصْرِ وَالْهُمَزَةَ ، وَتَمَثَّلُوا بِأَصْحَابِ الْفِيلِ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا النَّيْتِ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ ، وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ ، أَرَأَيْتَهُمْ كَيْفَ جَعَلُوا عَلَى رءُوسِهِمُ مِنَ الْكُورِ عِمَامَةً ؟ فَالْكُوْثِرُ ^(٣) مَكْتُوبٌ لَهُمْ ، وَالْكَافِرُونَ خَذَلُوا ، وَهُمْ نُصِرُوا ، وَعُدِلَ بِهِمْ عَنْ لَهَبِ الطَّامَةِ ، وَبِسُورَةِ الْإِخْلَاصِ قَرُّوا وَسَعِدُوا ، وَبِربِّ الْفَلَقِ ^(٤) وَالنَّاسِ ، اسْتَعَاذُوا فَأَعْيَدُوا مِنْ كُلِّ حُزْنٍ وَهُمْ وَغَمٍّ وَنَدَامَةٍ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، شَهَادَةٌ تُنَالُ بِهَا مَنَازِلُ الْكِرَامَةِ ، صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ مَا غَرَّدَتْ فِي الْأَيْكِ حَمَامَةٌ . (فتح الطيب ٤ : ٣٩١)

٢٢ - خطبة سعيد بن أحمد المقرئ التي ضمنها سور القرآن

وخطب سعيد بن أحمد المقرئ ^(٥) خطبة على هذا النمط نصّها :

« الحمد لله الذي افتتح بفاتحة الكتاب سورة البقرة ، ليصطفى من آل عمران

[١] ترمل ثيابه : تلف بها ، وكذا تذر .

[٢] الخيل تندو في المروء ، والنارمة التي تهرع القلوب بأموالها .

[٣] الكوثر : نهر في الجنة . [٤] الفلق : الصبح .

[٥] هو سعيد بن أحمد المقرئ عم أحمد المقرئ صاحب فتح الطيب .

رجالاً ونساء، وقضّ لهم تقضيلاً، ومَدَّ مائدة إنعامه ورزقه، ليعرِفَ أعرافَ أقالِ
 كرمه وحقّه على أهل التوبة، وجعل ليونسَ في بطن الحوت سبيلاً، ونجّى هوداً
 من كربِه وحزنه، كما خلّص يوسف من جُبّه وسجنه، وسبّح الرعدُ بحمده
 ويَمْنه، واتَّخَذَ اللهُ إبراهيمَ خليلًا، الذي جعل في حجر الحِجرِ من النحل شراباً
 نوع باختلاف ألوانه، وأوحى إليه بخفي لطفه سبحانه، واتَّخَذَ منه كهفًا قد
 شَيَّدَ بنيانه، وأرسل رُوحَهُ إلى مريم فتَمَثَّلَ لها تمثيلاً، وفَضَّلَ طه على جميع
 الأنبياء، فأتى بالحج والكتاب المكنون، حيثُ دعا إلى الإسلام قد أفلَحَ
 المؤمنون، إذ جعل نور الفرقان دليلاً، وصَدَّقَ محمداً صلى الله عليه وسلم الذي
 عَجَزَت الشعراءُ في صِدْقِ نَعْتِه، وشهدت النملُ بصدق بَعْتِه، وَيَبَيِّنُ قصص
 الأنبياء في مُدَّةِ مَكْتَبِهِ، ونسجَ العنكبوت عليه في الفار سِتراً مَسْدُولا،
 ومِلَّتْ قلوب الروم رُعباً من هيئته، وتعلَّم لُقمان الحكمة من حِكْمَتِه، وَهَدَى
 أهل السجدة للإيمان بدعوته، وَهَزَمَ الأحزاب وسبّام وأخذه أخذاً ويلاً،
 فَلَقَبَهُ قاطِرُ السموات والأرض يسى، كما تَفَقَّدَ حكمة في الصّافّاتِ، وَيَبَيِّنُ ص
 صِدْقَه بإظهار المعجزات، وفرّق زُمَرَ المشركين، وصَبَرَ على أقوالهم وهجرهم
 هَجْراً جميلاً، ففقر له غافر الذنب ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وفُصِّلَتْ رقابُ
 المشركين إذ لم يكن أمرهم شُورَى بينهم، وزخرف منار الإسلام، وَخَفِيَ دخان
 الشرك، وخرَّتِ المشركون جاثيةً، كما أُنذِرَ أهلَ الأحقافِ فلا يهتدون سبيلاً،
 وأذلَّ الدين كفروا بشده القتال، وجاء الفتح للمؤمنين والنصر العزيز، وحجّر
 الحُجرات الحريز، وَيَقِ الْقُدْرَةَ قُتْلَ الحِراصون^(١) تَقْتِيلاً، كَلَّمَ موسى على جبل

الطُّور ، فارتقى نجم محمد صلى الله عليه وسلم ، فاقتربت بطاعته مبادئ السرور ، وأوقع الرحمن واقعة الصبح على بساط النور ، فتعجب الحديد من قوته ، وكثرة المجادلة في أمته ، إلى أن أُعيد في الحشر بأحسن مَقِيلَا ، امتحنه في صف الأنبياء وصلى بهم إمامًا ، وفي تلك الجمعة مائت قلب المناقين من التغابن خُسْرًا وإرغامًا ، فطلق وحرّم ، تبارك الذي أعطاه الملك ، وعلم بالقلم ، ورتّل القرآن ترتيلا ، وعن علم الحاقة كم سأل سائل فسأل الإيمان ، ودعا به نوح فنجاه الله تعالى من الطوفان ، وأنت إليه طائفة الجن يستمعون القرآن ، فأنزل عليه : « يَا أَيُّهَا الْمُرْسَلُ قُمْ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا » ، فكم من مُدَّتْ رِیوم القيامة شفقةً على الإنسان إذا أرسل مُرْسَلَاتِ الدِّمَعِ ، فعمّ يتساءلون أهل الكتاب ، وما تقبل من نازعات المشركين إذا عبس عليهم مالك وتولّاهم بالعذاب ، وَكَوُرت الشمس وانفطرت السماء ، وَكَانَتْ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَهِيلًا ، فَوَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ إذا انشقت السماء بالغمم ، وَطُويت ذات البروج ، وَطَرَق طَارِقُ العُثُورِ بالنفخ للقيام ، وعزّ اسم ربك الأعلى لغاشية الفجر ، فيومئذ لا بلاء ولا شمس ولا ليل طويلا ، فَطُوبَى لِلْمُصْلِينَ الضحى عند انشراح صدورهم ، إذا ما ينوا التين والزيتون وأشجار الجنة ، فسجدوا بِأَقْرَأِ اسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ هَذَا النِّعَمَ الْأَكْبَرَ لِأَهْلِ هَذِهِ الدَّارِ مَا أَحْيَا لِيَالَةِ الْقَدْرِ ، وَتَبَتَّلُوا تَبْتِيلًا ، ولم يكن للذين كفروا من أهل الكتاب من أهل الزلزلة من صديق ولا حميم ، وتسوقهم كالعاديّات إلى سواء^(١) الْجَحِيمِ ، وزلّات بهم قارعة العقاب ، وقيل لهم : أَلْهَاكُمْ التَّكَاثُرُ ، هذا عصر العقاب الأليم ، وَخُسِرَ الْمُهْزَنَةُ وَأَصْحَابُ الْفِيلِ إِلَى النَّارِ فَلَا يَظْلَمُونَ قَتِيلًا ، وقالت قريش ما أمتم من

هول الحشر، أرايت الذي يكذب بالدين كيف طُرد عن الكوثر؟ وسيق الكافرون إلى النار، وجاء نصر الله والفتح، فَبَيَّنْتَ يَدَا أَبِي لَهَبٍ: إذ لا يجد إلى سورة الإخلاص سبيلا، فنعوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ، ونعوذُ بِرَبِّ النَّاسِ مَلِكِ النَّاسِ إِلَهِ النَّاسِ مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ الذي فَسَقَ، وتوب إليه وتوكل عليه وَكُنِيَ بِاللَّهِ وَكِيلاً. (فتح الطب ٤: ٢٩٢)

٢٣ - خطبة الكفعمي التي ضمنها سور القرآن أيضا

وخطب الكفعمي ^(١) خطبة على هذا النمط أيضا نصها:

« الحمد لله الذي شرف النبي العربي بالسبع المتكاني وخواتيم البقرة، من بين الأنام، وفضل آل عمران على الرجال والنساء، بما وهب لهم من مائده الأنعام، ومنحهم بأعراف الأقاليم، وكتب لهم براءة من الآثام، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الذي نجى يوسف وهودا ويوسف من قومهم، برعد الانتقام، وغذى إبراهيم في الحجر بلعاب النحل ذات الإسرار، فضاهى كهف عريم عليها السلام، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله الذي هو طه الأنبياء، وحجج المؤمنين، ونور فرقان الملك العلام، فاشعراء والنمل بفضلته تُخَبِّرُ، ولقصص العنكبوت الروم تذكرة، ولقمان في سجدته يشكر، والأحزاب كأيادي سبأ تُقَهِّرُ، وفاطريس لصافاته يُنَصِّرُ، وصاد مقالة زمره تنظر الأعلام، قال خم بقتال فتحه في حُجُرَات قافه قد ظَهَرَتْ، وذاريات طوره ونجمه وقره قد عَطِرَتْ، وبالرحمن واقعة حديده يوم المجادلة قد نُصِرَتْ، وأبصار معانديه في الحشر يوم

[١] قال صاحب فتح الطب في ترجمته: «هو إبراهيم بن علي بن حسن بن محمد بن صالح نسبة إلى كفر عما قرية من قرى أعمال مصر كما تقول في النسبة إلى بني عبدالمبار عبدي، وإلى حسن كيفاً: حصكي».

الامتحان حَسَرَتْ ^(١) ، وَصَفَ جَمْعَهُ فَأَثَرُ إِذْ أَجْسَادُ الْمُنَافِقِينَ بِالتَّغَابُنِ اسْتَعْرَتْ ،
 بُولَهُ الطَّلَاقَ وَالتَّحْرِيمَ وَمَقَامَ الْمَلِكِ وَالْقَلَمَ ، فَذَاهِيكَ بِهِ مِنْ مَقَامٍ ، وَفِي الْحَاقَةِ ،
 أَعْلَى اللَّهِ لَهُ الْمَارِجُ نُوحَ الْمَطْهَرِ ، وَخَصَّهُ مِنْ بَيْنِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ بِأَيُّهَا الْمُرْمَلُ ،
 وَيَأَيُّهَا الْمُدْتَرُّ ، وَشَفَعُهُ فِي الْقِيَامَةِ إِذَا دَمَوْعُ الْإِنْسَانِ مُرْسَلَاتٌ كَالْمَاءِ الْمُتَفَجِّرِ ،
 وَوَجْهُهُ عِنْدَ نَبَاِ النَّازِعَاتِ وَقَدْ عَبَسَ الْوَجْهَ كَالْهَلَالِ الْمُتَوَرِّ ، وَيَوْمَ التَّكْوِيرِ
 وَالْإِنْقِطَارِ وَهَلَاكِ الْمُطْفِقِينَ وَانْشِقَاقِ ذَاتِ الْبُرُوجِ بِشَفَاعَتِهِ غَيْرِ مُتَضَجِّرٍ ، وَقَدْ
 حُرِسَتْ لِمَوْلَدِهِ السَّمَاءُ بِالطَّارِقِ الْأَعْلَى ، وَتَمَّتْ غَاشِيَةُ الْعَذَابِ إِلَى الْفَجْرِ عَلَى الْمَرَدَّةِ
 اللَّثَامِ ، فَهُوَ الْبَلَدُ الْأَمِينُ وَشَمْسُ اللَّيْلِ وَالضُّحَى الْخُصُوصُ بِإِنْشِرَاحِ الصُّدْرِ ،
 وَالْمُفَضَّلُ بِالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ، الْمُسْتَخْرَجُ مِنْ أَمْشَاجٍ ^(٢) الْعَلَقِ ، الطَّاهِرُ الْعَلِيِّ الْقَدْرِ ،
 شَجَاعُ الْبَرِيَّةِ يَوْمَ الزَّلْزَالِ ، إِذْ عَادِيَاتُ الْقَارِعَةِ تَدُوسُ أَهْلَ التَّكَاثُرِ وَمُشْرِكِي الْعَصْرِ ،
 أَهْلَكَ اللَّهُ بِهِ الْهَمَزَةَ وَأَصْحَابَ الْقَبِيلِ إِذْ مَكَرُوا بِقُرَيْشٍ وَلَمْ يَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَلَمْ
 يَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ، الْخُصُوصُ بِالْدِينِ الْحَنِيفِيِّ وَالْكَوْثَرِ السَّلْسَالِ ، وَالْمَوْيِدِ عَلَى أَهْلِ
 الْجَحْدِ بِالنَّصْرِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ مَا تَبَيَّنَ يَدَا مُعَادِيهِ ، وَنَعِمَ بِالتَّوْحِيدِ
 مُوَالِيهِ ، وَمَا أَفْصَحَ فَلَقُ الصَّبْحِ بَيْنَ النَّاسِ وَامْتَدَّ الطَّلَامُ .

(مع الطيب ٤ : ٣٩٥)



[١] حَسَرُ الصَّرْكَصَرُ : كُلُّهُ هُوَ حَيْرٌ . [٢] مَشَّحَ بَيْنَهُمَا كَصَرَبٍ : حَلَطَ ، وَالثَّيْبُ : مَشِيحٌ ،
 وَالْمَجْمَعُ أَمْشَاجُ كَيْتِمٍ وَأَيْتَامٍ .

الباب الثاني

في

خطب ووصايا مجهول عصرها أوقائلها

١ - خطبة أبي بكر بن عبد الله بالمدينة

لما ولي أبو بكر بن عبد الله المدينة ^(١) وطال مكثه عليها ، كان يبلغه عن قوم من أهلها أنهم يتالون من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإسعاف من آخرين لهم على ذلك ، فأمر أهل البيوتات ووجوه الناس في يوم جمعة أن يقرؤوا من المنبر ، فلما فرغ من خطبة الجمعة قال :

« أيها الناس : إني قاتل قولا ، فمن وعاه وأذاه فلي الله جزاؤه ، ومن لم

[١] لا أعرف هذا الاسم والياً على المدينة ، وإنما اتبعى قرأته في تاريخ الطبري أن أبا بكر بن محمد ابن عمرو بن حرم الأنصاري ولي المدينة من سنة ٩٦ إلى سنة ١٠٠ في خلافة سليمان بن عبد الملك وعمر بن عبد العزيز « انظر تاريخ الطبري ، الجزء الثامن ، حوادث السنين من ٩٦ إلى ١٠٠ » وذكر أيضاً القافضندي في صبح الأعشى « ح ٤ : ص ٢٩٦ » أن أبا بكر بن محمد هذا ولي المدينة أيام سليمان بن عبد الملك ، والطاهر أنه صاحب هذه الخطبة ، وإني لأستأنس في ذلك قوله . « وطال مكثه عليها » فقد تولاهما حسن حسين ، والمعرض الذي قيلت فيه الخطبة ، وأنت تذكر ما كان في العهد الأموي من اتساع دائرة الاختلاف الحزبي ، والصلال السياسي للعيد للدي ، وربما كان « عبد الله » اسماً آخر لأبيه محمد ، تسمى به تواضعاً ، وكان ذلك من عادة اللب المالح رصوان الله عليهم كثيراً ، انظر مثلاً كتاب عمر و صلح أهل إيليا « هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل إيليا من الأمان » . (الطبري ٤ : ١٥٩) .

يَعَهُ فَلَا يَعُدُّ مِنْ ذِمَّامِهَا ^(١) إِنْ قَصَرْتُمْ عَنْ تَهْصِيلِهِ ، فَلَنْ تَعْجِزُوا عَنْ تَحْصِيلِهِ ،
فَارْغَوْهُ أَبْصَارَكُمْ ، وَأَوْغَوْهُ أَسْمَاعَكُمْ ، وَأَشْمِرُوهُ ^(٢) قُلُوبَكُمْ ، فَاَلْمَوْعِظَةُ حَيَاةٌ ،
وَالْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ « وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ ^(٣) السَّبِيلِ » ، « وَلَوْ شَاءَ لَهَذَا كُمْ أَجْمَعِينَ »
فَاتُوا الْهَدَى تَهْتَدُوا ، واجتنبوا النِّى تَرْشِدُوا ، « وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا
الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ » ، وَاللَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ ، وَتَهَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ ، أَسْرَمَ
بِالْجَمَاعَةِ ، وَرَضِيهَا لَكُمْ ، وَنَهَاكُمْ عَنِ الْفُرْقَةِ ، وَسَخَطَهَا مِنْكُمْ ، فـ « أَتَقُوا اللَّهَ
حَقَّ تَقَاتِهِ ^(٤) وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ » ، وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا
تَفَرَّقُوا ، وَأَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ ،
فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا ، وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا ^(٥) حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ
مِنْهَا » ، جَعَلَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ مِنْ تَبِعِ رِضْوَانِهِ ، وَتَجَنَّبَ سُخْطَهُ ، فَإِنَّمَا
نَحْنُ بِهِ وَلَهُ .

وَإِنْ اللَّهُ بَعَثَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْدِّينِ ، وَاخْتَارَهُ عَلَى الْعَالَمِينَ ، وَاخْتَارَ
لَهُ أَصْحَابًا عَلَى الْحَقِّ ، وَوُزَرَاءَ دُونِ الْخَلْقِ ، اخْتَصَّاهُمْ بِهِ ، وَاتَّخَذَهُمْ لَهُ ، فَصَدَّقُوهُ
وَنَصَرُوهُ ، وَعَزَّرُوهُ ^(٦) وَوَقَّرُوهُ ، فَلَمْ يُقَدِّمُوا إِلَّا بِأَمْرِهِ ، وَلَمْ يُخْجِئُوا إِلَّا عَنْ رَأْيِهِ ،
وَكَانُوا أَعْوَانَهُ بِمَهْدِهِ ، وَخُلَفَاؤَهُ مِنْ بَعْدِهِ ، فَوَصَفَهُمْ فَأَحْسَنَ صِفَتِهِمْ ، وَذَكَرَهُمْ
فَأَثْنَى عَلَيْهِمْ ، فَقَالَ - وَقَوْلُهُ الْحَقُّ - : « مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ
عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ، تَرَاهُمْ رُكْعًا سُجَّدًا ، يَتَتَعُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ

[١] أى فلا يحرج عن حرمتها ، وتأيت الصير في « ذمامها » باعتار الموعظة أو المقالة .

[٢] أى الرقود . [٣] القصد : استقامة الطريق ، أى بيان الطريق المستقيم للوصول إلى الحق .

[٤] النفاة : القوى ، وجمعها تقي كرطة ورطب ، وأصلها وقية قلت واوها الضميمة تاء كاي تؤدة

وتحمة ، والياء ألفاً . [٥] النعا : حرف كل شيء .

[٦] التعرير : الصميم والتعظيم « وهو أيضاً أشد الصرب . صد » .

وَرِضْوَانًا ، سَيَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ، ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوَرَةِ ،
وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ ^(١) ، كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ ، فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى
عَلَى سَوْتِهِ ، يُغْشِبُ الزُّرَّاعَ ، لِيَخِيطَ بِهِمُ الْكُفَّارَ ، وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ
آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ، ، فَمِنْ غَاظِهِ كَفَرُ
وَخَابَ ، وَفَجَّرَ خَسِرَ ، وَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : « لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ
أَخْرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَسْتَغْنُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ، وَيَتَصَرُّونَ
اللَّهُ وَرَسُولُهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ، وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ
يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ ، وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا ، وَيُؤْثِرُونَ
عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ^(٢) ، وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ
الْمُفْلِحُونَ ، وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ
سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ ، وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا ، رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ
رَحِيمٌ » ، فَمِنْ خَالَفَ شَرِيطَةَ اللَّهِ عَلَيْهِ لَمْ ، وَأَمْرَهُ إِيَّاهُ فِيهِمْ ، فَلَا حَقَّ لَهُ فِي النَّفْسِ
وَلَا سَهْمَ لَهُ فِي الْإِسْلَامِ ، فِي آيِ كَثِيرَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ .

فَرَقَتْ مَارِقَةٌ مِنَ الدِّينِ ، وَفَارَقُوا الْمُسْلِمِينَ ، وَجَعَلُوهُمْ عِضِينَ ^(٣) ، وَتَشَعَّبُوا
أَحْزَابًا ، أَشَابَاتٍ وَأَوْشَابًا ^(٤) ، تَخَالَفُوا كِتَابَ اللَّهِ فِيهِمْ ، وَتَنَاءَهُ عَلَيْهِمْ ، وَأَذَوْا
رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيهِمْ ، تَخَابَوْا وَخَسِرُوا الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ « ذَلِكَ هُوَ
الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ » . « أَفَمَنْ كَانَ عَلَى يَتْنَةٍ مِنْ رَبِّهِ كَمَنْ زُرِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ

[١] أَيْ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي الْكِتَابِ ، وَالشَّطَاءُ : فَرَّاحُ الزَّرْعِ ، فَأَزَرَهُ أَيْ هَوَّاهُ ، فَاسْتَوَى عَلَى سَوْتِهِ :

أَيْ مَاتَ غَمًّا عَلَى أَصُولِهِ وَسَيْفَانِهِ . [٢] يُؤْثِرُونَ : يَصْلُونَ وَيَقْدِمُونَ ، وَالْخَصَاصَةُ : الْحَاجَةُ وَالْفَقْرُ .

[٣] جَمْعُ عِضَةٍ كَعِدَةٍ : وَهِيَ الْعِرْقَةُ وَالْقِطْعَةُ . [٤] أَشَابَاتُ جَمْعُ أَشَابَةٍ : وَهِيَ الْأَحْلَاطُ ، وَأَشْبَهُ

كَصَرَبِهِ : خَلْطُهُ ، وَالْأَوْشَابُ جَمْعُ وَشَبٍ كَحُلٍّ ، وَالْأَوْشَابُ جَمْعُ وَشَبٍ كَسَبٍ : الْأَحْلَاطُ وَالسَّلَطَةُ .

وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ؟ « مَالِي أَرَى عَيْونَنَا خُزْرًا ^(١) ، وَرِقَابَنَا صُغْرًا ^(٢) ، وَبَطُونَنَا يُجْرًا ^(٣) ، شَجَا لَا يُسِيغُهُ الْمَاءُ ^(٤) ، وَدَاءُ لَا يُشْرِبُ فِيهِ الدَّوَاءُ ، « أَقْتَضِرُ عَنْكُمْ اللَّهُ كَرِّ صَفْحًا أَنْ كُتِّمَ قَوْمًا مُتَّعِينَ؟ « كَلَّا وَاللَّهِ ، بَلْ هُوَ الْهِنَاءُ ^(٥) وَالطَّلَاءُ ، حَتَّى يَظْهَرَ الْعَذْرُ ، وَيَبُوحَ السَّرُّ ، وَيَضْحَعَ الْغَيْبُ ، وَيُسَوِّسَ الْجَنْبُ ^(٦) ، فَإِنَّكُمْ لَمْ تُخْلَقُوا عَبَثًا ، وَلَمْ تُتْرَكُوا سُذًى ، وَفِيحْكُم ! إِنِّي لَسْتُ أَنَاوِيًّا ^(٧) أَعْلَمُ ، وَلَا بَدَوِيًّا أَفْهَمُ ، قَدْ حَلَبْتُمْ أَشْطُرًا ^(٨) ، وَقَلَبْتُمْ أَبْطُنًا وَأَظْهَرًا ، فَعَرَفْتُمْ أَتْحَاءَكُمْ وَأَهْوَاءَكُمْ ، وَعَلِمْتُمْ أَنَّ قَوْمًا أَظْهَرُوا الْإِسْلَامَ بِالسُّنَنِهِمْ ، وَأَسْرَوْا الْكُفْرَ فِي قُلُوبِهِمْ ، فَضَرَبُوا بَعْضُ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَبْعَضُ ، وَوَلَدُوا الرِّوَايَاتِ فِيهِمْ ، وَضَرَبُوا الْأَمْثَالَ ، وَوَجَدُوا عَلَى ذَلِكَ مِنْ أَهْلِ الْجَهْلِ مِنْ أَبْنَائِهِمْ أَعْوَانًا يَأْذَنُونَ ^(٩) لَهُمْ ، وَيُصْنَعُونَ إِلَيْهِمْ ، مَهْلًا مَهْلًا قَبْلَ وَقْعِ الْقَوَارِعِ ^(١٠) ، وَطُولِ الرِّوَايَةِ ، هَذَا لِهَذَا وَمَعَ هَذَا ^(١١) ، فَلَسْتُ أَعْتَشِ ^(١٢) آتِيًّا وَلَا تَائِبًا ، « عَفَا اللَّهُ عَنْمَا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمِ اللَّهُ مِنْهُ ، وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ » ،

- [١] جمع خُزْرَاءٍ مؤنث أحمر وصف من الخرد بالتحريك ، وهو الطرقي أحد الثقبين .
 [٢] الصغر بالتحريك ميل في الوجه ، أو في أحد الثقبين ، أو داء في العير يلوى عقه منه ، صغر كعرج فهو أصغر . [٣] بحر بطه كعرج أيضاً فهو أعرج . عظم ، والجمع بحر كعمر .
 [٤] الشجا : ما اعتصر في الخلق من عظم ونحوه ، لا يسيغه : أى لا يجعله سائلاً من اللطيف في الخلق .
 [٥] الهيناء : الفطران ، يريد أنه يبالغهم كما تخلى الإبل الحرة في مفاطرين لمداواتها .
 [٦] طاح السرّ : طهر ، وطاح سره : أظهره ، ووضح بصره واتضح واحد ، ويسوس : أى يروّس ويدلّ ، مصعب ساسه يسوسه . يقال : سوست له أمراً إذا رويته ودلّته ، والحبس : الحبس الذى لا يفاد . [٧] الأدوى : العريب عن القوم . [٨] اقتنسه من الذل انشهور : « حلب الدهر أشطره » ولهاقة شقران ، قادمان وآحاران ، وكل جمع شطر فتح الشين - والحلب لهاقة كالصرع للبقرة - وأشطره مصوب على الدال ، فكأنه قل : حلب أشطر الدهر ، ونعى : احتدر الدهر وعرف خيره وشره . [٩] أدن له وإليه كعرج : نستعج . [١٠] اقوارع جمع قارعة : وهى الداهية العاتية ، والروائع جمع رائية ، وهى للعرعة . [١١] أى هذا الذى أتهدكم به من القوارع والروائع ، لهذا الذى تحوصون فيه ، ومقرون به . [١٢] اعتشته : طعمه .

فَأَسْرُوا خَيْرًا وَأَظْهَرُوا ، وَأَجْهَرُوا بِهِ وَأَخْلَصُوا ، فطالما مشيتم الفَهْرَى
 ناكِصِينَ ، وَلَيْعَلَّ مَنْ أَدْبَرُوا أَصْرًا أَنَّهَا مَوْعِظَةٌ بَيْنَ يَدَيِ نِقْمَةٍ ، وَلَسْتُ أَدْعُوكُمْ
 إِلَى أَهْوَاءِ تُتَّبَعُ ، وَلَا إِلَى رَأْيٍ يُتَّبَعُ ، إِنَّمَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الطَّرِيقَةِ الْمَثَلِيِّ ، الَّتِي
 فِيهَا خَيْرُ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى ، فَمَنْ أَجَابَ فَإِلَى رَشْدِهِ ، وَمَنْ عَمِيَ فَعَن قَصْدِهِ ، فَهَلُمَّ
 إِلَى الشَّرَائِعِ الْجَدَائِعِ ^(١) ، وَلَا تُؤَلُّوا عَنْ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَلَا تَسْتَبْدِلُوا الَّذِي هُوَ
 أَذْنَى ^(٢) بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ « بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا » .

إِيَّاكُمْ وَبُنَيَاتِ ^(٣) الطَّرِيقِ ، فَعِنْدَهَا التَّرْنِيقُ وَالرَّهَقُ ^(٤) ، وَعَلَيْكُمْ بِالْجَادَةِ ،
 فَهِيَ أَسَدٌ ^(٥) وَأُورَدُ ، وَدَعُوا الْأُمَانِيَّ فَقَدْ أَرَدَتْ مِنْ كَانَ قَبْلَكُمْ ، وَلَيْسَ لِلْإِنْسَانِ
 إِلَّا مَا سَعَى ، وَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَى ، وَ « لَا تَقْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ » ^(٦)
 بِعَذَابٍ ، وَقَدْ خَابَ مَنْ افْتَرَى . « رَبَّنَا لَا تُرِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا ،
 وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ » .

(نَهَايَةُ الْأَرْبِ ٧ : ٢٥٦ ، وَصَبْحُ الْأَعْيُنِ ١ : ٢٢٠)

[١] الَّذِي فِي كِتَابِ الْفَتَا : « حَذَائِ كَسَابٍ وَقَطَامٍ : السَّيِّئَةُ الشَّدِيدَةُ تَحْدَعُ بِالْمَلِّ وَتَهْبُ هـ » وَهَذِهِ
 الْكَلِمَةُ فِي الَّتِي يَسُوعُ أَنْ تَجْمَعَ عَلَى حَذَائِعٍ ، وَلَكِنَّا لَا نُنَاسِبُ لِلْقَامِ هَا ، فَطُلَّ الْأَصْلُ « الْحَوَادِجُ »
 جَمْعُ حَادِجَةٍ : وَهِيَ الْقَاطِطَةُ ، يَرِيدُ الشَّرَائِعَ الصَّحِيحَةَ لِأَنَّهَا تَقَطِّعُ الْبَاطِلَ وَتَرْهَقُهُ كَأَنَّهُ يَقُولُ : انْمُوا
 الْحِطَّةَ الْخَاسِمَةَ ، أَوْ الْحَذَائِعَ جَمْعُ حَذْوٍ كَحُجُورِ صَيْغَةٍ مُبَالِغَةٍ مِنْ حَادِجَةٍ ، وَفِي التَّلْقِينِ عَلَى نَهَايَةِ الْأَرْبِ
 « وَلِلَّهِ الْحَوَادِجُ : أَيُّ الَّتِي تَجْمَعُ الْبَاسَ عَلَى انْمَاعِهَا ، كَمَا يَدُلُّ عَلَيْهِ مَا سَبَقَ » .

[٢] أَيُّ أَحْسَنَ رَأْدُونَ قَدَرًا ، وَأَصْلُ الدَّنْوِ : الْقُرْبُ فِي الْمَكَانِ اسْتَعِيرَ لِلْحَسَةِ كَمَا اسْتَعِيرَ الْعَدُّ لِلشَّرَفِ
 وَالزَّمَّةِ ، أَوْ هُوَ مُسَبَّلٌ عَنْ أَدَاءٍ مِنَ الدَّاءِ ، وَقَدْ قُرِئَ فِي الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ : « أَنْتَسَبِدِلُونِ الَّذِي
 هُوَ أَذْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ » . [٣] بُنَيَاتُ الطَّرِيقِ : التَّرَهَاتُ (جَمْعُ تَرَهَةٍ كَقِفْرَةٍ وَهِيَ الطَّرِيقُ

الصَّغِيرَةُ الْمَشْعُوعَةُ مِنَ الْجَادَةِ ، أَيُّ اسْلَكُوا الطَّرِيقَ الْعَامَّ طَرِيقَ الْجَمَاعَةِ ، وَلَا تَفْرَحُوا فِي سِوَاهِ .

[٤] التَّرْنِيقُ : الصَّعْبُ فِي الْأَمْرِ « وَفِي الصَّرِّ وَالِدُنْ أَيْضًا » ، وَالرَّهَقُ : السَّعْيُ وَالْحَقُّ وَالْحَقَّةُ ،
 وَرُكُوبُ الصَّرِّ وَالظُّلْمِ ، وَعَشْيَانِ الْفَحْرَمِ . [٥] أَعْمَلُ ، مِنَ السَّدَادِ . [٦] أَسْحَتْ : اسْتَأْصَلَتْ .

٢ - وصية أعمى من الأزدي لشاب يقوده

عن هشام بن محمد بن السائب عن أبيه قال : رأيت ببشة^(١) رجلاً من
أزدي السراة أعمى ، يقوده شاب جميل ، وهو يقول له : « يا مُمَيَّ ، لا يغررك أن
فسح الشباب خطوك ، وخلى سربك ، وأزفة وزدك^(٢) ، فكأنك بالكبر قد
أرب ظوفاك ، وأثقل أوتاك ، وأوهن طوتك^(٣) ، وأتعب سوتك ، فهدجت
بعد المهملة ، ودجت بعد اللعجة^(٤) ، فخذ من أيام الترفية لأيام الإنزاج ،
ومن ساعات المهمة لساعة الإعجال^(٥) ، يا بن أخي : إن اغترارك بالشباب ، كالتناذك
بسمادير^(٦) الأحلام ، ثم تنقشع ، فلا تمسك منها إلا بالحسرة عليها ، ثم تُعْرِى
راحلة الصبا ، وتشرب سلوة^(٧) عن الهوى ، واعلم أن أغنى الناس يوم الفقر من
قدم ذخيرة ، وأشدهم اغتباطاً يوم الحسرة من أحسن مريرة .

(الأمل : ٢ : ٢١٦)

٣ - وصية رجل لآخر وقد أراد سفراً

عن عبد الرحمن عن عمه قال : سمعت رجلاً يوصي آخر وأراد سفراً ، فقال :

[١] ببشة : واد طريق اليمامة . [٢] السرب : الطريق والوجه ، ورمعت الإبل كسع : وردت
للماء متى شاءت ، وقد أرمعتها ورميتها بالتشديد . [٣] أرب القد : شدة ، والأربة بالعم : القدة ،
وطاب السير يطوفه : إذا داني بين قيعه ، واقبيان فتح القاف موصفا القيد من الوظيف ، والأوق :
الثقل ، والطوق : التوسع والطاقة . [٤] الهدمان كحفان وعراب : مشية الشج ، هذح كضرب ،
والهذحة : سرعة في المشي ، ودح كضرب دحياً ، مرمرأ صعباً ، واللعجة : ضرب من اللشي ،
والتردد في السحاب والمجيء ، والدحرجة . [٥] ربه عيشه ككرم فهو ربه وراه : مستريح متعم ،
وأرهبه الله ورهبه ترفياً ، ومن ساعات المهمة أي الدنيا المهمة : أي التي سترملها وتطادرها ، وربما كانت
« المهمة » [٦] السمادير : ما يترامى للإبل في يومه من الأماطيل ، وما يترامى السكران في سكره .
[٧] السلوة : اسم بمعنى السلوان . قال الأصمعي : يقول الرجل لصاحبه : « سقيني سلوة (بالفتح)
وسلوان (بالضم) » أي طبت عني عك ، ودكروا أيضاً أن السلوة والسلوانة : خرة شفاة تدفن
في الرمل فتسود فيبحث عنها ، ويقامها الإنسان فتسليه .

« آثِرْ بِعَمَلِكَ مَعَادَكَ ، وَلَا تَدَّخْ لَشَهْوَتِكَ رَشَادَكَ ، وَلِيَكُنْ عَقْلُكَ وَزِيرُكَ
الَّذِي يَدْعُوكَ إِلَى الْهُدَى ، وَيَعْصِيكَ مِنَ الرَّدَى ، أَلْجِمْ هَوَاكَ عَنِ الْفَوَاحِشِ ،
وَأُطْلِقْهُ فِي الْمَكَارِمِ ، فَإِنَّكَ تَبْرُ بِذَلِكَ سَلَفَكَ ، وَتَشِيدُ شَرَفَكَ » .

(الأمالي ١ : ٢٠٠)

٤ - وصية رجل لابنه وقد أراد الزواج

وقال بعضهم لولده وقد أراد الزواج :

« يَا بَنِي : لَا تَخِذْهَا حَتَانَةً ، وَلَا أُنَانَةً ، وَلَا مَنَانَةً^(١) ، وَلَا عُشْبَةَ الدَّارِ^(٢) ،
وَلَا كِبَّةَ النَّفَقِ^(٣) » .

(الأمالي ٢ : ٢٦٠)

٥ - وصية بعض العلماء لابنه

وأوصى بعض العلماء ابنه فقال :

« أُوصِيكَ بِتَقْوَى اللَّهِ ، وَلِتَسَعَّكَ يَتُّكَ ، وَامْنِكْ عَلَيْكَ لِسَانُكَ ، وَابْكْ

عَلَى خَطِيئَتِكَ » . (البياد والبيين ٢ : ١٦١)

٦ - وصية لبعض الحكماء

وقال بعض الحكماء :

« لَا يَكُونَنَّ مِنْكَ الْمَحَدَّثُ وَلَا يُنْصَتُ لَهُ ، وَاللَّخْلُ فِي سِرِّ اثْنَيْنِ لَمْ يُدْخِلَاهُ ،

[١] الحنانة : التي لها ولد من سواء يعني تحبهم ، والأناة : التي مات عنها روحها ، وهي إذا
رأت الروح الثاني أمت ، وقالت : رحم الله فلانا ، (روحها الأول ، والمائة : التي لها مال ، وهي تسمى
على زوجها ، كلما أهوى إلى شيء من مالها . [٢] عشب الدار : يريد الهجيرة ، وعشبة الدار : التي
تنت في دمة الدار ، وحولها عشب في يابس الأرض ، فهي أغم منه وأضخم ، لأنها غنتها الهمة ، وذلك
(أي العشب) أصيب للأكل رطاً وبيساً ، لأنه يبت في أرض طيبة ، وهذه منت في دمة ، فهي منتنة
رطبة ، وإذا يمت صارت حنّاء (فالصم) وذهب قوتها في الدمة فلم يمكن حمه ، وذلك يجمع قوه لأنه في
أرض طيبة (وانقب بالصم : ما ينس من البقل ، وسقط على الأرض في موضع مائه) .

[٢] كبة النفق : هي التي يأتي روحها أو أسبا القوم ، فإذا احرف من عندهم ، قال رجل من حباء
القوم : قد واثقه كل بيبي وبيي لمرأه هذا للبرلى أو أمه أسر .

ولا آتَى الدعوة لم يُدْعَ إليها، ولا الجالسُ المجلسَ لا يستحقُّه، ولا الطالبُ الفضل من أيدي اللئام، ولا المتعرضُ للخير من عند عدوِّه، ولا المتحمقُ في الدَّالَّة^(١) .
(اليان والتين ٢ : ٥٨)

٧ - وصية أخرى

وقال بعض الحكماء :

« إياك والمجلة ، فإن العرب كانت تَكْنِيها « أمّ الندامة » لأن صاحبها يقول قبل أن يَعْلَمَ ، وَيُحِبُّ قبل أن يَفْهَمَ ، وَيَعْزِمُ قبل أن يَفْكُرَ ، وَيَقْطَعُ قبل أن يَقْدُرَ ، وَيَحْمَدُ قبل أن يُحَرِّبَ ، وَيَذْمُ قبل أن يَخْبُرَ ، ولن يصحب هذه الصِّفَّةَ أَحَدٌ إِلَّا صَحِبَ الندامة ، واعتزل السلامة . (زهر الآداب ٣ : ١٩٧)

٨ - وصية أخرى

وقال ابن دُرَيْد : أوصى بعض الحكماء رجلاً ، فقال :

« آمُرُكَ بمجاهدة هواك ، فإنه يقال : إن الهوى مِيتَاحُ السيئات ، وخصيم الحسنات ، وكل أهوائك لك عدو ، وأهواها^(٢) هَوَى يَكْتُمُكَ في نفسه ، وأعداها هوى يَمْتَلِكُ لك الإثمَ في صورة التقوى ، ولن تَقْصِلَ بين هذه الخصوم إذا تناظرت لديك إلا بحزم لا يَشُوبُه وهنٌ ، وَصِدْقٍ لا يَطْمَعُ فيه تكذيبٌ ، وَمَضَاءٍ لا يَقْلِبُه التَّبْطُّ^(٣) ، وَصَبْرٍ لا يَغْتَالُه جَزَعٌ ، وَنِيَّةٍ لا يَتَقَسَّمُها التَضْيِيعُ »
(زهر الآداب ٣ : ١٢٩)

[١] الدَّالَّة : ما تدلُّه على حريك .

[٢] أى وأشدّها . [٣] انقوص والإيذاء .

٩ - عظة لبعض الحكماء

عن الأصمعي قال : بلغني أن بعض الحكماء كان يقول :
 « إِنِّي لَأَعْظِمُ ، وَإِنِّي لَكثير الذنوب مُشْرِفٌ عَلَى تَقْصِي ، غَيْرُ حَامِدٍ لَهَا ،
 وَلَا حَامِلٍهَا عَلَى الْمَكْرُوهِ فِي طَاعَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، قَدْ بَلَوْتُهَا فَلَمْ أَجِدْ لَهَا شُكْرًا فِي
 الرِّخَاءِ ، وَلَا صَبْرًا عَلَى الْبَلَاءِ ، وَلَوْ أَنَّ الْمَرْءَ لَا يَعْظُ أَخَاهُ حَتَّى يُحْكِمَ أَمْرَ نَفْسِهِ ،
 تَرُكَ الْأَمْرِ بِالْخَيْرِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ ، وَلَكِنْ مُحَادَّةُ الْإِخْوَانِ حَيَاةٌ لِلْقُلُوبِ ،
 وَجِلَاءٌ لِلنَّفُوسِ ، وَتَذَكُّيرٌ مِنَ النِّسْيَانِ ، وَاعْلَمُوا أَنَّ الدُّنْيَا سُرُورٌ وَأَحْزَانٌ ،
 وَإِقْبَالٌ وَإِدْبَارٌ ، وَآخِرُ حَيَاتِهَا الْمَوْتُ ، فَكَمْ مِنْ مُسْتَقْبِلٍ يَوْمًا لَا يَسْتَكْمِلُهُ ، وَمُسْتَظَرٍّ
 غَدًا لَا يَبْلُغُهُ ، وَلَوْ تَنْظُرُونَ إِلَى الْأَجَلِ وَمَسِيرِهِ ، لَا بُغْضَ لَكُمْ الْأَمَلِ وَغُرُورِهِ .
 (الأمالي ٢ : ٥٧)

١٠ - نصيحة لبعض الحكماء

وَحَذَّرَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ صَدِيقًا لَهُ صَاحِبَهُ رَجُلًا فَقَالَ :
 « اخْذَرْ فَلَانًا ، فَإِنَّهُ كَثِيرُ الْمَسْأَلَةِ ، حَسَنُ الْبَحْثِ ، لَطِيفُ الْاسْتِدْرَاجِ ،
 يُحْفَظُ أَوَّلَ كَلَامِكَ عَلَى آخِرِهِ ، وَيَعْتَبِرُ مَا أُخِّرْتَ بِمَا قَدِمْتَ ، فَلَا تُظْهِرَنَّ لَهُ
 الْخَافَةَ ، فَيَرَى أَنَّكَ قَدْ تَحَرَّزْتَ ، وَاعْلَمْ أَنَّ مِنْ يَقْظَةِ الْفِطْنَةِ إِظْهَارَ الْغَفْلَةِ مَعَ
 شِدَّةِ الْحَذَرِ ، فَإِنَّهُ مِبَائِثَةُ الْآمَنِ ، وَتَحْفَظُ مِنْهُ تَحْفَظُ الْخَائِفُ ، فَإِنَّ الْبَحْثَ يُظْهِرُ
 الْخَفِيَّ الْبَاطِنَ ، وَيُيَدِّي الْمُسْتَكِنَ الْكَامِنَ . (زمر الآداب ٣ : ١٦٤)

١١ - كلمات شتى لبعض الحكماء

عن الأصمعي قال : قال بعض الحكماء :
 « مَنْ كَانَتْ فِيهِ سَبْعُ خِصَالٍ لَمْ يَعْدَمْ سَبْعًا : مَنْ كَانَ جَوَادًا لَمْ يَعْصَمْ الشَّرَفُ ،

ومن كان ذا وقاء لم يعلم المنة ، ومن كان صدوقاً لم يعلم القبول ، ومن كان شكوراً لم يعلم الزيادة ، ومن كان ذا رعاية للحقوق لم يعلم الشؤدد ، ومن كان منصفاً لم يعلم العافية ، ومن كان متواضعاً لم يعلم الكرامة .

(الأمال ٢ : ٢٩)

وقيل لبعض الحكماء : كيف ترى الدهر ؟ قال : يُخلق الأبدان ، ويُحدّد الآمال ، ويُقرب الآجال ، قيل له : فما حال أهله ؟ قال : من ظفربه نصيب ، ومن فاته حزن ، قيل : فأى الأصحاب أبر ؟ قال : العمل الصالح ، قيل : فأيهم أضر ؟ قال : النفس والهوى ، قيل : فقيم المخرج ، قال : في قطع الراحة وبذل المجهود . (الأمال ٢ : ٥٩)

وأخبر عبد الرحمن عن عمه قال : سمعت رجلاً يقول :
« الحسد ماحق الحسَنات ، والزُّهو جالب لِقَتِ الله ومقت الصالحين ،
والمُجِب صارف عن الازدياد من العلم ، داع إلى التخمط ^(١) والجهل ، والبخل
أذم الأخلاق ، وأجلبها لسوء الأخذوثة » . (الأمال ١ : ٢٠٠)

وقال : قال بعض العرب :
« أولى الناس بالفضل أعوذهم بفضله ، وأعونُ الأشياء على تذكية العقل
التعلم ، وأدلى الأشياء على عقل العاقل حسن التدبير » . (الأمال ١ : ٢١٧)
وقال الأصمعي : العرب تقول :

« لا ثناء مع الكبر ، ولا صديق لدى الحسد ، ولا شرف لِسِيِّ الأدب .
قال : وكان يقال : « شر خصال الملوك الجبن عن الأعداء ، والقسوة على
الضعفاء ، والبخل عند الإعطاء » . (الأمال ١ : ٢٠١)

وقال أبو علي القالى : وأملى علينا أبو عبد الله قال : من كلام العرب ووصاها :
« جالس أهل العلم ، فإن جهلت علموك ، وإن زللت قوموك ، وإن أخطأت
لم يُفندوك ^(١) ، وإن صحبت زانوك ، وإن غبت تفقدوك ، ولا تجالس أهل
الجهل ، فإنك إن جهلت عتقوك ، وإن زللت لم يقوموك ، وإن أخطأت لم
ينبشوك . » (الأمال ٢ : ٧٢)

١٢ - رجل من العرب والحجاج

سأل الحجاج رجلا من العرب عن عشيرته قال : أى عشيرتك أفضل ؟
قال : أثناكم الله ، بالرغبة فى الآخرة ، والزهد فى الدنيا ، قال : فأيهم أسود ؟
قال : أرزئهم حِلما حين يُستجهل ، وأسخام حين يُسأل ، قال : فأيهم أدهى ؟
قال : من كتم سرّه ممن أحب ، مخافة أن يُشاره يوما ، قال : فأيهم أكيس ؟
قال : من يُصلح ماله ويقتصد فى معيشته ، قال : فأيهم أرفق ، قال : من يعطى
بشر وجهه أصدقاءه ، ويتلطّف فى مسأله ، ويتعاهد حقوق إخوانه ، فى إجابة
دعواتهم ، وعبادة مرّضاهم ، والتسليم عليهم ، والمشي مع جنازتهم ، والنصح لهم
بالغيّب ، قال : فأيهم أفطن ؟ قال : من عرّف ما يوافق الرجال من الحديث
حين يحالسه ، قال : فأيهم أصلب ؟ قال : من اشتدت عارضته ^(٢) فى اليقين ،
وحزم فى التوكل ، ومنع جاره من الظلم . (مجمع الأمثال ٢ : ١٢٨)

١٣ - أحد الواقدين على عمر بن عبد العزيز

ووفد واقد على عمر بن عبد العزيز رحمه الله ، فقال له : كيف تركت
الناس ؟ قال :

[١] منه : صعب رأيه وحده . [٢] العارضة : الخلد والصرامة واللس .

« تركت غنيهم موفوراً ، وفقيرهم مخبوراً ، وظالمهم مقهوراً ، ومظلومهم منصوراً » ، فقال : « الحمد لله ، لو لم تتم واحدة من هذه الخصال إلا بعضو من أعضائي ، لكان يسيراً » . (الأمال ٢ : ٣٩)

١٤ — كاتب وأمير

ودخل بعض الكتاب على أمير بعد نكبة نابتة ، فرأى من الأمير بعض الازدراء ، فقال له :

« لا يَضَعْنِي عندك مُحمُولُ النَّبوَّةِ ، وزوالُ الثَّروَةِ ، فَإِنَّ السَّيْفَ العَتِيقَ إِذَا مَسَّهُ كَثِيرُ الصَّدَأِ اسْتَغْنَى بِقَلِيلِ الْجِلَاءِ ، حتى يعودَ حَدُّهُ ، ويظهرَ فَرْنُهُ ، ولم أَصِفْ قَمِيَّ عُجْبًا ، لكن شُكْرًا ، قال صلى الله عليه وسلم : « أنا أشرف ولد آدم ولا فخر » . فجهَرَ بالشكر ، وترك الاستطالة بالكبر » . (زهر الآداب ٣ : ٩١)

١٥ — وصف الهلباجة

من أمال العرب : « أعجز من هلباجة » وهو الثَّوْمُ الكسلان المَطْلُ^(١) الجافى ، وقد سار في وصف الهلباجة فصل لبعض الأعراب المتفصحين ، وفصل آخر لبعض الحضريين ، فأما وصف الأعرابي ، فقد سئل ابن أبي كبشة بن القَبْتَرِيّ عنه فقال : « الهلباجة : الضعيف الماجز ، الأخرق الأحق ، الجلف^(٢) الكسلان ، الساقط لا معنى فيه . ولا عتاء^(٣) عنده ، ولا كفاية معه ، ولا عمل لديه » .

[١] عطل كمرح : عظم بدنه ، ومن لذل والأدب : حلا فهو دحل كفعل وعقل .

[٢] الجافى . [٣] لاعاء : لا كفاية .

وأما وصف الحضري فإن بعض بُلغَاء الأمصار سئل عن الهلابة فقال :
« هو الذي لَا يَرْعَوِي لِعَدْلِ العاذل ، وَلَا يُعْنِي إِلَى وَعْظِ الواعظ ، ينظر
بين حَسُود ، وَيُعْرِضُ إِعْرَاضَ حَقُود ، إِنْ سَأَلَ الْخَفَّ ^(١) ، وَإِنْ سُئِلَ سَوِّف ،
وَإِنْ حَدَّثَ حَلَف ، وَإِنْ وَعَدَ أَخْلَف ، وَإِنْ زَجَرَ عَنَّف ، وَإِنْ قَدَّرَ عَسَف ^(٢) ،
وَإِنْ احْتَمَلَ أَسَف ^(٣) ، وَإِنْ اسْتَعْنَى بَطِر ، وَإِنْ افْتَقَرَ قَنِط ، وَإِنْ فَرِحَ أَثِر ^(٤) ،
وَإِنْ حَزَنَ يَثِر ، وَإِنْ ضَحِكَ زَار ، وَإِنْ بَكَى جَار ^(٥) ، وَإِنْ حَكَمَ جَار ، وَإِنْ
قَدَّمْتَهُ تَأَخَّر ، وَإِنْ أَخَّرْتَهُ تَقَدَّمَ ، وَإِنْ أَعْطَاكَ مَنْ عَلَيْكَ ، وَإِنْ أَعْطَيْتَهُ لَمْ
يَشْكُرْ ، وَإِنْ أَسْرَرْتَ إِلَيْهِ خَانَكَ ، وَإِنْ أَسَرَّ إِلَيْكَ اتَّهَمَكَ ، وَإِنْ صَارَ فَوْقَكَ
قَهَرَكَ ، وَإِنْ صَارَ دُونَكَ حَسَدَكَ ، وَإِنْ وَثِقَتْ بِهِ خَانَكَ ، وَإِنْ انْبَسَطَتْ إِلَيْهِ
شَانَكَ ، وَإِنْ أَكْرَمْتَهُ أَهَانَكَ ، وَإِنْ فَابَ عَنْهُ الصَّدِيقُ سَلَاهُ ، وَإِنْ حَضَرَ
قَلَاهُ ^(٦) ، وَإِنْ فَاتَمَحَهُ لَمْ يُجِبْهُ ، وَإِنْ أَمْسَكَ عَنْهُ لَمْ يَبْدَأْهُ ، وَإِنْ بَدَأَ بِالْوَدِّ هَجَرَ ،
وَإِنْ بَدَأَ بِالْبِرِّ جَفَا ، وَإِنْ تَكَلَّمَ فَضَحَهُ الْعِيْ ، وَإِنْ عَمِلَ قَصَرَ بِهِ الْجَهْلُ ، وَإِنْ
أَوْثَمَنَ غَدَرَ ، وَإِنْ أَجَارَ أَخْفَر ^(٧) ، وَإِنْ عَاهَدَ نَكَثَ ، وَإِنْ حَلَفَ حَنَثَ ،
لَا يَصْدُرُ عَنْهُ الْآمِلُ إِلَّا بِخِيَةِ ، وَلَا يَضْطَرُّ إِلَيْهِ حُرٌّ إِلَّا بِمِخْنَةٍ .

قال خُفَّ الأحر : سألت أعرابياً عن الهلابة ، فقال : « هو الأحمق
الضَّعِيفُ الْقَدِيمُ ^(٨) الْأَكُولُ الَّذِي وَالَّذِي . . . ثم جعل يلقيني بعد ذلك ، ويريد

[١] لُح . [٢] ظُم . [٣] من أسف الطائر : دنا من الأرض في طيرانه ، أي لم يستطع
التهوس بما حمل . [٤] أَثِر : مرجح . [٥] صاح واستعالت . [٦] أَبْنَصَه وكرهه طاعة الكراهة .
[٧] أحره وخبره : نفس مهله وعذره . [٨] القديم : الذي عن الكلام في قتل ورخاوة ،
وقلة فهم ، والعلبط : الأحمق الجاني .

في التفسير كل مرة شيئاً ، ثم قال لي بعد حين - وأراد الخروج - هو الذي جمع كل شر .
(مجمع الأشكال ١ : ٢٣٦)

١٦ - بعض البلغاء يصف رجلاً

ووصف بعض البلغاء رجلاً فقال :

« إنه بسيط^(١) الكف ، رَحْب الصدر ، مُوَطَّأ الأُكْناف ، سهْل الخلق ،
كَرِيم الطَّبَاع ، غَيْثٌ مُنَوَّث^(٢) ، وَبَحْرٌ زَخُورٌ ، ضُحُوك السن ، بِشِير الوجه ،
بَادِي القَبُول^(٣) غير عبوس ، يَسْتَقْبَلُكَ بِطَلَاةٍ ، وَيُحْيِيكَ بِبِشْرٍ ، وَيَسْتَدْبِرُكَ
بِكْرَمٍ غَيْثٍ ، وَجَمِيلٍ بِشْرٍ ، تُبْهِجُكَ طَلَاقَتُهُ ، وَيَرْضِيكَ بِشْرُهُ ، ضَحَّاكٌ عَلَى
مَائِدَتِهِ ، عَبْدٌ لَضَيْفَانِهِ ، غَيْرٌ مَلَا حَظَّ لَأَكِيلِهِ ، بَاطِنٌ^(٤) مِنَ الْعَقْلِ ، خَمِيصٌ^(٥)
مِنَ الْجَهْلِ ، رَاجِحُ الْحِلْمِ ، ثَاقِبُ الرَّأْيِ ، طَيِّبُ الْخَلْقِ ، مُتَحَصِّنُ الضَّرِيَّةِ^(٦) ،
مِعْطَاةٌ غَيْرُ مَأْكَلٍ ، كَأْسٍ^(٧) مِنْ كُلِّ مَكْرُمَةٍ ، دَارٍ مِنْ كُلِّ مَلَأْمَةٍ ، إِنْ سَأَلَ بِذَلِكَ ،
وَأِنْ قَالَ فَعَلَ .
(زمر الآداب ٢ : ٢٠٥)

١٧ - خمس جوار من العرب يصفن خيل آبائهن

عن ابن الكلبي عن أبيه قال :

اجتمع خمسُ جَوَارٍ مِنَ الْعَرَبِ ، فَقُلْنَ : هَلُمُّنَّ نَصِيفَ خَيْلِ آبَائِنَا .
فَقَالَتِ الْأُولَى :

« فَرَسٌ أَبِي وَرْدَةٌ ، وَمَا وَرْدَةٌ ؟ ذَاتُ كَفَلٍ مَرْحَلَقٌ ، وَمَتْنٌ أُخْلَقُ ،

[١] أي مبسوط الكف سحي . [٢] غوث تعوثاً : قل واغوثه .

[٣] القول بالفتح وقد يعم : الحسن . [٤] أي متلي وأصله : عظيم الطن .

[٥] خيمس : حل ، وأصله : الخائض . [٦] الصرية : الطيعة ، ومحسن : عفا .

[٧] أي مكسو .

وَجَوْفُ أَخْوَقٍ ^(١) ، وَنَفْسُ مَرْوَحٍ ، وَعَيْنُ طَرْوَحٍ ، وَرِجْلُ ضَرْوَحٍ ، وَيَدُ سَبُوحٍ ^(٢) ، بِدَاهَتِهَا إِهْذَابٌ ، وَعَقَبُهَا غِلَابٌ ^(٣) .

وقالت الثانية :

« فرسُ أَبِي اللَّعَّابِ ، وما اللَّعَّابُ ؟ غَيِّبَةُ سَحَابٍ ، واضْطَرَامُّ غَابٍ ، مُتْرَضٌ الْأَوْصَالِ ، أَشْمُ الْقَذَالِ ، مُلَاخَكُ الْمَحَالِ ^(٤) ، فَارِسُهُ مُجِيدٌ ، وَصَيْدُهُ عَتِيدٌ ، إِنْ أَقْبَلَ فَظَبْيٌ مَعَّاجٌ ، وَإِنْ أَدْبَرَ فَظَلِيمٌ هَدَّاجٌ ، وَإِنْ أَحْضَرَ فَعَلِيجٌ هَرَّاجٌ ^(٥) . »

وقالت الثالثة :

« فرسُ أَبِي خُذَمَةٍ ، وما خُذَمَةٌ ؟ إِنْ أَقْبَلَتْ فَقَنَاءٌ مُقَوِّمَةٌ ، وَإِنْ أَدْبَرَتْ فَأُشْيَةٌ مُنَلَمَةٌ ، وَإِنْ أَعْرَضَتْ فَذَبِيَّةٌ مُعْجَرِمَةٌ ^(٦) ، أُرْسَاغُهَا مُتْرَصَةٌ ، وَفُصُوصُهَا مُنْخَصَّةٌ ، جَرِيئُهَا انْثِرَارٌ ، وَتَقَرُّيُّهَا انْكِدَارٌ ^(٧) . »

[١] للرحلق : للملس الذي كأنه رحلوة (بالضم) وهي آثار ترجل الصبيان من فوق إلى أسفل ، والأحلق : الأملس ، وأخوق : واسع . [٢] مروح : كثيرة الريح ، طروح بيضة موقع الطار ، صروح : دعوع ، يريد أنها تصرح للحطارة رجلها إذا عدت ، مسروح : كأنها تسرح في عدوها من سرعتها . [٣] بداهتها : خاتمتها ، والبداهة والديهة واحد ، والإهذاب : السرعة ، والعقب : حرى بعد جرى ، وغلاب مصغر ، طالته معالة وعلاها ، كأنها تعال الجري . [٤] الغيبة : الدفعة من المطر ، والطاب جمع طابة وهي الأداة ، مترض : يحكم ، أترضت الشيء : أحكمته أقم : مرتفع ، القذال : مفقد العذار (والعذار من اللحم ككتاب : ماسال على خد العرس) ، ملاخك مناخل (بفتح الخاء) كأنه دوخل عصه في عص ، والمحال جمع محالة : وهي قار الطهر (كسحاب جمع ضارة) وذكر الأصمى أنه رأى قمار فرس ميت ، فإذا ثلاث هزم من هضم واحد ، وكذا تكون العراب فيما ذكروا . [٥] مجيد : صاحب جواد ، عتيد : حاصر ، معج في سيره ومعج : إذا أسرع ، والمدح كشس : الشيء الرويد ويكون السريع ، والطح : حمار الوحش السمين القوي ، وهرج الفرس كضرب : إذا كان كثير الجري . [٦] خدمة : صلة من الحدم وهو السرعة أو القطع ، فناة مقومة تريد أنها دقيقة لتقدم ، وهو مدح في الإثبات ، والأثمية : المحر توصع عليه القدر ، مللمة : محتمة ، تريد أنها مدورة المؤخر ، لأن الأذى تختار مدورة ، معجزة بكسر الراء اسم فاعل من المعجزة ، وهي إسراع في مقارعة حطو . قال الشاعر :

أَمَا إِذَا يَدُو قَتْلَبِ حَرِيَّةٍ أَوْ دُبُّ عَادِيَةٍ يَعْجَرِمُ عَجْرَمَةٍ

ويقال ذقة معجزة هتج الرء : أي شديدة . [٧] ممحصة : قليلة اللحم قليلة الشعر ، محص الجلد

وقالت الرابعة :

« فرسُ أبي خَيْفَق ، وما خَيْفَق ؟ ذاتُ ناهِقٍ مُعَرِّق ، وَشِدْقُ أَشْدَق ،
وأديمٌ مُمَلَّق ^(١) ، لها خَلْقٌ أَشْدَق ، وَدَمِيعٌ مُنْقَتِف ، وَتَلِيلٌ مُسَيِّف ^(٢) ،
وَنَابَةٌ زُلُوج ، خَيْفَانَةٌ رَهُوج ، تَقْرِيْبُهَا إِنْهَاج ، وَخَضْرُهَا ارْتِمَاج ^(٣) . »

وقالت الخامسة :

« فرسُ أبي هُذُلُول ، وما هُذُلُول ؟ طَرِيدُهُ مَحْبُول ، وَطَالِبُهُ مَشْكُول ،
رَقِيقُ الْمَلَاغِم ، أَمِينُ الْمَعَاقِم ^(٤) ، عَيْلُ الْمَحْزَم ، مَخْدٌ مَرَجَم ^(٥) ، مُنِيفُ الْحَارِك ،
أَسْمُ السَّنَابِك ، مَحْدُولُ الْخَصَائِل ، سَبْطُ الْفَلَائِل ^(٦) ، غَوْجُ التَّلِيل ، صَلْصَالُ
الصَّهِيل ، أَدِيمُهُ صَافٍ ، وَسَبِيْبُهُ صَافٍ ^(٧) ، وَعَفْوُهُ كَافٍ . » (الأمل : ١ : ١٩٠)

كفرح ، إذا سقط شعره واملأ ، انثرار : اصاب ، كأنه يفره ثراً ، والتقريب : قرب من العدو
أو أن يرفع يديه ممأً ويمسحها ممأً ، واسكر : أسرع وأخسر ، واسكر عليه القوم : انصبوا .
[١] خيفق : يفعل من الحفق كشمس : وهو السرعة ، الناقان : العطان الشاحان في حدى الفرس
معرق : قليل اللحم ، أشدق : واسع النطق ، مملق : مملس . [٢] الأشدق : العظيم الشخص ،
والشدق محرّكة : اشخص ، انمسيح . معرق النطق في الكامل ، مدعق : واسع ، من القنف كعقر :
وهو اقواء بين السماء والأرض ، التليل : السق ، ميب : كأنه سيب .
[٣] زلوج : سريعة ، الرليج وارطان بالتحريك : السرعة ، الخيعة : الحرادة التي فيها قعق سود
تخالف سائر لونها ، وإنما قيل للفرس : خيعة لسرعتها لأن الحرادة إذا طهر فيها تلك القعق كان أسرع
لطيرانها ، رهوج : كثيرة الريح ، (والريح بالتحريك . العار) أهرج الفرس إهمالاً : إذا اجتهد في
عدوه ، والمصر : ارتفاع الفرس في عدوه ، الارتماج : كثرة البرق وتناحه .
[٤] محمول : في حالة ، مشكول : موثق في شكل (الشكل كتاب : الخيل تندب به قوائم الخيابة)
الملاغم من الإنسان : مأحول الفم ، أرادت هاهنا المحافل (والمحافل جمع حصاة . لفتح بخرلة النعمة للخيول
والغال والخير » والله اعلم : للعامل . [٥] عيل : عليط ، وأخزم موضع الحرام ، محم : يحد الأرض
أى يحل فيها أحاديث (والأحاديث : التفوق جمع أحود) ، مرحم : يرحم الخبير بالخبر ، أو يرحم
الأرض بمخوافه . [٦] ميب : مرتفع ، والحارِك : مست أدنى العرف إلى الظهر الذي يأخذ به من
بركه ، والسالك : أطراف الحوافر جمع سلك كقعد ، محمول : معقول ، الخصائل جمع خصلة : وهي
كل قطعة من اللحم مستطيلة أو محدبة ، التليل : الشعر المتجمع ، ويقان لفظة من الشعر : العليقة ،
سبط : مسترسل . [٧] الصوح : الهين المطف ، والمصلصلة صوت الحديد ، وكل صوت حاد ،
والسبيب : شعر الناصية ، صاف : سابع .

١٨ - رجل من العرب يصف مطرا

عن عبد الرحمن عن عمه قال :

سئل رجل من العرب عن مطر كان بعد جذب فقال :

«نشأ حملاً^(١) سداً متقاذف الأضغان ، مُحمّوئى الأركان ، لماع الأقراب ،
مكفهر الرّباب ، تَحْن رُعوده حين اضطراب ، وتزفجر بحجرة اللبوث الغضاب ،
لبوارقه التهاب ، ولرواعده اضطراب ، فجاحت^(٢) صدورّه الشّعاف ، وركبت
أعجازه القفاف ، ثم ألقى أعباءه ، وخطّ أثقاله ، فتألق وأصعق^(٣) ، وانجس
وانبعق ، ثم أئجّم فانطلق ، فعادر النّهاء^(٤) ممرّعة ، والغيطان ممرّعة ، حياء
للبلاد ، ورزقا للعباد . (بلوغ الأرب ٣ : ٢٥٠)



[١] الحمل : السحاب الكثير الماء ، والسد : الذى قد سدّ الأفق ، احموى : اسودّ ، والأقرب جمع قرب كقفل وعق وهو الحاصرة ، والراب : السحاب الأبيض . [٢] حاحه : راحه وداناه ، والشعاف جمع شمة كركبة : وهى رأس الحمل ، والقفاف جمع قفّ فالصم وهو ماغلط من الأرض وارتفع لم يبلغ أن يكون حلاً . [٣] أصعقهم السماء وأصعقتهم : ألقت عليهم صاعقة ، وامسح : اذهب بالماء وامسح السحاب : امسح بالمطر واتدفع ، والاسحاق : أن يدعوك عليك الشئ فجاء وأنت لا تشتر ، وأنحمت السماء : أسرع مطرها . [٤] الهاء جمع هى بالكسر والفتح : العدير ، وممرّعة : مملوءة ، والغيطان جمع طائط : وهو المظنن أو واسع من الأرض ، ممرّعة : محصنة ، حياء : عطاء .

الباب الثالث

في

نثر الأعراب

قولهم في الوعظ والتوصية

١ - مقام أعرابي بين يدي سليمان بن عبد الملك

قام أعرابي بين يدي سليمان بن عبد الملك ، فقال :

« إني مُكَلِّمُكَ يا أمير المؤمنين بكلامٍ فيه بعض الغِلْظَةِ ، فاحْتِمْهُ إن كَرِهْتَهُ ، فَإِنْ وَرَاءَهُ مَا تُحِبُّهُ إِنْ قَبِلْتَهُ » ، قال : هاتِ يا أعرابي : إنا نجود بِسَعَةِ الاحْتِمَالِ على من لا نرجو نُصْحَهُ ، ولا نأمنُ غِشَّهُ ، وأرجو أن تكون الناصحَ جَيِّبًا ، المأمونَ غَيِّبًا ، قال : « يا أمير المؤمنين أما إذ أمنت بِأِدْرَةِ غضبك ، فَإِنِّي سأُطْلِقُ لِسَانِي بما خَرِمْتَ عَنْهُ الألسُنُ من عِظَتِكَ ، تَأْذِيَةً لِحَقِّ اللَّهِ وَحَقِّ أَمَامَتِكَ . إنه قد اكْتَفَفَكَ رجائُ أساءوا الاختيارُ لأتقسيمهم ، فابتاعوا دُنياءَ بدينتهم ، ورضواكَ بِسُخْطِ رَبِّهم ، خافوكَ في اللَّهِ ، ولم يخافوا اللَّهَ فيكَ ، فهم حربٌ للآخرة ، سِلْمٌ للدنيا ، فلا تأمنهم على ما أئتمنتك اللَّهُ عليه ، فإنهم

لا يألونك^(١) خيالاً ، والأمانة تضيقاً ، والأمة عسفاً وخسفاً^(٢) ، وأنت مسئول عما اجتروا^(٣) ، وليسوا مسئولين عما اجتروحت ، فلا تُصلح دنياهم بفساد آخرتك ، فإن أخسر الناس صفقةً يوم القيامة ، وأعظمهم غبناً من باع آخرته بدنيا غيره » قال سليمان : « أما أنت يا أعرابي ، فقد سللت لسانك ، وهو أقطع سيفيك » ، فقال : « أجل يا أمير المؤمنين لك لا عليك » .

(عبود الأخبار ٢ : ٢٣٧ ، والقند المرید ١ : ٣٠٧ ، ومروج الذهب ٢ : ١٦٤ ، وزهر الآداب ١ : ٢٧٧)

٢ - أعرابي يعظ هشام بن عبد الملك

ودخل أعرابي على هشام بن عبد الملك ، فقال له : عِظْنِي يَا أَعْرَابِي ، فقال : « كفى بالقرآن واعظاً ، أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ، بسم الله الرحمن الرحيم : « وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ^(٤) الَّذِينَ إِذَا أَكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ، وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ، أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ، يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ » ، ثم قال : « يا أمير المؤمنين ، هذا جزاء من يُطَفِّف في الكيل والميزان ، فما ظنك بمن أخذه كله^(٥) ؟ » .

(القند المرید ٢ : ٨٤)

٣ - خطبة أعرابي^(٦)

وولي جعفر بن سليمان^(٧) أعرابياً بعض مياهمهم^(٨) فخطبهم يوم الجمعة فقال :

[١] ألا يأور : قصر وأبطأ ، والجبال : الساد . [٢] الصف : الظلم ، والخسف : الدل .

[٣] اكتسوا ، وفي رواية : « اخترموا » .

[٤] طفف : نقص المكيال . [٥] وروى صاحب القند أيضاً هذه السطة (ح ١ ص ٣٠٦) وذكر أنها لابن الدياك وعطى بها الرشيد .

[٦] قمتنا في الجزء الثاني ص ٦٣ : أن هذه الخطبة متارعة فيها ، وهي تمزى تارة إلى الإمام علي كرم الله وجهه ، وأخرى إلى سحان وائل ، وثالثة إلى أعرابي . [٧] هو ابن عم أبي جعفر المنصور ، وكان والياً له على المدينة سنة ١٤٦ - ١٥٠ هـ . [٨] في جمع الأمثال : « من الأصمى قال : حدثني شيخ من أهل العلم قال : شهدت الجمعة بالضرية « صرية كعنية : قرية بين الصرة ومكة »

« الحمد لله رب العالمين ، والعاقة للمتقين ، وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين ، أما بعد : فإن الدنيا دارٌ بلاغ ^(١) ، والآخرة دار قرار ، نخشونكم ليقرّكم من تمرّكم ، ولا تهشكوا أستاركم عند من لا تخفى عليه أسراركم ، وأخرجوا من الدنيا قلوبكم ، قبل أن تخرج منها أبدانكم ، ففيها حياتكم ، ولنيرها خلقتكم ، اليوم عملٌ بلا حساب ، وغداً حسابٌ بلا عمل ، إن الرجل إذا هلك ، قال الناس ما ترك ؟ وقالت الملائكة : ما قدّم ؟ فله آباؤكم ! قدّموا بعضاً ، يكون لكم قرضاً ، ولا تخلفوا كلاً ، يكون عليكم كلاً ^(٢) ، أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم ، والحمد لله ، والمصلي عليه محمد ، والمدعو له الخليفة ، ثم إمامكم جعفر بن سليمان ، قوموا إلى صلاتكم » .

(الأمل ١ : ٢٤٨ ، والقدر العريد ٢ : ١٦٤ ، ونهيد الكامل ١ : ٢٨ ، ومع الأمثال ١ : ٢١٨ ، وعيون الأخبار ٢ : ٢٥٣ وزهر الآداب ٢ : ٤)

٤ - خطبة أخرى

وخطب أعرابي فقال :

« الحمد لله الحميد المستحمد ، وصلى الله على النبي محمد . أما بعد : فإن التعمق في ارتجال الخطب لممكن ، والكلام لا ينتهي حتى ينتهي عنه ، والله تبارك وتعالى لا يذكرك واصفٌ كنهه صفته ، ولا يبلغ خطيبٌ مستهى مدحته ، له الحمد كما مدح نفسه ، فانهضوا إلى صلاتكم » تم نزل فصلي . (القدر العريد ٢ : ١٦٤)

وأبهرها رجل من الأعراب ، فخرج وخطب ، ولم يلبث ثابته على رأسه ، ويده قوس فلان وأورد هذه الحطة « ، وفي الكامل للبهرد : « قال الأصمعي فيما لمحي خطبا أعرابي بالبادية حمد الله . . . » .

[١] وفي رواية الميداني ، وعيون الأخبار « ملأ » وفي رواية القدر « دار عمر والآخرة دار مقر »

[٢] الكل : القل .

هـ - خطبة أخرى

وخطب أعرابي قومه فقال :

« الحمد لله ، وصلى الله على النبي المصطفى وعلى جميع الأنبياء ، ما أقبح بمثلي أن ينتهي عن أمرٍ ويرتكبه ، ويأمر بشيءٍ ويحتنبه ، وقد قال الأول :
وَدَعِ مَا لُمْتَ صَاحِبَهُ عَلَيْهِ فَذِمَّ أَنْ يَلُومَكَ مَنْ تَلُومُ
أَلْهَمَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ تَقْوَاهُ ، وَالْعَمَلُ بِرِضَاهُ » . (القدر الثريد ٢ : ١٦٤)

٦ - أعرابية توصي ابنها وقد أراد السفر

قال أبنان بن تغلب - وكان عابداً من عبّاد أهل البصرة توفي سنة ١٤١ هـ -
شهدت أعرابية وهي توصي ولداً لها يريد سفرأ وهي تقول له :
« أَيُّ بُنَى اجْلِسْ أَمْنَعَكَ وَصِيَّتِي ، وَبِاللهِ تَوْفِيقُكَ ، فَإِنْ الْوَصِيَّةُ أَجْدَى ^(١)
عَلَيْكَ مِنْ كَثِيرِ عَقْلِكَ ، أَيُّ بُنَى : إِيَّاكَ وَالنِّيمَةَ فَإِنَّهَا تَرِيعُ الضَّعِيفَةَ ، وَتَفَرِّقُ
بَيْنَ الْمُحِبِّينَ ، وَإِيَّاكَ وَالتَّعَرُّضَ لِلْعُيُوبِ فَتُخَذَّ غَرَضًا ^(٢) ، وَخَلِيقٌ أَنْ لَا يَثْبُتَ
الْغَرَضُ عَلَى كَثْرَةِ السَّهَامِ ، وَقَلِمَا اعْتَوَرَتِ ^(٣) السَّهَامُ غَرَضًا إِلَّا كَلَمَتْهُ ^(٤) حَتَّى
يَهَيَّ ^(٥) مَا اشْتَدَّ مِنْ قُوَّتِهِ ، وَإِيَّاكَ وَالْجُودَ بِدِينِكَ ، وَالْبَخْلَ بِمَالِكَ ، وَإِذَا هَزَزْتَ
فَاهْزُزْ كَرِيحًا يَلِينُ لَهْزَتِكَ ، وَلَا تَهْزُزْ اللَّثِيمَ فَإِنَّهُ صَخْرَةٌ لَا يَنْفَجِرُ مَاؤُهَا ، وَمِثْلُ
لِنَفْسِكَ مِثَالٌ مَا اسْتَحْصَنْتَ مِنْ غَيْرِكَ فَاعْمَلْ بِهِ ، وَمَا اسْتَقْبَحْتَ مِنْ غَيْرِكَ
فَاجْتَنِبْهُ ، فَإِنْ الْمَرْءُ لَا يَرَى عَيْبَ نَفْسِهِ ، وَمَنْ كَانَتْ مَوَدَّتُهُ بِشَرِّهِ ، وَخَالَفَ ذَلِكَ
مِنْهُ فَعَلَهُ ، كَانَ صَدِيقُهُ مِنْهُ عَلَى مِثْلِ الرِّيحِ فِي تَصَرُّفِهَا » ثُمَّ أَمْسَكَتْ ، فَذَنُوتُ

[١] أضغ [٢] هدأ . [٣] تداولت . [٤] حرجته وحطته .

[٥] وهي يهي : صب .

منها ، فقلت : بالله يا أعرابية ، إلا زِدْتِه في الوصية ، فقالت : أو قد أعجبتك كلام العرب يا عراقى ؟ قلت : نعم ، قالت : والتندرُ أقبح ما تعامل به الناس بينهم ، ومن جمع الحِلْمَ والسَّخَاءَ فقد أجاد الحِلَّةَ ^(١) : رَظَّتْهَا وَسِرَّهَا .

(الأمل ٢ : ٨١ ، والقدر العريد ٢ : ٨٥ ، وبلاغات النساء ص ٥٧ ، والبيان والنبى ٣ : ٢٧١)

٧ — أعرابية توصى ابنها

وقالت أعرابية لابنها :

« يَا بُنَى ، إن سؤَالَكَ النَّاسَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ مِنْ أَشَدِّ الْاِقْتِقَارِ إِلَيْهِمْ ، وَمِنْ اِفْتِقَرَتِ إِلَيْهِ هُنَّتْ عَلَيْهِ ، وَلَا تَزَالُ تُحْفَظُ وَتُكْرَمُ ، حَتَّى تَسْأَلَ وَتَرْغَبُ ، فَإِذَا أَلَحَّتْ عَلَيْكَ الْحَاجَةُ ، وَلِزِمَكَ سُوءُ الْحَالِ ، فَاجْعَلْ سؤَالَكَ إِلَى مَنْ إِلَيْهِ حَاجَةُ السَّائِلِ وَالْمُسْتَوِلِ ، فَإِنَّهُ يُعْطَى السَّائِلَ » . (القدر العريد ٢ : ٨٥)

٨ — أعرابي يوصى ابنه

ووصى أعرابي ابنه فقال :

« ابْذُلْ الْمَوَدَّةَ الصَّادِقَةَ تَسْتَفِدْ إِخْوَانًا ، وَتَتَخَذْ أَعْوَانًا ، فَإِنَّ الْعَدَاوَةَ مَوْجُودَةٌ عَتِيدَةٌ ، وَالصَّدَاقَةَ مُسْتَعْرِزَةً ^(٢) بَعِيدَةً ، جُنِّبْ كِرَامَتَكَ اللَّثَامَ ، فَإِنَّهُمْ إِنْ أَحْسَنَتْ إِلَيْهِمْ لَمْ يَشْكُرُوا ، وَإِنْ نَزَلَتْ شَدِيدَةً لَمْ يَصْبِرُوا » . (الأمل ١ : ٢٠١)

٩ — أعرابي ينصح لابنه

عن عبد الرحمن عن عمه قال : سمعت أعرابياً يقول لابنه :

« لَا يَغُرُّكَ مَا تَرَى مِنْ خَفَضِ الْعِيشِ ، وَلَيْنَ الرِّيشِ ^(٣) ، وَلَكِنْ فَاتْظَرِ إِلَى سُوءِ الظَّنِّ ، وَسُوءِ الْمُتَقَلِّبِ » . (الأمل ٢ : ٥٩)

[١] الحلة لا تكون إلا من ثوبين إزار ورداء ، والريطة : للامة كلها نسج واحد وقطعة واحدة ، والرباط : القيد . [٢] مستعززة : مقفزة شديدة : [٣] اذهب واللعاش .

١٠ - أعرابي ينصح لابنه

وقال : سمعت أعرابياً يقول لابنه :

« كن للعاقل المذبر أرجى منك للأحمق المقبل » ، ثم أنشد :

عدوك ذو الحلم أتى عليك وأرعى من الوامق الأحمق^(١)

(ديل الأملال ص ٣٤)

١١ - أعرابي ينصح لأخيه

ونصح أعرابي لأخيه ، فقال :

« اعلم أن الناصح لك ، المشفق عليك ، من طالع لك ما وراء العواقب
برؤيته ونظره ، ومثل لك الأحوال المخوفة عليك ، وخلط الوعر بالسهل من
كلامه ومشورته ، ليكون خوفك كفاء^(٢) رجائك ، وشكرك إزاء النعمة عليك ،
وأن الناس لك ، والحاظ^(٣) عليك ، من مد لك في الاغترار ، ووطأ لك بهاد^(٤)
الظلم ، تابعا لمرضاتك ، منقادا لهواك » . (الأملال ١ : ١٩٨)

١٢ - أعرابي يعظ أخاه

ووعظ أعرابي أخاه له أفسد ماله في الشراب ، فقال :

« لا الدهر يعظك ، ولا الأيام تُنذرك ، ولا الشيب يزجرك ، والساعات
تخصي عليك ، والأقاس تُعدُّ منك ، والمنايا تُقاد إليك ، أحب الأمور إليك ،
أعوذها بالمضره عليك » .

(القف العريد ٢ : ٨٥ ، والأملال ١ : ١٩٨ ، وزهر الآداب ٣ : ١١٥)

[١] الوامق : احمق . [٢] مكفأ .

[٣] هو حاضرين : أي مخلط في كلامه . [٤] الهاد : العراش .

١٣ — أعرابي يعظ صاحبه

وقال أعرابي لصاحبه :

« والله لئن هَمَلَجْتَ ^(١) إلى الباطل ، إنك لَقَطُوفٌ ^(٢) عن الحق ، ولئن أبطأت لَيُسْرَعَنَّ بك ، وقد خسر أقوام وهم يظنون أنهم راجحون ، فلا تفرَّك الدنيا ، فإن الآخرة من ورائك » . (البيد والخبير ٢ : ١٥٨ ، والقصد المريد ٢ : ٨٦)

١٤ — أعرابي يعظ أخاه

وقال أعرابي لأخيه :

« يا أخى : أنت طالب ومطلوب ، يَطْلُبُكَ ما لا تَقُوته ، وتطلب ما قد كُفِيتَه ، فكان ما غاب عنك ، قد كُشِفَ لك ، وما أنت فيه قد نُقِلَتْ عنه ، فامْهَدْ ^(٣) لنفسك ، وأعدْ ذلك ، وخذ في جهازك » . (القصد المريد ٢ : ٨٤)

١٥ — أعرابي يعظ رجلا

وقال أعرابي لرجل :

« أى أخى : إنَّ يَسَّارَ النفسِ أفضلُ من يسار المال ، فإن لم تُرْزَقْ عَنِّي فلا تُحْزَمْ تقوى ، قَرُبْ شَبَعَانَ من النعم ، عُرْيَانَ من الكرم ، واعلم أن المؤمن على خَيْرٍ : تَرْحَّبُ به الأرض ، وتستبشِّرُ به السماء ، ولن يُسَاءَ إليه في بطنها وقد أَحْسَنَ على ظهرها » . (القصد المريد ٢ : ٨٥)

[١] من هملج اتدوون : مشى مشية سهلة في سرعة .

[٢] من قطعت اللبابة كسر وصر : ضيق متبها ، وهي قفوف .

[٣] أى مهد وأعد .

١٦ - أعرابي يعظ رجلاً

وقال الأصمعي : سمعت أعرابياً يعظ رجلاً وهو يقول :
« وَيُحْكُ ! إِنْ فَلَانًا وَإِنْ ضَحِكَ إِلَيْكَ ، فَإِنَّهُ يَضْحَكُ مِنْكَ ، وَلَئِنْ أَظْهَرَ
الشفقة عليك ، إِنْ عَقَّارِيهِ لَتَسْرِي إِلَيْكَ ، فَإِنْ لَمْ تَتَّخِذْهُ عَدُوًّا فِي عِلَانِيَتِكَ ، فَلَا
تَجْعَلْهُ صَدِيقًا فِي سِرِّيَتِكَ » . (رمر الآداب ٣ : ١٦٤)

١٧ - أعرابي يعظ رجلاً

وسمع أعرابي رجلاً يقع في السلطان ، فقال :
« إِنْكَ غُفْلٌ لَمْ تَسْمَعْ التَّجَارِبُ ، وَفِي النَّصِيحِ لَسَعُ الْعُقَارِبُ ، كَأَنِّي
بِالضَّاحِكِ إِلَيْكَ ، وَهُوَ بَاكِ عَلَيْكَ » . (رمر الآداب ٣ : ١٦٤)

١٨ - كلام أعرابي لابن عمه

وشاور أعرابي ابنَ عمِّ له ، فأشار عليه برأى ، فقال :
« قَدْ قُلْتَ بِمَا يَقُولُ بِهِ النَّاصِحُ الشَّفِيقُ الَّذِي يَخْلُطُ خُلُوقَ كَلَامِهِ بِمُرَّةٍ ،
وَحَزَنَةَ بَسْمَلِهِ ، وَيَحْرُكُ الْإِشْفَاقُ مِنْهُ مَا هُوَ سَاكِنٌ مِنْ غَيْرِهِ ، وَقَدْ وَعَيْتُ
النَّصِيحَ مِنْهُ وَقَبِلْتَهُ ، إِذْ كَانَ مَصْدَرُهُ مِنْ عِنْدِ مَنْ لَا شَكَّ فِي مُودَّتِهِ ، وَصَافِي
عَيْنِهِ ، وَمَا زِلْتَ بِحَمْدِ اللَّهِ إِلَى الْخَيْرِ مَنِهْجًا وَاضِحًا ، وَطَرِيقًا مَهِيمًا ^(١) » .
(الأمالى ٢ : ٨٢)



١٩- كلمات حكيمة للأعرابي

قيل لأعرابي : مَالَك لا تشرب النِّبِذ ؟ قال : « لثلاثِ خِلَالٍ فيه : لَأَنَّهُ مُتَلِفٌ لِّلْمَالِ ، مُذْهَبٌ لِّلْعَقْلِ ، مُسْقِطٌ لِّلْمُرُوءَةِ » .

وقال أعرابي : « الدِّراهِمُ مِيَّاسِمٌ ^(١) ، تَسِيمٌ حَمْدًا وَذَمًّا ، فَمَنْ حَبَسَهَا كَانَ لَهَا ، وَمَنْ أَفْهَقَهَا كَانَتْ لَهُ ، وَمَا كُلُّ مَنْ أُعْطِيَ مَالًا أُعْطِيَ حَمْدًا ، وَلَا كُلُّ عَدِيمٍ ذَمِيمٌ » .
وقال أعرابي لأخ له : « يَا أَخِي إِنْ مَالِكَ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكَ كُنْتَ لَهُ ، وَإِنْ لَمْ تُفْنِهِ أَفْنَاكَ ، فَكُلُّهُ قَبْلَ أَنْ يَأْكُلَكَ » .

وقال أعرابي : « إِنْ الْمَوْفُوقُ مِنْ تَرْكِ أَرْفَقَ الْحَالَاتِ بِهِ ، لِأَصْلَحِهَا لِدِينِهِ ، نَظَرًا لِنَفْسِهِ ، إِذَا لَمْ تَنْظُرْ نَفْسُهُ لَهَا » .

وقال أعرابي : « إِنْ اللَّهَ مُخْلِفٌ مَا أَتْلَفَ النَّاسُ ، وَاللَّهْرُ مُتَلِفٌ مَا أُخْلِفُوا ، وَكَمْ مِنْ مَيِّتَةٍ عَلَيْهَا طَلَبَ الْحَيَاةِ ، وَكَمْ مِنْ حَيَاةٍ سَبَبُهَا التَّعَرُّضُ لِلْمَوْتِ » .

وقال أعرابي : « إِنْ الْآمَالَ قَطَعْتَ أَعْنَاقَ الرِّجَالِ ، كَالسَّرَابِ عَرٌّ مِنْ رَأَاهُ ، وَأَخْلَفَ مِنْ رَجَاهُ » .

وقال أعرابي لصاحب له : « أَفْضَحُ مِنْ يَتَنَاسَى مَعْرُوفَهُ عَلَيْكَ ، وَيَتَذَكَّرُ حَقُوقَكَ عَلَيْهِ » .

وقال أعرابي : « لَا تَسْأَلْ مَنْ يَهْرُثُ مِنْ أَنْ تَسْأَلَهُ . وَلَكِنْ سَلِ مَنْ أَمَرَكَ أَنْ تَسْأَلَهُ ، وَهُوَ اللَّهُ تَعَالَى » .

[١] مياسم جمع ميسم بالكسر : وهو للكوة .

وقال أعرابي : « ما بقاءُ عُمرٍ تقطعهُ الساعاتُ ، وسلامةُ بدنٍ مُعرَّضٍ للآفاتِ ؟ ولقد عجبتُ من المؤمنِ كيف يكره الموتَ ؟ وهو ينقله إلى الثواب الذي أحياه ليله ، وأظنُّ له نهاره . »

وذكر أهلُ السلطان عند أعرابي فقال : « أما والله لئن عَزُّوا في الدنيا بالجور ، لقد ذَلُّوا في الآخرة بالعدل ، ولقد رضوا بقليلٍ فإن ، عَوْضًا عن كثيرٍ باقٍ ، وإنما نزلَ القلمُ حيث لا ينفع الندم . »

وقال أعرابي : « من كانت مطيته الليل والنهار ، سارا به وإن لم يسِرْ ، وبلغا به وإن لم يبلغ . »

وقال أعرابي : « الزهادة في الدنيا مفتاح الرغبة في الآخرة ، والزهادة في الآخرة مفتاح الرغبة في الدنيا . »

وقيل لأعرابي وقد مرض : إنك تموت ! قال : « وإدامتُ فإلى أين يذهبُ بي ؟ » قالوا : « إلى الله تعالى » ، قال : « فما كراحتي أن يذهبَ بي إلى من لم أرا الخير إلا منه ؟ » .

وقال أعرابي : « من خاف الموتَ بادر الموتَ ، ومن لم يُنَحِّ النفسَ عن الشهوات ، أسرعَ به إلى الهلكات ، والجنة والنار أمامك . »

وقال أعرابي : « خيرٌ لك من الحياة ما إذا فقدته أبغضتَ له الحياة ، وشرٌّ من الموت ما إذا نزل بك أحييتَ له الموت . »

وقيل لأعرابي : من أحقُّ الناس بالرحمة ؟ قال : « الكريمُ يُسلِّط عليه اللئيمُ ، والعاقِلُ يُسلِّط عليه الجاهل . »

وقيل له : أي الداعين أحق بالإجابة ؟ قال : المظلوم ، وقيل له : فأى الناس أغنى عن الناس ؟ قال : « من أفرد الله بحاجته » .

وقال الأصمعي : سمعت أعرابياً يقول : « إذا أشكل عليك أمران ، فانظر أيهما أقرب من هواك تخالفه ، فإن أكثر ما يكون الخطأ مع متابعة الهوى » .
وقال أعرابي : « الشرُّ عاجِلُهُ لذيذٌ ، وآجِلُهُ وَخِيمٌ » .

وقال أعرابي : « من ولد الخير أتيح له فراخاً تطير بأجنحة السرور ، ومن غرس الشر أنبت له نباتاً مرّاً مذاقه ، وقُضْبَانُهُ العيْظُ ، وثمرته الندم » .

وقال أعرابي : « من كساه الحياء ثوبه ، خفي على الناس عيبه » وقال : « بئس الزاد، التَّعَدَّى على المباد » ، وقال : « التلطف بالحيلة ، أقطع من الوسيلة » ، وقال : « من ثقل على صديقه ، خف على عدوه ، ومن أسرع إلى الناس بما يكرهون ، قالوا فيه ما لا يعلمون » .

وقال أعرابي : « أعجزُ الناس مَنْ قَصَّرَ في طلب الإخوان ، وأعجزُ منه مَنْ ضَيَّعَ من ظَفِرِهِ منهم » .

وقال أعرابي لابنه : « لا يسرك أن تغلب بالشر ، فإن الغالب بالشر هو المغلوب » .

وقال أعرابي لأخ له : « قد نهيتك أن تُريقَ ماء وجهك عند من لاءاء في وجهه ، فإن حَظَّكَ مِنْ عَطِيَّتِهِ السَّوَالُ » .

وقال أعرابي : « إن حبَّ الخير خير وإن عجزت عنه المقدرة ، وبنقض الشرِّ خيراً وإن فعلت أكثره » .

وقال أعرابي : « والله لولا أن المروءة ثَقِيلٌ تَحْمِلُهَا ^(١) ، شديدة مؤثنتها ، ماترك اللثام للكرام شيئا » .

واختُصِرَ أعرابي ، فقال له بنوه : عِظْنَا يَا أَبَتِ ، فقال : « عاشروا الناس معاشرةً ، إن غبتم حَثُوا إليكم ، وإن متم بَكَوْا عليكم » .

ودخل أعرابي على بعض الملوك في شَمْلَةٍ ^(٢) شعر ، فلما رآه أعرض عنه ، فقال له : « إن الشَّمْلَةَ لا تكلمك ، وإنما يكلمك مَنْ هو فيها » .

وقال أعرابي : « رَبِّ رَجُلٍ سِرُّهُ مَنشُورٌ على لسانه ، وآخر قد التحفَّ عليه قلبه التحافَ الجَنَاحِ على الخَوَاقِي » .

وقيل لأعرابي : كيف كتمانك للسِّرِّ ؟ قال : « ما جوفى له إلا قَبْرٌ » .

ومرَّ أعرابيان برجل صلبه بعض الخلفاء ، فقال أحدهما : أُنْبِئْتُهُ الطَّاعَةَ ، وَحَصَدَتِهِ المَعْصِيَةَ ، وقال الآخر : « من طَلَّقَ الدنيا فالآخرة صاحِبَتُهُ ، ومن فارق الحقَّ فَالْجَذْعُ راحِلَتُهُ » .

وقال أعرابي : « إذا أردت أن تعرف وفاء الرجل ، ودوام عهده ، فانظر إلى حنينه إلى أوطانه ، وشوقه إلى إخوانه ، وبكائه على ما مضى مِنْ زمانِهِ » .

وقال أعرابي : « إذا كان الرأى عند من لا يُقْبَلُ منه ، والسلاح عند من لا يَسْتَعْمَلُهُ ، والمال عند من لا يَنْفَقُهُ ، ضاعت الأمور » .

(النقد المرید ٢ : ٨٥ - ٨٧)

وقال أعرابي : « إن الدنيا تنطق بغير لسان ، فتخبر عما يكون بما قد كَانَ » .

(النقد المرید ٢ : ٨٠)

وقال الأصمعي : سمعت أعرابيا يقول : « غَفَلْنَا ولم يَنْقُلِ الدهرُ عنا ، فلم

[١] اَحْمَلُ فِي الْأَمَلِ : شَغْلٌ عَلَى السَّيْرِ بِحَمْلِ مِثْلِ الْعَدِيلَانِ . [٢] كَسَاءٌ دُونَ الْقَطِيعَةِ يَشْتَمِلُ بِهِ .

تَعْظُ بِغَيْرِنَا ، حَتَّى وَعِظَ غَيْرُنَا بِنَا ، فَقَدْ أَدْرَكَتِ السَّعَادَةُ مَنْ تَتَبَّهُ ، وَأَدْرَكَتِ الشَّقَاوَةُ مَنْ غَفَلَ ، وَكَفَى بِالتَّجَرُّبَةِ وَاعِظًا . (زمر الآداب ٢ : ٥)

وَقَالَ أَعْرَابِي لِرَجُلٍ : « اشْكُرْ لِلنِّعَمِ عَلَيْكَ ، وَأَنْعِمِ عَلَى الشَّاكِرِ لَكَ ، تَسْتَوْجِبُ مِنْ رَبِّكَ زِيَادَتَهُ ، وَمَنْ أَخِيكَ مُنَاصِحَتَهُ . » (زمر الآداب ٢ : ٦)
وَتَذَاكَرَ قَوْمَ صَلَاةِ الرَّحِمِ ، وَأَعْرَابِيٌّ جَالِسٌ ، فَقَالَ : « مَنْسَأَةٌ ^(١) فِي الْعَمْرِ ، مَرْضَاءَةٌ لِلرَّبِّ ، مُحِبَّةٌ فِي الْأَهْلِ . » (الأمل ١ : ٢١٧)

وَقَالَ أَعْرَابِي : « لَا أَعْرِفُ ضُرًّا أَوْصَلَ إِلَى نِيَاطِ الْقَلْبِ ، مِنْ الْحَاجَةِ إِلَى مَنْ لَمْ تَثِقْ بِإِسْعَافِهِ ، وَلَا تَأْمَنَ رَدَّهُ ، وَأَكَلَمُ الْمَصَائِبِ فَقْدُ خَلِيلٍ لَا عِوَضَ مِنْهُ . »
وَقِيلَ لِأَعْرَابِي : أَيُّ شَيْءٍ أَمْتَعُ ؟ فَقَالَ : « مُمَازَحَةُ الْمُحِبِّ ، وَمُحَادَثَةُ الصَّدِيقِ ، وَأَمَانِيَّ تَقْطَعُ بِهَا أَيْمَانَكَ . »

وَقَالَ أَعْرَابِي : « مَنْ لَمْ يَرْضَ عَنْ صَدِيقِهِ إِلَّا بِإِيْتَارِهِ عَلَى نَفْسِهِ ، دَامَ سَخَطُهُ ، وَمَنْ عَاتَبَ عَلَى كُلِّ ذَنْبٍ كَثُرَ عَدُوُّهُ ، وَمَنْ لَمْ يُوَاخِ مِنْ الْإِخْوَانِ إِلَّا مَنْ لَا عَيْبَ فِيهِ قَلَّ صَدِيقُهُ . » (الأمل ١ : ٢١٨)

عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ عَمِّهِ قَالَ : قُلْتُ لِأَعْرَابِي مَا تَقُولُ فِي الْمِرَاءِ ؟ قَالَ : « مَا عَسَى أَنْ أَقُولَ فِي شَيْءٍ يُفْسِدُ الصَّدَاقَةَ الْقَدِيمَةَ ، وَيَحُلُّ الْمَقْدَةَ الْوَثِيقَةَ ، أَقَلُّ مَا فِيهِ أَنْ يَكُونَ دُرْبَةً لِلْمَغَالِبَةِ ، وَالْمَغَالِبَةُ مِنْ أَمْتِنِ أَسْبَابِ الْفِتْنَةِ . » (الأمل ١ : ٢٥٨)
عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ عَمِّهِ قَالَ : سَمِعْتُ أَعْرَابِيًّا يَقُولُ : « لَا يُوَجَدُ الْعَجُولُ مَحْمُودًا ، وَلَا الْمَضُوبُ مَسْرُورًا ، وَلَا الْمَلُولُ ذَا إِخْوَانٍ ، وَلَا الْحَرْءُ حَرِيصًا ، وَلَا الشَّرُّ عَنِيًّا . »

وقال : سمعت أعرابياً يقول : « صُنْ عقلك بالحلم ، وَمُرْ وِدتك بالعَفَاف ،
وَنَجِدْ تَك بِمِجَانِبَةِ الحُكْمَاءِ ، وَخَلِّتْكَ ^(١) بِالْإِجَالِ فِي الطَّلَبِ » (الأمل ٢ : ٢٢)
وقال : سمعت أعرابياً يقول : « أَقْبِحُ أَعْمَالُ الْمُتَقَدِّرِينَ الْإِتْقَامَ ، وَمَا اسْتَنْبَطَ
الصَّوَابُ بِمِثْلِ الْمَشَاوِرَةِ ، وَلَا حُصِّلَتِ النِّعَمُ بِمِثْلِ الْمَوَاسَاةِ ، وَلَا اكْتَسِبَتِ
الْبَغْضَاءُ بِمِثْلِ الْكِبَرِ » . (الأمل ٢ : ٢٢ ، وزمر الآداب ٢ : ٣)

وقال أعرابي : « خَيْرُ الْإِخْوَانِ مَنْ يُنِيلُ عُرْفًا ، أَوْ يَدْفَعُ ضُرًّا » .
(الأمل ٢ : ٤١)

عن عبد الرحمن عن عمه قال : سمعت أعرابياً يقول : « الْعَاقِلُ حَقِيقٌ أَنْ
يُسَخِّي بِنَفْسِهِ عَنِ الدُّنْيَا ، لَعَلَّهُ أَنْ لَا يَنَالَ أَحَدٌ فِيهَا شَيْئًا إِلَّا قَلَّ إِمْتَاعُهُ بِهِ ، أَوْ
كَثُرَ عَنَاؤُهُ فِيهِ ، وَاشْتَدَّتْ مَرَزِيَّتُهُ ^(٢) عَلَيْهِ عِنْدَ فِرَاقِهِ ، وَعَظُمَتِ التَّبِعَةُ
فِيهِ بَعْدَهُ » . (الأمل ٢ : ٤١)

وقال أعرابي : « خَصَلْتَانِ مِنَ الْكِرَمِ : إِنْصَافُ النَّاسِ مِنْ نَفْسِكَ ،
وَمَوَاسَاةُ الْإِخْوَانِ » . (الأمل ٢ : ٧٣)

وقال أعرابي : « مَا غُبِنْتُ قَطُّ حَتَّى يُغَيَّبَنَ قَوْمِي » ، قيل : وكيف ذلك ؟
قال : « لَا أَفْعَلُ شَيْئًا حَتَّى أَشَاوِرَهُمْ » . (البيان والتبيين ٢ : ١٦١)

وقال أعرابي لرجل مَظَلَّهَ فِي حَاجَةٍ : « إِنْ مِثْلَ الظُّفْرِ بِالحَاجَةِ تَعْجِيلُ الْيَأْسِ مِنْهَا ،
إِذَا عُسِّرَ قَضَاؤُهَا ، وَإِنْ الطَّلَبُ وَإِنْ قَلَّ ، أَعْظَمُ قَدْرًا مِنَ الحَاجَةِ وَإِنْ عَظُمَتْ ،
وَالْمَطْلُ مِنْ غَيْرِ عُسْرِ آفَةٍ الْجُودِ » . (البيان والتبيين ٣ : ٢٢١)

وقال أعرابي : « وَعْدُ الْكَرِيمِ تَقْدٌ وَتَعْجِيلُ ، وَعْدُ اللَّيْمِ مَظْلٌ وَتَعْلِيلُ » .
(البيان والتبيين ٣ : ٢٣١)

وقال أعرابي : « اعتذارٌ من منع ، أنجلٌ من وعدٍ تمطول » .

(الأمل ٢ : ١٩٨)

وقال أعرابي : « عودٌ لسانك الخير ، تسلمٌ من أهل الشر » .

(ذيل الأمل ص ٢٩)

وقال أعرابي : « خرجت ليلة حين انحدرت أيدي النجوم ، وشالت ^(١)

أرجلها ، فما زلت أصدع الليل حتى انصدع الفجر ، فإذا بجارية كأنها علم فجعلت أغازلها ، فقالت : يا هذا ، أمالك ناهٍ من كرم ، إن لم يكن لك زاجرٌ من عقل ؟ قال : والله ما يراني إلا الكواكب ! قالت : فأين مكوكبها ؟ »

(القدر ٢ : ٩٤ ، والبيان والتبيين ٢ : ٥١ ، وزهر الآداب ٢ : ٦)

أجوبة الأعراب

٢٠ - مجاوبة أعرابي للحجاج

خرج الحجاج ذات يوم فأضمر ^(٢) ، وحضر غداؤه ، فقال : اطلبوا من يتغذى معي ، فطلبوا ، فإذا أعرابي في شملة : فأتي به ، فقال السلام عليكم ، قال : هلم أيها الأعرابي ، قال : قد دعاني من هو أكرم منك فأجبته ، قال : ومن هو ؟ قال : دعاني الله ربّي إلى الصوم ، فأنا صائم ، قال : وصومٌ في مثل هذا اليوم الحار ؟ قال : صمت ليومٍ هو أحرُّ منه ، قال : فأقِطِ اليومَ وصُمتَ غداً ، قال : وَيَضْمَنَ لي الأميرُ أني أعيش إلى غد ؟ قال : ليس ذاك إياه ، قال : فكيف تسألني عاجلاً تأجل ، ليس إليه سبيل ؟ قال : إنه طعام طيب ، قال : والله

[١] ارتفعت : من شالت الطاقة بدنها وأشالته : رفته ، مثال هو .

[٢] أضمر : برد في الصحراء .

ما طيبه خبازك ولا طبأخك ، قال : فمن طيبه ؟ قال : العافية ، قال الحجاج :
 تالله إن رأيت كالיום ! أخرجوه عنى . (البانوالتيبي ٣ : ٢٢٤ ، والنفاقر ٢ : ٨٧)

٢١ - مساءلة الحجاج أعرابيا فصيحاً

وقال الحجاج لأعرابي كلمه فوجدته فصيحاً : كيف تركت الناس وراءك ؟ فقال :
 « تركتهم - أصلح الله الأمير - حين تفرقوا في النيطان ، وأخذوا النيران ،
 وتشكت النساء ، وعرض الشاء ، ومات الكلب » ، فقال الحجاج لجلسائه :
 أخصباً نعت أم جذباً ؟ قالوا : بل جذباً ، قال : بل خصباً ، قوله : تفرقوا في
 النيطان^(١) ، معناه : أنها أعشبت ، فأبلمهم وغنمهم ترعى ، وأخذوا النيران ، معناه :
 استغنوا باللبن عن أن يشتروا لحوم إبلهم وغنمهم ويأكلوها ، وتشكت النساء
 أعضاءهن ، من كثرة ما يمتخضن^(٢) الألبان ، وعرض الشاء : استن^(٣) من كثرة
 العشب والمرعى ، ومات الكلب : لم تمت أغنامهم وإبلهم فإكل جيفها .
 (ديل الأملك ص ٨٧)

٢٢ - مجاوبة أعرابي لعبد الملك بن مروان

ودخل أعرابي على عبد الملك بن مروان ، فقال له : يا أعرابي صف الحمر ، فقال :
 شمول^(٤) إذا شجبت ، وفي الكأس مزة لها في عظام الشارين ديب^(٥)
 تريك القذى من دونها وهي دونه لوجه أخيها في الإناء قطوب^(٥)

[١] جمع طائط : وهو اللطيف الواسع من الأرض . [٢] محس القين من ذك قطع وصر وصر
 أخذ ربه . [٣] استن : صم ، من الإبل كنصر : إذا رطما فأممها .

[٤] الشمول : الحمر أو اللادة منها ، لأنها تشمل برمجها الناس ، أو لأن لها عصفا كصفا الشمال ،
 وشح الشراب : مرجه . [٥] القذى : ما يقع في الشراب ، قطب كصرب قطاً وقطوما : زوى ما بين
 عبيه وكلع ، وأحوما : هو بيد الرب ، وللعى : أن الثارين يصلونها عليه فيشربونها دونه ، فهو
 يقطب من أجل ذلك ، وفي أخيها يقول الشاعر :

فقال : ويحك يا أعرابي ! لقد اتهمك عندي حُسْنُ صفتك لها ، قال : « يا أمير المؤمنين ، واتهمك عندي معرفتك بحسن صفتي لها » .

(عيون الأخبار م ٢ : ص ٢١٥)

٢٣ — مجاوبة أعرابي لخالد بن عبد الله القسري

وخطب خالد بن عبد الله القسري فقال :

« يا أهل البادية : ما أخشن بلدكم ، وأغلظ معاشكم ، وأجنى أخلاقكم ، لا تشهدون الجمعة ، ولا تجالسون عالماً ، فقام إليه رجل منهم دميم ، فقال : « أما ما ذكرت من خشونة بلدنا ، وعِلْظ طعمانا ، فهو كذلك ، ولكنكم معشر أهل الحضر ، فيكم ثلاث خصال ، هي شرٌّ من كل ما ذكرت » ، قال له خالد : وما هي ؟ قال : « تنقبون الدور ، وتنبشون القبور ، وتنكحون الذكور » ، قال : « قبّحك الله ، وقبّح ما جئت به » . (القدر المريد ٢ : ١٢٢)

٢٤ — أجوبة شتى

وقدّم أعرابي إلى السلطان ، فقال له : قل الحق ، وإلا أوجعتك ضرباً ، قال له : « وأنت قاتلٌ قاتلٌ به ، فوالله ما أوعدك الله على تركه ، أعظم مما تُوعِدُنِي به » .

ونظر عثمان إلى أعرابي في شملة ، غائر العينين ، مُشْرِفِ الحاجبين ، ناثي الجبهة ، فقال له : أين ربك ؟ قال : بِالرُّصَادِ !

وقيل لأعرابي : إنك تُحَسِّنُ الشَّارَةَ ^(١) ، قال : « ذلك عُنوانُ نعمة الله عندي » .

دع انخر يجرها العواة طامى رأيت أظفا معياً فكانها

ما لا يكنها أو تكه ديه أحوها عدته أمه يلبانها

[١] الشارة : اللبس والهيئة والهيئة .

وقيل لأعرابي : « كيف أنت في دينك ؟ قال : أخرقه بالمعاصي »
وأرقعه بالاستغفار .

ومثل أعرابي عن القدر فقال : « الناظر في قدر الله كالناظر في عين الشمس ،
يعرف ضوءها ، ولا يقف على حدودها » .

وسئل آخر عن القدر ، فقال : « علم اختصت فيه العقول ، وتناول فيه
المختلفون ، وحق علينا أن يرد إلينا ما التبس علينا من حكمه ، إلى ما سبق علينا
من علمه » . (القدر الفرد ٢ : ٨٦ - ٨٧)

وقيل لأعرابي : من أبلغ الناس ؟ قال : « أحسنهم لفظاً وأسرعهم بديهة » .
وقيل لأعرابي : مالك لا تطيل الهجاء ؟ قال : « يكفيك من القلادة
ما أحاط بالعنق » .

وقال معاوية لأعرابية : هل من قرى ؟ قالت : نعم ، قال : وما هو ؟ قالت :
« خبز خمر ، ولبن فطير ، وماء نمر ^(١) » .

وقيل لأعرابي : فيم كنتم ؟ قال : « كنا بين قدر تفور ، وكأس تدور ،
وحديث لا يحور ^(٢) » .

وقيل لأعرابي : ما أعددت للبرد ؟ قال : « شدة الرعدة ، وقر فضاء القعدة ،
وذرب المدة ^(٣) » .

وقيل لأعرابي : « مالك من الولد ؟ قال : قليل خبيث ، قيل له : ما معناه ؟

[١] الخمر : الذي اختر ، وماء نمر : تاح ، عداكل أو غير عذب .

[٢] أي لا ينقص ، وربما كان لا يحور ملجم . [٣] القرصاء : أن يجلس على أليته ، ويلصق

لحمه بطنه ، ويحتج بديه يضعهما على ساقيه ، أو يجلس على ركبتيه مكأ ، ويلصق بطنه بهديه ،

ويتأبط كفيه ، والمرب : الحدة ، والمدة كلمة وكرة .

قال : « إنه لا أأكل من واحد ، ولا أخبث من أثنى » .

وقيل لأعرابي - وقد أدخل ناقته في السوق لبيعها - صف لنا ناقتك ، قال :
ما طلبت عليها قط إلا أدركت ، ولا طلبت إلا فئت ، قيل له : فلم تبيعها ؟
قال : لقول الشاعر :

وقد تُخرج الحاجاتُ بأثمِّ عامرٍ كرائمٍ من ربِّ بهنٍ صنينٍ
وقيل لأعرابي : ما عندكم في البادية طيب ؟ قال : « سُحر الوحش لا تحتاج
إلى يَطار » .

وقيل لشرح القاضي : هل كلك أحد قط فلم تُطِقْ له جواباً ؟ قال : ما أعلمه
إلا أن يكون أعرابياً ، خاصم عندي وهو يشير يديه ، فقلت له : أمسيك ، فإن
لسانك أطول من يدك ، قال : « أسامري أنت لا تمس ؟ » (١) .

(القند المرید ٢ : ٩٧)

وقيل لأعرابي : أيُّ الألوان أحسن ؟ قال : « قصورٌ يضُّ ، في
حدائق خُضر » .

[١] يشير إلى قوله تعالى : « قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ ، قَالَ نَحَرْتُ بِمَا آمَ يَبْصُرُ وَادِّ ،
فَبَصَّتُ قَمِيصَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا ، وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي ، قَالَ فَادْهَبْ فَإِنَّ لَكَ
فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ » .

والسامري : هو موسى بن طغر السامري نسبة إلى قرية من بني إسرائيل يقال لها : السامرة ، وكان
من قوم يبدون النفر ، وقع في مصر ، فدخل في بني إسرائيل ، وآمن بموسى ، وكان مائفاً لا يزال في قلبه
عبادة النفر ، طأ ذهب موسى لمحاذاة ربه فقتل بني إسرائيل ، وكانوا حين خرجوا من مصر حموا معهم من
حلي القبط التي أخذوها منهم رهائن على ما يقر صوبهم من المال - فآخذ لهم منها عجلة حسداً له حوار . . .
إلى آخر ما هو معروف في القصة ، من أثر الرسول : أي من أثر حمار الرسول وهو حبريل ، والأثر :
التراب الذي تحت حافره ، والباس مصدر ماس ، وهو بي أريد به انهى ، أي لا تمس ولا أمسك .

وقيل لآخر : أى الألوان أحسن ؟ قال : « يَيْضَة ^(١) » ، فى رَوْضَة ، هن
غيب سارية ، والشمس مُكَبَّدة . (العقد المرید ٢ : ٩٦)

وخطب أعرابي إلى قوم فقالوا : ما تبذل من الصداق ؟ وارتفع السَّجْف ^(٢)
فرأى شيئاً كرهه فقال : « والله ما عندى تقد ، وإنى لأكره أن يكون
على دين » . (عيون الأخبار ٢ : ص ٢٠٠)

وقيل لأعرابية مات ابنها : « ما أحسن عزاءك عن ابنك ! » ، قالت :
« إن مصيبتى آمنتنى من المصائب بعده » .

وقال محمد بن حرب الهلالي : قلت لأعرابي : « إني لك لَوَادٌّ » ، قال :
« وإن لك من قلبى لرأئداً » . (البيان والتبيين ١ : ١٤٦ ، والبيان والتبيين ٢ : ٩٢)
وقال الأصمى : رأيت أعرابياً أمامه شاة ، فقلت : لِمَنْ هذه الشاة ؟ قال :
« هى لله عندى » . (العقد المرید ٢ : ٨٦ ، وعيون الأخبار ٢ : ص ٢٠٩)

قولهم فى الاستمناح والاستجداء

٢٥ — أعرابي يجتدى عتبة بن أبى سفيان

اعترض أعرابى لعتبة بن أبى سفيان ، وهو على مكة ، فقال : أيها الخليفة ،
فقال : لستُ به ، ولم تُبْعِدْ ، قال : يا أخاه ، قال : أَسَمِعْتَ قُفْل ، قال :
« شيخ من بنى عامر يتقرب إليك بالعمومة ، ويختص بالحنوالة ، ويشكو
إليك كثرة العيال ، ووطأة الزمان ، وشدة فقر ، وترادف ضر ، وعندك ما يسعه

[١] البيضة : ساحة القوم ومجتمعهم ، والدائرة : السحابة تبرى ليلاً ، وكنت الشمس الهاء : صارت
في كدها أى وسطها ، وفى الأصل « مكيدة » بالياء وهو تصحيف .
[٢] السحب بالفتح والكسر : السحابة .

وَيَصْرِفُ عَنْهُ بؤْسَهُ ، قَالَ : « أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ مِنْكَ ، وَأَسْتَعِينُهُ عَلَيْكَ ، قَدْ أَمَرْتُ لَكَ بِغِنَاكَ ، فَلَيْتَ إِصْرَاعِنَا إِلَيْكَ ، يَقُومُ بِإِطْلَاقِنَا عَنْكَ » .

(البيلاد والتبيين ٣ : ٢٣٠ ، والقند القريد ٢ : ٨١)

٢٦ — أعرابي يجتدي عمر بن عبد العزيز

وَأَتَى أَعْرَابِي عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، فَقَالَ :

« رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ ، سَاقَتْهُ إِلَيْكَ الْحَاجَةُ ، وَبَلَغَتْ بِهِ الْغَايَةَ ، وَاللَّهُ سَائِلُكَ عَنْ مَقَامِي غَدًا » ، فَقَالَ عُمَرُ : « وَاللَّهِ مَا سَمِعْتُ كَلِمَةً أَبْلَغَ مِنْ قَائِلٍ ، وَلَا أَوْعَظَ لِمَقُولٍ لَهُ مِنْهَا » .

(القند القريد ٢ : ٨٣ ، والأمالى ٢ : ١٧٤ ، والبيلاد والتبيين ٣ : ٢٣١)

٢٧ — خطبة أعرابي بين يدي هشام بن عبد الملك

وكَانَتْ الْأَعْرَابُ تَتَجِيعُ هِشَامَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ بِالْخُطْبِ كُلِّ عَامٍ ، فَتَقْدَمُ إِلَيْهِمُ الْحَاجِبُ بِأَمْرِهِمُ بِالْإِيجَازِ ، فَيَقَامُ أَعْرَابِي ، فَيُحْمَدُ اللَّهُ وَأُثْنَى عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ :

« يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى جَعَلَ الْعَطَاءَ مَحَبَّةً ، وَالْمَنْعَ مَبْغِضَةً ، فَلَئِنْ نَحَبْتُكَ خَيْرٌ مِنْ أَنْ يُبْغِضَكَ ^(١) » ، فَأَعْطَاهُ وَأَجْزَلَ لَهُ . (القند القريد ٢ : ٨٣)

٢٨ — مقام أعرابي بين يدي هشام

وَقَامَ أَعْرَابِي بَيْنَ يَدَيْ هِشَامٍ فَقَالَ .

« يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَتَيْتُ عَلَى النَّاسِ ثَلَاثَ سِنِينَ ، أَمَّا الْأُولَى . فَلَحَّتْ ^(٢) اللَّحْمُ . وَأَمَّا الثَّانِيَةُ : فَأَكَلْتُ الشَّحْمَ . وَأَمَّا الثَّالِثَةُ : فَهَاصَتْ ^(٣) الْعَظْمُ ، وَعِنْدَكَ

[١] يروى هنا فحمد بن أبي الحُكم العدوي ، قاله في حصة هشام أيضاً . انظر الجزء الثاني ص ٤٠٦ .

[٢] من خا الشجرة : أحد لحدها (دالكسر) وهو قشرها . [٣] هاص العظم : كرهه .

الجور فهو مبيس ، وفي رواية : « وعاء أتى للعظم » أي وصل إلى بقيه (دالكسر) وهو من العظم .

فُضُولُ أَمْوَالٍ ، فَإِنْ كَانَتْ لُلهِ فَاقْسِمُوها بَيْنَ عِبَادِهِ ، وَإِنْ كَانَتْ لَهُمْ فَقِيمٌ تُحْظَرُ^(١) عَنْهُمْ ؟ وَإِنْ كَانَتْ لَكُمْ فَتَصَدَّقُوا عَلَيْهِمْ بِهَا ، إِنْ اللهُ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ » ، قَالَ هِشَامُ : هَلْ مِنْ حَاجَةٍ غَيْرِ هَذِهِ يَا أَعْرَابِي ؟ قَالَ : « مَا ضَرَبْتُ إِلَيْكَ أَكْبَادَ الْإِبِلِ ، أَدْرِعُ الْمُحْجِرَ ، وَأَخْوِضُ الثُّجِيَّ نَخَاصٍ دُونَ عَامٍ » ، فَأَمَرَ هِشَامُ بِمَالٍ ، فَقَسَمَ بَيْنَ النَّاسِ ، وَأَمَرَ لِلأَعْرَابِيِّ بِمَالٍ ، فَقَالَ : « أَكُلُ الْمُسْلِمِينَ لَهُ مِثْلُ هَذَا ؟ » قَالُوا : « لَا ، وَلَا يَقُومُ بِذَلِكَ بَيْتُ مَالِ الْمُسْلِمِينَ » ، قَالَ : « فَلَا حَاجَةَ لِي فِيهَا يَبْعَثُ لَأَمَّةَ النَّاسِ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ » .

(عيون الأحرار ٢ : ص ٣٣٨ والقدر الفريد ٢ : ٨٢)

٢٩ — أَعْرَابِيٌّ يَسْتَجِدِي عِيْدَ اللهِ بِنِ زِيَادِ

وَقَالَ الْمُتَنَبِّيُّ : وَقَفَ أَعْرَابِيٌّ بِيَابِ عِيْدِ اللهِ بِنِ زِيَادِ فَقَالَ :

« يَا أَهْلَ النَّصَارَةِ^(١) ، حَقِيبَ^(٢) السَّحَابِ ، وَانْقَشَعَ الرِّيَابُ ، وَاسْتَأْسَدَتِ
الذَّنَابُ ، وَرُدِمَ الثَّمَدُ^(٣) ، وَقَلَّ الْحَفْدُ^(٤) ، وَمَاتَ الْوَلَدُ ، وَكُنْتُ كَثِيرَ الْعُقَاةِ^(٥) ،
صَغِيبَ^(٦) السَّقَاةِ ، عَظِيمَ الدَّلَاةِ^(٧) لَا تَصِلُ الزَّمَانَ ، وَعَقَلَ^(٨) الْحِدْثَانِ ، حَيَّ
حَلَالَ^(٩) ، وَعَدَدَ وَمَالٍ ، فَتَفَرَّقْنَا أَيْدِي سَبَا^(١٠) ، بَيْنَ فَقْدِ الْأَبْنَاءِ وَالْآبَاءِ ،

[١] تحجب وتنع . [٢] النصارى : العمة والسعة والمحب ، وفي الأصل : « النصارى » وهو تحريف — والنصارى كلمة وللمعنى — . [٣] حقب المطر وغيره : احتبس ، والرياب : السحاب الأبيض .
[٤] الثمد كشس وسب : الماء القليل لامادة له . [٥] الحقد : الأعوان جمع حقد .
[٦] العاة جمع طاف . وهو الوارد والصريف ، وكل طاف فحل أو ورق .
[٧] وصف من الصخب بالتحريك وهو شدة الصوت ، والسقاة جمع ساق كقاض ، وفي الأصل « صخب السماء » وأراه محرراً . [٨] في الأصل : « عظيم الرلات » وأراه محرراً ، والدلالة : كفضة جمع دال كقاض ، وهو البارح في القلو المستقي به الماء من البثر . يقال : أدليت القلو ودليتها : إذا أرسلتها في البثر . ودلوها أدوها فأما دال : إنا أحرحتها . [٩] العلق بالتحريك : العلة ، والحديثان : نوب الدهر وحوادثه ، وفي الأصل : « ولا أعقل الحديثان » وأراه محرراً ، وربما كان الأصل « ولا يعال الحديثان » تكرر لام الحر . [١٠] الحلة بالكسر : القوم البارزون ، والجمع حلال وحلل ككتات وعب ، وتطلق الحلة على البيوت مجازاً تسمية للحل باسم الحالة ، وفي مائة بيت مما فوقها .
[١١] يقال : ذهبوا أيدي سبا ، وتمرقوا أيدي سبا : أي تددوا ، شبهوا بأهل سبأ لما

وكنْتَ حَسَنَ الشَّارَةِ ^(١) ، خَصِيبَ الدَّارَةِ ^(٢) ، سَلِيمَ الْجَارَةِ ^(٣) ، وَكَانَ مَحَلِّي
جَمِّي ، وَقَوْمِي أُسِّي ^(٤) ، وَعَزَى جَدًّا ^(٥) ، قَضَى اللَّهُ - وَلَا رُجْعَانَ لِمَا قَضَى - بِسَوَافٍ ^(٦)
الْمَالِ ، وَشَتَاتِ الرِّجَالِ ، وَتَغْيُرِ الْحَالِ ، فَأَعَيْنُوا مَنْ شَخَّصَهُ شَاهِدُهُ ، وَلِسَانُهُ
وَافِدُهُ ، وَقَرُّهُ سَائِقُهُ وَقَائِدُهُ . (زمر الآداب ٣ : ٢٠٧)

٣٠ - أعرابية تستجدي عبد الله بن أبي بكر

ودخلت أعرابية على عبد الله بن أبي بكر بالبصرة ، فوقفت بين
السماطين ^(٧) فقالت :

« أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ وَأَمْتَعَ بِهِ ، حَدَرَتْنا إِلَيْكَ سَنَةٌ اشْتَدَّ بِلَاؤُهَا ، وَانْكَشَفَ
غِطَاؤُهَا ، أَقْوَدُ صِبْيَةٍ صَغَارًا ، وَآخَرِينَ كِبَارًا ، فِي بَلَدٍ شَاسِعَةٍ ، تَحْفِضُنَا خَافِضَةً ،
وَتَرْفَعُنَا رَافِعَةً ، لِمِلَلَاتٍ مِنَ الدَّهْرِ ، بَرَّيْنِ عَظَمَى ، وَأَذْهَبَيْنِ حُمَى ، وَتَرَكْتَنِي
وَالِهَةً ، أَذُورُ بِالْحَضِيضِ ، وَقَدْ ضَاقَ بِي الْبَلَدُ الْعَرِيضُ ، فَسَأَلْتُ فِي أَحْيَاءِ
العَرَبِ : مَنْ الْكَامِلَةُ فُضَائِلُهُ ، الْمُعْطَى سَائِلُهُ ، الْمَكْنِيُّ نَائِلُهُ ؟ فَذُلْتُ عَلَيْكَ
- أَصْلَحَكَ اللَّهُ تَعَالَى - وَأَنَا امْرَأَةٌ مِنْ هَوَازِنَ ، قَدْ مَاتَ الْوَالِدُ ، وَغَابَ الرَّافِدُ ،

مَرَقْتُهُمْ اللَّهُ فِي الْأَرْضِ كُلِّ مَرَقٍ ، فَأَحْدُ كُلِّ طَائِفَةٍ مِنْهُمْ طَرِيقًا عَلَى حَتَّةٍ ، وَالْيَدِ : الطَّرِيقُ . يُقَالُ : أَخَذَ
لِقَوْمٍ يَدَ بَحْرٍ ، ضَلَّ لِقَوْمٍ إِذَا تَعَرَّقُوا فِي حِمَاتٍ مُخْتَلِفَةٍ : دَهَرُوا أَيْدِي سَبَا : أَيِ فَرَقْتُهُمْ ضَرَفْتُهُمْ الَّتِي
سَلَكُوهَا كَمَا تَعَرَّقُ أَهْلُ سَبَا فِي مَذَاهِبَ شَتَّى ، وَالْعَرَبُ لَا تَهْمُ سَبَا فِي هَذَا الْمَوْضِعِ ، لِأَنَّهُ كَثُرَ فِي كَلَامِهِمْ
فَاسْتَقْبَلُوا فِيهِ الْهَمْرَةَ ، وَإِنْ كُنْ أَصْلُهُ مَهْجُورًا ، وَقَدْ مَوَّأَ أَيْدِي سَبَا ، وَأَيْدِي سَبَا عَلَى الْكُفْرِ الْكُفْرُ
مَرَكَبًا تَرْكِبُ حِمَّةٍ عَشْرَ .

[١] الشَّارَةُ : الْهَيْئَةُ وَالْمَنَاسُ وَالرِّبَاةُ وَالْمَحَلُّ . [٢] الدَّارَةُ : الدَّارُ .

[٣] الْجَارَةُ : مِنَ الْمَنَابِي : الرُّوحَةُ . [٤] الْأُسَى جَمْعُ أُسْوَةٍ : وَهِيَ تَعْدُوَّةٌ .

[٥] الْحَدَا : الْعَطِيَّةُ ، وَالطَّرِيقُ الَّذِي لَا يَرُفُّ أَقْصَاهُ . [٦] السَّوَافِ : مَنَصْمُوعٌ وَفَتْحٌ : مَرَسٌ لَا يَرُفُّ ،

وَسَوَافِ الْمَالِ يَسُوفُ وَيَسَافُ : هُتٌّ ، أَوْ وَقَعَ فِيهِ السَّوَافُ .

[٧] السَّمَاطَانُ مِنَ النَّاسِ : السَّمَاطَانُ .

وَأَنْتَ بَعْدَ اللَّهِ غِيَاثِي ، وَمُسْتَهَيِّ أَمَلِي ، فَافْعَلْ بِي إِحْدَى ثَلَاثِ خِصَالٍ : إِمَّا أَنْ تَرُدَّنِي إِلَى بَلَدِي ، أَوْ تُحْسِنَ صَفْدِي ^(١) ، أَوْ تَقِيمَ أَوْدِي ، فَقَالَ : بَلْ أَجْمَعُن لَكَ ، فَلَمْ يَزَلْ يَجْرِي عَلَيْهَا كَمَا يُجْرَى عَلَى عِيَالِهِ حَتَّى مَاتَتْ .
(زمر الآداب ٣ : ٢٠٦)

* *

وروى صاحب العقد قال :
قال الأصمعي : وقفت أعرابية على عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنهما فقالت :
« إِنِّي أَتَيْتُ مِنْ أَرْضٍ شَاسِعَةٍ ، تَخْفِضُنِي خَافِضَةً ، وَتَرْفَعُنِي رَافِعَةً ، فِي بَوَادِي بَرٍّ لَحْمِي ، وَهِيضٍ ^(٢) عَظْمِي ، وَتَرَكْتِي وَاهِلَةً ، قَدْ ضَاقَ بِي الْبَلَدُ ، بَعْدَ الْأَهْلِ وَالْوَلَدِ ، وَكَثْرَةِ مِنَ الْعَدَدِ ، لَا قَرَانَةَ تُؤْوِيْنِي ، وَلَا عَشِيرَةَ تَحْمِينِي ، فَسَأَلْتُ أَحْيَاءَ الْعَرَبِ ، مَنْ الْمَرْتَجَى سَيِّئُهُ ^(٣) ، الْمَأْمُونُ عَيْبُهُ ، الْكَثِيرُ نَائِلُهُ ، الْمَكْنِيُّ سَائِلُهُ ، فَذُلْتُ عَلَيْكَ ، وَأَنَا امْرَأَةٌ مِنْ هَوَازِنَ ، فَقَدْتُ الْوَلَدَ وَالْوَالِدَ ، فَاصْنَعْ فِي أَمْرِي وَاحِدَةً مِنْ ثَلَاثٍ : إِمَّا أَنْ تُحْسِنَ صَفْدِي ، وَإِمَّا أَنْ تَقِيمَ أَوْدِي ، وَإِمَّا أَنْ تَرُدَّنِي إِلَى بَلَدِي » ، قَالَ : بَلْ أَجْمَعُن لَكَ ، فَفَعَلَ ذَلِكَ بِهَا .

(العقد العريد ٢ : ٨٢)

٣١ - أعرابي يستجدي خالد بن عبد الله القسري

ودخل أعرابي على خالد بن عبد الله القسري ، فقال :
« أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ : شَيْخٌ كَبِيرٌ ، حَدَّثَهُ إِلَيْكَ بَارِيَةُ الْعِظَامِ ^(٤) ، وَمُورِثَةٌ

[١] الصفد : المطاء . [٢] هاض العظم : كسره بعد الحور . [٣] السيب المطاء .
[٤] حدته : ساقته ، وبارية العظام : أي السكبات التي تبرى العظام ، مؤرثة : مهيبة ، من التأريث ، وهو إيقاد النار .

الأسقام ، ومُطَوَّلَة الأعوام ، فذهبت أمواله ، ودُعِدَتْ ^(١) آباله ، وتَمَيَّرَتْ أحواله ، فإن رأى الأمير أن يَحْبِرَه بفضله ، وَيَنْمِشُه بِسَخَطِه ^(٢) ، ويردّه إلى أهله ! » فقال : كل ذلك ، وأمر له بعشرة آلاف درهم . (الأمل ٢ : ٤٩)

٣٢ — أعرابي يستجدي معن بن زائدة

وقدّم أعرابي من بني كِنانة على معن بن زائدة وهو باليمن فقال :
« إني والله ما أعرف سبباً بعد الإسلام والرَّحِم ، أقوى من رحلة متلى من أهل السنّ والحسب إليك من بلاده ، بلا سبب ولا وسيلة ، إلا دعاءك إلى المكارم ، ورغبتك في المعروف ، فإن رأيت أن تضعني من نفسك بحيث وضعت نفسي من رجائك فافعل » فوصله وأحسن إليه . (القدر ٢ : ٨٠)

٣٣ — خطبة الأعرابي السائل في المسجد الحرام

عن أبي زيد قال : يتنا أنا في المسجد الحرام إذ وقف علينا أعرابي فقال :
« يا مسلمون ، إنَّ الحمد لله ، والصلاة على نبيه ، إني امرؤ من أهل هذا المِلْطَاطِ الشَّرْقِيِّ المُوَاصِي أَسِيافَ تِهَامَةٍ ^(١) ، عَكَفْتُ عَلَى سِنُونٍ مُحْشٍ ^(٢) ، فَاجْتَبَيْتِ الدَّرَى ، وَهَشَمْتُ العُرَى ^(٣) ، وَجَجَشْتُ النِّجَمَ ، وَأَعْجَجْتُ الْبَهَمَ ^(٤) ،

[١] دعت : فرقت ، وآنا جمع ! ل . [٢] السحل في الأصل : انكسرت العظيمة مملوءة .

[٣] المِلْطَاطُ : كل شئ من أرواد ، والتواصي والتواصل واحد ، يقال : تواصى بـ . تصل بعضه بعضاً ، وأساياف جمع سيف فالكسر . وهو ساحل البحر . [٤] عَكَفْتُ : نُقِمْتُ ، والنون الحدود ، ومحش جمع محوش كصور ، وهي التي تمحش (هم الخاء) تكللاً أي تفرقة .

[٥] اجت : قضت واستأصكت ، وهشمت : كسرت ، والدرى جمع عروة ، والعروة : القصة من الشعر لا يراى دقيماً على الخد ترده أحوالهم . [٦] ججشت : اجثقت ، والجم : ما نعه ولم يستغل على ساق ، وأعجت : ثنى حذتها عجا ، والعجى : السبيء الدعاء للمهرون .

وَهَمَّتِ الشَّحْمَ ، وَالتَّحَبَّتِ اللَّحْمَ ، وَأُخْجِنَتِ الْعَظْمَ ^(١) ، وفادرت التراب مَوْرًا ،
والماء غَوْرًا ، والناس أَوْزَاعًا ^(٢) ، وَالتَّبَطَّ قُعَا ، وَالضَّهْلُ جُزَامَا ، وَالْمَقَامُ
جَمْعًا ^(٣) ، يُصَبِّحُنَا الْمَآوِي ، وَيَطْرُقُنَا الْمَآوِي ^(٤) ، نَخْرَجْتُ لَا أَتْلَفُ بَوْصِيدَةً ،
وَلَا أَتَقَوِّتُ هَبِيدَةً ^(٥) ، فَالْبَخَصَاتُ وَقِعَةٌ ، وَالرُّكْبَاتُ زَامَةٌ ، وَالْأَطْرَافُ
قَقْعَةٌ ^(٦) ، وَالْجِسْمُ مُسْلَمٌ ، وَالنَّظَرُ مُدْرَهَمٌ ^(٧) ، أَغْشُو فَاغْطَشُ ، وَأَضْحَى
فَأَخْفَشُ ^(٨) ، أُسْهِلْ ظَالِمًا ، وَأُخْزِنْ رَاكِمًا ^(٩) ، فَهَلْ مِنْ أَمْرٍ عَمِيرٍ ^(١٠) ، أَوْ دَاعٍ
بَخِيرٍ ؟ وَقَاكُمْ اللَّهُ سَطْوَةً الْقَادِرِ ، وَمَلَكَةً الْكَاهِرِ ^(١١) ، وَسُوءَ الْمَوَارِدِ ، وَفُضُوحَ
الْمَصَادِرِ ، قَالَ : فَأَعْطَيْتُهُ دِينَارًا وَكُتِبَتْ كَلَامُهُ ، وَاسْتَفْسَرَتْهُ مَا لَمْ أَعْرِفْهُ .

(الأمالي ١ : ١١٣)

٣٤ — خطبة الأعرابي السائل في المسجد الجامع بالبصرة

وروى الجاحظ قال :

قال أبو الحسن : سمعت أعرابيًا في المسجد الجامع بالبصرة بعد العصر سنة

[١] همت : أدت ، والعرب تقول : « هلك ماأمك » أي أدابك ماأحرمك ، والتحت اللحم : أي
عرفته عن العظم ، وأخجنت العظم : أي عودته بصيرته كالحبس . [٢] مارمورًا : اضطرب وماج ،
والعور : العائر ، أوداع : فرق . [٣] السط : اللاء الذي يستخرج من البئر أول ماخفر ، والقناع
للألف للتح للز : والسهل : القليل من الماء ، والجزاع : أشد المياه مرارة ، والخبج : المكان الذي
لا يطيش من قعر عليه . [٤] الهاوي : الحراد ، والهاوي : الدث .

[٥] التلع : الاشتاء ، والوصيدة : كل سبيجة ، والهسد : حب الحطل يعالج حتى يطيب فيبتز .
[٦] البجمات جمع محمة ، وهي لحم باطن القدم ، ووقعة : من قولهم : وقع الرجل كمرح إذا اشتكى
لحم باطن قدمه ، وزامة : متشققة ، وقعة ومقعة واحد : وهي التي قد تقبضت وبست .

[٧] للسلم : الضائر المعير ، والدرهم : الصيرب الصر الذي قد صعد صره من حوع أو مرص .
[٨] أغشو : أطر : فأعطش : أصبح عطشاً (بكسر الطاء) والعطش حركة : صف في البصر ، وضحي
للشمس كمرح وسعي : بررها ، والخفش بالتحريك : ضعف الصر حلقة ، أو فساد في الجفون ، لا ووح
أو أن يصير بالليل دون النهار . [٩] أسهل ظالمًا : أي إذا مشيت في السهول طلعت ، وطلع كعب :
عمر في منته ، وأخزن راكماً : أي إذا علوت الحرم ركعت أي كبوت لوحى .

[١٠] المير : العطية ، من قولهم : مارم عيرم ميراً . [١١] الكاهر والقاهر : واحد ، وقد قرأ
عصمهم : « فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَكْثِرْ » .

ثلاث وخمسين ومائة، وهو يقول :

« أما بعد : فإننا أبناء سبيل ، وأنضاء^(١) طريق ، وقُلُّ^(٢) سَنَةٍ ، تصدَّقوا علينا ، فإنه لا قليل من الأجر ، ولا غنى عن الله ، ولا عمل بعد الموت ، أما والله إننا لنقوم هذا المقام ، وفي الصدر خزانة^(٣) ، وفي القلب غصّة .

(البيان والبيان ٢ : ٤٦)

٣٥ - صورة أخرى

وروى أبو علي القالي هذه الخطبة بصورة أخرى ، وهما كلها :

عن يونس قال : وقف أعرابي في المسجد الجامع في البصرة فقال :

« قَلَّ الثَّيْلُ ، وَتَقَصَّ الكَيْلُ ، وَعَجِجَتْ^(٤) الخيل ، والله ما أصبحنا نفتح في وضح^(٥) ، وما لنا في الديوان وشمة^(٦) ، وإنا لبعال جربة^(٧) ، فهل من معين ، أمانه الله ، يُعين ابن سبيل ، ونضو طريق ، وقُلُّ سَنَةٍ ؟ فلا قليل من الأجر ، ولا غنى عن الله ، ولا عمل بعد الموت . » (الأمل ٢ : ١٩٧)

٣٦ - صورة أخرى

ورواها صاحب العقد فقال : وقف أعرابي على حلقة يونس فقال :

« الحمد لله ، وأعوذ بالله ، أن أذكر به وأنساه ، إنا أناس قديمنا المدينة ثلاثون رجلاً لا ندفن ميتاً ولا نحول من منزل وإن كرهناء ، فرحم الله عبداً

[١] أسماء جمع فضر كفرد وهو المهرول ، أي قد هزلنا وأصنامنا سلوك الطريق .

[٢] السة : الخلب والتمحض ، وقوة قل : مهزموه ، واتخ طول وأفلل ، أي هزلنا الفعط .

[٣] الحرارة : وحم في القلب من غيب ونحوه . [٤] هزلت . [٥] الوضح : الله ، متى

وشحاً لياصه . [٦] الوشمة : مثل الوشم في الذراع ، يريد الخط .

[٧] الجربة : الكثير ، أو العيال يأكلون ولا يتبعون .

تصدق على ابن سبيل ، ونضو طريق ، وفلّ سنة ، فإنه لا قليل من الأجر ، ولا غنى عن الله ، ولا عمل بعد الموت ، يقول الله عز وجل : « مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا » إن الله لا يستقرض من عوز ، ولكن ليبلو خيار عباده .
(القدر العريد ٢ : ٨٢)

٣٧ - أعرابي يستجدي

وقال المدائني : سمعت أعرابياً يسأل وهو يقول :
« رحم الله امرأ لم تمنح أذناه كلامي ، وقدم لنفسه معاذة ^(١) من سوء مقامي ، فإن البلاد مجذبة ، والدار مضیعة ، والحال سيئة ^(٢) ، والحياء زاجر ينهي عن كلامكم ، والعذم ماذر يحملني على إخباركم ، والدعاء إحدى الصدقتين ، فرحم الله امرأ أتر بغير ^(٣) ، أودعا بخير » ، فقال له بعض القوم : يمن الرجل ؟ فقال : « يمن لا تنفعكم معرفته ، ولا تضركم جهالة ، ذلك الاكتساب ، يمنع من عز الانتساب » .

(البيان والتبيين ٣ : ٢١٧ ، والقدر العريد ٢ : ٨١ ، والأمال ١ : ١٣٨)

٣٨ - أعرابي يستجدي

وقال الأصمعي : أصابت الأعراب أعوام جذبة وشدة وجهد ، فدخلت طائفة منهم البصرة وبين يديهم أعرابي وهو يقول :
« أيها الناس ، إخوانكم في الدين ، ومركاؤكم في الإسلام ، عابرو سبيل ، وأئلال بؤس ، وصرعى جذب ، تابعت علينا سنون ثلاثة ، غبرت ^(٤) النعم ،

[١] المعاذة والمعاد والعياد : الالتجاء . [٢] وفي الأمال : « والحاء مسعة » أي مجيعة .

[٣] ما روي عنه مبراً : طلب له الميرة (ما لكسر) وهي الطعام ، وفي القدر : « فرحم الله امرأ بغير » ،

وداعياً بغير . [٤] عبره لطفه بالعار ، أو هي « عبرت » بالياء .

وأهلك النعم ، فأَكُنَّا ما بقي من جلودها فوق عظامها ، فلم نزل نعلل بذلك أنفسنا ، ونمّنى بالعيش قلوبنا ، حتى عاد نُحْثِنَا عِظَامًا ، وعاد إشراقنا ظلامًا ، وأقبلنا إليكم يَصْرَعُنا الوعر ، وَيَكِنُّنا ^(١) السهل ، وهذه آثار مصائبنا لأثمة في سماتنا ، فرحم الله متصدقاً من كثير ، وموأسياً من قليل ، فلقد عظمت الحاجة ، وكسف البال ، وبلغ المجهود ، والله يَمْجِزِي المتصدقين .

٣٩ - أعرابي يستجدي

وقال الأصمعي : كنت في حلقة بالبصرة إذ وقف علينا أعرابي سائلاً ، فقال : « أيها الناس ، إن الفقر يهتك الحجاب ، وَيُرْزِزُ الكعاب ^(٢) ، وقد حملتنا سنو المصائب ، ونكبات الدهور ، على مَرْكَبِهَا الوعر ، فواسوا أبا أيتام ، ونضو زمان ، وطريد فاقة ، وطريح هلكة ، رحمكم الله »

٤٠ - أعرابي يستجدي

وقال الأصمعي : وقف أعرابي علينا فقال : « يا قوم : تابعت علينا سنون بتعير واتقاص ، فماتت لنا هُبَعًا ولا رُبَعًا ^(٣) ، ولا عافطة ولا نافطة ^(٤) ، ولا ناعية ولا راعية ، فأما رب الزرع ، وقتلت الضرع ، وعندكم من مال الله فضل نعمة ، فأعينوني من عطية ما آتاكم الله ، وارحموا أبا أيتام ، ونضو زمان ، فلقد خلفت أقواماً يمرضون ولا يكفنون

[١] أي يسترنا . [٢] حلقة كتاب : بد ثمة .

[٣] الهج : الفصل يفتح في آخر النسخ ، والرج : الفصل يفتح في أربع ، وهو أول النسخ .

[٤] العافطة : النعمة ، من اعطى : وعو اضطر ، عطيت كعرب : صرخت وهي عافطة ، والنعط

أيضاً : شير المأن تنثر ، نوحها كما ينثر الحمار ، والنافطة : العر ، من انعط : هطت انعر كعرب : نثر

بأعها أو عطت وهي دقة ، أو لأنها تعف بول . أي تدسه دماً ، أو النافطة : الماء للعافطة ، أو

العافطة . الأمة الراعية ، والنافطة : الحاجة .

ميتهم ، ولا ينتقلون من منزل وإن كرهوه ، ولقد مشيتُ حتى اتعلتُ الدَّماءَ ،
وَبَجُعتُ حتى أَكَلْتُ التُّرى .

٤١ — أعرابية تستجدي

وقال الأصمعي : وقفت أعرابية فقالت :

« يا قوم سَنَّة جَرَدَت ، وأيدي جُمِلَت ، وحال جَهَّدَت ^(١) ، فهل من فاعلٍ
لخير ، وأميرٍ يغيِّر ؟ رَحِمَ اللهُ من رَحِم ، فأقرضَ من لا يظلم . »

(العقد الفريد ٢ : ٨٠ — ٨٤)

٤٢ — أعرابي يستجدي

ووقف أعرابي بقوم فقال :

« أشكو إليكم أيها المَلَأَ زمانًا ، كلَّح في وجهه ، وأناخ على بِكَلِّكَلَه ، بعد
نعمة من المال ، وثروة من المآل ، وَغِبْطَة من الحال ، اعتورتني جدائده ^(٢) ، بِنبَلٍ
مصائبه ، عن قسبي نوائبه ، فأتركا لي ناغية ^(٣) أجتدي صرعها ، ولا رَاغِيَةً
ارتجى تقمها ، فهل فيكم من مُعِينٍ على صَرْفه ، أو مُعَدٍّ ^(٤) على حَتْفه ؟ » ، فرد
القوم عليه ، ولم يُذيلوه شيئًا ، فأنشأ يقول :

قد ضاع من يأكل من أمتالكم جودًا ، وليس الجودُ من فِعالكم
لا بَارِكَ اللهُ لكم في مالكم ولا أزاح السوء عن عِيَالِكُم
فالفقر خيرٌ من صلاح حالكم

[١] جهده للرض كعب : هزله .

[٢] سنة جداء : محلة محدة ، والجداء من كل حلوة : الداهية التي عن عيب ، والحدودة :
انقلية التي من غير عيب ، والجمع حدائد وحداد . [٣] الناعية : الناقة من الثناء بالعم ، وهي صوت
العم ، والراعية : الناقة ، من الرطاء ، وهو صوت الإبل .

[٤] معين ، أعده عليه : صرعه وأطاه وقواه .

٤٣ - أعرابي يستجدي

وَمِمَّنْ عَدِيَ بْنِ حَاتِمٍ رَجُلًا مِنَ الْأَعْرَابِ وَهُوَ يَقُولُ :

« يَا قَوْمَ تَصَدَّقُوا عَلَى شَيْخٍ مُعِيلٍ ، وَعَابِرِ سَبِيلٍ ، شَهِدَ لَهُ ظَاهِرُهُ ، وَتَمِيمُ
شِكْوَاهُ خَالِقُهُ ، بَدَنُهُ مَطْلُوبٌ ، وَثَوْبُهُ مَسْلُوبٌ » ، فَقَالَ لَهُ : مَنْ أَنْتَ ؟ قَالَ :
رَجُلٌ مِنْ بَنِي سَعْدِ فِي دِيَّةٍ لَزِمْتَنِي ، قَالَ : فَمَنْ هِيَ ؟ قَالَ : مِائَةُ بَعِيرٍ ، قَالَ :
دُونَكُمَا فِي بَطْنِ الْوَادِي . (القدافي : ٢ : ٨٢ - ٨٣)

٤٤ - أعرابي يستجدي

وَوَقَفَ أَعْرَابِي عَلَى قَوْمٍ فَقَالَ :

« إِنَّا - رَحِمَكُمُ اللَّهُ - أَبْنَاءُ سَبِيلٍ ، وَأَنْضَاءُ طَرِيقٍ وَقَاسِيَةٌ ^(١) ، رَحِمَ اللَّهُ
أَمْرًا أُعْطِيَ مِنْ سَعَةٍ ، وَوَأَسَى مِنْ كِفَافٍ » .
فَأَعْطَاهُ رَجُلٌ دِرْهَمًا فَقَالَ : « أَجْرَكَ اللَّهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْتَلِيكَ » .

٤٥ - أعرابي يستجدي

وَوَقَفَ أَعْرَابِي بِقَوْمٍ فَقَالَ :

« يَا قَوْمَ : تَتَابَعْتَ عَلَيْنَا سِنُونَ جَمَادٍ ^(٢) شِدَادٍ ، لَمْ يَكُنْ لِلسَّمَاءِ فِيهَا رَخْعٌ ^(٣) ،
وَلَا لِلْأَرْضِ فِيهَا صَدْعٌ ^(٤) ، فَتَضَبَّ الْعِدَّةُ ^(٥) ، وَاشْفَى الْوَشْلُ ، وَأَنْحَلَّ الْخِصْبُ ،

[١] أي وحل قاسية ، وربما كان الأصل « وحل سعة » . [٢] الجماد : السنة التي لامطر فيها .

[٣] الرخع : المطر ، لعوده كل حين . [٤] أي اشتقاق عن الماء ، اقتسمه من الآية التكرية :

« وَالسَّمَاءُ ذَاتِ الرَّخْعِ وَالْأَرْضُ ذَاتِ الصَّدْعِ » .

[٥] العدّة : لئاء الحارثي الذي له مادة لا تقطع كلمة العين ، وضرب الماء : حر ، ونوشل : الماء الثقيل

يتحلب من حل أو صخرة ، ولا يتصل قطره ، وشف الماء في الأرض : ذهب « وشف الخوض الماء
شره » وأنحل : أذهب .

وَكَلَعَ الْجَذْبَ ، وَشَفَّ^(١) الْمَالَ ، وَكَسَفَ الْبَالَ ، وَشَطَفَ الْمَعَاشَ ، وَذَهَبَ
الرَّيَاشُ ، وَطَرَحَتِ الْأَيَّامُ إِلَيْكُمْ غَرِيبَ الدَّارِ ، نَائِيَّ الْمَحَلِّ ، لَيْسَ لِي مَالٌ أَرْجِعُ
إِلَيْهِ ، وَلَا عَشِيرَةُ الْحَقِّ بِهَا ، فَرَحِمَ اللَّهُ أَمْرًا رَحِمَ اغْتَرَابِي ، وَجَعَلَ الْمَعْرُوفَ
جَوَابِي . (النقد العريد ٢ : ٨٠)

٤٦ — أعرابية تستجدي

وخرج المهدي يطوف بعد هدأة^(٢) من الليل ، فَسَمِعَ أعرابية من جانب
المسجد ، وهي تقول :

« قوم متظلمون ، نَبَتَ^(٣) عنهم العيونُ ، وَفَدَحَتْهم الديونُ ، وَعَصَّتْهم
السُّنُونُ ، بادت رجالهم ، وَذَهَبَتْ أموالهم ، وَكَثُرَ عيالهم ، أَبْنَاءُ سَبِيلٍ ، وَأَنْضَاءُ
طَرِيقٍ ، وَصِيَّةُ اللَّهِ وَوَصِيَّةُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَهَلْ مِنْ أَمْرٍ يُجِيرُ ؟
كَأَلَاهُ اللَّهُ فِي سَفَرِهِ ، وَخَلَفَهُ فِي أَهْلِهِ . »

فَأَمَرَ نُصَيْرًا الْخَادِمَ ، فَدَفَعَ إِلَيْهَا خَمْسًا مِائَةَ دِرْهَمٍ .

(النقد العريد ٢ : ٨٠ ، وَرَهْرُ الْأَدَبِ ٣ : ٢٤٤)

٤٧ — أعرابي يستجدي

ووقف أعرابي في شهر رمضان على قوم فقال :

« يا قوم : لَقَدْ خَتَمَتْ هَذِهِ الْفَرِيضَةُ عَلَى أَفْوَاهِنَا مِنْ صُبْحِ أَمْسٍ ، وَمَعِيَ
بَنْتَانِ لِي ، وَاللَّهِ مَا عَلِمْتُهُمَا تَحِلُّنَا بِحِلَالٍ ، فَهَلْ رَجُلٌ كَرِيمٌ يَرْحَمُ الْيَوْمَ مَقَامَنَا ،
وَيُرِدُّ حُشَاشَتَنَا^(٤) ؟ مَنَعَهُ اللَّهُ أَنْ يَقُومَ مَقَامَهُ ، فَإِنَّهُ مَقَامُ ذُلٍّ وَعَارٍ وَصَغَارٍ . »

[١] شَمَّ : رَقَّ ، وَالتَّطَبُّعُ بِالْتَحْرِيكِ : يَسُرُّ الْعَيْشَ وَشِدَّتَهُ ، وَالرَّيَاشُ : الدَّلُّ وَالْحَصْبُ وَالْمَعَاشُ

[٢] أَيْ حَبَّ هَذَا اللَّيْلِ ، أَوْ هُوَ أَوَّلُ الْبَلِّ إِلَى تَكُونِهِ .

[٣] اقْتَحَمَتْهُمْ وَازْدَحَمَتْهُمْ ، وَفَدَحَتْهُمْ : أَقْلَتْهُمْ .

[٤] الْحُشَاشَةُ : خَبَايَةِ الرُّوحِ فِي اللَّيْلِ ، وَالصَّغَارُ : الدُّلُّ .

فافترق القوم ولم يعطوه شيئاً ، فالتفت إليهم حتى تأملهم جميعاً ، ثم قال :
« أَشَدُّ وَاللَّهِ عَلَى مَنْ سُوءٌ حَالِي وَفَاتِي ، تَوَهَّمِي فِيكُمْ الْمَوَاسَاةَ ، اُنْتَعِلُوا الطَّرِيقَ ،
لَا صَحْبَكُمْ اللَّهُ ! » . (القدر العريد ٢ : ٨٢)

٤٨ - أعرابي يستجدي

وقام أعرابي ليسأل فقال :
« أَيْنَ الْوَجْوهُ الصُّبَاحُ ^(١) ، وَالْعُقُولُ الصُّبْحُ ، وَالْأَلْسُنُ الْفِصَاحُ ،
وَالْأَنْسَابُ الصَّرَاحُ ^(٢) ، وَالْمَكَارِمُ الرِّبَاحُ ، وَالصُّدُورُ الْفِصَاحُ ؟ تُعِذُّنِي مِنْ
مَقَامِي هَذَا » . (البيان والتبيين ٣ : ٢٢٢)

٤٩ - أعرابي يستجدي

ودعا أعرابي في طريق مكة ، فقال :
« هَلْ مِنْ عَائِدٍ بِفَضْلٍ . أَوْ مُؤَاسٍ مِنْ كِفَافٍ ؟ ^(٣) » ، فَأَمْسِكَ عَنْهُ
فَقَالَ : « اللَّهُمَّ لَا تَكِلْنَا إِلَى أَنْفُسِنَا فَنَعْجِزَ ، وَلَا إِلَى النَّاسِ فَتَضَيِّعَ » .
(البيان والتبيين ٣ : ٢٢٤)

٥٠ - أعرابي يستجدي

وقف أعرابي فسأل قوماً فقالوا له : عَلَيْكَ بِالصَّيَارِفَةِ . قَالَ : هُنَاكَ وَاللَّهِ
قَرَارَةُ اللَّوْمِ ! (البيان والتبيين ٢ : ٤٨)

٥١ - أعرابي يستجدي

وسأل أعرابي ناساً فقال : « جَعَلَ اللَّهُ حَظَّكُمْ فِي الْخَيْرِ ، وَلَا جَعَلَ حَظَّ
السَّائِلِ مِنْكُمْ عِذْرَةً ^(٤) صَادِقَةٌ » . (البيان والتبيين ١ : ٢١٥)

[١] جمع صبيحة وهي الجميلة من المصاحبة كصباحة أي حمراء . [٢] جمع صبيحة وهي الفتاة الخالصة
[٣] الكفاف من الرزق : ما كفى عن الناس وأغنى . [٤] العذرة : اسم من العذرة .

٥٢ - أعرابي يستجدي

وسأل أعرابي ، فقال له صبي من جوف الدار : « بُورِكَ فيكَ ، فقال :
فَبَحَّ اللهُ هذا النَّمَّ ، لقد تعلَّم الشرَّ صغيراً » . (البيان والتبيين ٣ : ١٣٦)

٥٣ - أعرابي يستجدي

ووقف أعرابي على قوم فتمعهه ، فقال :
« اللهم اشغَلْنَا بِذِكْرِكَ ، وَأَعِزَّنَا مِنْ سُخْطِكَ ، وَأَوِجِّنَا إِلَى عَفْوِكَ ، فَقَدْ
ضَنَّ خَلْقُكَ بِرِزْقِكَ ، فَلَا تَشْغَلْنَا بِمَا عِنْدَهُمْ عَنْ طَلَبِ مَا عِنْدَكَ ، وَآتِنَا مِنْ
الدُّنْيَا الْقُنَّانِ ^(١) ، وَإِنْ كَانَ كَثِيرَهَا يُسْخِطُكَ ، فَلَا خَيْرَ فِيمَا يُسْخِطُكَ » .
(البيان والتبيين ٣ : ٢٢٤)

٥٤ - أعرابي يستجدي

وقال أبو الحسن : وقف علينا أعرابي فقال :
« أَخْ فِي كِتَابِ اللهِ ، وَجَارِي فِي بِلَادِ اللهِ ، وَطَالِبٌ خَيْرٍ مِنْ رِزْقِ اللهِ ، فَهَلْ
فِيكُمْ مِنْ مُوَاسٍ فِي اللهِ ؟ » .
وسأل أعرابي رجلاً ، فاعتلَّ عليه فقال : « إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا ، فَجْعَلْكَ
اللهُ صَادِقًا » . (العقد الفريد ٢ : ٨٤)

٥٥ - أعرابي يسأل رجلاً حاجة له

أَتَى أعرابي رجلاً (لم تكن بينه وبينه حرمة) في حاجة له ، فقال :
« إِنِّي امْتَطَيْتُ إِلَيْكَ الرَّجَاءَ ، وَسِرْتُ عَلَى الْأَمَلِ ، وَوَقَدْتُ بِالشُّكْرِ ،
وَتَوَسَّلْتُ بِحَسَنِ الظَّنِّ ، فَحَقَّقْ الْأَمَلَ ، وَأَحْسِنِ الْمَثُوبَةَ ، وَأَكْرِمِ الْقَصْدَ ، وَأَتِمِّ
الْوَدَّ ، وَتَجَلَّ الْمُرَادُ » . (العقد الفريد ٢ : ٨٢ ، وزهر الآداب ٣ : ١٦٥)

قولهم في بكاء الموتي

٥٦ - أعرابية تبكي ابنها

وَحَبَّتْ أَعْرَابِيَةً وَمَعَهَا ابْنٌ لَهَا فَأَصِيبَتْ بِهِ ، فَلَمَّا دُفِنَ قَامَتْ عَلَى قَبْرِهِ وَهِيَ
وَجَعَةٌ فَقَالَتْ :

« وَاللَّهِ يَا بُنَيَّ لَقَدْ غَدَوْتُكَ رَضِيماً ، وَفَقَدْتُكَ سَرِيحاً ، وَكَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ بَيْنَ
الْحَالَيْنِ مَدَّةُ أَلْتَذُّ بِعَيْشِكَ فِيهَا ، فَأَصْبَحْتَ بَعْدَ النَّصَارَةِ وَالْفَضَارَةِ ^(١) ، وَرَوْتُكَ
الْحَيَاةَ ، وَالتَّنَشُّمَ فِي طَيْبِ رَوَائِحِهَا ، تَحْتَ أَطْبَاقِ الثَّرَى جَسَداً هَامِداً ، وَرُقَاتَا
مَحِيَقاً ، وَصَعِيداً جُرُزاً ^(٢) .

أَيُّ بَنِي لَقَدْ سَحَبْتَ الدُّنْيَا عَلَيْكَ أَذْيَالَ الْفَنَاءِ ، وَأُسْكَنْتُكَ دَارَ الْبَلَى ،
وَرَمَتْنِي بِعَدْلِكَ نَكْبَةُ الرَّدَى ، أَيُّ بَنِي لَقَدْ أَسْفَرَ لِي عَنْ وَجْهِ الدُّنْيَا صَبَاحُ دَاجٍ
ظِلَامُهُ ^(٣) ، ثُمَّ قَالَتْ :

أَيُّ رَبِّ ، وَمِنْكَ الْعَدْنُ ، وَمِنْ خَلْقِكَ الْجَوْرُ ، وَهَبْتَهُ لِي قُرْهُ عَيْنٍ ، فَلَمْ
تَتَّعْنِي بِهِ كَثِيراً ، بَلْ سَلَبْتَنِيهِ وَشَيْكاً ^(٤) ، ثُمَّ أَمَرْتَنِي بِالصَّبْرِ ، وَوَعَدْتَنِي عَلَيْهِ
الْأَجْرَ ، فَصَدَّقْتُ وَعْدَكَ ، وَرَضِيتُ قَضَاءَكَ ، فَرَحِمَ اللَّهُ مَنْ تَرَحَّمَ عَلَى مَنْ
أَسْتَوْدَعْتُهُ الرَّدْمَ ^(٥) ، وَوَسَدْتُهُ الثَّرَى ، اللَّهُمَّ ارْحَمْ غُرْبَتَهُ ، وَآنِسْ وَحْشَتَهُ ،
وَأَسْرِ عَوْرَتَهُ ، يَوْمَ تَنْكَشِفُ الْهَنَاتُ ^(٦) وَالسُّوءَاتُ .

[١] البصارة : البعة والخس واتى ، وانعطارة أيضاً : البعة والسعة والخصب :
[٢] أضاق جمع طلق : وهو وجه الأرض ، ولزوت : الخطام ، وسحيقاً : مسحوق ، والمصيد :
التراب ، أو وجه الأرض ، وأرض حرر : لا تمت ، أو أكل نباتاً ، أو لم يحمي مضر .
[٣] أسفر الصبح وسفر كعرب : أضاء ، وأشرق ، داج : قن الأصبى : دمه النيل ، دما هو أنس
كل شيء ، وليس هو من الخلقة ، قل : ودمه قولهم : دم الإسلام أي قوى ، وأخس كل شيء .
[٤] سريماً . [٥] الردم : السد ، وما يحفظ من الجدار المنهدم . [٦] الهنات .

فلما أرادت الرجوع إلى أهلها وقفت على قبره فقالت :
 أى بنى : إني قد تروّدت لسفري ، فليت شعري ، ماذا لك لبعد طريقك ،
 ويوم معادك ! اللهم إني أسألك له الرضا برضاي عنه ، ثم قالت :
 استودعتك من استودعنيك في أحشائي جنيّنا ، وأثكل الوالدات !
 ما أمض^(١) حرارة قلوبهن ، وأقلق مضاجعهن ، وأطول ليلهن ، وأقصر
 نهارهن ، وأقل أنسهن ، وأشدّ وحشتهن ، وأبعدهن من السرور ، وأقربهن
 من الأحران .

فلم تزل تقول هذا ونحوه ، حتى أبكت كل من سمعها ، وحمدت الله عزّ
 وجل ، واسترجعت وصلت ركعات عند قبره وانطلقت . (زمر الآداب ٢ : ٧)

٥٧ — حديث امرأة سكنت البادية قريباً من قبور أهلها

وروى أبو علي القالي : عن عبد الرحمن عن عمه قال :

« دَقَعْتُ يوماً في تلهشي بالبادية إلى وادٍ خلّاء لا أنيس به إلا بيتٌ مُعْتَمِرٌ^(٢) ،
 بفناءه أَعْتَرُ^(٣) ، وقد ظَمِئْتُ فَيَمَمْتُهُ ، فسَلَّمْتُ فإذا عجوزٌ قد بَرَزَتْ ، كأنها نعامَةٌ
 رَاحِمٌ^(٤) ، فقلت : هل من ماء ؟ فقالت : أو لَبَسَ ، فقلت : ما كانت بُغْيَتِي إِلَّا
 الماء ، فإذا يَسَّرَ اللهُ اللَّبَنَ فَإِنِّي إِلَيْهِ فَقِيرٌ ، فقامت إلى قَعْبٍ^(٥) فأفرغت فيه ماءً ،
 ونظّفت غَسَلَهُ ، ثم جاءت إلى الأَعْتَرِ ، فتَغَبَّرَتْهُنَّ^(٦) حتى احتلبت قُرَابَ^(٧)

[١] مضى الشيء : بلغ من قله الحزن به كأمضه .

[٢] معرود . [٣] الراحم : التي يحضن بيضها ، أرحمت الطحاحة على بيضها ورحمت عليه

وهي مريخة وراحم . [٤] القعب : قدح إلى الصخر ، ويشبه به الخمار .

[٥] أي احتلبت العبر (كفعل) : وهي قية اللبن في الصرع ، وجمعه أعار .

[٦] قراب وقريب واحد ، مثل كمار وكبير وجمام وحسيم .

مِلءِ الْقَعْبِ ، ثُمَّ أَفْرَغْتَ عَلَيْهِ مَاءً حَتَّى رَفَا وَطَقَتْ مُمَّاكَةً ^(١) ، كَأَنَّهَا غِمَامَةٌ
يَضَاءُ ، ثُمَّ نَاولَتْنِي إِيَّاهُ ، فَشَرِبْتُ حَتَّى تَحَيَّيْتُ ^(٢) رِيًّا وَاطْمَأَنَّتُ ، فَقُلْتُ :
إِنِّي أَرَاكَ مَعْتَزَةً فِي هَذَا الْوَادِي الْمُوَحِّشِ ، وَالْحَلَّةُ ^(٣) مِنْكَ قَرِيبٌ ، فَلَوْ
انضَمَمْتُ إِلَى جَنَابِهِمْ فَأَنْسَيْتُ بِهِمْ ! فَقَالَتْ :

« يَا بَنَ أَخِي ، إِنِّي لَأَنْسُ بِالْوَحْشَةِ ، وَأَسْتَرْجِحُ إِلَى الْوَحْدَةِ ، وَيَطْمَئِنُّ قَلْبِي
إِلَى هَذَا الْوَادِي الْمُوَحِّشِ ، فَأَتَذَكَّرُ مَنْ عَهَدْتُ ، فَكَأَنِّي أَخَاطِبُ أَعْيَانَهُمْ ،
وَأَتَرَاءِي أَشْبَاحَهُمْ ^(٤) ، وَتَتَخَيَّلُ لِي أُنْدِيَّةُ رِجَالِهِمْ ، وَمَلَاعِبُ وَلَدَانِهِمْ ،
وَمُنْدَى ^(٥) أَمْوَالِهِمْ ، وَاللَّهُ يَا بَنَ أَخِي لَقَدْ رَأَيْتُ هَذَا الْوَادِي بِشِعِ اللَّيْدِيَيْنِ ^(٦)
بِأَهْلِ أَذْوَاحٍ وَقِيَابٍ ، وَنَعَمٍ كَالْهِيضَابِ ، وَخَيْلٍ كَالذَّنَابِ ، وَقَتِيَانٍ كَالرِّمَاحِ ،
يَبَارُونَ الرِّيحَ ، وَيَحْمُونَ الصَّبَاحَ ^(٧) ، فَأَحَالُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ قَمًّا بِغَرْفَةٍ ^(٨) ،
فَأَصْبَحْتُ الْآثَارُ دَارِمَةً ، وَالْمَحَالُ طَامِسَةً ، وَكَذَلِكَ سِيرَةُ الدَّهْرِ فِيمَنْ وَثِقَ بِهِ »
ثُمَّ قَالَتْ : اذْمَرْ بَيْنَكَ فِي هَذَا الْمَلَأِ الْمُبَاطِنِ ^(٩) ، فَتَنْظُرْتُ فَإِذَا قُبُورٌ مَحُ
أَرْبَعِينَ أَوْ خَمْسِينَ ، فَقَالَتْ : أَلَا تَرَى تِلْكَ الْأَجْدَاثَ ؟ قُلْتُ نَعَمْ ، قَالَتْ :
مَا انْطَوَتْ إِلَّا عَلَى أَخٍ أَوْ ابْنِ أَخٍ ، أَوْ عَمٍّ أَوْ ابْنِ عَمٍّ ، فَأَصْبَحُوا قَدْ أَلْمَأَتْ ^(١٠)
عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ ، وَأَنَا أَتَرَقَّبُ مَا غَالَهُمْ ، انصَرِفْ رَاشِدًا رَحِمَكَ اللَّهُ (الأمالي ٢: ٧)

[١] الثَّمَلَةُ : الرِّعْوَةُ « وَهِيَ مَشْتَقَّةُ الزَّهْرِ » . [٢] اِطْمَأَنَّتُ . [٣] الْحَلَّةُ : سَاعَةُ يَبُوتِ اللَّيْلِ
وَالْمَجْمُوعُ حُلَالُ كُتُبَاتٍ . [٤] أَشْبَاحُهُمْ : شَيْخُ كَشْفٍ وَسَفْ .
[٥] الْأُنْدِيَّةُ : أَنْ يُوْرِدَ الرَّحْلُ إِطْلًا ، ثُمَّ يَرْطَمُهَا ، ثُمَّ يُوْرِدُهَا ، ثُمَّ يَرْطَمُهَا ، وَاللَّذِي : الْمَكَانُ الَّذِي
يَمْدَى فِيهِ الْمَلَأُ . [٦] شِعِ : مَلَأَ ، اللَّيْدِيَانِ : الْحَامَانِ ، وَالذُّوْحَةُ : الشَّجَرَةُ الْعَظِيمَةُ .
[٧] الصَّبَاحُ : صَبِيحَةٌ : وَهِيَ الْجَمِيلَةُ مِنَ الصَّبَاحَةِ كَسَابَةِ : الْجَمَالُ .
[٨] قَمًّا : الْبَيْتُ قَمًّا . كَسَمَهُ « وَانْقَمَتْ » : لِلْكُفَّةِ ، وَانْقَمَاةٌ : « الْكُفَّاسَةُ » وَتَعْرِفُهَا أَوَّلُهَا مِنْ
الْعَرَفِ : وَهِيَ حُرُوبٌ مِنَ الشَّجَرِ . [٩] الْمَلَأُ : الْأَهْضَاءُ ، وَالْمُبَاطِنُ : لِلتَّعَالَمِ .
[١٠] أَيِ اخْتَوَتْ عَلَيْهِمْ ، وَغَالَهُمْ : أَهْنَكَهُمْ .

٥٨ - حديث امرأة مات ابنها بين يديها

عن عبد الرحمن عن عمه قال : دخلتُ على امرأة من العرب بأعلى الأرض في خِباء لها ، وبين يديها بُنْيٌ لها ، قد نزل به الموت ، فقامت إليه فأغمضته وَعَصَبْتَهُ وَسَجَّته ^(١) ، ثم قالت :

« يابن أخى ، قلت : ما تشائين ؟ قالت : ما أحقُّ من ألبسَ النعمة ، وأطيلت له النِّظْرَةَ ^(٢) ، أن لا يدَعَ التَّوْتُقَ من نفسه ، قبل حَلِّ عُقْدَتِهِ ^(٣) ، وَالْحُلُولِ بِعَقْوَتِهِ ^(٤) ، وَالْمَحَالَةَ بينه وبين نفسه » ، قال : وما يَقْطُرُ من عينها قطرةٌ صبراً واحتساباً ، ثم نظرت إليه فقالت : والله ما كَانَ مَالُكَ لِبَطْنِكَ ، ولا أَمْرُكَ لِعَرْسِكَ ^(٥) ، ثم أنشدت تقول :

رَجِيبُ النِّزَاعِ بَالِي لَا تَشِينُهُ وَإِنْ كَانَتْ الْفَحْشَاءُ ضَافٍ بِهَازِرَعَا ^(٦)

(الأمل : ٢ : ٢٨٢ ، والبيان والبيان : ٣ : ٢٣١)

قولهم في الشكوى

٥٩ - أعرابي يشكو حاله

عن عبد الرحمن عن عمه قال :

« قَدِمَ عَلَيْنَا البصرة رجل من أهل البادية شيخ كبير ، فقصدته فوجدته يَحْضِبُ لِحْيَتَهُ ، فقال : ما حاجتك ؟ فقلت : بلغني ما خَصَّكَ اللهُ به ، فجتتك أقبس من علمك ، فقال : أتيتني وأنا أخضِبُ ، وإن الخِضَابَ لمن علامات الكِبَرِ ، وَطَالَ والله ما غَدَوْتُ على صيد الوحوش ، ومشيبتُ أمامَ الجيوش ،

[١] تسجية الميت : تعطيته . [٢] النظرة : الإيهال . [٣] كناية عن اللون .

[٤] العقوة : الحلة ، أى بغيره . [٥] العرس : امرأة الرجل .

[٦] ضافى بأدنى درفاً : صعد طاقه ، ولم يجد من المكروه به مخلصاً .

واختَلْتُ بِالرُّدَاءِ ، وَهُوتُ^(١) بالنساء ، وَقَرَيْتُ الضَّيْفَ ، وَأَرَوَيْتُ السَّيْفَ ،
وَشَرِبْتُ الرِّاحَ ، وَنَادَمْتُ الْجَحْجَاحَ^(٢) ، قَالَ يَوْمَ قَدْ حَنَانِي الْكِبَرُ ، وَضَعُفُ
مَنْى الْبَصَرِ ، وَجَاءَ بَعْدَ الصَّفْوِ الْكَدَرُ ، ثُمَّ قَبِضَ عَلَى لِحْيَتِهِ ، وَأَنْشَأَ يَقُولُ :
شَيْبٌ تُغَيِّبُهُ كَيْمَا تَقَرُّ بِهِ كَيْبَعُكَ الثَّوْبَ مَطْوِيًّا عَلَى حَرَقِ
قَدْ كُنْتُ كَالْفُصْنِ تَرْتَاحُ الرِّيحُ لَهُ فَصِرْتُ عُودًا بِلَامَاءَ وَلَا وَرَقِ
صَبْرًا عَلَى الدَّهْرِ ، إِنْ الدَّهْرُ ذُو عَيْرٍ وَأَهْلُهُ مِنْهُ بَيْنَ الصَّفْوِ وَالرَّتَقِ^(٣)
(الأمالي ٢ : ٦٤)

٦- كلمات شتى فى الشكوى

قِيلَ لِأَعْرَابِيَةٍ أَصَابَتْ بِأَبْنَاهَا : مَا أَحْسَنَ عَزَاءُكَ ! قَالَتْ : « إِنْ فَقَدِى إِيَّاهُ
أَمَتْنِ كُلَّ فَقْدٍ سِوَاهُ ، وَإِنْ مَصِيبَتِي بِهِ هَوْنَتْ عَلَى الْمَصَائِبِ بَعْدَهُ » ، ثُمَّ
أَنْشَأَتْ تَقُولُ :

مَنْ شَاءَ بَعْدَكَ فَلَيْمَتْ فَعَلَيْكَ كُنْتُ أَحَازِرُ
لَيْتَ الْمَنَازِلَ وَالْأَيَّامَ رَحَقَافَرُ وَمَقَارِ

وقِيلَ لِأَعْرَابِيٍّ : كَيْفَ حَزَنُكَ عَلَى وَلَدِكَ ؟ قَالَ : « مَا تَرَكَ مَعَهُ الْغَدَاءَ وَالْعِشَاءَ
لِي حُزْنًا » .

وقِيلَ لِأَعْرَابِيٍّ : مَا أَنْحَلْ جِسْمَكَ ؟ قَالَ : « سَوَاءُ الْغَدَاءِ . وَجُدُّوْهُ أَرْغَى .
وَإِخْتِلَافُ الْهَمُومِ فِي صَدْرِي » : ثُمَّ أَنْشَأَ يَقُولُ :

[١] هُوتَ ه : فرحت به . [٢] الجحجح : نيد . [٣] الرق : الكدر .

الهمُّ ما لم يُنْضِبه لسيِّله داءُ تَضَمُّنه الضَّلوعُ عَظِيمُ
ولربما استيَّاسْتُ ثم أقول : لا إن الذي ضَمِنَ النجَاحَ كَرِيمُ

وقيل لأعرابي قد أخذ به السنُّ : كيف أصبحت ؟ قال : « أصبحتُ
تَقِيدُنِي الشَّعْرَةُ ، وَأَعْتَرُ فِي البُعْرَةِ ، قد أقام الدهرُ صَعْرِي ، بعد أن أَمَتُ صَعْرَهُ » .

وقال أعرابي : « لقد كنتُ أَنْكَرُ البِيضَاءُ ، فَصِرْتُ أَنْكَرُ السُّودَاءِ ،
فياخير مبدول ، ويا شرَّ بَدَل ! » .

وذكر أعرابي منزلاً بَادَ أَهْلُهُ فقال : « مَنَزِلٌ وَاللَّهِ رَحَلَتْ عَنْهُ رِبَاتُ
الْحُدُورِ ، وَأَقَامَتْ فِيهِ رَوَاحِلُ^(١) الْقُدُورِ ، وقد اكنَّسَ بالنباتِ كَانَمَا الْبَسِ
الْحُلَلِ ، وَكَانَ أَهْلُهُ يَنْقُونَ^(٢) فِيهِ آثَارَ الرِّيحِ ، وَأَصْبَحَتْ الرِّيحُ تَعْفُو آثَارَهُمْ ،
فَالْمَهْدُ قَرِيبٌ ، وَالْمَلْتَقَى بَعِيدٌ » .

وذكر أعرابي قوماً تَغَيَّرَتْ أحوالُهُمْ فقال : « أَعْيُنٌ وَاللَّهِ كُحِلَتْ بِالْعَبْرَةِ
بعد الحَبْرَةِ^(٣) ، وَأَنْفُسٌ لَبِسَتْ الْحَزْنَ بعد السُّرُورِ » .

وذكر أعرابي قوماً تَغَيَّرَتْ حَالُهُمْ فقال : « كَانُوا وَاللَّهِ فِي عَيْشٍ رَقِيقٍ
الْحَوَاشِي ، فَطَوَاهِ الدَّهْرُ بعد سَعَةِ ، حَتَّى لَبَسُوا أَيْدِيَهُمْ مِنَ الْقُرِّ^(٤) ، وَلَمْ أَرِ صَاحِباً

[١] الزواجل جمع راحلة : وهو في الأصل : الناقة الصالحة لأن ترحل ، والمراد بها الحوامل التي تحمل
القدور ، أي الأثافي . [٢] عمال للركل : درس ، وسمته الرِّيحُ ، يعنى ويلزم ، وبأيهما علما ،
وسمته الرِّيحُ أيضاً فالتشديد للمبالغة . [٣] الحبرة : السرور . [٤] القرّ مثلث القاف : الرد .

أَغْرَ من الدنيا ، ولا ظالماً أَغْشَمَ ^(١) من الموت ، ومن عَصَفَ عليه الليل والنهار
أَزْدِيَاهُ ^(٢) ، وَمَنْ وَكَلَّ به الموتُ أَفْنَاهُ .

ووقف أعرابي على دار قد باد أهلها فقال : « دارُ اللهِ مُتَصِرَةٌ للدُوع ،
حَطَّتْ بها السحابُ أَثْقَالَهَا ، وَجَرَّتْ يها الرِّيحُ أَذْيَالَهَا . »

وذكر أعرابي رجلاً تغيرت حاله فقال : « طُوِيَتْ صِحْفَتُهُ ، وَذَهَبَ رِزْقُهُ ،
فَالْبَلَاءُ مُسْرِعٌ إِلَيْهِ ، وَالْمَيْشُ عَنْهُ قَابِضٌ كَفِيَّةٌ . »

وذكر أعرابي رجلاً ضاق عيشه بعد سعة فقال : « كَانَ وَاللهُ فِي ظِلِّ عَيْشٍ
مَمْدُودٍ ، فَقَدِحَتْ عَلَيْهِ مِنَ الدَّهْرِ زَنْدٌ غَيْرُ كَأْيَةٍ ^(٣) . »

(القد العريد ٢ : ٧٩ - ٨٠)

وذكر أعرابي مصيبة نالته ، فقال : « مُصِيبَةٌ وَاللهُ تَرَكْتَ سُودَ الرُّءُوسِ
يَيْضًا ، وَبَيَضَ الْوُجُوهُ سُودًا ، وَهَوَّنتِ الْمَصَائِبُ بَعْدَهَا . »

(القد العريد ٢ : ٧٩ ، ورمز الآداب ٢ : ٥)

وذكر أعرابي قطيعة بعض إخوانه فقال : « صَفِرَتْ عِيَابُ ^(٤) الْوَدِّ بَيْنِي
وَبَيْنَهُ بَعْدَ امْتِلَائِهَا ، وَأَقْفَرَتْ وَجْوهُ كَانَتْ بَعَاثُهَا ، فَأَذْبَرَ مَا كَانَ مُقْبِلًا ،
وَأَقْبَلَ مَا كَانَ مُدْبِرًا . » (القد العريد ٢ : ٧٩ ، وزمر كتاب ٢ : ٤)

[١] أَظْلَمَ . [٢] أَمْسَكَه . [٣] الرند : الود الذي يفتح به النار ، وكما الرد : لم يجرح
ناره ، وفي الأصل « رد عين كمة » وهو تعريف .
[٤] صفرت : خلت ، وعياب جمع عبة ، وفتح : ما يحمل فيه الثياب .

وقيل لأعرابي : ما أذهبَ شبابك ؟ قال : « من طال أمدُّه ، وكثر ولده ، ودَفَّ عَدُّه ، وذهبَ جلدُه ، ذهبَ شبابه » .

(العقد الفرید ٢ : ٧٩ ، والبيان والتبيين ٢ : ٥٧)

ومثل أعرابي عن سَفَرٍ أَكْدَى^(١) فيه ، فقال : « ما غَنَمْنَا إِلَّا ما قَصَرْنَا في صلاتنا ، فأما ما أَكَلْتَهُ المَواجِرُ^(٢) ، وَلَقِيتُهُ مِنَ الأَبَاعِرِ^(٣) ، فَأَمَرْتُ استخففتنا لِمَا أَمَلْنَا » .

وقالت امرأة من الأعراب : « أصبحنا ما يرقد لنا فرَسٌ ، وما ينام لنا حَرَسٌ » .
(اليد والتبيين ٢ : ٨٢)

وقال أعرابي : « مضى لنا سَلَفٌ أَهْلُ تَوَاصُلٍ ، اعتقدوا^(٤) مِنِّنا ، واتخذوا الأيادي ذخيرةً لمن بعدهم ، يَرَوْنَ اصطناعَ المعروف عليهم فَرَضًا لازِمًا ، وإظهارَ البرِّ واجبًا ، ثم جاء الزمان بينينَ ، اتخذوا مِنِّتهم بضاعةً ، وَبَرَّهم مَرابِحةً^(٥) ، وأيادِيهم تجارةً ، واصطناعَ المعروف مُقَارَضَةً ، كنفَدِ ، خُذْ مِنِّي وَهَاتِ » .

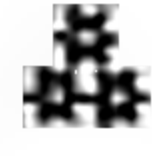
وقيل لأعرابي في مرضه : ما تشكى ؟ قال : « تمام العِدَّةُ ، وانقضاء المدة » .

ونظر أعرابي إلى رجل يشكو ما هو فيه من الضيق والضرِّ فقال : « يا هذا : أَتَشْكُو من يرحمك إلى من لا يرحمك ؟ » .
(العقد الفرید ٢ : ٨٥)

[١] أصله من « حَرَّ فأكدى » أى صافى الكدية - والكدية كمرصة : الأرض الطيبة ، والصناعة الحكيمة النديدة . [٢] المواهر جمع هاحرة ، وهى شدة الحر . [٣] من اعتقد مالا : اتناه . [٤] رابحه على الساعة : أعطاه ربحاً .



ووصف أعرابي الدنيا فقال : « هي رَنَقَةٌ ^(١) المِشَارِب ، حَجَّة المِصَائِب ، لا تُنَمِّعُكَ الدهرَ بِصَاحِب . »



وقال أعرابي : « حَسْبُكَ من فساد الدنيا أنك ترى أَسْنِمَةً ^(٢) تُوضَع ، وأَخْفَافًا تُرْفَع ، والخير يُطَلَّب عند غير أهله ، والفقير قد حلَّ غير محلّه . »
(القمد العريد ٢ : ٨٦)



وقيل لأعرابي : كيف ابْتُك - وَكَانَ به عَاقًا - قال : « عَذَابٌ لا يَقاومُه الصَّبْرُ ، وفائدة لا يجب فيها الشكر ، فليتنى قد استودعته القبر . »
(القمد العريد ٢ : ٩٧)



عن الأصمعي قال : قيل لأعرابي قَدِمَ الحَضْرَةُ ^(٣) ، ما أَقْدَمَكَ ؟ قال :
« الْحَيْن ^(٤) ، الذي يُعْطَى الْعَيْن . » (الأمل ١ : ٢٠٢)



وأصيب أعرابي بابن له ، فقال وعد قيل له أَمِبر : « أَعْلَى الله أَتَجَلَّد ، أم في مصيبتى أَتَبَلَّد ؟ والله لِلْجَزَع من أمره أَحَبُّ إلىَّ الآن من الصبر ، لأنَّ الجزع استكانة ، والصبر قساوة ، ولئن لم أَجْزَع من النقص لم أَفْرَحَ بالمزيد . »
(زمر الآداب ٢ : ١٦٤)



وقيل لأعرابي : لِمَ لا تَضْرِب في الأرض ؟ فقال : « يَمْنَعُنِي من ذلك : طِفْلٌ بَارِكٌ ، وَلِصٌّ سَافِكٌ ، ثم إني لست بعد ذلك واثقاً نَجِجَ طَلِبَتِي . ولا معتقداً

[١] كدرة . [٢] جمع سام ، والمراد ما كان عالياً .

[٣] الحصرة : خلاف البادية كالخمر بالتحريك . [٤] الملائكة .

قضاء حاجتي ، ولا راجياً عطف قرايتي ، لأني أقدم على قوم أطعمهم الشيطانُ ،
واستألمهم السلطانُ ، وساعدتم الزمان ، وأسكروهم حدائثةُ الأسنان .
(زمر الآداب ٣ : ٢٤٤)

وقال بعض الأعراب : « نالنا ونسي^(١) ، وخلفه ولي^(٢) ، فالأرض كأنها
وشتى^(٣) . عبقري^(٤) ، ثم أتنا غيوم جراد^(٥) ، بمنجل حواد^(٦) ، فخربت البلاد ،
وأهلك العباد ، فسبحان من يهلك القوى الأكول ، بالضعيف المأكول .
(زمر الآداب ٣ : ٢٤٦)

٦١ - قولهم في العتاب والاعتذار

عاتب أعرابي أباه فقال : « يا أبت ، إن عظيم حقدك علي لا يذهب صغير
حقك عليك ، والذي نمت به^(١) إلي ، أمت بثلثه إليك ، ولست أزعم أنا سواي ،
ولكني أقول : لا يحل لك الاعتداء »

(البيان والبيان ٣ : ٢٣١ ، وزمر الآداب ٣ : ١٠٠)

وقال أعرابي لصديق استبطأه فلأمة : « كانت بي إليك زلة^(٢) يعنني من
ذكرها ما أمثلت من تجاوزك عنها ، وليس أعذر^(٣) إليك منها إلا بالإقلاع عنها .

وقال آخر لابن عم له : « والله ما أعرف تقصيراً فأفليح ، ولا ذنباً فأعتب ،
ولست أقول إنك كذبت ، ولا إني أدنبت » . (زمر الآداب ٣ : ١٦٣)

[١] الوسمى : مطر الربيع الأول ، والولي : المطر الذي يأتي بعد المطر .

[٢] الوشي : هوى الثوب ، والبعري : المنقطع الطير ، نسة إلى عقر ، موضع تزعم العرب أنه من
أرض الحر ، ثم نسوا إليه كل شيء تصحوا من حذقه ، أو حودة صغته .

[٣] للتأجل جمع مجل كبير : حديدة يقضب بها الررع ، وحواد جمع حادة : أي قاطعة ، وفي الأصل
« حراد » وأراه محرفاً . [٤] توسل .



وقال آخر لابن عمّ له : « سأتحطّي ذنبك إلى عُذرك ، وإن كنتُ من أحدهما على يقين ، ومن الآخر على شكّ ، ولكن ليتمّ المعروف مني إليك ، وتقوم الحجة لي عليك » . (رمر الآداب ٣ : ١٦٤ ، والقدر الفريد ٢ : ٨٥)



وعذلت أعرابية أباهما في الجود وإنلاف ماله ، فقالت : « حبسُ المال ، أقع للعيال ، من بذل الوجه في السؤال ، فقد قلّ النوال ، وكثر البُخَال ، وقد أتلفت الطارف والتلاد ، وبقيت تطلبُ ما في أيدي العباد ، ومن لم يحفظ ما ينفعه ، أوشك أن يسعى فيما يضرّه » . (رمر الآداب ٣ : ٣٤٦)

٦٢ - قولهم في المدح

دخل أعرابي على بعض الملوك فقال : « رأيتني فيما أتعاطى من مدحك ، كالمُخْبِر عن ضوء النهار الباهر ، والقمر الزاهر ، الذي لا يخفى على الناظر ، وأيقنت أني حيثُ انتهى بي القول ، منسوبٌ إلى العَجْز ، مُقَصَّر عن الغاية ، فانصرفت عن الثناء عليك ، إلى الدعاء لك ، ووكلتُ الإخبار عنك ، إلى علم الناس بك » . (الأمل ٢ : ٧٣)



وأثنى أعرابي على رجل فقال : « إن خيرك لسريح ^(١) ، وإن منعك لمريح ، وإن رفدك لرريح » . (البيان والتبيين ٢ : ١٠٥)



عن عبد الرحمن عن عمه قال : سميت أعرابياً من بني كلاب يذكّر رجلاً

[١] أي عطاء بلا مظل ولا إبطاء ، ومريح : أي من كد الطلب .

فقال : « كَانَ وَاللَّهِ الْفَهْمُ مِنْهُ ذَا أَذْنَيْنِ ، وَالْجَوَابُ ذَا لِسَانَيْنِ ، لَمْ أَرَأِ أَحَدًا كَانَ
أَرْتَقَ لِحْلَلِ رَأْيٍ مِنْهُ ، وَلَا أَبْعَدَ مَسَافَةَ رَوِيَّةٍ ، وَمُرَادٌ ^(١) طَرَفٌ ، إِنَّمَا يَرْمِي
بِهِمْ حَيْثُ أَشَارَ إِلَيْهِ الْكَرَمُ ، وَمَا زَالَ وَاللَّهِ يَتَحَمَّى مَرَارَةَ أَخْلَاقِ الْإِخْوَانِ ،
وَيُسْقِيهِمْ عُذُوبَةَ أَخْلَاقِهِ » (الأمالي ١٦ : ٢ ، والقدر العريد ٨٩ : ٢ ، وزهر الآداب ٣ : ٢)

وقال : سمعت أعرابياً ذكر رجلاً فقال : « كَانَ وَاللَّهِ لِلْإِخَاءِ وَصُولًا ، وَلِلْمَالِ
بَذُولًا ، وَكَانَ الْوَفَاءَ بِهِمَا عَلَيْهِ كَفِيلًا ، وَمَنْ فَاضَلَهُ كَانَ مَفْضُولًا » .
(الأمالي ١ : ١١٦ ، والقدر العريد ٨٩ : ٢)

ووصف أعرابي رجلاً فقال : « ذَاكَ وَاللَّهِ مِمَّنْ يَنْفَعُ سِلْمُهُ ، وَيَتَوَاصَفُ
حِلْمُهُ ، وَلَا يُسْتَمْرَأُ ^(٢) ظَلَمُهُ ، إِنْ قَالَ فَعِلْ ، وَإِنْ وَلَّى عَدَلَ » .
(البيان والتبيين ٢ : ١٥٨ ، والقدر العريد ٨٩ : ٢ ، وزهر الآداب ٣ : ٢)

وذكر أعرابي قوماً فقال : « أَذَبْتَهُمُ الْحِكْمَةُ ، وَأَحْكَمْتَهُمُ التَّجَارِبُ ، وَلَمْ
تَقْرُرْهُمُ السَّلَامَةُ الْمَنْطُويَّةُ عَلَى الْمَلَكَةِ ، وَجَانِبُوا التَّسْوِيفَ الَّذِي بِهِ قَطَعَ النَّاسُ
مَسَافَةَ آجَالِهِمْ ، فَذَلَّتْ أَلْسِنَتُهُمْ بِالْوَعْدِ ، وَانْبَسَطَتْ أَيْدِيهِمْ بِالْإِنْجَازِ ، فَأَحْسَنُوا
الْمَقَالَ ، وَشَفَعُوهُ بِالْفَعَالِ » .
(الأمالي ٢ : ٢٣ ، والبيان والتبيين ٣ : ٢٣١ ، والقدر العريد ٨٨ : ٢)

عن عبد الرحمن عن عمه قال : وصفت أعرابية زوجها بمكارم الأخلاق عند
أُمِّهَا ، فقالت : « يَا أُمَّةُ ، مِنْ نَشَرَ ثَوْبَ الثَّنَاءِ ، فَقَدْ أَذَى وَاجِبَ الْجَزَاءِ ، وَفِي

[١] ريادة الأهل : احتلافها في الرعي مقبلة ومندبرة ، والموضع مراد ومستتراد .

[٢] لا يستمرأ ، من احتسراً الطعام : وجده مريضاً أي هيناً حميداً للذة .

كِثَانِ الشُّكْرِ جُحُودٌ لِمَا وَجِبَ مِنَ الْحَقِّ ، وَدُخُولٌ فِي كُفْرِ النَّعَمِ ، فَقَالَتْ لَهَا أُمُّهَا : « أَيُّ بُنْيَةٍ : أَطَبَّتِ الثَّنَاءُ ، وَقَتَّ بِالْجَزَاءِ ، وَلَمْ تَدَّعِي لِلذَّمِّ مَوْضِعًا ، إِنِّي وَجَدْتُ مَنْ عَقَلَ ، لَمْ يَعْجَلْ بِذَمٍّ وَلَا ثَنَاءٍ إِلَّا بَعْدَ اخْتِبَارٍ » ، فَقَالَتْ : « يَا أُمَّهُ ، مَا مَدَحْتُ حَتَّى اخْتَبَرْتُ ، وَلَا وَصَفْتُ حَتَّى عَرَفْتُ » .

(الأمل ١ : ٢٢٥)

❦

وَوَصَفَ بَعْضُ الْأَعْرَابِ أَمِيرًا فَقَالَ : « إِذَا أَوْعَدَ آخَرَ ، وَإِذَا وَعَدَ نَجْلًا ، وَعَيْدُهُ عَقْوٌ ، وَوَعْدُهُ إِنْجَازٌ » .

(البيان والبيان ٣ : ٢١٧)

❦

وَنَعِمْتُ أَعْرَابِي رَجُلًا فَقَالَ : « كَانَ الْأَلْسُنُ وَالْقُلُوبُ رِيضَتَ لَهُ ، فَمَا تَنْعَقِدُ إِلَّا عَلَى وَدَّهِ ، وَلَا تَنْطِقُ إِلَّا بِحَمْدِهِ » .

(البيان والبيان ٣ : ٢٣١ ، والقند العريد ٢ : ٨٩ ، وروى الآداب ٢ : ٣)

❦

وَذَكَرَ رَجُلٌ عِنْدَ أَعْرَابِي فَوَقَعَ فِيهِ قَوْمٌ فَقَالَ : « أَمَّا وَاللَّهِ إِنَّهُ لَا كَلُوكُمْ لِلْمَأْدُومِ ، وَأَعْطَاكُمْ لِلْمَعْرُومِ ^(١) ، وَأَكْسَبَكُمْ لِلْمَعْدُومِ ، وَأَعْطَفَكُمْ عَلَى الْمَحْرُومِ » .

(الأمل ٢ : ١٦ ، والبيان والبيان ١ : ١٦٣)

❦

وَأَعْطَى رَجُلٌ أَعْرَابِيًّا فَأَكْثَرَهُ ، فَقَتَلَ لَهُ الْأَعْرَابِي : « إِنْ كُنْتَ جَاوَزْتَ قَدْرِي عِنْدَ نَفْسِي ، فَقَدْ بَلَغْتَ أَمَلِي فِيكَ » .

(الأمل ٢ : ٥٠)

❦

وَمَدَحَ أَعْرَابِي رَحْلًا فَقَالَ : « كَانَ وَاللَّهِ يُعْنَى ^(٢) فِي طَلَبِ الْمَكَارِمِ ، عَيْرَ ضَالٍّ فِي مَعَارِجِ طَرَفِهَا ، وَلَا تَشَاغِلُ عَنْهَا بَنِيرُهَا » .

(الأمل ٢ : ٥٠ ، والقند العريد ٢ : ٨٩)

[١] أي للمال المعلوم ، فمن لزمه عزم حله عنه . [٢] أي يصعب ويصعب .

ودخل أعرابي على رجل من الولاة فقال : « أصلح الله الأمير : اجعلني زماماً من أزممتك يُجَرِّبُهَا الأعداء ، فَإِنِّي مِسْتَعْرَ حَرْبٍ ^(١) ، وَرَكَّابٌ نُجْبٍ ، شديد على الأعداء ، لِيُنَّ عَلَى الأصدقاء ، منطوى الحَصِيلَة ^(٢) ، قليل الثَمِيلَة ، غِرَارُ النَّوْمِ ، قد غَدَّتْنِي الحرب بأفاويقها ^(٣) ، وَحَلَبْتُ الدهرَ أَشْطَرَهُ ، ولا تمنعك مني اللِّمَامَة ^(٤) ، فَإِن من تحتها شهامة .

(القند المرید ٢ : ٨٩ ، وزهر الآداب ٣ : ١٨٠)



ومدح أعرابي رجلاً فقال : « ذاك والله فسيح الأدب ، مستخكم السبب ، من أي أقطاره أتيتَه ، تنئى عليه بكرم فعال ، وَحُسْنِ مقال .

(زهر الآداب ٢ : ٦ ، والقند المرید ٢ : ٨٩)



ومدح أعرابي رجلاً فقال « كَانَ والله يَغْسِلُ من العار وجوهاً مُسْوَدَّةً ، ويفتح من الرأي عيوناً مُنْسَدَّةً » . (القند المرید ٢ : ٨٩ ، وزهر الآداب ٣ : ١٦٥)



وذكر أعرابي قوماً عبّاداً فقال : « تركوا والله النعيم ليتنعموا ، لهم عِبَرَاتٌ متدافقة ، وَزَفَرَاتٌ متتابعة ، لا ترام إلّا في وجهٍ وجيهٍ عند الله » .



وذكر أعرابي قوماً فقال : « ما رأيت أسرع إلى دأجٍ بَلِيلٍ ، على قَرَسٍ حَسِيبٍ ، وجمل نُجِيبٍ ^(٥) ، ثم لا ينتظر الأولُ السابقُ ، الآخرُ اللاحقُ » .

[١] أي عوقدها ، والنبح جمع نجيب . [٢] حصل الشيء تحصيلًا : حممه ، والاسم الحصيلَة ، واللعى مكتم السر ، والثميلة في الأصل : ما يبقى في بطن الدابة من الحطب والماء ، وما يدخره الإنسان من طعمه أو غيره ، وفي حديث عبد الملك قال الحجاج : « أما بعد فقد وليتكم الراقين ، فر إليها سطوى الثميلة » واللعى سر إليها محما ، والعرار : القليل من اللحم . [٣] الأفاويق جمع أفواق ، وهو جمع فيقة ، نكسر ، وانميقة : اسم القبي يجمع في الصرع بين الحلتين . [٤] اللِّمَامَة : قبح المطر . [٥] اسجيب : منجل سريخ الحبيب في الصير .

وذكر أعرابي قوماً فقال : « جعلوا أموالهم مناديلَ أعراضهم ، فانخبر بهم زائد ، والمعروف لهم شاهد ، يُعْطُونَهَا بِطَيْبَةِ أَقْسَمِهِمْ إِذَا طُلِبَتْ إِلَيْهِمْ ، ويباشرون المعروف بإشراق الوجوه إِذَا بُغِيَ لَدَيْهِمْ .

✽

وذكر أعرابي قوماً فقال : « والله ما أنالوا شيئاً بأطراف أناملهم إلا وطئناه بأخماس^(١) أقدامنا ، وإن أقصى هممهم لَأَذَنِي فِعالنا » .

✽

وذكر أعرابي أميراً فقال : « إِذَا وَلِيَّ لَمْ يُطَاقِ بَيْنَ جُفُونِهِ^(٢) ، وأرسل العيونَ على عيونه ، فهو غائب عنهم ، شاهد معهم ، فالحسن راجٍ ، والسبي مخاف » .

✽

وذكر أعرابي رجلاً يراعة المنطق فقال : « كان والله بارعَ المنطق ، جَزَلَ الألفاظ ، عربى اللسان ، فصيح البيان ، رقيق حواشي الكلام ، بليغ الرقيق ، قليل الحركات ، ساكن الإشارات »

✽

وذكر أعرابي رجلاً فقال : « رأيت له حِلماً وَأَذَةً ، يُحَدِّثُكَ الحديث على مقاطعه ، وَيُنْشِدُ الشعر على مدارجِه^(٣) . فلا تسمع له لَحْناً وَلَا إِحَالَةً^(٤) » .

✽

وذكر أعرابي قوماً فقال : « آتَ^(٥) سِوْفُهُمْ أَلَّا تَقْضِيَ دَيْنًا عَلَيْهِمْ ، وَلَا تَضِيعَ حَقًّا لَهُمْ ، فَمَا أَخَذَ مِنْهُمْ مَرْدُودٌ إِلَيْهِمْ ، وَمَا أَخَذُوا مَتْرُوكٌ لَهُمْ » .

[١] جمع ضم كاجر ، وهو من يضن انقذه ما لم يجب الأرس .

[٢] أى لم يمه عن شئون وعيته ، والعيون : الحواسيس .

[٣] مدارج جمع مدرج ومدرجة : لتدريج والمطك . [٤] أحت الكلام إحالة : إذا أفسده ، وإعمال

من الكلام : ما عدك عن وجهه ، وأحت : أتى ففعل وتكلم به . [٥] خفت .



ومدح أعرابي رجلاً فقال : « مارأيت عيناً قط أُخْرِقَ لِظُلْمَةِ اللَّيْلِ مِنْ عَيْنِهِ ، وَلَحْظَةً أَشْبَهَ بِلَهَيْبِ النَّارِ مِنْ لَحْظَتِهِ ، لَهُ هِزَّةٌ كَهِزَّةِ السَّيْفِ إِذَا طَرَبَ ، وَجُرْأَةٌ كَجُرْأَةِ اللَّيْلِ إِذَا غَضِبَ » .



ومدح أعرابي رجلاً فقال : « كَانَتْ ظُلْمَةٌ لَيْلَهُ كَضَوْءِ نَهَارِهِ ، آمِراً بِارْتِيَادِ ، وَنَاهِياً عَنْ فُسَادِ ، لَحْيَيْبِ السُّوءِ غَيْرِ مُنْقَادِ » .



وذكر أعرابي رجلاً فقال : « اشْتَرَى وَاللَّهِ عَرِضَهُ مِنَ الْأَذَى ، فَلَوْ كَانَتْ الدُّنْيَا لَهُ فَاتَّقَعَهَا ، لَرَأَى بَعْدَهَا عَلَيْهِ حُقُوقًا ، وَكَانَ مِنْهَا جَاً لِلْأُمُورِ الْمُشْكِلَةِ إِذَا تَنَاجَزَ النَّاسُ بِاللَّامَةِ » .



وذكر أعرابي رجلاً فقال : « يُفَوِّقُ ^(١) الْكَلِمَةَ عَلَى الْمَعْنَى ، فَتَمُرُّ مُرُوقَ السَّهْمِ مِنَ الرَّمِيَّةِ ، فَمَا أَصَابَ قَتَلَ ، وَمَا أَخْطَأَ أَشْوَى ^(٢) ، وَمَا غَطَّطَ ^(٣) لَهُ مَسْهُمْ مِنْذُ تَحَرَّكَ لِسَانُهُ فِي فِيهِ » .



وذكر أعرابي أخاه فقال : « كَانَ وَاللَّهِ رَكُوبًا لِلْأَهْوَالِ ، غَيْرَ أَلُوفٍ لِلْحِجَالِ ^(٤) ، إِذَا أُرْعِدَ ^(٥) لِقَوْمٍ مِنْ غَيْرِ قُرٍّ ، يَهِينُ تَهْسًا كَرِيْعَةً عَلَى قَوْمِهَا ، غَيْرَ مُبْقِيَةٍ لَغَدٍ مَا فِي يَوْمِهَا » .

[١] يبدد ويصوب ، والرمية : ما يرمى . [٢] أشواه أصاب شواه ، والشوى كعصا : اليدان والرحلان والأطراف وقحف الرأس وما كان غير مقتل . [٣] العططة : حكاية صوت القدر في العليان وما أشبهها وقد يكون الأصل « وما غطط » أي ما اضطرب من العططة وهي اضطراب موج البحر . [٤] الحجال جمع حجلة بالتحريك : العبة وموضع يربى بالثياب والستور للمروس ، والمراد النساء . [٥] أرعد : أخذ رعدة .



ومدح أعرابي رجلا فقال : « كَانَ وَاللَّهِ مِنْ شَجَرٍ لَا يُخْلِفُ ثَمَرَهُ ، وَمَنْ
بَحَرَ لَا يُخَافُ كَذَرَهُ » .



وذكر أعرابي رجلا فقال : « ذَاكَ وَاللَّهِ فَتَى رَمَاهُ اللَّهُ بِالْخَيْرِ نَاشِئًا ، فَأَحْسَنَ
لِنَفْسِهِ ، وَزَيَّنَ بِهِ قَسَمَهُ » .



ومدح أعرابي رجلا فقال : « يُصِمُّ أَذْنِيهِ عَنْ اسْتِمَاعِ الْخَنَا ، وَيُخْرِسُ
لِسَانَهُ عَنِ التَّكَلُّمِ بِهِ ، فَهُوَ الْمَاءُ الشَّرِيبُ ^(١) ، وَالْمِصْقَعُ الْخَطِيبُ » .



وذكر أعرابي رجلا فقال : « ذَاكَ رَجُلٌ سَبَقَ إِلَى مَعْرِفَتِهِ قَبْلَ طَلْبِي إِلَيْهِ ،
فَالْعَرِضُ وَافِرٌ ، وَالْوَجْهُ بِمَاءِهِ ، وَمَا أَسْتَقِيلَ ^(٢) نِعْمَةً إِلَّا أَقْلَنِي بِأُخْرَى » .



وذكر أعرابي رجلا فقال : « ذَاكَ رَصِيعُ الْجُودِ وَالْمَقْطُومُ بِهِ ، عَقِيمٌ عَنِ
الْفَحْشَاءِ ، مُتَّصِمٌ بِالتَّقْوَى ، إِذَا حَذَفَتْ ^(٣) الْأَلْسُنُ عَنِ الرَّأْيِ ، حَذَفَ
بِالصَّوَابِ ، كَمَا يَحْذِفُ الْأَرْنَبُ ، فَإِنْ طَالَتِ الْغَايَةُ ، وَلَمْ يَكُنْ مِنْ دُونِهَا نِهَايَةً ،
تَهْتَلُ أُمَامَ الْقَوْمِ سَابِقًا » .



وذكر أعرابي رجلا فقال : « إِنْ جَلِيسُهُ لَطِيبٌ عِشْرَتُهُ أَطْرَبُ مِنَ الْإِبْرِ
عَلَى الْحَدَاءِ ، وَارْتَمَلَ عَلَى الْغِنَاءِ » .

[١] الشرب والشراب : ما يشرب ، المصقع : المبيع أو الغل الصوت أو من لا يرتج عليه في كلامه
ولا يتصنع . [٢] أي وما أحل ، وأصله : أرحى وردق . [٣] حدثت : رمت .



وذكر أعرابي رجلاً فقال: « كَانَ لَهُ عِلْمٌ لَا يَخَالُطُهُ جَهْلٌ ، وَصَدَقَ لَا يَشُوبُهُ كَذِبٌ ، كَأَنَّهُ الْوَيْلُ عِنْدَ الْمَحَلِّ ^(١) » .



وذكر أعرابي رجلاً فقال: « مَا رَأَيْتُ أُعْشِقَ لِلْمَعْرُوفِ مِنْهُ ، وَمَا رَأَيْتُ الْمُنْكَرَ أَبْغَضَ لِأَحَدٍ يُغَضُّهُ لَهُ » .



وقدم أعرابي البادية وقد نال من بني بَرْزَمَك ، فَقِيلَ لَهُ كَيْفَ رَأَيْتَهُمْ ؟ قَالَ : « رَأَيْتَهُمْ وَقَدْ أَيْسَتْ بِهِمُ النِّعْمَةُ ، كَأَنَّهُمْ مِنْ ثِيَابِهِمْ » .



وذكر أعرابي رجلاً فقال: « مَا زَالَ يَنْبِيئِي الْمَجْدَ ، وَيَشْتَرِي الْحَمْدَ ، حَتَّى بَلَغَ مِنْهُ الْجَهْدُ » .



ودخل أعرابي على بعض الملوك فقال: « إِنْ جَهِلًا أَنْ يَقُولَ الْمَادِحَ بِمُخْلَافِ مَا يَعْرِفُ مِنَ الْمَدْحِ ، وَإِنِّي وَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ أُعْشِقَ لِلْمَكَارِمِ فِي زَمَانِ اللَّؤْمِ مِنْكَ ، وَأَنْشُدْ :

مَالِي أَرَى أَبْوَابَهُمْ مَهْجُورَةً ؟ وَكَأَنَّ بَابَكَ تَجْمَعُ الْأَسْوَاقُ
حَابُوكَ أَمْ هَابُوكَ أَمْ شَامُوا النَّدَى يَدِيكَ فَاجْتَمَعُوا مِنَ الْآفَاقِ
إِنِّي رَأَيْتُكَ لِلْمَكَارِمِ عَاشِقًا وَالْمَكْرُمَاتِ قَلِيلَةُ الْعُشَّاقِ

(القند المرید ٢ : ٨٨ - ٩٠)

وصل أعرابي الطريق ليلاً ، فلما طلع القمر اهتدى ، فرفع رأسه إليه فقال :
 ما أدري ما أقول ؟ أأقول : رَفَعَكَ اللهُ ؟ فقد رَفَعَكَ ، أم أقول : نَوَّرَكَ اللهُ ؟ فقد
 نَوَّرَكَ ، أم أقول : حَسَّنَكَ اللهُ ؟ فقد حَسَّنَكَ ، أم أقول : عَمَّرَكَ اللهُ ؟ فقد
 عَمَّرَكَ ، ولكني أقول : جعلني اللهُ فِدَاكَ . (القدر المريد ٢ : ٩٧)

وذكر أعرابي قومه فقال : « كَانُوا وَأَلَّهِ إِذَا اصْطَفَوْا تَحْتَ الْقَتَامِ ^(١) ،
 خَطَرَتْ بَيْنَهُمُ السَّهَامُ ، يَوْفُودِ الْحِمَامِ ، وَإِذَا تَصَاخَوْا بِالسِّيُوفِ فَفَرَّتْ ^(٢) الْمَنَابِ
 أَفْوَاهُهَا ، قَرُبَ يَوْمِ عَارِمٍ ^(٣) قَدْ أَحْسَنُوا أَدَبَهُ ، وَحَرْبِ عَبُوسٍ قَدْ صَاحَكَتْهَا
 أَسِنَّتُهُمْ ، وَخَطَبِ شُزْرِ ^(٤) قَدْ ذَلَّلُوا مَنَاكِبَهُ ، وَيَوْمِ عَمَّاسٍ ^(٥) قَدْ كَشَفُوا ظُلُمَتَهُ
 بِالصَّبْرِ حَتَّى يَنْجَلِيَ ، إِنَّمَا كَانُوا الْبَحْرَ الَّذِي لَا يُنْكَشِ ^(٦) غِمَارُهُ ، وَلَا يُنْهَتِ
 تَيَّارُهُ » . (الأملال ١ : ١٣٩ ، والقدر المريد ٢ : ٨٨ ، ودرر الآداب ٢ : ٤)

ووصف أعرابي رجلاً فقال : « هُوَ أَطْهَرُ مِنَ الْمَاءِ ، وَأَرْقُ طَبَاعاً مِنَ الْهَوَاءِ .
 وَأَمْضَى مِنَ السَّيْلِ ، وَأَهْدَى مِنَ النَّجْمِ » . (درر الآداب ٢ : ٣)

[١] القَتَام : الدار ، والحِمَام : الموت ، ورواية القدر : « كَانُوا إِذَا اصْطَفَوْا سَفَرَتْ بَيْنَهُمُ السَّهَامُ »
 — سفر بين الفريق كصرب وصر : أصْلَحَ — . [٢] فَرَّتْ : فَتَحَتْ .

[٣] عَارِمَةُ : الفتح والفرار بالصر : الصرامة والأدب ، عَمَّاسٍ كصمر وصر وكرم وعلم .

[٤] شُزْرٌ : شديد ، قاتق . [٥] عَمَّاسٍ : من الليالي : لعلهم الشديد ، وأمره لا يقام له ولا يمتد لوجهه .

[٦] لَا يُنْكَشِ : لا يترج ، والحداد جمع عمر كشش : وهو الماء الكبير ، ونهجه : كنه وجره وفي

رواية القدر : « إِنَّمَا قَرَى الْبَحْرَ مَا أَتَقْتَهُ النِّجْمُ » ، ورواية درر الآداب : « إِذَا اصْطَفَوْا سَفَرَتْ بَيْنَهُمُ
 السَّهَامُ ، وَإِذَا تَصَاخَوْا بِالسِّيُوفِ صَرَّتْ هَلَاكُهُ » .



ووصف أعرابي قومه فقال : لِيُوثُ حَرْبٌ ، وَغِيُوثٌ جَذْبٌ ، إِنْ قَاتَلُوا
أَبْلَوْا ، وَإِنْ بَذَلُوا أُغْتَوَا . (رمر الآداب ٤ : ٤٦)



وقال الأصمعي : سمعت أعرابياً يقول : « إِذَا ثَبَتَتِ الْأَصُولُ فِي الْقُلُوبِ ،
نَطَقَتِ الْأَلْسُنُ بِالْفُرُوعِ ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَنَّ قَلْبِي لَكَ شَاكِرٌ ، وَلِسَانِي ذَاكِرٌ ، وَمَحَالٌ
أَنْ يَظْهَرَ الْوُدُّ الْمُسْتَقِيمُ ، مِنْ الْفُؤَادِ السَّقِيمِ » . (زمر الآداب ٣ : ١٦٥)



وسئل أعرابي عن قومه فقال : « يَقْتُلُونَ الْفَقْرَ ، عِنْدَ شِدَّةِ الْفُرِّ^(١) ،
وَأَرْوَاحَ^(٢) الشَّتَاءِ ، وَهَبُوبِ الْجَزِيَاءِ^(٣) ، بِأَسْنِمَةِ الْجَزُورِ ، وَمُتَرَعَاتِ^(٤)
الْقُدُورِ ، تَحْسُنُ وَجُوهَهُمْ عِنْدَ طَلَبِ الْمَعْرُوفِ ، وَتَعْبِسُ عِنْدَ لَمَعَانِ السِّيُوفِ » .



ووصف أعرابي قوماً فقال : « لَهُمْ جُودٌ كَرَامٍ اتَّسَعَتْ أَحْوَالُهَا ، وَبَأْسٌ
لِيُوثٍ تَتَّبِعُهَا أَشْبَاهُهَا ، وَهَمٌّ مَلُوكٍ انْفَسَحَتْ أَمَالُهَا ، وَتَفَرُّ صَمِيمِ آبَاءِ
شَرَفَتْ أَحْوَالُهَا » (رمر الآداب ٣ : ١٦٧)



[١] الفُرّ ثقليت الثياب : البرد . [٢] جمع ربح كريح . [٣] ربح الشمال أو ردها .
[٤] جمع مترعة : وهي المنورة .

٦٣ - قولهم في الذم

وذكر أعرابي قوما فقال : « أولئك سُلِخَتْ أَقْفَاؤُهُمْ بِالْحِجَاءِ ، وَدُبِغَتْ
وُجُوهُهُمْ بِاللُّؤْمِ ، لِبَاسُهُمْ فِي الدُّنْيَا نَمْلَةٌ ، وَزَادَهُمْ إِلَى الْآخِرَةِ النَّدَامَةُ » .

وذكر أعرابي قوماً فقال: «لهم ميوتٌ تُدخلُ حيواتاً، إلى غيرِ تمَّارقٍ»^(١)
ولا وسائدَ، فُصِحُ الألسُنُ برَدِّ السَّئِئِ، جَعَاداً كَفَّ عَنِ النَّائِلِ^(٢) .

وقال أعرابي : . ائند صَعْرَ قَلَانَةٍ فِي عَيْنِي عِظَمُ الدُّنْيَا فِي عَيْنِهِ ، وَكَأَنَّ يَرَى السَّائِلَ إِذَا أَتَاهُ ، مَنَّتْ أُنُوتٌ بِذَارِهِ .

وَسُئِلَ أَعْرَابِيٌّ عَنْ رَجُلٍ قَتَلَ : مَا ضَعُفَ سِكِّيرُهُ لَا يُفِيقُ . يَتَّبِعُ صَدِيقَهُ
وَيَعْصِي الشَّفِيقَ ، لَا يَكُونُ فِي مَوْضِعٍ إِلَّا حَرَمَتْ فِيهِ الصَّلَاةُ ، وَهُوَ قُلْتُ
كَلِمَةً سَوِيًّا تَصِيرُ لَا إِلَهَ . وَهُوَ نَزَلَ مِنْ السَّمَاءِ تَقَرُّعًا لَا عِيَهُ .

وذكر أعرابي رجلا فقال : إن فداك إيمدي يا الله ، من تسى ونهيه ،
ولئن خيبتني فلرب باقية قد ضعت في طاب رجلكريم .

وذكر أعرابي رجلاً قتل : تَعْدُوا لَهُ مَرَكِبُ الضَّائِنَةِ . فَرَجِعْ مِنْ

[illegible]

عنده يذور الآثام ، مُعَدِّم مما تحب ، مُكَثِّر مما تكره ، وصاحب السوء
قطعة من النار .



وقال أعرابي لرجل : « أنت والله ممن إذا سأل الحلف ، وإذا سُئل سوف ،
وإذا حَدَّث حلف ، وإذا وعد أخلف ، تنظر نظر حُسود ، وتُعرض
إعراض حُقود » .



وسافر أعرابي إلى رجل فخرمه ، فقال لِمَا سُئل عن سفره : « مارَّ بِحُنا في
سفرنا إلا ما قَصَرنا من صلاتنا ، فأما الذي لَقِينَا من الهَوَاجِر^(١) ، وَلَقِيت منا
منا الأَبَاعِرُ ، فَعُقُوبَةٌ لَنَا فيما أَفْسَدْنَا من حسن ظننا » ، ثم أنشأ يقول :
رَجَعْنَا سَالِمِينَ كَمَا خَرَجْنَا وَمَا خَابَتْ مَرِيَّةُ سَالِمِينَا



وذكر أعرابي رجلاً فقال : « كَانَ إِذَا رَأَى قَرَبَ مِنْ حَاجِبٍ حَاجِبًا ،
فَأَقُولُ لَهُ : لَا تَتَّبِعْ وَجْهَكَ إِلَى قَبْحه ، فَوَالله مَا أَتَيْتَكَ لَطْمِيعِ رَاغِبًا ،
وَلَا لُحُوفِ رَاهِبًا » .



وذم أعرابي رجلاً فقال : « عَبَدَ الفَعَال ، حُرَّ المَقَال ، عَظِيمَ الرِّوَاق ،
دَنِيءَ الأَخْلَاق ، الدهرُ يرفعه ، ونفسه تَضَعُهُ » .



وقال أعرابي : « دَخَلْتُ البَصْرَةَ ، فرَأَيْتُ ثِيَابَ أَحرَارٍ عَلَى أَجْسَادِ عبيد ،

[١] الهواجر مع هاجرة : وهي شدة الحر .

إِقْبَالُ حَظِّهِمْ إِدْبَارُ حَظِّ الْكِرَامِ ، شَجَرُ أَصُولِهِ عِنْدَ فُرُوعِهِ ، شَغْلُهُمْ عَنِ الْمَعْرُوفِ
رَغْبَتُهُمْ فِي الْمُنْكَرِ .



وَذَكَرَ أَعْرَابِي رَجُلًا قَال : « ذَاكَ مُنَّ الْمَجَالِسِ ، أَعْيَا مَا يَكُونُ عِنْدَ جُلَسَائِهِ ،
أَبْلَغُ مَا يَكُونُ عِنْدَ قَسَمِهِ » .



وَذَكَرَ أَعْرَابِي رَجُلًا قَال : « ذَلِكَ إِلَى مَنْ يُدَاوِي عَقْلَهُ مِنَ الْجَهْلِ ، أَحْوَجُ
مَنْهُ إِلَى مَنْ يُدَاوِي عَقْلَهُ مِنَ الْمَرَضِ ، إِنَّهُ لَا مَرَضَ أَوْجَعُ مِنْ قَلَّةِ عَقْلٍ » .



وَذَكَرَ أَعْرَابِي رَجُلًا لَمْ يَدْرِكْ بَأْرَهُ قَال : « كَيْفَ يُدْرِكُ بَأْرَهُ مَنْ فِي صَدْرِهِ
مِنَ الْبَلْغَمِ حَشْوٌ مُرَقَّعٌ ، لَوْ دُقَّتْ بِوَجْهِهِ الْحَبَارَةُ لَرَضَّهَا (١) ، وَلَوْ خَلَا
بِالْكَبَةِ لَسَرَّقَهَا » .



وَذَكَرَ أَعْرَابِي رَجُلًا قَال : « تَسَهَّرَ وَاللَّهِ زَوْجَتَهُ جُوعًا إِذَا سَهَرَ النَّاسُ
شَبَعًا ، ثُمَّ لَا يَخَافُ مَعَ ذَلِكَ عَاجِلَ عَارٍ ، وَلَا آجِلَ نَارٍ ، كَالْبَهِيمَةِ أَكَلَتْ
مَا تَجَمَّعَتْ ، وَنَكَحَتْ مَا وَجَدَتْ »



وَسَمِعَ أَعْرَابِي رَجُلًا يَزْعَقُ قَال : « وَيْحَكَ ! إِنَّمَا يَسْتَجَابُ لِمَنْ أَوْ
مَظْلُومٌ ، وَلَسْتُ بِوَاحِدٍ مِنْهُمَا ، وَأَرَاكَ يَحْفَظُ عَلَيْكَ ثِقْلَ الذُّنُوبِ . فَيَحْسُنْ عِنْدَكَ
مَقَابِلُ الْعُيُوبِ » .

وذكر أعرابي رجلاً بضعف فقال : « سيء الروية ، قليل التقيّة ، كثير السّعاية ، ضعيف الذّكاية » .

وذكر أعرابي رجلاً فقال : « عليه كل يوم من فعله شاهدٌ يفسقه ، وشهاداتُ الأفعال ، أعدل من شهادات الرجال » .

وذكر أعرابي رجلاً بذلّة فقال : « عاش خاملاً ، ومات مَوْتُوراً » .

وقال أعرابي لرجل شريف البيت ، ذى الهمة : « ما أحوجّك أن يكون عِرْضُكَ لمن يصونه ، فتكون فوق ما أنت دونه » .

وذكر أعرابي رجلاً فقال : « إن حَدَّثْتَهُ يُسَاقِبُكَ إلى ذلك الحديث ، وإن سَكَتَ عَنْهُ أَخَذَ في التَّرهاتِ ^(١) » .

وذكر أعرابي رجلاً راكباً هواه فقال : « والله لو أَقْصَدْتُ إلى ما يَهْوَاهُ ، من الطَّرِيقِ إلى المِيَاهِ ، أَفْقَرُهُ ذلك أو أعْنَاهُ » .

وقال أعرابي : « ليت فلاناً أَقَالَنِي من حسن ظَنِّي به ، فَأَخْتِمَ بصواب إذ بدأت بخطأ ، ولكن من لم تُحْكِمِهِ التجارب ، أَسْرَعُ بالمدح إلى من يستوجب النّم ، وبالدم إلى من يستوجب المدح » .

وقال أعرابي لرجل : « هل أنت إلا أنت لم تَقَرَّ ؟ ولو كنت من حديد
مُحَنَّى ووَضِعتَ على عَيْنٍ لم تَذُبْ » .

وقال أعرابي لأخيه : « قد كنتُ نهيبتُك أن تَدْنُسَ عِرْضَكَ بعرض فلان ،
وأَعْلِمَكَ أَنَّهُ مَمِينُ المَالِ ، مهزول المروءة ، مِنَ الرزوقين فَبَجَاءَ ، قصيرُ عمر
الغنى ، طويل عمر الفقر » .

وقال أعرابي : « لا ترك الله مُخَاً في سُلَامَى ^(١) ناقةٍ حملتني إليك ، وَلَلدَّاعِي
عليها أَحَقُّ بالنعاء عليه ، إِذْ كَلَّفَهَا المَسِيرَ إِلَيْكَ » .

وذكر أعرابي رجلاً فقال : « لا يُؤْنَسُ جاراً ، ولا يُؤْهَلُ داراً ،
ولا يَبْتَثُ ناراً » .

وذكر أعرابي امرأة قبيحة فقال : « تُرْخِي ذيلها على عُرْقُوبِي نعاماً ،
وَتُسَدِّلُ خمارها على وجه كَالْجُمَالَةِ ^(٢) » .

وقال أعرابي لامرأة : « والله إِنَّكَ لَمُشْرِفةُ الأذنين ، جَا حِظَّةِ العَيْنين ، ذاتُ
خَلْقٍ متضائل ، يُعْجِبُكَ الباطل ، إِنْ شَبِعَتْ بَطَرْتِ ، وَإِنْ جُعَتْ صَخِبَتْ ^(٣) ،
وَإِنْ رَأَيْتِ حَسَنًا دَفَنْتِهِ ، وَإِنْ رَأَيْتِ سَيِّئًا أَذَعْتِهِ ، تَكْرِمِينَ مِنْ حَقَرِكَ ،
وَتُحْقِرِينَ مِنْ أَكْرَمِكَ » . (النقد العربي ٢ : ٩٠ - ٩٣)

[١] اللاميات : عظام الأصابع . [٢] الجمالة : خوقة يقول بها الغمر .

[٣] الصعب : شدة الصوت .

وسأل أعرابي رجلاً فخرمه ، فقال له أخوه : « نزلت والله بوادٍ غير ممَّنْطُور ،
وأُتيت رجلاً بك غير مسرور ، فلم تُذركَ ما سألتَ ، ولا نلتَ ما أملتَ ،
فارتحلَ بِنَدَمٍ ، أو أقِم على عَدَمٍ » . (القد القريد ٢ : ٩٢ ، وزمر الآداب ٢ : ٥)

ودخلت أعرابية على مَحْدونة بنت المهدي ، فلما خرجت سئلت فقالت :
« والله لقد رأيتها فما رأيت طائلاً ، كأن بطنها قِرْبَةٌ ، كأن نذيتها دُبَّةٌ ، كأن
استها رَمَقَةٌ ^(١) ، كأن وجهها وجهُ ديكٍ قد نَفَسَ ^(٢) عَفْرِيتَهُ يقاتل ديكًا » .
(القد القريد ٢ : ٩٢ ، والأمال ٢ : ١٥٦)

وذم أعرابي رجلاً فقال : « أفسدَ آخرته بصلاح ديناه ، فقارق ما أصلح
غير راجع إليه ، وقَدِم على ما أفسد غير متقل عنه ، ولو صدق رجل نفسه
ما كذَّبه ، ولو ألقى زِمَامَهُ أوطأه راحِلته » . (زمر الآداب ٢ : ٦)

قال الأصمعي : سمعت أعرابية تقول لرجل تخاصمه : « والله لو صوِّرَ الجهل
لأظلم معهُ النهارُ ، ولو صوِّرَ العقلُ لأضاء معهُ الليلُ ، وإنك من أفضلهما لمُعَدِمٍ ،
تَخَفِ الله واعلم أن من ورائك حَكَا لا يحتاج المُدْعَى عنده إلى إحضار يَنَنَةٍ » .
(زمر الآداب ٣١ : ١٦٣)

وقال أعرابي يعيب قوماً : « هم أَقَلُّ الناسِ ذُنُوبًا إلى أعدائهم ، وأكثرهم
جُرْمًا إلى أصدقائهم ، يَصُومُونَ عن المعروف ، وَيُفْطِرُونَ على الفحشاء » .
(البيان والتبيين ٣ : ٢٣٠ ، والقد القريد ٢ : ٩٠)

[١] شجرة عطية . [٢] غيرة الدك : ريش عقه .

ووصف أعرابي رجلاً فقال : « صَغِيرُ الْقَدَرِ ، قَصِيرُ الشَّيْرِ ^(١) ، ضَيْقُ
الصدر ، لَثِيمُ النَّجَرِ ^(٢) ، عَظِيمُ الْكِبَرِ ، كَثِيرُ الْفَخْرِ » .
(البيان والتبيين ١ : ١٥٧ ، والقدر العريد ٢ : ٩١)

وذكر أعرابي أميراً فقال : « يَقْضِي بِالْمَشْوَةِ ، وَيَطِيلُ النِّشْوَةَ ،
وَيَقْبِلُ الرِّشْوَةَ ^(٣) » . (البيان والتبيين ٢ : ٥٠ ، والقدر العريد ٢ : ٩١)

وسمع عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه أعرابياً يقول : « اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَأُمِّ
أَوْفَى » ، قال : « وَمَنْ أُمُّ أَوْفَى ؟ » ، قال : « امرأتى ، وإني لحَمَقَاءُ مِرْغَامَةٍ ^(٤) ،
أَكُولُ قَامَةً ^(٥) ، لَا تَبْقَى لَهَا حَامَةٌ ^(٦) ، غير أنها حسناء فلا تُفْرَكُ ^(٧) » ، وأم
غلمان فلا تُتْرَكُ » . (البيان والتبيين ٢ : ٤٧)

عن عبد الرحمن عن عمه قال : سمعت امرأة من العرب تخاصم زوجها وهي
تقول : « وَاللَّهِ إِنْ شُرِبَكَ لَأَشْتَفَا ^(٨) ، وَإِنْ ضِجَعَتَكَ لَأَنْجِعَا ^(٩) » ،
وإن شملتكَ لَأَلْفِئَا ، وإنك لتَشْبَعُ لَيْلَةً تُصَافُ ، وتنام لَيْلَةً تُخَافُ » ،

[١] الشر : القدر . [٢] الحر : الأصل . [٣] العشوة والنشوة والرشوة بقتيل انهاء في
الثلاثة ، العشوة : ركوب الأمر على غير بيان ، والنشوة : السكر ، والرشوة : الخبل والبرضيل
« بكسر الهمزة » . [٤] المرغامة : العضة لعلها . [٥] قامة : اسم دغل ، من قامة : أى أكل
ما على الخوان كاتمه ، وقته : كنفه . [٦] الحامة : الحاصة .
[٧] فرك زوجته وفركته كسع ، وكسر شاد : أعصته ، ورجل مفرك : بالتشديد تنفضه النساء
وامرأة مفركة : يغصها الرجل . [٨] اشتف : ماى الإثاء : شره كله .
[٩] الانجعاى : الاصرع .

فقال لها : « والله إنك لَكَرْوَاءُ السَّاقِينِ ^(١) ، قَعَوَاءُ الْفَخِذَيْنِ ^(٢) ، مَقَاءُ الرُّقْعَيْنِ ^(٣) ، مَقَاصَّةُ الْكَشْحَيْنِ ^(٤) ضَيْفُكَ جَائِعٌ ، وَشَرُّكَ شَائِعٌ » . . (الأمالى ١ : ١٠٤)

عن عبد الرحمن عن عمه قال : . مرَّ أعرابيُّ برجل يكنى أبا النمر - وكان ضخماً جسيماً ، وكان بواباً لبعض الملوك - فقال : أَعَيْنَ الْفَقِيرَ الْحَسِيرَ ، فقال : ما ألُفَّ سَائِلِكُمْ ، وَأَكْثَرَ جَائِعِكُمْ ، أَرَاخُنَا اللَّهُ مِنْكُمْ ، فقال له الأعرابي : « لو فُرِّقَ قَوْتُ جَسْمِكَ فِي جُسُومِ عَشْرَةِ مَنَا ، لَكَفَانَا طَعَامُكَ فِي يَوْمٍ شَهْرًا ، وَإِنَّكَ لِعَظِيمُ السَّرْطَةِ ^(٥) ، شَدِيدُ الضَّرْطَةِ ، لَوْ ذُرِّيَّ مَجَبَّتَكَ يَنْدَرُ ، لَكَفَّتَهُ رِيحَ الْجَرْيَاءِ ^(٦) » . (الأمالى ١ : ٢٢٦)

٦٤ - قولهم في الغزل

سئل أعرابي عن امرأه فقال : « هِيَ أَرْقُ مِنَ الْهَوَاءِ ، وَأَطْيَبُ مِنَ الْمَاءِ ، وَأَحْسَنُ مِنَ النَّعْمَاءِ ، وَأَبْعَدُ مِنَ السَّمَاءِ » . (الأمالى ١ : ٢٠١ ، والقفا للفرید ٢ : ٩٤)

وذكر أعرابي امرأة فقال : « لَهَا جِلْدٌ مِنْ لَوْلُؤٍ ، مَعَ رَأْتِجَةِ الْمِسْكِ ، وَفِي كُلِّ عُضْوٍ مِنْهَا شَمْسٌ طَالِمَةٌ »

وذكر أعرابي امرأة فقال : « كَادَ الْغَزَالُ أَنْ يَكُونَهَا ، لَوْلَا مَا تَمَّ مِنْهَا وَمَا نَقَصَ مِنْهُ » .

[١] الكرواء : الدققة الساقين .

[٢] القعواء : الدققة ، أو الدققة المحدثين ، وقيل : هي للتباعدة ما بين المحدثين (كلحواء) .

[٣] الرقع : أصل الرقع ، والمقاء : الدققة المحدثين ، أو الملوقة من اللق بالتحريك وهو الطول .

[٤] الكشحة : المترجة ، والكشطان : الحاصران . [٥] الناعمة من سرطه كسر وفتح : انقلبه

[٦] الحقة : امرئة . واليدر : الوصح الذي يداس فيه الحبوب ، والجرعاء : ريح الشمال الباردة .

وذكر أعرابي نسوة خرجن متزهات فقال : « وجوه كالذناير ، وأعناق
كأعناق اليعافير^(١) ، وأوساط كأوساط الزناير ، أقبلن إلينا بحجول^(٢) تحفّق ،
وأوشحة تعلق ، وكم أسير لهن وكم مطلق » .

﴿

ووصف أعرابي امرأة حسنة فقال : « تبسم عن تخش^(٣) اللثات ،
كأفاجي النبات ، فالسعيد من ذاقه ، والشقي من راقه »

﴿

وذكر أعرابي امرأة فقال : « هي الستم الذي لا يبرء منه ، والبرء الذي
لا سقم معه ، وهي أقرب من الحشا ، وأبعد من السما » .

﴿

ووصف أعرابي امرأة فقال : « يضاء جعدة^(٤) لا يمس الثوب منها
إلا مشاشة^(٥) كتفها ، وحلمة نديها ، ورصق ركنيها ، ورائقتي
التيها ، وأشد :

أَبَتْ الرّوَادِفُ وَالثَّدْيُ لِقَمَصِهَا مَسَّ البطون وأن تمس ظهوراً
وإذا الرياح مع العشي تناوحت نبهن حاسدة وهجن غيوراً

[١] اليعافير جمع يعور : وهو ولد القرة الوحشية . [٢] الحجول جمع حجل بالكسر والفتح :
وهو الخلعان ، والأوشحة جمع وشاح هلم ولكسر : أديم عريض يرصع بجوهر ، تشبه لمرة بين
عاتقها وكشحيها . [٣] تخش : حش ، والأفاجي جمع أفجواك هلم : وهو من ضيق الريح حوله ورق
أييس ، ووسطه أصفر ، ورقه : أعجم .

[٤] الحمد من الشعر خلاف السط ، أو القصير منه ، ورجل جعد الشعر والأشج جعدة ، والجد أيضا
للدمع اعلق الختم بعنه لى عس ، والحمد اذا دهم به مدح الدمع هلم مسيان مستحيان : أحدهما أن
يكون معصوم - حوارح شديد الأسر والخلق تير مسترح ولا مضطرب ، والثاني أن يكون شعره جداء غير
سيط لأن سيطرة الشعر هي الدائمة على شعور الجسم من لوم وأمرس ، وجموعة الشعر هي الدائمة على
شعور العرب . [٥] المشاشة : رأس العظم ، والرصف : عفا في الزكة كالأصابع المصومة قد أخذ
بعضها مضاً ، وراحة : تسفل الآية عند القيام .

وذكر أعرابي امرأة فقال : « تلك شمس باهت بها الأرضُ شمسَ سماءها ،
وليس لي شفيع في اقتضائها ^(١) ، وإن نفسي لكثوم لداؤها ، ولكنها تفيض
عند امتلائها » .

وقال أعرابي في امرأة ودعها للمسير : « والله ما رأيت دمة ترقرق من
عين يائمد ^(٢) على دياجة خدّ ، أحسن من عبّرة أمطرتها عينها ، فأعشت
بها قلبي » .

وقال أعرابي : « إن لي قلباً مرّوعاً ^(٣) ، وعينا دمّوعاً ، فماذا يصنع كل
واحد منهما بصاحبه ، مع أن داءهما دواؤهما ، وسقمهما شفاؤهما ؟ » .

وقال أعرابي : « ما أشدّ جولة الرأي عند الهوى ، وفطام النفس عن الصبا !
ولقد تقطعت كبدي ! لؤم العاذلين للعاشقين قرطه في آذانهم ، ولوغات الحب
نيران في أبدانهم ، مع دموع على المغاني ^(٤) ، كغروب السّواني » .

وذكر أعرابي امرأة فقال : « لقد نعت عيني نظرت إليها ، وشقي قلب
تفجع عليها ، ولقد كنت أزورها عند أهلها ، فيرحّب بي طرفها ، ويتجهمني
لسانها » قيل له فما بلغ من حبك لها ؟ قال : « إني ذاكر لها وبينى وبينها
عدوة الطائر ، فأجد لذكرها ريح المسك » .

[١] اقضى ديه وتغاضاه بمعنى . [٢] الأعد : الكحل ، والدياجة : الحد . [٣] مرعا .
[٤] المغاني جمع مغنى : وهو المنزل ، والغروب جمع عرب كشمس : وهو اللو الطيبة ، والسواني جمع
ساية : وهي الناقة يبقى عليها ، والعرب وأداته .

وقال أعرابي : « أَلْهَوَى هَوَانٌ ، وَلَكِنْ غُلِطَ بِاسْمِهِ ، وَإِنَّمَا يَعْرِفُ مَنْ يَقُولُ ، مِنْ أَبْكَنِّهِ الْمَنَازِلُ وَالطُّلُولُ » .

وذكر أعرابي امرأة فقال : « إِنْ لِسَانِي لَدَيْكَ كَرَهَا لَدَلُولُ ، وَإِنْ حَبِيبُهَا لِقَلْبِي لَقَتُولُ ، وَإِنْ قَصِيرَ اللَّيْلِ بِهَا لَيَطُولُ » .

ووصف أعرابي نساء ييلاغة وجمال فقال : « كَلَامُهُنَّ أَقْتَلُ مِنَ النَّبْلِ ، وَأَوْقَعُ بِالْقَلْبِ مِنَ الْوَبْلِ بِالْمَحْلِ ، فَرَوْعُهُنَّ أَحْسَنُ مِنْ فُرُوعِ النَّخْلِ » .
(القند العريد ٢ : ٩٣ — ٩٥)

وقال أعرابي : « دَخَلْتُ الْبَصْرَةَ ، فَرَأَيْتُ أَعْيُنًا دُعْجًا ^(١) ، وَحَوَاجِبَ زُجْجًا ، يَسْجَبُنَ الْتِيَابَ ، وَيَسْلُبُنَ الْأَلْبَابَ » (القند العريد ٢ : ٩٣ ، وزهر الآداب ٣ : ١٧)

وذكر أعرابي نساء فقال : « ظَعَانٌ ^(٢) فِي سَوَافِيهِنَّ طُولٌ ، غَيْرُ قِيحَاتِ الْعُطُولِ ^(٣) ، إِذَا مَشَيْنَ أُسْبِلْنَ الدِّيُولَ ، وَإِنْ رَكِبْنَ أَثْقَلْنَ الْحُمُولَ ^(٤) » .
(زهر الآداب ٣ : ١٧)

وقال أعرابي : « لَقَدْ رَأَيْتُ بِالْبَصْرَةِ بُرُودًا كَأَنَّهَا صُبِغَتْ بِأَنْوَارِ الرَّيِّعِ ، فَهِيَ تَرُوعُ ^(٥) ، وَاللَّابِسُ لَهَا أُرُوعٌ » .
(القند العريد ٢ : ٩٦)

[١] دُعْجًا جمع دُعْجَاء ، وصف من اندفع بالتحريك : وهو سواد العين مع سمها . ورع جمع روع من الرجح بالتحريك أيضاً : وهو دقة الحاجبين في طول .
[٢] طَعَانٌ جمع طعية : ونخبة في الأصل وصف للمرأة في مودعها ثم سميت بهذا الاسم وإن كانت في بيتها لأنها تسير مغمورة ، وهي صيغة بمعنى مصورة لأن روحها يطمس بها ، والموالف جمع سائمة : وهي حاجة مقدم الملق من ثمن معاق التمرط إلى فترة الترقوة . [٣] عطلت نرثة كمرح عطلا بالتحريك وعطولا : إذا لم يكن عليها حلي . [٤] الحمول : المودع ، أو الإبل عليها المودع جمع حمل بالكسر ويفتح . [٥] تعجب .

ن : وقال أعرابي : « شيعنا الحى وفيهم أدوية السقام ^(١) ، فقرأنا بالحدق السلام ، وخرست الألسن عن الكلام » .
(الأمل ٢ : ٥٠)

وسئلت أعرابية عن الهوى فقالت : « لامتّع الهوى بملكه ، ولا مثلى ^(٢) بسلطانه ، وقبض الله يده ، وأوهن عضده ، فإنه جائر لا ينصف فى حكم ، أعمى لا ينطق بعدل ، ولا يقصر فى ظلم ، ولا يرعوى لذم ، ولا يتقادر لحق ، ولا يبتقى على عقل وفهم ، لو ملك الهوى وأطيع ، لردّ الأمور على أدبارها ، والدنيا على أعقابها »

وسئل أعرابي عن الهوى فقال : « هوداء تداوى به النفوس الصّحاح ، وتسلّ منه الأرواح ، وهو سقم مكتم ، وحيم ^(٣) مضطرم ، فالقلوب له منضجة ، والعيون ساكبة » .
(رمر الآداب ٣ : ١٨)

ووصف أعرابي امرأه يحبها فقال : « هى زينة الحضور ، وباب من أبواب السرور ، ولذ كرمها فى المغيب ، والبعد عن الرقيب ، أنهى إلينا من كل ولد ونسيب ، وبها عرف فضل الحور العين ، واشتبق بها إلهن يوم الدين » .
(رمر الآداب ٣ : ٢٤٤)

ووصف أعرابي لساء فقال :
« يلتصن على السبائك ^(٤) ، ويتسحن على النيازك ^(٥) ، ويأترون

[١] أى المحومات الداوية للسقام .
[٢] ملاه الله حبه تليه : معه ه وأعاشه معه طويلا . [٣] الحيم : الماء الحار . وفى الأصل : « وحى » وراه محرّفا عن حيم ، وبأسه قوله : « والعيون ساكبة » .
[٤] على . . . وإنما على طرف الألف ، لامت للرأة ولامت ، والساك ها الأسان شهما لياصها . . . [٥] ليبارك جمع برك جمع . وهو الريح القصير .

على العوانك^(١) ، وَيَرْتَفِقْنَ على الأرائك^(٢) ، وَيَهَادِنِ على الدرائك^(٣) ،
ابتسامهن وميض^(٤) ، عن وليع كالأغريض^(٥) ، وهنَّ إلى الصبأ صور^(٦) ، وعن
الحنانور^(٧) . (الأمل ١ : ٤٤ ، ورعر الآداب ٣ : ١٨)

قولهم في الوصف

٦٥ - أعرابي يصف مطرا

عن عبد الرحمن عن عمه قال : سئل أعرابي عن مطر فقال :

« استقلَّ سُدُّمَعِ انتشار الضَّعَلِ^(١) ، فَسَمَاَ وَاحْزَنَ^(٢) ، ثُمَّ اكْفَهَرَّتْ
أَرْجَاؤُهُ ، وَانْحَوَمَتْ أَرْحَاؤُهُ ، وَابْدَعَرَّتْ فَوَارِقُهُ^(٣) ، وَنَضَاخَكَتْ بَوَارِقُهُ ،
وَاسْتَطَارَ وَادِقُهُ ، وَارْتَفَقَتْ جُوبُهُ . وَرَتَمَنَ هَيْدَبُهُ^(٤) . وَحَسَكَتْ أَخْلَافُهُ ،
وَاسْتَقَلَّتْ أُرْدَافُهُ ، وَانْتَشَرَتْ أَكْنَافُهُ^(٥) . فَارْعَدَ مَرْجَجِسُ^(٦) ، وَابْرَقَ مُخْتَلِسُ^(٧) ،

- [١] المومع جمع موك . وهو من مستعد يقي فيه شعب يدبر على احد .
[٢] الأراك جمع ركة وهي سرد أو فرش ، ارتفق . كشيء مري به ، أو على محبة .
[٣] يهادين : يشين مشياً معه ، والدرع : حديد جمع دروع كصعور ، ودور كبرج .
[٤] لوميس : المهادن آخر ، ووايح : ح ، كنه هذه الؤوق في شدة . و . و . و . و . و . و .
شرايراه : ونسم عن مراكوايح ، والإعراب : جمع حين مشق به كجوده ، و برد (تبردك ارا) .
[٥] صور : موائيل ، وده قليل للماء . و . و . و . و . و . و . و . و . و . و .
[٦] استقل : ارتفع ، ولد : السحاب الذي يد لأفق ، و . و . و . و . و . و . و . و .
[٧] شفا ارح ، واحرنت مش . ٨ - السكهر من سحاب : الذي يركب معه معه ،
وأرحؤه : نواحيه جمع رح كصا ، واحومت : سودت ، وأرحؤه : أرحه ، جمع رح كصا ، واحومت
تفرقت ، واحوارق جمع ورق ، وهو السحاب الذي يتطوع من معه السحاب ، وأصله في لابل ، يدل
ذقة ورق : وهي التي تدعى الإبل عند راحها .

- [٩] استطار : انتشر ، وادوق الذي يكون فيه وق (كشمس) وهو لضر لعيه مطر ، وارتفت
الأمات ، وجوبه : مرجه ، وارتس : استرحى ، والهيب : هي تدل ويد من لأرس مش هب عطوة .
[١٠] حسكت : امتدت ، ولأحافى جمع صف كحل ، وهو صفة كضرع لدرجة ، أردبه : ما أجيره
والأكفى : أوجي .

والماء مُنْبِجِسٌ ^(١) ، فَأُتْرِعَ الْعُدْرُ ، وَانْتَبَثَ الْوُجُرُ ^(٢) ، وَخَلَطَ الْأَوْعَالُ
بِالْآجَالِ ، وَقَرَنَ الصَّيْرَانِ بِالرَّئَالِ ^(٣) ، فَلَاوْدِيَّةٌ هَدِيرٌ ، وَلِلشَّرَاجِ خَرِيرٌ ، وَلِلتَّلَاعِ
زَفِيرٌ ^(٤) ، وَحَطَّ النَّبْعَ وَالنُّعْمَ ، مِنَ الْقُلَلِ الشَّمُّ ، إِلَى الْقَيْعَانِ الصَّخْمِ ^(٥) ، فَلَمْ
يَبْقَ فِي الْقُلَلِ إِلَّا مُعْصِمٌ مُجَرَّبٌ نَيْمٌ ، أَوْ دَاخِضٌ مُجَرَّبٌ جَمٌّ ^(٦) ، وَذَلِكَ مِنْ فَضْلِ رَبِّ
الْعَالَمِينَ ، عَلَى عِبَادِهِ الْمَذْنُونِ . (الأمالي ١ : ١٧٣)

٦٦ — أعرابي يصف مطرا

عن الأصمعي قال: سمعت أعرابيا من غنيّ يذكر مطرا أصاب ^(٧) بلادهم في
غيبٍ جَدَّبَ فقال :

« تَدَارَكَ رَبُّكَ خَلْقَهُ ، وَقَدْ كَلَبَتِ الْأَنْحُمَالُ ، وَتَقَاصَرَتِ الْآمَالُ ، وَعَكَفَ
الْيَاسُ ، وَكُظِمَتِ الْأَقَامِسُ ، وَأَصْبَحَ الْمَاشِي مُضْرِمًا ^(٨) ، وَالتُّرْبُ مُعْدِمًا ،

[١] مرتجس : مصوّت من الرّحس كمثل وهو الصوت ، محتلس : كأنه يحتلس البصر لشدة الحاجة ،
منجس : معطر .

[٢] أترع : ملأ والعدر جمع عدير ، والوحر جمع وحر ككتاب وسحاب وهو حمر الضع والعلب ،
وانتبت : أخرج بيتها وهو تراب الثر والتبر ، أي أنه لشدة هدم الوحر حتى أخرج ما بداخلها من التراب .
[٣] الأوعال جمع وعل ، (كنس وكتف ودئل) : النيس الحلي ، والآحال جمع إحل كحل وهو
القطيع من البقر أي أنه لشدة جمع بين الوحول — وهي تسكن الحلال — وبين البقر — وهي تسكن القيعان
والرمال ، والصيران جمع صوار كشطاع ، وصيار ككتاب وهو القطيع من البقر ، والرئال جمع رأل كشس
فرغ العام ، والرئال تسكن الحلد (مالتحريك وهي الأرض الصلبة المستوية اللينة) والصيران تسكن الرمال
والقيعان ، فرق بينهما .

[٤] هدير : أي صوت كهدير الابل ، الشراج جمع شرح كشس وهو يبل للماء من الحرة الى السهل
والتلّاع : مساليل الماء من الجبال حتى يصب في الوادي . [٥] السع : شجر يتجدد منه القسي يند في
الحال ، والنعم : الزيتون الحلي كقفل وعق ، والقفل : أعالي الجبال جمع قلة كعرصة ، والشم : المرتفعة
جمع شماء ، والقيعان جمع قاع : وهي أرض سهلة مطمئة قد اهرحت عنها الحال والآكام ، والصخم : التي تطلوها
حرة جمع أصخم . [٦] المعصم : الذي قد تمسك بالحال وامتنع فيها ويقال للرجل الذي يمسك برف فرسه
حرف السقوط : معصم) محرم : متقبس ، الداخض : الذي يهضم برجليه عد للوث ، والمخرم : للصروع .
[٧] صاب : حاد ، وكلت : اشتدت ، والأحمال جمع محل كشس وهو التخط ، وعكف : أقام .

[٨] الماشي : صاحب الماشية ، مشى الرجل وأمشى : كثرت ماشيته ، والمصرم : القارب المال للقل ،

وَجُفِيتِ الْحَلَالِلُ ، وَامْتُهِنَتِ الْعَقَائِلُ ، فَأَنْشَأَ سَحَابًا رُكَّامًا^(١) ، كُنْهَوْرًا سَجَّامًا ،
بُرُوقَهُ مَتَالِقَةً ، وَرُعُودَهُ مُتَقَعِّمَةً ، فَسَحَّ سَاجِيًا^(٢) رَاكِدًا ، ثَلَاثًا غَيْرَ ذِي قُؤَاقٍ ،
ثُمَّ أَمَرَ رَبُّكَ الشَّمَالَ ، فَطَحَّرَتْ^(٣) رُكَّامَهُ ، وَفَرَّقَتْ جَهَامَهُ ، فَاتَّقَشَعَ عَمُودًا ،
وَقَدْ أَحْيَا وَأَغْنَى ، وَجَادَ فَأَرْوَى ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا تُكْتَنُ نِعْمَتُهُ ، وَلَا تَنْفَدُ
قِسْمَتُهُ ، وَلَا يَحْيِبُ سَائِلُهُ ، وَلَا يَنْزُرُ^(٤) نَائِلُهُ . (الأنفال : ١٧٦)

٦٧ - أعرابي يصف مطرا

عن الأصمعي قال : « سألت أعرابيا من بني عامر بن صعصعة عن مطر
صَابَ بِلَادِهِمْ فَقَالَ :

« نَشَأَ عَارِضًا^(١) ، فَطَلَعَ نَاهِضًا ، ثُمَّ ابْتَسَمَ وَامِضًا ، فَأَعَسَ^(٢) فِي الْأَطْطَارِ
فَأَسْجَاهَا ، وَامْتَدَّ^(٣) فِي الْآفَاقِ فَنَغَطَّاهَا ، ثُمَّ ارْتَجَزَ^(٤) فَهَمَّهَمَ ، ثُمَّ دَوَّى فَأَظْلَمَ ،

وَالْتَرَبَّ أَغْنَى لَهُ الدَّلُّ مِنَ التَّرَابِ كَثْرَةً ، يُقَالُ : اُتْرَبَ الرَّحْلُ إِذَا كَثُرَ مَالُهُ (وَقُلْ أَيْمًا . ضِدُّ)
وَتَرَبَّ كَفَرَحَ إِذَا اضْطَرَّ كَأَنَّهُ لَصِقَ بِالتَّرَابِ ، وَامْتُهِنَتْ : اسْتَعْدَمَتْ وَاسْتَعْلَتْ ، وَالْعَقَائِلُ جَمْعُ عَقِيلَةٍ ، وَأَنْشَأَ
أَحْدَثَ ، وَالشَّاءَ : السَّحَابَ أَوَّلَ مَا يَجْرَحُ .

[١] الرُّكَّامُ : التُّرَابُ ، وَالْكُنْهَوْرُ مِنَ السَّحَابِ - قَطْعُ كَأَنَّهَا الْحُلَاءُ ، أَوْ التُّرَابُ كَثْرَتُهُ ، وَاحِدَتُهُ كُنْهَوْرَةٌ ،
وَسَجَّامٌ : صَبَابٌ ، وَمَتَالِقَةٌ : لَامِعَةٌ ، وَمُتَقَعِّمَةٌ : مَصُونَةٌ .

[٢] سَحَّ : صَبَّ ، - أَحْيَا : سَاكَنًا . رَاكِدًا : نَائِدًا ، وَاعْوَاقٌ : أَنْ يَصِيبَ صَبِيَّةٌ ثُمَّ يَسْكُنُ ، ثُمَّ يَصِيبُ
أُخْرَى ثُمَّ يَسْكُنُ أَحَدُهُمْ مِنْ عِرَاقِ النَّاقَةِ وَهُوَ مَا فِي بَيْنَيْنِ ، كَأَنَّهُ يَجْلِبُ حَلَةً ثُمَّ يَسْكُنُ ، ثُمَّ يَجْلِبُ أُخْرَى
ثُمَّ يَسْكُنُ . [٣] طَحَّرَتْ : أَطَهَّرَتْ وَأَبْهَتَ ، وَالْمَهَامُ : السَّحَابُ الَّذِي قَدْ هَرَّاقَ مَاءَهُ ، تَكَتَ : تَحَمَّى .
[٤] يَنْزُرُ : يَنْزِلُ ، وَمَنْ قِيلَ : امْرَأَةٌ بَرُورٌ : إِذَا كَانَتْ قَلِيلَةً الْوَلَدِ .

[٥] الْعَارِضُ : السَّحَابُ الْمُتَرَصِّصُ فِي الْأَثَرِ ، وَيَوْمَئِذٍ انْفِرَقَ كَوْعَدُ : لَمَحَ صَعِيدٌ ، وَلَمْ أَمْدُقْ كَتَبْتُ تَبَّةً
« أَعَسَ » وَابْتُدِيَ الَّذِي فِيهَا دَعَسَ السَّحَابُ : دَامَ مِنَ الْأَرْضِ « وَأَسْعَاهَا عَطَاهَا ، وَفِي الْأَصْلِ « أَسْعَاهَا »
نَدَاءٌ وَهُوَ تَصْغِيرٌ . [٦] ارْتَجَزَ : ارْتَدَّ : صَاتَ ، وَارْتَجَزَ السَّحَابُ : تَحَرَّكَ بِغَيْثٍ كَثْرَتُهُ مِنْهُ ،
رَهْمُهُمْ رَعْدٌ : إِذَا صَمِعْتَ لَهُ دَوَاءً وَلَهْمُهُمْ . كُلُّ صَوْتٍ مَعَ عَجَجٍ ، وَأَرْجَزَ : قِيَّ مَرَّتَهُ ، مَعَ رَاءٍ وَكُسْرٍ
وَهُوَ يَنْظُرُ الْقَلِيلَ أَوْ هُوَ مَوْقُ الْإِثِّ ، وَلَمَثَّ : مَتَحَ : انْفَرَقَ الصَّعِيدُ ، وَالْعَثَّةُ نَائِجٌ . « الْغُرَّةُ الضَّعِيفَةُ
وَقَدْ مَثَّ الْبَاءُ كَعَجَجٍ ، وَالْخَشْ : مَخَرَّ صَعِيدٌ وَهُوَ مَوْقُ الرَّدَادِ ، فَثَبَّتَ أَسْفَلَ كَثُرَ وَصَرَبَ

فَارْكُ وَدَثٌ ، وَبَعَشٌ وَطَشٌ ، ثُمَّ قَطَّقَطَ ^(١) فَأَفْرَطَ ، ثُمَّ دَيْمٌ فَأَنْمَطَ ، ثُمَّ رَكَدَ
فَأَنْجَمَ ، ثُمَّ وَبَلَ فَسَجَمَ ، وَجَادَ فَأَنَعَمَ ، فَقَمَسَ الرُّبَا ^(٢) ، وَأَفْرَطَ الزُّبَى ، سَبَعًا
تَبَاعًا ، مَا يَرِيدُ اتَّقَشَاعًا ، حَتَّى إِذَا ارْتَوَتْ الْحُزُونُ ^(٣) ، وَتَضَحَضَحَتِ الْمُتُونُ ،
سَاقَةُ رَبُّكَ إِلَى حَيْثُ شَاءَ ، كَمَا جَلِبُهُ مِنْ حَيْثُ شَاءَ . (بلوغ الأرب ٢ : ٢٤٩)

٦٨ — ثلاثة غلبة من الأعراب يصفون مطرا

عن الأصمعي قال : مررت ببغلة من الأعراب يتماقلون ^(٤) في غدير ، فقلت
لهم : أيكم يصف لي الغيث وأعطيه درهما ؟ فخرجوا إلى فقالوا : كلنا ، وهم ثلاثة ،
فقلت لهم : صِفُوا ، فَأَيُّكُمْ ارْتَضَيْتَ وَصْفَهُ أَعْطَيْتَهُ الدَّرْهَمَ ، فَقَالَ أَحَدُهُمْ :
« عَنْ لَنَا قَارِضٌ قَصْرًا ^(٥) ، تَسْوِقُهُ الصَّبَا ، وَتَمَحْدُوهُ الْجَنُوبُ ، يَحْبُو حَبْوُ
الْمُتَنِكَ ^(٦) ، حَتَّى إِذَا ارْلَأَمَتْ ^(٧) صَدُورُهُ ، وَانْتَحَلَتْ خُصُورُهُ ، وَرَجَعَ
هَدِيرُهُ ، وَصَعَقَ زَيْبِرُهُ ، وَاسْتَقَلَّ نَشَاؤُهُ ^(٨) ، وَتَلَامَّ خَصَاصُهُ ، وَارْتَمَجَ

[١] المقطع بالكسر : المطر التابع العظيم القطر ، وقد قططت السماء ، والديمة بالكسر : مطر
يدوم في سكون بلا رعد وبرق ، أو يدوم أياما ، وقد ديمت السماء ، أنمط : دام ولارم ، وأنجمت
السماء : أسرع مطرها ودام ، والوبل : المطر الشديد الضخم القطر ، وقد ولت السماء كوعده : أمطرت ،
وسجم كمنخل : سال وانصب . [٢] قس الربا : كسر وصرى : عوصها ، وأرطها : ملاها
حتى فاحت ، والربى جمع ربية كهرمة ، وهي الراية لا يطلوها الماء ، وحررة تبحر لصيد الأسد (وهو
المراد هنا) سميت بذلك لأنهم كانوا يحضرونها في موضع طل .

[٣] الحرون جمع حرن كشس وهو العليط من الأرض ، والتون جمع تن كشس : وهو ما صل من
الأرض وارتفع ، والتضخضخ والتضخضخ : الماء القليل ، وقيل هو ما لا عرق فيه ، وقيل هو
الماء إلى الكمين أو إلى أضاف السوق — وفي لغة هذيل الكثير — وقد تضخضخ الماء ، والتضخضخ
أيضا جرى السراب ، تضخضخ إذا تفرق .

[٤] يتماقلون في الماء . [٥] عى : عرس ، والقصر : العشي ، والصائر يح تهب من مطلع الشمس إذا
استوى الليل والهار . [٦] عاك الرمل كصخر : تغد وارتفع فلم يكن فيه طريق ، ورواة عالمك : فيها
تغدد لا يخدر السير على التي فيها إلا أن محو ، واعتك الحير واستمك : حما في المالك فلم يقدر على السير
وقد رؤوة : أوديت إن لم تحب حيز المشك .

[٧] ارلأمت : ارتفعت ، والمصور جمع خصر : وهو وسط الإنسان ، والرجيع : ترديد الصوت في
الخلق . [٨] الدشاش ككتاب وسحاب : السحاب للرجع ، أو للارتفاع بعضه فوق بعض وحصاصه :

ارتعاضه ، وأوفدت سِقَابُهُ ^(١) ، وامتدت أطنابُهُ ، تدارك وَدْقُهُ ، وتأنق بَرَقُهُ ،
وَحَفَزَتْ تَوَالِيهِ ^(٢) ، وأنسَفَحَتْ عَزَالِيهِ ، فتادر الثرى عَمْدًا ^(٣) ، والعزاز تَمْدًا ،
والحث غَدًا ^(٤) ، والضَّحَاضِحَ مُتَوَاصِيَةً ، وَالشُّعَابَ مُتَدَاعِيَةً .

وقال الآخر : « تَرَاءَتْ الْمَخَالِيلُ ^(٥) مِنْ الْأَطْطَارِ ، تَحْنُ حَتِينَ الْعِشَارِ ،
وتَرَامِي بِشُهْبِ النَّارِ ، قَوَاعِدُهَا مِتْلَاحِكَةٌ ^(٦) ، وَبَوَاسِقُهَا مُتَضَاحِكَةٌ ، وَأَرْجَاؤُهَا
مِتْقَازِفَةٌ ، وَأَعْجَازُهَا مُتَرَادِفَةٌ ، وَأَرْحَاؤُهَا مُتَرَاصِفَةٌ ، فَوَصَلَتْ الْغَرْبَ بِالْشَرْقِ ،
وَالْوَبْلَ بِالْوَدْقِ ، سَحَّادَرًا كَا ^(٧) ، مُتَابِعًا لَكَا كَا ، فَضَحَضَحَتْ الْجَفَاجِفَ ^(٨) ،
وَأَنْهَرَتْ الصَّفَافِيفَ ، وَخَوَّضَتْ الْأَصَالِفَ ، ثُمَّ أَقْلَعَتْ مَحْمُودَةَ الْآثَارِ ،
مَوْمُوقَةَ الْخِيَارِ .

فرحه ، وأصله الفرج بين الأثني واتق الصبر وكل حلل أدرق في رب ومنحل وبرقع ونحوه ، وارتفع :
ارتعد ، وارتفع : تلوَّى وانفص ، وارتفع الريح : اشتد اهتداده .

[١] أوفدت : أشرفت ، والسقاب جمع سقب كشمس وهو عمود الحذاء ، والأططاب جمع طب كسقب وهو
جبل طويل يشد به الوتد . [٢] حفره كضربه : دقه من خلفه ، والتوالي : الأعجاز والآخير ، والعزالي
مكرر الهم وفتحها جمع عزلاء : وهي مصب الماء من الزاوية ونحوها ، واحضعت : أهدت ، من سفع الدم
أراقه . [٣] عمد الثرى كعمر : على المنظر حتى إذا قصت عليه تنقرد لدوته ، والعزاز : الأرض الصلبة
مكان شد : تد من الشاد فالتعريك وهو المدى . [٤] الحث : اليأس الحث من الزمن ، وبنق ككف
وحل : ماتت من الرمل وثراكم ، والضحاضح كحفر والضصاح : الماء أيسر ، متوصية : متواصلة ، وشعاب
جمع شعبة كعمرة : وهي المسيل في الرمل ، ومعظم من سواقي الأودية ، وصدع في الحبل يأوي إليه المخز .
[٥] محال جمع محبة « نعم لنيم وكسر الحاء » رانحيلة وانهيلة « تشديد الياء المكسورة » انسدة
التي تحبسها ماطرة ، وانشار جمع عشراء كعشاء : وهي الناقة التي مصى جنبها شيرة أشير : رثمية ،
أو هي كالعشاء من النساء ، والشرب جمع شهاب ككتاب : وهو شعبة من نار ساطعة .

[٦] قواعدها : أسافلها ، وأصله من قواعد البيت : أي أساسه ، متلاحكة : أي قد اشتدت شملها ،
وللتلاحكة : الدقة الشديدة الخلق ، وبواسقها : أعاليها جمع نسقة ، من سق : أي طن ورمع ، ومتضاحكة :
أي يصحك بيارفها ، متقادية : أي يقذف بعضها بعض المنظر ، وأرجؤها : أوسعها ، مترصعة : متراكمة
قد رصف بعضها فوق بعض . [٧] أي صامتة ، والككا : تنزح من سكك ككتب وهو رجم .
[٨] الجفاجيف جمع جفجف كحفر : وهي الأرض المربعة ليس لها ريحة ، وخصبها : جعلت فيها صحصح ،
وانصاف جمع مصف كحفر : وهو المستوى من الأرض ، وأبر لكاء : أسنه ، والأصناف : عصبه ، :
ما صل من الأرض ، وجمع أصناف ، وحوست حلت بها حياصا .

فقال الثالث : والله ما خيلته بلغ خمسا ، فقال : هلمَّ الدرهمَ أصيفه لك ، فقلت : لا ، أو تقول كما قالا ، قال : لا بُدَّ لهما ^(١) وصفا ، ولأوقفنهما رصفا ، فقلت : هاتِ لله أبوك ، فقال : « بينما الحاضرُ بين الباس والإبلاس ، قد غمَّهم الإشفاق ، رهبة الإملاق ، وقد جفت الأنواء ^(٢) ، ورفرف البلاء ، واستولى القنوط على القلوب ، وكثر الاستغفار من الذنوب ، ارتاح ربك لعباده ، فأنشأ سبحانه مستجھراً ^(٣) كنهوَرًا معنويكًا مخلوليكا ، ثم استقل وأخزأل ^(٤) ، فصار كالسما دون السماء ، وكالأرض المذحوة ^(٥) في لوح الهواء ، فأحسب الشهول ، وأتأق الهجول ، وأحيا الرباء ، وأمات الضراء ، وذلك من فضل رب العالمين . قال : فلو والله اليقَعُ صدرى ، فأعطيت كل واحدٍ درهما ، وكتبت كلامهم . (بروج الأرب ٣ : ٢٥٢)

٦٩ - أعرابي يصف مطرا

عن الأصمى قال : سألت أعرابيا عن مطر صاهم بعد جذب فقال : « ارتاح لنا ربك بعد ما استولى على الظنون ، وحامر القلب القنوط ، فأنشأ بنوء الجبهة ^(٥) قرعة كالفرص من قبل العين ، فآخزألت عند ترجل النهار ،

[١] دة : فاته وغله ، والحاصر : ساكن الحضر ، والناس : العذاب والشدة ، والإبلاس : الحير واليأس ، والاشفاق : الحوف ، والإملاق : العاقة . [٢] الأنواء جمع نوء : وهو في الأصل سقوط النجم في العرب مع الصبح وطلوع آخر يقاطع في ساعته من المشرق ، وكانت العرب تضيف الأمطار والرياح والمروالبرد إليها . [٣] مستجھراً : لم أحد هذه الكلمة في كتب اللغة ، وربما كان الأصل : « مستهراً » من استهر الشيء إذا اتسع ، والمخلوك : الشديد السواد ، وقد فهم معنى اعتك واستعك ، واعمولك اصوعل من هذه الـدة ، ولم أحد في كتب اللغة . [٤] اللبسوة ، واللوح : الهواء وأحسبها : أرواها ، من أحسه إذا أطعمه وسقاه حتى شبع وروى ، وأتأق : ملأ ، والمحول جمع هبل كشمس : وهو المظنن من الأرض ، واليع والياوع : الشاب .

[٥] الحبة : نزل لقمر ، قرعة : قطعة من الحبات ، والمرس : اترس ، والعين : القلة ، وترجل النهار : ارتفع .

لَا زَمِيمَ السِّرَارِ^(١) ، حَتَّى إِذَا نَهَضَتْ فِي الْأَفْقِ طَالِعَةً ، أَمْرَ مَسْخَرِهَا الْجَنُوبُ ،
فَتَنَسَّتْ لَهَا ، فَاثْتَشَرَتْ أَحْضَانُهَا ، وَاتَّهَمَوْتِ أَرْكَانَهَا ، وَبَسَقَ عَنَانُهَا^(٢) ،
وَكَفَهَرَتْ رَحَاهَا ، وَابْتَعَجَتْ كُلَّهَا ، وَذَمَّرَتْ أَخْرَاهَا أَوْلَاهَا ، ثُمَّ اسْتَظَارَتْ
عَقَائِقُهَا ، وَتَقَعَّقَتْ صَوَاعِقُهَا ، ثُمَّ ارْتَمَعَتْ^(٣) جَوَانِبُهَا ، وَتَدَاعَتْ سَوَاكِبُهَا ،
وَذَرَّتْ حَوَالِيَهَا ، فَكَانَتْ الْأَرْضُ طَبَقًا^(٤) ، مَسَحَ فَهَضْبٌ ، وَعَمَّ فَأَحْسَبُ ،
فَعَلَّ الْقِيَعَانُ ، وَضَخَضَعَ الْغَيْطَانُ ، وَجَوَّخَ الْأَصْوَابُ^(٥) ، وَأَتْرَعَ الشَّرَاجُ ،
فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ كِفَاءَ إِسَاءَتِنَا إِحْسَانًا ، وَجَزَاءَ ظَلَمِنَا غُفْرَانًا .

(بَرُوحُ الْأَرْب : ٢ : ٢٥٢)

٧٠ — أَعْرَابِي يَصِفُ مَطْرًا

عن عبد الرحمن عن عمه قال : سمعت أعرابياً من بني عامر بن لؤي بن
صَعَصَعَةَ يَصِفُ مَطْرًا فَقَالَ :

« نَشَأُ عِنْدَ الْقَصْرِ ، بِنَوَى الْفَقْرِ^(١) ، حَيًّا عَارِصًا ، ضَاكًا وَامِضًا ،
فَكَلًّا وَلَا^(٢) ، مَا كَانَ ، حَتَّى شَحِيتَ بِهِ أَقْطَارُ الْمَوَاءِ . وَاحْتَجَبَتْ بِهِ السَّمَاءُ ،

[١] الأبريم : ليلة من ليالي إصراق - وإصراق منسوبة : ثلاث ليالٍ من آخر الشهر ، وإصراق :
آخر ليلة من الشهر ، وأحصائها جمع حصن كمن : وهو حارب الشيء ونجته ، واحموت : استودت .
[٢] بسق : ارتفع ، والعنان : السحاب ، رحلها : وسعها ، واسعت : أشتت ، والكمية من
السحاب : أسفله - ومن المائدة رتبة مستديرة تحور عليها تحت العروة ، ودمرت : حمت - وتنداسر :
التداس على الغلال ، عفاقها : بروقها المشبهة للعقائق .

[٣] ارتش المطر : ثلث وحد . [٤] عيث طوق : عام واسع يضيق للأرض ، وهيب كضرب :
مطر . [٥] جوح السيل الوادي : إذا كثر حديه واقتلع أحرقه ، وفي الأصل « جوح » وهو متعجب
والأصواب جمع صوح كشس : وهو مصطب الوادي ، ونسراج جمع شرح كشس أبع : وهو ممين
الماء من الخرة (فتح الحاء) إلى السيل .

[٦] القصر : العشي ، والعمر : منزل القبر ، ولغى : أذاب يشرق من الأفق على الأرض ، أو ندى
بسمه فوق بعض . [٧] قل في المكان : « والحرب يد أرادو تغلب مدة عمل أو ظهور شيء حتى
قاوا : كان ماله كلاً ، وربما كروا فقاوا كلاً ولا ، قل الشاعر يكون برون أقدم بها كلاً ولا . . ،
والشعا : ما اعتصر في الخلق من نظم ونحوه ، وتندشحي به كرمى .

ثم أطرق^(١) فاكفهر^(٢)، وتراكم فأذلهم^(٣)، وبسق فازلأم^(٤)، ثم حدث به الريح،
فخن^(٥)، فالبرق مرتعج^(٦)، والرعد متبوج^(٧)، والخروج متبعج^(٨)، فأنجم ثلاثا^(٩)،
متجيرا ههنا^(١٠)، أخلاقه حاشكة^(١١)، ودفعه متواشكة^(١٢)، وسوامه متعاركة^(١٣)، ثم
ودع منجما^(١٤)، وأقلع متهما^(١٥)، محمود البلاء^(١٦)، مثرع^(١٧) النهاء^(١٨)، مشكور النعماء^(١٩)،
بطول^(٢٠) ذي الكبرياء^(٢١). (لوح الأرب ٢ : ٢٥٤)

٧١ - أعرابي يصف مطرا

عن أبي عبيدة قال : خرج النعمان في بعض أيامه في عقيب سماء^(١)، فلقى
أعرابيا على ناقة^(٢)، فأمر فأتى به^(٣)، قال : كيف تركت الأرض وراءك^(٤)، فقال :
« فيح رحاب^(٥)، منها السهول ومنها الصعاب^(٦)، منشوطة يجبالها^(٧)، حاملة
لأثقالها^(٨)، قال إنما سألتك عن السماء^(٩) ! قال :
« مطلة^(١٠)، مستقلة^(١١)، على غير سقاب ولا أطناب^(١٢)، يختلف عصراها^(١٣)،
ويتعاقب سراجها^(١٤)، قال : ليس عن هذا أسألك^(١٥) ! قال : فسَلْ ما بدا لك^(١٦)، قال :
هل صاب الأرض عيث^(١٧)؟ قال :
« نعم : أنمطت^(١٨) السماء في أرضنا ثلاثا رهوا^(١٩)، فثرت وأرثغت^(٢٠)،

[١] هو من أطرقت الإبل : تبع مصبا مصبا ، وادلم : اسود .

[٢] التوَح : الصياح ، والمروح : السحاب أول ما يثأ ، متعج : متندق .

[٣] الهثا : الريح ، حاشكة : كثير الماء ، متواشكة : يسارع مصبا مصبا ، والسوام : الإبل الراحية .

[٤] أحم المطر وغيره أقلع ، ومبها : أي سائرا عتومة ، والنهاء جمع هي الكسر والفتح وهو الدير .

[٥] أي مصله وقدرته .

[٦] فيح جمع فيح ، واسعة ، وكدا رحاب ، منشوطة : مشدودة ، من نشط الحل كصر عقده

(وأشطه حله) . [٧] مطلة : مرتفعة ، وكدا مستقلة ، والسقاب جمع سقب كشمس : وهو عمود الحاء ،

والعصران : الليل والنهار ، وسراجها : الشمس والقمر . [٨] أي دامت ولارمت ، والرهو : السكون

والثرة : العيون : العيرة كالثرارة ، وقد ثرت هي ، والزرعة بالتحريك : الوحل ، وأررع المطر الأرض

طيا ولم تمل ، ووسع المدر : كثر وثرى الأرض حتى تملح مد الحافر عنه إلى إرساعه .

وَرَسَّغَتْ ، ثم خرجت من أرض قوى أقرؤها ^(١) ، فإذا هي متواصية ، لا خطيطة بينها ، حتى هبطت بعشار ، فتداعى السحاب من الأقطار ، فجاءنا بالسيل الخرار ، فعفا ^(٢) الآثار ، وملاً الجفار ، وقور على الأشجار ، فأجحر الحضار ، ومنع السفار ، ثم أفلح عن تقع وإضرار ، فلما اتلأبت ^(٣) لى القيحان ، ووضعت السبل فى النيطان ، وفات العنان ، من أقطار الأغنان ، فلم أجد وزراً إلا الغيران ، فقات وجار الضبع ، فنادرت السهول كالبحار ، تتلاطم بالتيار ، والحزون متلفعة بالنعاء ^(٤) ، والوحوش مقذوفة على الأرجاء ، فزال أطا السماء ، وأخوض الماء ، حتى وطئت أرضكم . (بلوغ الأرب ٣ : ٢٥٧)

٧٢ — أعرابى يصف مطراً

عن أبى عبيدة قال : وقف أعرابى على قوم من الحاج فقال :
« يا قوى بدا شانى ، والذى أفتجنى ^(٥) إلى مسألتكم ، إن النيث كان قد قوى عنا ، ثم تكرفاً السحاب ، وشصاً الرباب ، وأذلهم سيقه ^(٦) ، فارتجس ريقه ، وقلنا : هذا طام باكر الوسمى ^(٧) ، محمود الشمى ، ثم هبت له الشمال ، فأخرألت طخاريره ^(٨) ، وتقرع كرفقه متباشراً ، ثم تابع لمعان البرق ، حيث

-
- [١] أقمها ، والخطيطة : الأرض لم تنطر بين مطورتين ، أو التى مطر حضا ، وعشار : موضع .
[٢] عفاها وطسها ، والجفار جمع جعر كشس : الثرى التى لم تطو ، وقورها : قطع من وسطها حرة مستديرا ، وأحجر ، من أحجر الضب : أى أدخله فى حجره ، وأحصار جمع حاصر وهو المقيم فى الحضر ، والسعار جمع سافر وهو الماسر لامل له . [٣] استقامت ، وانعان : السحاب ، والأعدن من النعم : نواحيها ، ولوزر الملأ ، واليران جمع عار : وهو الكهف فى الخلل ، والوحر باكر والفتح : حجر الضبع وغيرها . [٤] النعاء : النالى من ورق الشجر الخالف لرد السيل .
[٥] الجأنى ، وقوى المطر : احتس ، وتكرفاً : تراكم ، وشصا : ارتفع ، وترااب : السحب الأبيض .
[٦] أذلهم : أسود ، والسيق : السحاب لأماء فيه ، والريق : تردد الماء على وجه الأرض .
[٧] الوسمى : مطر الريح الأول ، سمى بذلك لأنه يسم الأرض بالسم ، والسمى جمع سم : وهو المطر أو المطرة الحيدة . [٨] الطخارير جمع طخور كصخور فحاء وحاء : الملقح من السحاب ، وشكوى : السحاب المرتفع للتراكم ، وتقرع : تهرق واقشع ، وشام البرق : نظر إليه أين يقصد .

تَشِيْمُهُ الْأَبْصَارُ ، وَتَجْدُهُ النَّظَارُ ، وَتَمَرَّتِ ^(١) الْجَنُوبُ مَاءَهُ ، فَقَوَّضَ الْحَيُّ مُزْلَمَتَيْنِ
نَحْوَهُ ، فَسَرَّحْنَا الْمَالَ فِيهِ وَكَانَ وَجْهًا وَخِيَمًا ، فَأَسَافَ الْمَالَ ، وَأَضَفَ الْحَالَ ، فَرَحِمَ
اللَّهُ امْرَأً جَادَ بِمَيِّرٍ ، أَوْدَلَ عَلَى خَيْرٍ . (بلوغ الأرب ٣ : ٢٥٨)

٧٣ - أعرابي يصف مطرا

عن عبد الرحمن عن عمه قال :

قال أبو حبيب - وكان أعرابيا من بني ربيعة بن مالك - : « لقد رأيتنا في
أرض عَجَفَاء ^(١) ، وزمان أعجف ، وشجر أعسم ، في قفٍ عليظ ، فبينما نحن
كذلك ، إذ أنشأ الله تعالى من السماء غيثا مُسْتَكِيْمًا ^(٢) نشوؤه ، مُسْبِلَةً عَزَالِيَهُ ،
ضِيْخًا مَا قَطَرُهُ ، جَوْدًا صَوْبُهُ زَاكِيًا ، أنزله الله تعالى رزقا لنا ، فَعَيْشَ بِهِ أَمْوَالَنَا ،
وَوَصَلَ بِهِ طَرَقَنَا ، وَأَصَابَنَا وَإِنَّا لَبِنَوْطَةٌ ^(٣) بعيدة الأرجاء ، فاهرمع مطرها ،
حتى رأيتنا وما نرى غير السماء والماء ، وَضَهَوَاتِ الطَّلَحِ ^(٤) ، وَضَرَبِ السَّيْلِ
النَّجَافِ ، وَمَلَأَ الْأَوْدِيَةَ فَزَعَبَهَا ، فَمَا لَبِثْنَا إِلَّا عَشْرًا ، حتى رأيتها رَوْضَةً تَنْدَى .
(بلوغ الأرب ٣ : ٢٥٩)

[١] هو من مري الافة كرمي : مسح صرعها لتدر ، مرثمين : ماصين مرتحلين إليه ، وأساف المال :
أهلكه ، والسواف بكس و شجاع : الموت في الناس والمال ، ساف سوا أي هلك ، وأسافه الله ، ويقال
أيضا أساف الرجل : وقع في ماله العراف أي للموت ، وأصف من الضعف كسب وهو الضيق والشدة ،
أصابهم من العيش ضعف أي شدة .

[٢] ليس بها دات ، وأصله من العصف بالتحريك وهو الهزال ، وأعسم : يابس ، وأصله من العسم
بالتحريك وهو يابس في معصل الرسع تفرح منه اليد والقدم ، والقف : ما علط من الأرض وارتفع ، لم
يلغ أن يكون حلا ، وأنشأ الله السحاب : رفعه . [٣] مستكما : مستديرا كالكمة ، (والكمة
الكسر ويصم كل مستدير) ، وصوبه : مطره . [٤] النوطة : الأرض يكثر بها الطلح (والطلح :
شجر عظام) والروصع المرتفع عن الماء ، أو ليس بواد ولا تلة بل بين ذلك ، واهرمع : كثر وأمرع .
[٥] الصهوة : ركة الماء ، والنحاف جمع عصف بالتحريك وبهاء : مكان لا يعلوه الماء ، أو هي أرض
مستدرة مشرفة على ما حولها ، وزعما : ملأها .

٧٤ - أعرابي يصف مطرا

ودخل أعرابي على سليمان بن عبد الملك فقال :

« أصابتك سماء في وجهك يا أعرابي » ؟ قال : « نعم يا أمير المؤمنين ، غير أنها سحابة طحناء وطفاء ^(١) ، كأن هودايتها اللآء ، مرجحة النواحي ، ووصولة بالآكام ، تكاد تمس هام الرجال ، كثير زجلها ^(٢) ، قاصف رعدوها ، خاطف ^(٣) برقها ، حيث ودقها ، بطيء سيرها ، مشعر قطرها ، مظلم نوؤها ، قد لجئت الوحش إلى أوطانها ، تبحث عن أصولها بأظلالها ، متجمعة بعد شتاتها ، فلولا اعتصامنا يا أمير المؤمنين ببعض الشجر ، وتعلقنا بقتن الجبال ، لكنا جفاء ^(٤) في بعض الأودية ، ولقم الطريق ، فأطال الله للأمة بقاءك ، ونسألك في أجلك يركتك ، وعاد الله بك على رعيته : صلى الله وسلم على سيدنا محمد .
فقال سليمان : « لعمري أيك لئن كانت بديهة لقد أحسنت ، وإن كانت مخبرة لقد أجدت » ، قال : بل مخبرة مهذورة يا أمير المؤمنين ، قال : « يا غلام أعطه ، فوالله لصدقه أعجب إلينا من صفته » . (الخلدنريد ٢ : ٩٦)

٧٥ - أعرابية تصف مطرا

عن الأصمعي قال : « كان شيخ من الأعراب في خباته ، وابنة له بالفناء ^(٥) ، إذ سمع رعداً فقال : ما رين يا بنية ؟ قالت : أراها حواء قرحاء ^(٦) ، كأنها أقراب

[١] سحابة وطفاء : مسترخية لكثرة ماها ، أو هي الغائمة السح الخفيفة ، هودايا : ثوبها ومقادها ، مرجحة : تهلة مهتزة . [٢] ازحل : الحلبة وروح الصوت ، مشعر : سائل مصب ، ولحاً إليه كبح وروح ، وأطاف جمع طلب بالكسر وهو القوة والشيء والطبي وشبهها كقادم لنا ، ونحن جمع قة ، وهي قة الليل . [٣] زدت هذه الكلمة كي يستقيم بها الكلام والظاهر أنها سقطت من الأصل في الطبع . [٤] الجفاء : الربد ، واتهم الطريق : سقطه أو وسطه ، وفي الأصل : « نعم » وهو تحريف .

[٥] الفناء : ما اتسع أديم الغار . [٦] حواء : وصف من الحوة تنعم وهي حرة الى شواد ،

أَتَانِ قَرَاءَ ، ثم سمع راعدة أخرى فقال : كيف ترينها ؟ قالت : أراها جَمَّةَ
الْتَرَجَافِ^(١) ، منساقطة الأكناف ، تتألق بالبرق الولَافِ ، قال : هَلُمْنِي الْمَغْرِفَةَ ،
إِنْتَنِي^(٢) نُؤْيَا . (بلوع الأرب ٣ : ٢٥١)

٧٦ - أعرابية تصف مطراً

عن الأصمعي قال : كَانَ أعرابي ضريح تقوده ابنته ، وهي ترعى غُنيَّات لها ،
فَرَأَتْ سحَاباً فقالت : يَا أَبْتَ جَاءَتْكَ السَّمَاءُ ، فقال : كيف ترينها ، قالت :
كَأَنَّهَا فَرَسٌ دَهْمَاءُ^(٣) تَجَرَّجَلَاهَا ، قال : ارعَى غنيَّاتِكَ ، فرعت مَلِيّاً ، ثم قالت :
يَا أَبْتَ جَاءَتْكَ السَّمَاءُ ، قال : كيف ترينها ؟ قالت : كَأَنَّهَا عَيْنُ جَمَلٍ طَرِيفٍ^(٤) ،
قال : ارعَى غُنيَّاتِكَ ، فرعت مَلِيّاً ، ثم قالت : يَا أَبْتَ جَاءَتْكَ السَّمَاءُ ، قال : كيف
ترينها ؟ قالت : سَطِطَحَتْ وَابْيَضَّتْ ، قال : أَدْخِلِي غُنيَّاتِكَ ، قال : فجاءت السَّمَاءُ
بشَيْءٍ شَطَّأً^(٥) لَهُ الزَّرْعُ وَأَيْنَعُ ، وَخَصِرٌ وَنَضِرٌ . (بلوع الأرب ٣ : ٢٦٠)

٧٧ - أعرابي يصف أرضاً

ووصف أعرابي أرضاً أحدها فقال :

« خَلَعَ شَيْخُهَا ، وَأَبْقَلَ رِمَثُهَا ، وَخَضَبَ عَرَفُجُهَا^(١) ، وَأَنْسَقَ نَبْثُهَا ،
وَاخْضَرَّتْ قُرْيَانُهَا ، وَأَخْوَصَتْ تُطْنَانُهَا^(٢) ، وَأَحْلَسَتْ أَكْلَامُهَا ، وَاعْتَمَّ

والفرجة بالعم : في وجه الفرس دون المرأة ، وادّصف منه أقرح وقرحاء ، والأقرب جمع قرب كقفل
وعق : وهو الحاصرة ، والقمره بالعم : يابس فيه كثرة ، حمار أقر ، وأتان قراء .

[١] كثرة الاضطراب ، الولاف : المتابع ، من ولف البرق كوعد ولماً وولافاً بالكسر : تابع .

[٢] النوى : الحبر حول الجباء يجمع السيل ، وانأيت عمله

[٣] سوداء ، والحلال جمع حل بالعم والفتح : ما تلتسه الدابة لتعان به .

[٤] الجمل ينقل من مرعى إلى مرعى . [٥] شطأ الزرع : أخرج شطأه ، أي فراحه .

[٦] حلق الشيع : أوراق (والحال من الغضاء : الذي لا يسقط ورقه أهدأ ، والغضاء كتاب : كل شجر

له شوك) والرمث : مرعى اللابل ، وشجر يشبه الغضا ، والعرفج : شجر سهلي ، وخضب الشجر كحرب

وسمع وعى : احصر . [٧] القريان : بحارى الماء من الرى إلى الراس جمع قرى كعنى ، وأحوص

نَبَتْ جَرَائِمَهَا^(١) ، وَأَجَرَتْ بِقُلَّتِهَا وَذَرَقَتَهَا وَخَبَّازَتَهَا^(٢) ، وَأَحْوَرَّتْ خَوَاصِرُ
إِبِلِهَا ، وَشَكِرَتْ حَلَوْبَتُهَا ، وَصَمِنَتْ قَتُوبَتُهَا^(٣) ، وَعَمِدَتْ رَاهَا ، وَعَقَدَتْ تَنَاهِيَهَا ،
وَأَمَاهَتْ ثَمَارُهَا ، وَوَثِقَ النَّاسُ بِصَارِيَّتِهَا^(٤) . (البیان والتبيين ٢ : ٧٧)

٧٨ - رائد يصف أرضاً جذبة

قال أبو الجيب : وصف رائد أرضاً جذبة فقال :

« أَغْبَرَّتْ جَادَتْهَا^(٥) ، وَذَرَعَ مَرَّتَهَا ، وَقَفَّيْمَ شَجَرُهَا ، وَزَقَّتْ كَرِشَهَا ،
وَخَوَّرَ عَظْمَهَا ، وَالتَّقَى مَرَحَاهَا^(٦) ، وَتَمَيَّزَ^(٧) أَهْلَهَا ، وَدَخَلَ قُلُوبَهُمُ الْوَهْلُ ،
وَأَمَوَالَهُمُ الْهَزَلُ^(٨) . (البیان والتبيين ٢ : ٧٧)

المرج : تفرج بوردق ، وأحوصت أسحلة : أحرقت الخوص ، والبطان جمع فاط وهو النامس من الأرض
أى اللطيف منها . [١] أحلس أنت : عطى الأرض مكثرة ، وأحلس الأرض هى محلة : صار
البات عليها كالحس كثرة . الحلس كحل كماء على ظهر العير . والحرائم جمع حرثومة بالهم ، وجرثومة
الشيء : أصله ، واعتم : أى كآه لى عمالة . [٢] أحرث البقلة : صارت لها حراء . وحراء ككتاب
جمع حرو ما ثبت وهو صير كل شيء . والفرقة واحدة الفرق وهو بات مثل أكرات الجلى المدق فى
رأسه حب حلو يؤكل رطاً تحمى الرطاة يتون به أهلهم ، والخارة والخبارى : نبت معروف .

[٣] أحوررت : أبيضت وذلك من الشد على خواصرها لئلا تحمض (والحمص : الحريك : اسماء قتها من
مرعى ترعاء) والمخورة : المخوكة ، وشكرت الناقة : ابتأ صرعها ، والهابية : صمت ، والتمتوة : لابل
التي قتها (وأقن الناقة : شد عليها القن (بالحريك) وهو إكاف صير على قدر سام أنعير) .

[٤] عمد الترى : بله للطر حتى إنا قضت عليه نقد لدعوة ، والتناهى جمع تنية : وهى مستقر السيل
حيث ينتهى الماء من انوادى ، وعقدت تناهيا : أن يمر السيل مقبلاً حتى إذا انتهى منها دار فلا يخرج
حتى يلتقى طرفاً السيل ، وأمَاهت ثمارها : أى كثر ماؤها ، والصائرة : المطر والكلاء .

[٥] الحاد : الطريق إلى الماء ، ودرع للرتج : مدع الماء ، وقصم شجرها : أنكر ، يقال :
سيف قصم كرم أى طال عليه أذهر فكسر حده ، وقصم الس : اصدع وشلم ، وزد لم يكن لمحمد
مرعى إلا الشرح وحده رقت أكراشه . [٦] يسي أه : أى أكل كل سائر ما يلبه ، انتهى عد الماء .
[٧] غرتوا فى طلب الكلاء ، والوهل : الفرع ، والمزل : موت مواشى الرحل .

٧٩ - رائد يصف أرضاً

عن محمد بن كُناسة قال : أخبرني بعض فصحاء أعراب طي^١ قال :
« بعث قوم رائداً ، فقالوا : ما وراءك ؟ قال : عُشْبٌ وَتَعَاشِبٌ ^(١) ، وَكَمَانَةٌ
متفرقة شَيْبٌ ، تَقْلَعُهَا بِأَخْفَافِهَا النَّيْبُ ^(٢) » ، قالوا : لم تصنع شيئاً ، هذا
كذب ! فأرسلوا آخر ، فقالوا : ما وراءك ؟ قال : « عُشْبٌ ثَادٌ مَادٌ ، مَوَلِيٌّ ^(٣)
وعَهْدٌ ، مَتْدَارُكَ جَعْدٌ ^(٤) ، كَأَنْفَازِ نِسَاءِ بَنِي سَعْدِ ، تَشْبَعُ مِنْهُ النَّيْبُ وَهِيَ تُعَدُّ ^(٥) » .
(البيان والتبيين ٢ : ٧٩)

٨٠ - رائد يصف أرضاً

وبعث رجل أولاده يرتادون في خِصْبٍ ، فقال أحدهم : « رَأَيْتُ بَقْلًا ،
وماءً غَيْلًا ^(١) ، يَسِيلُ مَيْلًا ، وَخُوصُهُ تَمِيلُ مَيْلًا ، يَحْسِبُهَا الرَّائِدُ لَيْلًا » ، وقال
الثاني : « رَأَيْتُ دَيْعَةً عَلَى دَيْعَةٍ ، فِي عَهْدِهَا غَيْرُ قَدِيمَةٍ ، وَكَأَنَّ تَشْبَعَ مِنْهُ النَّابِ
قَبْلَ الْفَطِيمَةِ » . (البيان والتبيين ٢ : ٧٩)



وروي هذا الوصف عن ابن الكلبي بصورة أخرى قال :
« خطب هند بنت الحُسن الإيادية ثلاثة نفر من قومها ، وارتضت أنسابهم

[١] العشب : الكلاً الرطب ، والتعاشيب : القطع المتفرقة منه . [٢] اليب جمع باب : وهو
الفاقة اللينة . [٣] جاء في لسان : « قال الأصمعي : قيل لبعض العرب : أصب لنا موضعاً أي اطلب
هال رائدكم : وجدت مكاناً ثدياً مثلاً (متح وكسر) وقال ريد من كثرة : مشوا رائداً جاء وقال : عشب
ثاد ماد (متح مسكون) كأنه أسوق بي سعد » وثبتت كعرج : مدي فهو ثمد ، وماد كنع امتر
وتروى وجرى فيه لاء وتعم ولان ، وللماد : اللاعم من كل شيء ، والمولى . الذي أصابه الولي
(والمولى : المطر الذي يأتي بعد للطر) ، والعهد : أول مطر الوسمي (والوسمي : أول مطر الربيع) .

[٤] من قولهم : ريد جد : أي متراكب مجتمع قد صار بعضه فوق بعض .

[٥] يعني أن العشب قد طال وتم ، واليب تشبع منه وهي تعد ، لأنها تتداوله وهي قائمة لا ترح مكانها
ولا تظأطي رأسها . [٦] الميل : الماء الذي يجري بين الشجر .

وجماهم ، وأرادت أن تسبر عقولهم ، فقالت لهم : « إني أريد أن ترتادوا لي مرعى ، فلما أتوها قالت لأحدهم : ما رأيت ؟ قال : رأيت بقلاً وبقيلاً ، وماءً غدقاً^(١) سيلاً ، يحسبه الجاهل ليلاً ، قالت : أمرعت^(٢) ، قال الآخر : رأيت ديمة بعد ديمة ، على عهد غير قديمة ، فالتاب تشبع قبل القطيعة ، قال الثالث : رأيت غيثاً تمداً معدداً^(٣) ، متراكماً جعدداً ، كأنخاذاً نساء بني سعد ، تشبع منه النيب وهي تعدد . (لونغ الأرب ٢ : ٢٥٦)

٨١ - أعرابي يصف أرضه وماله

عن أبي عمرو بن العلاء قال : لقيت أعرابياً بمكة فقلت له ، ممن أنت ؟ قال : أسدي ، قلت : ومن أيهم ؟ قال : تهدي ، قلت : من أي البلاد ؟ قال : من عُمَان ، قلت : فأنى لك هذه الفصاحة ؟ قال : « إنا سكنا قطراً لا نسمع فيه نأججة النيار^(٤) » ، قلت : صف لي أرضك ، قال : « سيف أفيج ، وقضاء مخصص ، وجبل صردح ، ورمل أصبح^(٥) » ، قلت : فما مالك ؟ قال : النخل ، قلت : فأين أنت من الإبل ؟ قال : « إن النخل خملها غذاء . وسعفي^(٦) ضياء ، وجذعها بناء ، وكرها صلاء ، وليفها رشاء ، وخوصها وعاء ، وقرؤها إزاء . (ديل الأمن ص ١٧)

[١] الغدق : الماء الكثير . [٢] أمرعت : أصابه حريقاً كخصب وزه ومعى .

[٣] الغيث : المطر والكلاء ، وقيل : الأصل للطر ثم معى ما يمت به عيشاً ، والراد هنا انى ، وقيل

تعد معد : عس وطب وحص .

[٤] الناحية : الصوت ، والنيار : اللوح . [٥] السيف : ساحل البحر ، وساحل إوانى ، و

لكل ساحل سيف ، أو إنما يقال ذلك لسيف عمان ، وأفيج : واسع ، وانصص : ما يستوى من

الأرض ، والصردح : الصلب ، والأصبح : الذى يلو يياصه حرة . [٦] السعف : حربة الحى أو

ورقه ، والكرب : أصول السعف اللط العراس ، والرشاء : الخيل ، ولغرو : أسفل ناحة يفر

حيث يد فيه - أى يتعد فيه اليد -

٨٢ - أعرابي يصف بلدا

وذكر أعرابي بلداً فقال: « بلد كالترس، مانعني فيه الرياح إلا عابرات سبيل، ولا يمر فيه السفر إلا بأدلة دليل » . (النقد المريد ٢ : ٨٠)

وقال أعرابي: « مررت ببلد ألقى به الصيْف^(١) بقاعه، فأظهر غديراً يقصر الطرف عن أرجائه، وقد نقت الرياح القذى عن مأه، فكأنه سلاسل درج ذات فضول^(٢) » . (النقد المريد ٢ : ٩٦)

وسئل أعرابي عن مسافة ما بين بلدين فقال: « ثمري ليلة، وأديم^(٣) يوم » . وقال آخر: « سواد ليلة، أو يياض يوم » .

(السان والدين ٢ : ٥١ والنقد المريد ٢ : ٩٧)

وقال آخر: « إن المسافر ومتاعه لعلّ قلت^(٤) إلا ما وقي الله » .

(النقد المريد ٢ : ٥٢)

٨٣ - أعرابي يصف أشد البرد

سئل أعرابي ف قيل له: ما أشد البرد؟ قال: « ريح جرياء، في ظلّ سماء،

غيب سماء^(٥) » . (البيان والدين ١ : ١٦٣)

٨٤ - أعرابي يصف إبلا

وقال: سمعت أعرابياً يصف إبلاً فقال:

« إنها لعظام الحناجر، سباط المسائر، كوم بهازر^(٦)، نكد خناجر^(٧)،

[١] السيف كسيد ويحذف للطريقى، في الصف أو مد الرمي كالصبي .

[٢] جمع فضل: وهو الزادة . [٣] أديم البار: طامته أو مائه . [٤] قلت: الهلاك .

[٥] الجرياء: ريح الشمال الباردة، أو ريح بين الجنوب والصباء والسماء: السحاب للارتفاع، أو

الكثيف، أو البطر، في عب سماء أي عقب مطر . [٦] المحرة والمحوركه مغفور: المحفور،

وجمه حاجر، والمتاجر جمع منكر كبر: وهو السير كالشفة للإنسان، والكوم: العظام الأسنة جمع أكوام

وكوماء، والبهازر جمع بهرة: كندقة، وهي العظيمة من الوق .

[٧] النكد: العريجات التي من الإبل (والتي لا لبن لها أيضاً صد)، والحاجر: العريجات التي

أَجْوَافُهَا رِغَابٌ^(١) ، وَأَعْطَانَهَا رِغَابٌ^(٢) ، تُنْتَعَمُ مِنْ أَلْبَهُمْ^(٣) ، وَتُبْذَلُ لِلْجُمَمِ^(٤) .
(الأمالى ١ : ٥٢)

٨٥ — أعرابي يصف ناقة

ووصف أعرابي ناقة فقال : « إِذَا أَحَالَّتْ عَيْنُهَا ، وَالَّتِ^(٥) أُذُنُهَا ،
وَسَجَّحَ^(٦) خَدُّهَا ، وَهَدَّلَ^(٧) مِشْفَرَهَا ، وَاسْتَدَارَتْ جُمُجُمَتَهَا ، فَهِيَ الْكَرِيمَةُ .
(الأمالى ١ : ٢١٧)

٨٦ — أعرابي يصف خيلا

وقال الأصمعي : سمعت أعرابيا يقول : « خَرَجْتُ عَلَيْنَا خَيْلٌ مُسْتَطِيرَةٌ^(٨)
النَّقْعُ^(٩) ، كَأَنَّ مَوَادِيَهَا^(١٠) أَعْلَامٌ ، وَأَذَانُهَا أَطْرَافُ أَقْلَامٍ ، وَفُرْسَانُهَا أُسُودُ
آجَامٍ^(١١) .

٨٧ — أعرابي يصف خيلا

وذكر أعرابي خيلا فقال : « وَاللَّهِ مَا أُنْحَدَرْتُ فِي وَادٍ إِلَّا مَلَأَتْ بَطْنَهُ ،
وَلَا رَكِبْتُ بَطْنَ جَبَلٍ إِلَّا أَشْهَلَتْ حَزَنَهُ^(١٢) . (القد القريد ٢ : ٩٥)

٨٨ — أعرابي يصف خيلا

عن عبد الرحمن عن عمه قال : سمعت أعرابيا يصف خيلا فقال : « سِبَاطُ^(١٣)
الْخَصَائِلِ^(١٤) ، ظَمَاءُ الْمَفَاصِلِ^(١٥) ، شِدَادُ الْأَنْجَالِ^(١٦) ، قُبُ^(١٧) الْأَيَاطِلِ^(١٨) ، كِرَامُ
النَّوْاجِلِ^(١٩) . (الأمالى ١ : ٥٢)

جمع خنجر كخنفر وبهاء وخنزورة ماله . [١] رعب : واسعة ، وأعطانها : ماركها عدلاء جمع
عطي كعطي . [٢] ألهم جمع همة كهمزة . وهو اشجاع الذي لا يدري من أين يؤتى ، من شدة
أسه ، والهم جمع همة كقمة ، وهم القوم يأودون الذليل .

[٣] أن سحر : نصب أديبه وخدمها . [٤] سحج : سهل وحس . [٥] دلت . سترجى .
[٦] اندر . [٧] أو ثلها . [٨] خصائل جمع حصيلة : وهي كل قطعة من لحم مستطيرة أو
مجنحة ، وقيل : هي ما انحاز من لحم الحمير من معن ، وصاط جمع ست ككف وشمس ، رجل
سبط اللحم إذا كان حس القند والاستواء ، وطباء : ضرر . [٩] الأنجل جمع أنجل : وهو عرق
غليظ في الرجل أو في اليد ، يريد أبا شداد أنقوائهم . [١٠] الأيطل جمع أيطل : وهو الحاصرة ،

٨٩ - أعرابي يصف فرسا

ووصف بعض الأعراب فرساً فقال : « قد انتهى ضُورُه ، وَذَبُلَ فَرِيرُهُ ^(١) ،
وظهر حصيره ^(٢) ، وتقلَّعت غُرُورُه ^(٣) ، واسترخت شاكِلَتُه ^(٤) ، يُقبل بزور
الأسد ، وَيُدْبِر بِعَجْزِ الذئب » . (البيان والبيان ٣ : ١٢٣ ، والأمال ٢ : ٢٥٦)

٩٠ - أعرابي يصف خاتماً

وقال أعرابي يصف خاتماً : « شَفَّ ^(٥) تقديرُ حَلَقَتِه ، وَدُورُ كَرَمِي فِضْتِه ،
وَأَحْكَمُ تَرْكِيبِه ، وَأَتَقَنُ تَدْيِيرِه ، فَبِهَ يَتِمُّ الْمَلِكُ ، وَيَنْقُذُ الْأَمْرُ ، وَيَكْرُمُ الْكِتَابُ ،
وَيَشْرُفُ الْمَكْتُوبُ إِلَيْهِ » . (القدر القريد ٢ : ٩٧)

٩١ - أعرابي يصف أطيب الطعام

وقال عبد الملك لأعرابي : « ما أطيبُ الطعام ؟ » ، فقال : « بَكْرَةٌ
سَنِمة ^(٦) ، مُتَبَطَّاةٌ غَيْرُ ضَمِينَةٍ ، فِي قُدُورٍ رَذِمة ^(٧) ، بِشِفَارٍ خَدِمة ^(٨) ، فِي غَدَاةٍ
شَبِمة ^(٩) » ، فقال عبد الملك : وَأَيُّكَ لَقَدْ أَطِيبْتَ ^(١٠) .
(البيان والتدين ١ : ١٦٣)

قَبَّ جمع أَقْب ، وصف من القلب كعب وهو دقة الحصر وصور البطن ، والواحد جمع فاحلة ، من
حلته : أي ولته . [١] العرير : موضع الحصة من معرفة العرس .
[٢] الحصر : عرق يمتد مستراً على حب الفاقة إلى ناحية بطنها ، أو لينة كذلك .
[٣] العرور : العضون التي في حلته ، واحدها عَرٌّ بالفتح . [٤] التاكلة من العرس : الحلال بين
عرس الحاصرة والهمة - والهمة كفرحة : الركة - . [٥] رقَّ .
[٦] الكرة : الفتية من الإبل ، والسمة . الطيبة الدام ، ومطه كعرج ، عطر اللبحة كعرب
واعتبطنها : نحرها من غير ثلة وهي سمية وية ، والسمة : الرمة والثلاثة في حصدتها من الحمة كعربة
وهي الرص . [٧] رذمت الصفة كعرج وهي رذمة وروم كصور : انتلات وقصبت حوايها .
[٨] شفار جمع شمرة « بالفتح » وهي السكين المطم ، وحده كعربة - قطعه ، وسيف حدم
ككعب وصور ومطم : قاطع [٩] الغداة : الكرة « بالضم » أو ما بين صلاة العصر وطلوع
الشمس ، وشبمة : باردة ، ومطها كعرج . [١٠] أطاب الشيء وأطبه : وحده طيباً .

٩٢ - أعرابي يصف السويق

وعاب رجل السَّوِيقَ ^(١) بِحَضْرَةِ أَعْرَابِيٍّ ، فَقَالَ : « لَا تَعْبُهُ ، فَإِنَّهُ عُدَّةُ الْمَسَافِرِ ،
وِطْعَامُ الدَّجْلَانِ ، وَغِذَاءُ الْمُبَكَّرِ ، وَبُلْغَةُ ^(٢) الْمَرِيضِ ، وَيَسْرُو ^(٣) قَوَادِ الْحَزِينِ ،
وَيَرُدُّ مِنْ قَسِّ الْمَحْدُودِ ^(٤) ، وَجَيِّدٌ فِي التَّسْمِينِ ، وَمَنْعُوتٌ فِي الطَّبِّ ، وَقَفَّارُهُ ^(٥)
يَجْلُو الْبَاغَمَ ، وَمَلْتَوَتُهُ يُصَنِّقُ النَّسَمَ ، وَإِنْ شَتَّتَ كَانَ شَرَابًا ، وَإِنْ شَتَّتَ كَانَ طَعَامًا ،
وَإِنْ شَتَّتَ قَتَرِيْدًا ، وَإِنْ شَتَّتَ تَخْيِصًا ^(٦) » . (الأمل : ٢ : ١٩٧)

٩٣ - أعرابي يصف الجمال

وَقِيلَ لِأَعْرَابِيٍّ مَا الْجَمَالُ ؟ قَالَ : « طُولُ الْقَامَةِ ، وَضَخْمُ ^(٧) الْهَامَةِ ، وَرُحْبُ ^(٨)
الشَّدَقِ ، وَبُعْدُ الصَّوْتِ » ، وَسُئِلَ آخَرُ : مَا الْجَمَالُ ؟ قَالَ : « غُثُورُ الْعَيْنَيْنِ ،
وَإِشْرَافُ الْحَاجِبَيْنِ ، وَرُحْبُ الشَّدَقَيْنِ » (البيان والنبين : ١ : ٦٧)

٩٤ - أبو المخش يصف ابنه

وَسَأَلَ جَعْفَرُ بْنُ سَنِيَّانٍ أَبَا الْمَخْشِ عَنْ ابْنِهِ الْمَخْشِ ^(٩) - وَكَانَ جَزَعٌ عَلَيْهِ
جَزَعًا شَدِيدًا - قَالَ : « دَفَى الْمَخْشِ » ، فَقَالَ « كَرَّ أَشَدُّ خُرْطُمَانِيَا ^(١٠) ،
سَاءَ زُأْمَاهُ . كَأَنَّمَا يَنْظُرُ مِنْ قُمْتَيْنِ ^(١١) ، كَأَن تَرَقُّوتَهُ بُوَانٌ ، أَوْ خَافَةٌ .

[١] السويق : ما يصل من الخطة والتمر . [٢] ما يشبع به . [٣] يسرو : يكتف ماعيه .
[٤] المحدود : الذي قد حدثت له قدر صرب الحد . [٥] انقار : تلى لم يكت بشيء من دمه ،
لا رت ولا تنس ولا لى . يقال طعمه صر . [٦] الخيص : في المقيح يحفظ بالصل .
[٧] ضخم ككرم ضخمًا وصحابة نيو - [٨] رحب ككرم وسيع رحبا بلهم ورحبة هو
رحب ما شبع . [٩] المخش في الأصل : الخوى على "عمل في قليل .
[١٠] أشدق : واسع الشفتين ، حارطامياً طويلاً . [١١] عمت : غرة في الحل .

كَأَنَّ مَنَكِبَهُ كِرْكِرَةٌ جَلِيَّةٌ ^(١) ، فَقَالَ اللَّهُ عَيْنِي إِنْ كُنْتَ رَأَيْتُ قَبْلَهُ أَوْ
بَعْدَهُ مِثْلَهُ . (البيان والصين ١ : ٦٧)

٩٥ - أعرابي يصف بنيه

عن عبد الرحمن عن عمه قال : قلت لأعرابي بِحَمِي الرَّبْدَةِ : أَلَاكَ بَنُونَ ؟
قال : نعم ، وَخَالِقِهِمْ لَمْ تَقُمْ عَنْ مَثَلِهِمْ مُنْجِيَةً ، فقلت : صِفْهُمْ لِي ، فقال :
« جَهَنَّمُ ! وَمَا جَهَنَّمُ ؟ يُنْفِى الْوَهْمُ ، وَيَصُدُّ الدَّهْمُ ^(٢) ، وَيَفْرِى الصَّفُوفُ ،
وَيَعْلُ السُّيُوفُ ^(٣) » ، قلت : ثُمَّ مَنْ ؟ قال : « غَشَمْتُمْ ! وَمَا غَشَمْتُمْ ؟ مَالُهُ
مُقَسَّمٌ ، وَفِرَّتْهُ مُجَرَّجَمٌ ^(٤) ، جَذَلُ حِكَاكٍ ^(٥) ، وَمِذْرَةُ لِكَاكَ ^(٦) » ، قلت : ثُمَّ
مَنْ ؟ قال : « عَشْرَبُ ! وَمَا عَشْرَبُ ؟ لَيْتَ مُحَرَّبٌ ، وَمِمَامٌ مُقَشَّبٌ ^(٧) ، ذِكْرُهُ
بَاهِرٌ ، وَخَصْمُهُ عَاثِرٌ ، وَفِنَاؤُهُ رُحَابٌ ^(٨) » ، قلت : صف لِي
نَفْسَكَ ، فقال : « لَيْتَ أَبُو رِيَابِلٍ ^(٩) ، رَكَابٌ مَعَاضِلٌ ، عَسَافٌ ^(١٠) مَجَاهِلٌ ،
تَحَالُ أَعْبَاءٌ ، نَهَاضٌ بَزْلَاءٌ ^(١١) » . (الأمالى ١ : ٥٣)

[١] الوان : عمود البناء ، والحالقة : عمود من أعمدة البيت في مؤخره ، والكركرة : رصى دور
البير ، وسيرقال : بطيء .

[٢] ينفى : يبرئ ، والوهم : الضخم العظيم من الإبل ، والوهم : العدد الكثير .

[٣] يرى : يشق ، ويعل : أى يوردهما السماء ثابة ، مأخوذ من العلل فى الشرب .

[٤] المحرجم : المصروع . [٥] الحذل : أصل الشجرة ، وذلك أن الإبل الحرب تحب أن تهجد

له لغة ، والمعنى أنه ممن يستشقى به فى الأمور بمرلة ذلك الحذل الذى تستشقى به الإبل .

[٦] المذرة : لسان القوم ، والمقكم عنهم ، والدافع عنهم ، يقال : ذرته على وذرأته : أى دفعته ،

واللكاك : الركام . [٧] الحرب : المعضب الذى قد اشتد غضبه واحتد ، وحربت السكين : إذا

أحدثته ، ومقش : مخلوط . [٨] باهر : طاب ، ورحاب : متسع .

[٩] ريابل جمع ريبال بالكسر يهر ولا يهر : وهو الأسد ، والمعاضل : القوامى .

[١٠] العساف : الذى يركب الطريق على غير هداية ، والأعفاء : الأتقال .

[١١] الغلاء : الرأى الحيد الذى يزل (بضم الراى) عن الصواب : أى يشق منه .

٩٦ - أعرابي يصف أخويه

عن العُتْبِيِّ قَالَ : أَخْبَرَنِي أَعْرَابِي عَنْ إِخْوَةٍ ثَلَاثَةٍ ، قَالَ : قُلْتُ لِأَحَدِهِمْ :
أَخْبِرْنِي عَنْ أَخِيكَ زَيْدٍ فَقَالَ : « أَزِيدُ إِيَّاهُ ^(١) ؟ وَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَسْكَنَ
فَوْرًا ، وَلَا أَبَدَ غَوْرًا ، وَلَا آخَذَ لِنَبِّ حُجَّةٍ قَدْ تَقَدَّمَ رَأْسُهَا مِنْ زَيْدٍ » ،
قُلْتُ : أَخْبِرْنِي عَنْ أَخِيكَ زَائِدٍ ، قَالَ : « كَانَ وَاللَّهِ شَدِيدَ الْمُقَدَّةِ ، لَيْسَ بِالْعَطْفَةِ ،
مَا يُرْضِيهِ أَقْلٌ مِمَّا يُسْخِطُهُ ، قُلْتُ : فَأَخْبِرْنِي عَنْ نَفْسِكَ ، فَقَالَ : « وَاللَّهِ إِنْ
أَفْضَلَ مَا فِيَّ لِمَعْرِفِي بَعْضَهُمَا ، وَإِنِّي مَعَ ذَلِكَ لَغَيْرُ مُنْتَشِرٍ ^(٢) الرَّأْيِ ، وَلَا
مُخَذُّولِ الْعَزْمِ » . (الأمالي ٢ : ١٤)

قولهم في الدعاء

٩٧ - دعاء أعرابي

قَالَ أَبُو حَاتِمٍ : أَمَلَى عَلَيْنَا أَعْرَابِيٌّ يَقُولُ لَهُ مَرَّةً :
« اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ، وَاجْلِدْ بَارِدًا ، وَالنَّفْسُ رَطْبَةٌ ، وَاللِّسَانُ مُنْطَلِقٌ ، وَالصَّحْفُ
مَنْشُورٌ ، وَالْأَقْلَامُ جَارِيَةٌ ، وَالتَّوْبَةُ مُقْبُولَةٌ ، وَالْأَنْفُسُ مُرِيحَةٌ ^(٣) ، وَالتَّضَرُّعُ
مَرْجُوءٌ ، قَبْلَ أَنْ يَفْرَاقَ ، وَحَشَاكَ النَّفْسُ ^(٤) ، وَعَلَزَ الصَّدْرُ ^(٥) ، وَتَرَّيْلُ
الْأَوْصَالِ ^(٦) ، وَنُصُولُ الشَّعْرِ ، وَاحْتِيَافُ ^(٧) التَّرَابِ ، وَقَبْلَ أَنْ لَا أَقْدِرَ عَلَى
اسْتِغْفَارِكَ حِينَ يَفْنَى الْعَمَلُ ، وَيَحْضُرُ الْأَجَلُ ، وَيَنْقُضُ الْأَمَلُ .

[١] قَالَ أَبُو عَلِيٍّ الثَّعَالِيُّ : « هَذِهِ الزِّيَادَةُ تَلْحَقُ فِي الِاسْتِغْفَامِ فِي آخِرِ الْكَلِمَةِ بِدَايَةِ الْكَلِمَةِ أَنْ يَكُونَ
وَأَيُّ التَّكَلُّمِ عَلَى مَا ذَكَرَ ، أَوْ يَكُونَ عَلَى خِلَافِ مَا ذَكَرَ » انظر هذا البحث في الأمالي ٢ : ١٥ .

[٢] أَيُّ مَرَّةٍ . [٣] مَرَحٌ كَمَرَحٍ : أَشْرٌ وَطَرٌ وَشَطٌّ وَاحْتِنٌ وَتَحْتَرُّهُ هُوَ مَرَحٌ وَمَرَّجٌ .

[٤] الْحَشَاكَ : شِدَّةُ الدَّرْعِ . [٥] الْعَزَ : قَلْقٌ وَخَفَةٌ وَهِيَ يَحْبِثُ الْفَرَسَ وَالْمَحْضَرَ .

[٦] تَرَبَّلْتُ وَتَرَابَلْتُ : تَهَرَّقْتُ ، وَالْأَوْصَالُ : الْعَاصِلُ . [٧] الْإِحْتِيَافُ : احْتِطَالٌ مِنْ لَحِيفٍ وَهُوَ

الْحُورُ ، وَالْمُرَادُ أَكْلُ تَرَابِ الْقَبْرِ الْجَنَّةِ ، وَالَّذِي فِي كِتَابِ الْعِلْمِ « الْحَبِيبُ » تَحْيَيْتُ النَّفْسَ : إِذْ نَقَصْتَهُ
مِنْ حَالَتِهِ .

أَعِنِّي عَلَى الْمَوْتِ وَكُرْبَتِهِ ، وَعَلَى الْقَبْرِ وَغَمَّتِهِ ^(١) ، وَعَلَى الْمِيزَانِ وَخِفَّتِهِ ، وَعَلَى الصِّرَاطِ وَزَلَّتِهِ ، وَعَلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَرَوْعَتِهِ ، اغْفِرْ لِي مَغْفِرَةً عَزَمًا ، لَا تَفَادِرْ ذَنْبًا ، وَلَا تَدَعِ كَرِبًا ، اغْفِرْ لِي جَمِيعَ مَا اقْتَرَضْتَ عَلَيَّ وَلَمْ أُؤَدِّهِ إِلَيْكَ ، اغْفِرْ لِي جَمِيعَ مَا تُبْتُ إِلَيْكَ مِنْهُ ثُمَّ عُدْتُ فِيهِ .

يَا رَبِّ تَظَاهَرْتُ ^(٢) عَلَيَّ مِنْكَ النِّعَمُ ، وَتَدَارَكْتُ عَنْكَ مِنْهُ الذُّنُوبُ ، فَالْحَمْدُ عَلَى النِّعَمِ الَّتِي تَظَاهَرْتُ ، وَاسْتَفْرِكُ لِلذُّنُوبِ الَّتِي تَدَارَكْتُ ، وَأَمْسَيْتَ عَنْ عَذَابِي غَنِيًّا ، وَأَصْبَحْتُ إِلَى رَحْمَتِكَ فَقِيرًا .

اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ نَجَاحَ الْأَمَلِ ، عِنْدَ اقْتِطَاعِ الْأَجَلِ ، اللَّهُمَّ اجْعَلْ خَيْرَ عَمَلِي مَا وَلِيَ أَجَلِي ، اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِنَ الَّذِينَ إِذَا أُعْطِيَتْهُمْ شَكَرُوا ، وَإِذَا ابْتُلِيَتْهُمْ صَبَرُوا ، وَإِذَا أَذْكَرْتَهُمْ ذَكَرُوا ، وَاجْعَلْ لِي قَلْبًا تَوَّابًا أَوْابًا ، لَا فَاجِرًا وَلَا مُرْتَابًا ، اجْعَلْنِي مِنَ الَّذِينَ إِذَا أَحْسَنُوا زَادُوا ، وَإِذَا أَسَاءُوا اسْتَغْفَرُوا .

اللَّهُمَّ لَا تَحْقُقْ عَلَيَّ الْعَذَابَ ^(٣) ، وَلَا تَقْطَعْ بِي الْأَسْبَابَ ، وَاحْفَظْنِي فِي كُلِّ مَا تَحِيطُ بِهِ شَفَقَتِي ، وَتَأْتِي مِنْ وَرَائِهِ سَبْحَتِي ^(٤) ، وَتَعْجِزُ عَنْهُ قُوَّتِي ، أَدْعُوكَ دَعَاءَ ضَعِيفٍ عَمَلُهُ ، مَتَظَاهِرَةٍ ذَنْبُهُ ، ضَنِينٍ عَلَى نَفْسِهِ ، دَعَاءَ مَنْ بَدَنُهُ ضَعِيفٌ ، وَمُسْتَهْ ^(٥) حَاجِزَةٌ ، قَدْ انْتَهَتْ عُذَّتُهُ ، وَخَلَقَتْ ^(٦) جِدَّتُهُ ، وَتَمَّ ظِمُّوهُ ، اللَّهُمَّ

[١] صلة من عم الشيء : أى عطاء فاسم ، أو هى « غمته » مالم : أى ملأه وكرب عذابه .

[٢] من تظاهروا إذا تعادوا : أى تناهت . [٣] يشير إلى قوله تعالى : « أَقْمِنَ حَقًّا عَلَيْهِ

كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ » . [٤] صلة من السع : وهو الثقل والانتشار

في الأرض ، والإيمادى السير ، والتصرف فى اللطش . [٥] اللة : القوة .

[٦] حاق الثوب كصبر وكرم وجمع : طى ، والطم : ما بين الشرحين والوردين .

لَا تُخَيِّتْنِي وَأَنَا أَرْجُوكَ ، وَلَا تَعَذِّبْنِي وَأَنَا أَدْعُوكَ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى طَوْلِ النَّسِيئَةِ ^(١) ،
وَحَسَنُ التَّبَاعَةِ ^(٢) ، وَتَشْنِجُ المَرُوقِ ، وَإِسَاغَةُ الرِّيقِ ، وَتَأْخِرُ الشَّدَائِدِ ، وَالْحَمْدُ
لِلَّهِ عَلَى حِلْمِهِ بَعْدَ عِلْمِهِ ، وَعَلَى عَفْوِهِ بَعْدَ قُدْرَتِهِ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا يُودِي ^(٣)
قَتِيلَهُ ، وَلَا يَخَيِّبُ سُؤْلَهُ ، وَلَا يُرَدِّدُ رِسْوَْلَهُ ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ
الْفَقْرِ إِلَّا إِلَيْكَ ، وَمِنَ الذَّنْإِ إِلَّا لَكَ ، وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أَقُولَ زُورًا ، أَوْ أَغْشَى
مُجُورًا ، أَوْ أَكُونَ بِكَ مَغْرُورًا ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شِمَاتَةِ الْأَعْدَاءِ ، وَعُضَالِ الدَّاءِ ،
وَخَيِّبَةِ الرِّجَاءِ ، وَزَوَالِ النِّعْمَةِ . (الفتح المريد ٢ : ٧٧ ، والبيان والبيان ٢ : ٢٢٤ - ١٣٧ - ١٣٨)

٩٨ - دَعَاءُ أَعْرَابِي

ودعا أعرابي وهو يطوف بالكعبة فقال :

«إِلَهِي مَنْ أَوْلَى بِالتَّقْصِيرِ وَالزَّلَلِ مِنِّي وَأَنْتَ حَلَقْتَنِي ؟ وَمَنْ أَوْلَى بِالمَقْوَمِ مِنكَ
عَنِّي وَعِلْمُكَ بِي مَاضٍ ، وَقَضَاؤُكَ بِي مُحِيطٌ ؟ أَطْعَمْتُكَ بِقُوَّتِكَ وَالْمِنَّةَ لَكَ ، وَعَصَيْتُكَ
بِعِلْمِكَ ، فَاسْأَلْكَ يَا إِلَهِي - بِوَجُوبِ رَحْمَتِكَ وَانْقِطَاعِ حُجَّتِي ، وَافْتِقَارِي إِلَيْكَ
وَعِزَّتِكَ عَنِّي - أَنْ تَغْفِرَ لِي وَتَرْحَمَنِي .

إِلَهِي لَمْ أَحْسِنْ حَتَّى أُعْطَيْتَنِي ، فَتَجَاوَزْ عَنِ الذُّنُوبِ إِنِّي كَتَبْتُ عَلَى ، اللَّهُمَّ
إِنَّا أَطْعَمْنَاكَ فِي أَحَبِّ الْأَشْيَاءِ إِلَيْكَ : شَهَادَةَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ . وَحَدَّكَ لِأَشْرِيكَ
لَكَ ، وَلَمْ نَعْصِكَ فِي أَبْغَضِ الْأَشْيَاءِ إِلَيْكَ : الشِّرْكَ بِكَ ، فَغْفِرْ لِي مَا بَيْنَ ذَلِكَ .

[١] الإيهال والتأخير . [٢] انشاعة من النعمة بفتح وكسر . قال الشاعر :

أَكَلْتُ حَيْفَةَ رَبِّهَا رَمَنَ النِّعَمِ وَاجْتَمَعَهُ

لَمْ يَحْدَرُوا مِنْ رَجْمِ سَوَاءِ الْمَوَاقِفِ وَاتِّمَاعِهِ

«لأنهم كانوا قد اتحدوا إليها من حبس فمدوه زمانا ، ثم أصابته مجاعة فأكلوه» - والحبس كشمس :

تمر يخلط بالسمن واللبن المحبوس فيجبن شديداً ، ثم يدرسه بواه .

[٣] ودي القتل كوعى : أعطى دينه ، والسول محقق عن سؤك : وهو مدسه .

اللهم إنك آنسُ المؤمنين لأوليائك ، وأحضرهم للمتوكلين عليك ، إلهي
 أنت شاهدُهم وغائبُهم ، والمطلع على ضائرهم ، وسرّي لك مكشوف ، وأنا
 إليك ملهوف ، إذا أوحشتني الغربةُ آنسني ذكرك ، وإذا أكببت عليَّ
 الغمومُ ، لجأتُ إلى الاستجارة بك ، علماً بأن أزمة الأمور كلها بيدك ، ومصدرها
 عن قضائك ، فأقللني ^(١) إليك مَقْشُوراً لي ، معصوماً بطاعتك بقية عمري ،
 يا أرحم الراحمين .

٩٩ - دعاء أعرابي

وقال الأصمعي : حَبَّبتُ فرأيت أعرابياً يطوف بالكعبة ويقول :
 يا خير مَوْفُودٍ سمي إليه الوُفْدُ ^(٢) ، قد ضَعُفَتْ قوتي ، وذهبت مُنتى ، وأتيت
 إليك بذنوب لا تغسلها الأنهار ، ولا تحملها البحار ، أستجير برضائك من
 سُخْطِكَ ، وبغفوك من عقوبتك ، ثم التفت فقال : « أيها المشفقون ، ارحموا
 من سَمَلته الخطايا ، وَغَمَرته البلايا ، ارحموا من قطع البلاد ، وخلف ما ملك
 من التلاد ، ارحموا من وَبَّخته الذنوب ، وظَهَرَت منه العيوب ، ارحموا أسيرَ ضُرٍّ ،
 وطريدَ فقر ، أسألكم بالذي أَعْمَلتم الرغبة إليه ، إلا ما سألتكم الله أن يهب لي
 عظيمَ جُرْمي » ، ثم وضع في حلقة الباب خدّه وقال : ضَرَعَ خدي لك ، وَذَلَّ
 مقامي بين يديك ، ثم أنشأ يقول :

عظيمُ الذنبِ مكروب من الخيرات مسلوب
 وقد أصبحتُ ذا فقرٍ وما عندك مطلوب

[١] الله : حقه . [٢] ود إليه وعليه : قسم ، وم ومود وودد كشمس وركم وأوداد .

١٠٠ - دعاء أعرابي

وسمع أعرابي بعرفات عشيّة عرفّة وهو يقول :

« اللهم إن هذه عشيّةٌ من عشايا عجبّتك ، وأحد أيام زُلفتك ^(١) ، يأمل فيها من لجأ إليك من خلقك أن لا يُشرك بك شيئاً ، بكل لسان فيها يدّعي ، ولكل خير فيها يُرجى ، أتتكَ المصاةُ من البلد السّحيق ^(٢) ، ودعتك العُناةُ ^(٣) من شعب المضيق ، رجاء ما لا خلف له من وعدك ، ولا انقطاع له من جزيل عطائك ، أبدت لك وجوهها المصونة ، صابرةً على وهج السّائم ^(٤) ، وبَرَد الليالي ، ترجو بذلك رضوانك ، يا غفارُ ، يا مُستزاداً من نعمه ، ومُستعاضاً من نِعَمه ، ارحم صوتَ حزين دعاك بزفير وشهيق . »

ثم بسط كلنا يديه إلى السماء وقال : « اللهم إن كنت بسطت يديّ إليك داعياً ، فطالما كفّيتني ساهياً ، بنعمتك التي تظاهرت علىّ عند الغفلة ، فلا أياس به عند التوبة ، لا تقطع رجائي منك لما قدّمت من اقتراف ^(٥) آثامك ، وإن كنت لأصل إليك إلا بك ، فهب لي ياربّ الصّلاح في الولد ، والأمن في البلد ، والعافية في الجسد ، وعافني من شرّ الحسد ، ومن شرّ الدهر النّكد ^(٦) . » (المقف الفريد ٢ : ٧٧ ، والأمل ٢ : ٣٢٣)

[١] الرقة : انقصة . [٢] البعيد . [٣] الماء جمع عان من عا : أي دلت وخضع ، وفي رواية الأمل : « أتتكَ الصوامر من الفج السحيق ، وحانت إليك للمهاريق من شعب اللصيق » والصوامر الأيل للمهزولة ، والمهاريق جمع مريق (هم الميم وفتح الراء) : انصبراء للساء .

[٤] السائم جمع صوم كصور : وهي الريح الحارة تكون غالباً بالحر ، وفي رواية الأمل : « على نوح السائم ، ورد ليل التمام » - ويلي التمام (ككتاب) ويلي تماني : أطول ليالي اشتهاء - وفي رواية الأمل : « منك تظاهرها علىّ عند الغفلة ، وكيف أياس منها عند الرحلة » - وأصل الفعل (بالتحريك) : الرجوع من السفر ، ويطلق على الانتهاء في السفر كما ها هنا قولاً بالرجوع - .

[٥] اقترف الذنب : أثامه ومله .

[٦] يقال : رجل نكد ككف وسب وشتم وأنكد : شؤم عسر .

١٠١ - دعاء أعرابي

ودعا أعرابي فقال : « يَا عِمَادَ مَنْ لَا عِمَادَ لَهُ ، وَيَا رُكْنَ مَنْ لَا رُكْنَ لَهُ ،
وَيَا مُجِيرَ الضَّعْفَى ^(١) ، وَيَا مُنْقِذَ الْمَلَكِي ، وَيَا عَظِيمَ الرِّجَاءِ ، أَنْتَ الَّذِي سَبَّحَ لَكَ
مَوَادُّ اللَّيْلِ ، وَيَا ضُوءَ النَّهَارِ ، وَضُوءَ الْقَمَرِ ، وَشُعَاعَ الشَّمْسِ ، وَخَفِيفَ الشَّجَرِ ،
وَدَوَى الْمَاءِ ^(٢) ، يَا مُحْسِنَ ، يَا مُجْمِلَ ، يَا مُفْضِلَ ، لَا أَسْأَلُكَ الْخَيْرَ بِخَيْرِهِمْ عِنْدَكَ ،
وَلَكِنِّي أَسْأَلُكَ بِرَحْمَتِكَ ، فَاجْعَلْ الْعَافِيَةَ لِي شِعَارًا وَدِفَارًا ^(٣) ، وَجَنَّةَ دُونَ كُلِّ بَلَاءٍ »

١٠٢ - دعاء أعرابي

وَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ : سَمِعْتُ أَعْرَابِيًّا فِي فَلَاحٍ مِنَ الْأَرْضِ ، وَهُوَ يَقُولُ فِي دَعَائِهِ :
« اللَّهُمَّ إِنْ اسْتَغْفَارِي إِيَّاكَ مَعَ كَثْرَةِ ذُنُوبِي لِلَّوْمِ ، وَإِنْ تَرَكِي الْاسْتِغْفَارَ مَعَ
مَعْرِفَتِي بِسَعَةِ رَحْمَتِكَ لَعَجَزَ ، إِلَهِي كَمْ تَحَيَّيْتُ إِلَيْكَ بِنِعْمَتِكَ ، وَأَنْتَ غَنِيٌّ عَنِّي ، وَكَمْ
أَتَبَغَّضْتُ إِلَيْكَ بِذُنُوبِي ، وَأَنَا فَقِيرٌ إِلَيْكَ ، سُبْحَانَكَ مَنْ إِذَا تَوَعَّدَ عَفَا ، وَإِذَا وَعَدَ وَفَّى »

١٠٣ - دعاء أعرابي

قَالَ : وَسَمِعْتُ أَعْرَابِيًّا يَقُولُ فِي دَعَائِهِ : « اللَّهُمَّ إِنْ ذُنُوبِي إِلَيْكَ لَا تَضُرُّكَ ،
وَإِنْ رَحْمَتُكَ إِيَّاي لَا تَنْقُصُكَ ، فَاعْفِرْ لِي مَا لَا يَضُرُّكَ ، وَهَبْ لِي مَا لَا يَنْقُصُكَ » .

١٠٤ - دعاء أعرابي

وَقَالَ : سَمِعْتُ أَعْرَابِيًّا وَهُوَ يَقُولُ فِي دَعَائِهِ : « اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ عَمَلَ
الْخَائِفِينَ ، وَخَوْفَ الْعَامِلِينَ ، حَتَّى أَتَنَعَّمَ بِتَرَكِ النِّعَمِ ^(٤) طَمَعًا فِيمَا وَعَدْتَ ،
وَخَوْفًا مِمَّا أَوْعَدْتَ ، اللَّهُمَّ أَعِزَّنِي مِنْ سَطَوَاتِكَ ، وَأَجِرْنِي مِنْ تَقَمَّاتِكَ ، سَبَقَتْ
لِي ذُنُوبٌ ، وَأَنْتَ تَغْفِرُ لِمَنْ يَحُوبُ ^(٥) ، إِلَيْكَ بِكَ أَتَوَسَّلُ ، وَمَنْكَ إِلَيْكَ أَفِرُّ » .

[١] الضعفى جمع ضعیف . [٢] المي : أن هذه الكلمات تدعو للتأمل فيها إلى تسبيحه حل شأنه

[٣] الشعار : ما يلبس على شعر الحسد ، والدثار . ما يلبس فوق الثمار ، والجنة : الوفاة .

[٤] أى فى الدنيا . [٥] حب محبوب : أم .

١٠٥ - دعاء أعرابي

وقال : سمعت أعرابياً يقول : « اللهم إن قوما آمنوا بك بالسنتهم ، ليَحْتَقِنُوا دماءهم ، فأدرَكُوا ما أُمِّلُوا ، وقد آمنا بك بقلوبنا ، لِتُجِيرَنَا مِنْ عَذَابِكَ ، فأذرك منا ما أُمِّلناه » .

١٠٦ - دعاء أعرابي

قال : ورأيت أعرابياً متعلقاً بأستار الكعبة ، رافعاً يديه إلى السماء ، وهو يقول : « ربِّ أترك معذبنا ، وتوحيدك في قلوبنا ؟ وما إخالك تفعل ! ولئن فعلت لَتَجْمَعُنَا مع قوم طالما أبغضناهم لك » .

١٠٧ - دعاء أعرابي

وقال : سمعت أعرابياً يقول في صلاته : « الحمد لله حمداً لا يَبْلَى جديده ، ولا يُحْصَى عديده ^(١) ، ولا يُبْلَغُ حدودُه ، اللهم اجعل الموت خيراً مما ينتظره ، واجعل القبر خيراً مما نَعْمُرُهُ ، واجعل ما بعده خيراً لنا منه ، اللهم إن عيني قد أغرورقتا دموعاً من خشيتك ، فاغفر الزلة ، وعُدْ بحلمك ، على جهل من لم يَرْجُ غيرك » .

١٠٨ - دعاء أعرابي

وقال : رأيت أعرابياً أخذ بحلقتي باب الكعبة وهو يقول : « ساء لك عند بابك ، ذهبَت أيامُ ، وبقيت آثامُ ، واتقطعت شهوته ، وبقيت تباغته ، فارض عنه ، وإن لم ترض عنه فاعف عنه غير راض » .

١٠٩ - دعاء أعرابي

قال : ودعا أعرابي عند الكعبة فقال : « اللهم إنه لا شرف إلا بفعال ، ولا فعال إلا بمال ، فأعطني ما أستعين به على شرف الدنيا والآخرة » .

١١٠ - دعاء اعرابي

عن طاوُس قال : « بينا أنا بمكة إذ دَفَعْتُ إلى الحجاج بن يوسف ،
فَقَتْنِي لي وساداً فجلست ، فبينما نحن نتحدث إذ سمعتُ صوتَ أعرابي في الوادي
رافعاً صوته بالتلبية ، فقال الحجاج : على بالملبي ، فَأُتِيَ به فقال : مَنْ الرَّجُلُ ؟
قال : من أَقْتَاءِ الناس ^(١) ، قال : ليس عن هذا سألتك ، قال : نَعَمْ سألتني ، قال :
من أي البلدان أنت ؟ قال : من أهل اليمن ، قال له الحجاج : فكيف خلقت محمد
ابن يوسف - يعني أخاه ، وكانَ مأمِله على اليمن - قال : خلقتُه عظيماً جسيماً ،
خَرَّاجاً وَلاَ جاً ، قال : ليس عن هذا سألتك ، قال : نَعَمْ سألتني ، قال : كيف
خلقت سيرته في الناس ؟ قال : خلقتُه ظالوماً غشوماً ^(٢) ، عاصياً للخالق ، مُطِيعاً
للمخلوق ، فازور ^(٣) من ذلك الحجاج ، وقال : ما أقدمك لهذا ، وقد تعلم مكانته
مني ! فقال له الأعرابي : أقترأه بمكانة منك أعزُّ مني بمكانتي من الله تبارك
وتعالى ، وأنا وافرِدُ بيته ، وقاضي دينه ، ومصدق نبيه صلى الله عليه وسلم ؟
فَوَجَّهَ ^(٤) لها الحجاج ، ولم يُجِرْ له جواباً ^(٥) ، حتى خرج الرجل بلا إذن .

قال طاوُس : فتبعته حتى أتى الملتزم فتعلق بأستار الكعبة ، فقال : بك أعوذ ،
وإليك ألوذ ، فاجعل لي في اللَهْفِ إلى جوارك ، والرِّضَا بِضمانك ، مندوحةً ^(٦) ،
عن منع الباخلين ، وَغَنَى عما في أيدي المستأثرين ، اللهم عُدْ بِفَرَجِكَ القريب ،
ومعروفك القديم ، وعادتكَ الحسنة .

قال طاوُس : ثم اختفى في الناس ، فألقيته بِعِرْفَاتٍ قائماً على قدميه وهو

[١] يقال « هو من أعداء الناس » إذا لم يعلم من هو ، واحده قو كحل أو ما كصا .

[٢] ظلوماً . [٣] ازور : انحرف ومال ، أي عصب منه . [٤] وحم : سكت على غيظ .

[٥] أي لم يردده . [٦] أي منعا .

يقول : « اللهم إن كنت لم تقبل حَجِّي وَنَصْبِي ^(١) وَتَعْبِي ، فلا تَحْرِمْني أَجْرَ المَصَابِ على مصيبتِهِ ، فلا أَعْلَمْ مصيبةً أعظمَ ممن وردَ حَوْضُكَ ، وانصرف محروماً من وجه رغبتك » .

١١١ — دعاء أعرابي

وقال الأصمعي : رأيت أعرابياً يطوف بالكعبة وهو يقول :

« إلهي عَجَبْتُ ^(٢) إليك الأصواتُ ، بضروبٍ من اللغات ، يسألونك الحاجات ، وحاجتي إليك إلهي أن تذكرني على طول البكاء ، إذا نَسِيتني أهلُ الدنيا ، اللهم هب لي حَقَّكَ ، وأرض عني خَلْقَكَ ، اللهم لا تُعَيِّنِي في طلب ما لم تقدره لي ، وما قدرته لي فيسرهُ لي » .

١١٢ — دعاء أعرابي

قال : ودعت أعرابية لابن لها وجهته إلى حاجة فقالت : « كَانَ اللهُ صَاحِبِي في أمرِكَ ، وخليفَتِكَ في أَهْلِكَ ، وَوَلِيُّ مُنْجِ طَلِبَتِكَ ^(٣) ، امضِ مُصَاحِباً مَكْلُوءاً ^(٤) ، لَا أَشْمِتُ اللهُ بِكَ عَدُوًّا ، وَلَا أَرَى مُجِيبَكَ فِيكَ سِوَا » .

(النقد المريد ٢ : ٧٦ - ٧٩)

١١٣ — دعاء أعرابي

وقال الأصمعي : خرجت أعرابية إلى مِنَى فَقَطَّعَ بها الطريقُ فقالت : « يارب : أعطيت وأخذت ، وأنعمت وسلبت ، وكلُّ ذلك منك عَدْلٌ وَفَضْلٌ ، والذي عَظُمَ على الخلائق أَمْرُكَ ، لَا يَسْطُتُ لِسَانِي بِمَسْأَلَةِ أَحَدٍ بِكَ ، وَلَا بَذَلْتُ رَغْبَتِي إِلَّا إِلَيْكَ ، يَا قُرَّةَ أَعْيُنِ السَّائِلِينَ : أَعْتِنِي بِمُجُودٍ مِنْكَ أَتَبَجِّعُ ^(٥) فِي »

[١] في الأصل « ونسي » وأراه محرّفة عن « نصي » ، وثبوته قوله بعد « ونسي » .

[٢] عَجَّ يَجَّ بكسر الهمزة وتشديد الجيم : صاح ورج صوت .

[٣] الحج : الجراح ، والطلبية : ما طلبته . [٤] من كَلَاءة كَسَمَهُ : حرسه .

[٥] تبجج : تمكن في اللّقام والخلوك ، وتبجج الفار : توسلها ، وأعرابيس جمع بردوس :

وهو السنان .

فَرَادِيسِ نِعْمَتِهِ ، وَأَتَقَلَّبَ فِي رُواقِ نَضْرَتِهِ ^(١) ، انْحَمَلْنِي مِنَ الرَّجُلَةِ ^(٢) ، وَأَغْنِنِي مِنَ الْعَيْلَةِ ، وَاسْدُدْ عَلَيَّ سِتْرَكَ الَّذِي لَا تَخْرِقُهُ الرِّيحُ ، وَلَا تُزِيلُهُ الرِّيحُ ، إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ . (اليان والتبيين ٢ : ٧٨ ، والقدر الفريد ٣ : ١٣٨)

١١٤ — أَدْعِيَةُ شَتِي

وَمَاتَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ فَقَالَ : « اللَّهُمَّ إِنِّي وَهَبْتُ لَهُ مَا قَصَّرَ فِيهِ مِنْ بَرٍّ ، فَهَبْ لِي مَا قَصَّرَ فِيهِ مِنْ طَاعَتِكَ ، فَإِنَّكَ أَجُودُ وَأَكْرَمُ . »

(القدر الفريد ٢ : ٧٩ ، واليان والتبيين ٣ : ١٣٨)

وَوَقَّفَ أَعْرَابِيٌّ فِي بَعْضِ الْمَوَاسِمِ فَقَالَ : « اللَّهُمَّ إِن لَكَ عَلَيَّ حَقًّا فَتَصَدَّقْ بِهِ عَلَيَّ ، وَلِلنَّاسِ تَبِعَاتٌ قَبْلِي فَتَحْمِلْهَا عَنِّي ، وَقَدْ أَوْجِبْتَ لِكُلِّ ضَيْفٍ قِرْرِي ^(٣) ، وَأَنَا ضَيْفُكَ اللَّيْلَةَ ، فَاجْعَلْ قِرْرَايَ فِيهَا الْجَنَّةَ . »

(القدر الفريد ٢ : ٧٨ ، واليان والتبيين ٢ : ٤٨)

وَقَالَ سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ : سَمِعْتُ أَعْرَابِيًّا يَقُولُ عَرَفَةَ : « اللَّهُمَّ لَا تَحْزِمْنِي خَيْرَ مَا عِنْدَكَ لِشَرِّ مَا عِنْدِي ، وَإِنْ لَمْ تَقْبَلْ تَعْبِي وَنَصْبِي ، فَلَا تَحْزِمْنِي أَجْرَ الْمُصَابِ عَلَى مُصِيبَتِهِ . » (زهر الآداب ٣ : ١٦٣)

وَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ : سَمِعْتُ أَعْرَابِيًّا يَقُولُ لِرَجُلٍ : « أَطْعَمَكَ اللَّهُ الَّذِي أَطْعَمَنِي لَهُ ، فَقَدْ أَحْيَيْتَنِي بِقَتْلِ جَوْعِي ، وَدَفَعْتَ عَنِّي سُوءَ ظَنِّي ، فَحَفِظَكَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ جَنْبٍ ، وَفَرَّجَ عَنكَ كُلَّ كَرْبٍ ، وَغَفَرَ لَكَ كُلَّ ذَنْبٍ . » (القدر الفريد ٢ : ٨٤)

[١] في الأصل « راووق » وهو للمعانة ، وأراء عرواً عن « رواق » وهو العسائط ، والبصرة : النعمة والمعنى . [٢] رجل كمرح فهو راحل ورحلان : إذا لم يكن له طهر يركه ، والرجلة بالفتح ويكسر : شدة اللثي ، والبيعة : القبر .

[٣] قرى الضيف كرى ، قرى أحسن إليه ، والقرى أيضا : ما قرى به الضيف .

عن الأصمعي قال : رأيت أعرابيا يصلي وهو يقول : « أسألك النِّفْرة ^(١) ،
والناقة الغَزيرة ، والشرف في العشيرة ، فإنها عليك يسيرة » . (الأماي ٢ : ٢٣)

عن عبد الرحمن عن عمه قال : سمعت أعرابيا يدعو لرجل فقال : « جَنِّبْكَ
الله الأَمْرَيْنِ ^(٢) ، وكفاك شرَّ الأجَوَفَيْنِ ^(٣) ، وأذاقك البرْدَيْنِ ^(٤) » .
(الأماي ٢ : ٧٢ ، والبيد والتبيين ٣ : ١٣٧)

ودعا أعرابي فقال : « اللهم إني أسألك البقاء ، والنماء ، وطيب الإِثَاء ^(٥) ،
وَحَطَّ الأَعْدَاء ، ورفع الأولياء » . (البيد والتبيين ١ : ١٦٣)

وقال أعرابي : « اللهم لَا تُنْزِلْنِي ماءً سَوًّا ، فَأَكُونَ امْرَأً سَوًّا » وقال
أعرابي : « اللهم قِنِي عَثْرَاتِ الْكِرَامِ » . (البيد والتبيين ١ : ٢١٥)

وهب رجل لأعرابي شيئا فقال : « جعل الله للمعروف إليك سييلا ،
واللخير عليك دليلا ، وجعل عندك رفدا ^(٦) جريلا ، وأبقاك بقاء ضويلا ،
وأبلاك ^(٧) بلاء جيلا » .

وقال الأصمعي : سمعت أعرابيا يدعو وهو يقول : « اللهم ارزقني مالا
أَكْبِتُ ^(٨) به الأعداء ، وَبَيْنَ أَصُولِ بِهِم عَلَى الْأَقْوِيَاء » .
(البيد والتبيين ٣ : ٢٢٤)

[١] النِّفْرة : المعرة . [٢] الأمران : الفقر والمهرم ، أو الجوع والعري . [٣] الأجود :
الطير والمرح . [٤] البدان : رد العين وبرد العافية . [٥] الإثاء : لُزوق ، من أنت شجرة
أتوا وإثاء : طلع تمرها ، أو بدا صلاحها ، أو كثر حملها . [٦] الرفد : انخفاء وطمأنينة .
[٧] الإيلاء : الإيغام والإحسان ، أبلت عنده بلاء حسا ، وآلاه الله بلاء حسا .
[٨] كَبِتَ : صرعه وأدله ، ورد العدو حيطه .

ودعت أعرابية على رجل فقالت : « أمكن الله منك عدوًّا حسودا ،
وَجَعَلَ بك صديقًا ودودا ، وسلط عليك هما يُضْنِيكَ ، وجارًا يُؤْذِيكَ » .
(القدر الفريد ٢ : ٩١)

ودعا أعرابي فقال : « أعوذ بك من الفَوَاقِر^(١) والبواقر ، ومن جارٍ السوء ،
في دار المَقَامَةِ وَالظُّمْنِ ، ومما يَنْكُسُ رَأْسُ المرءِ ، وَيُغْرِي به لثام الناس » .

وقال أعرابي : « أعوذ بك من سَقَمٍ ، وعداوة ذي رَحِمٍ ودَعَوَاهِ ، ومن
فاجرٍ وَجَدَوَاهِ^(٢) ، وعمل لا ترضاه » .
(البيان والتبيين ٣ : ١٣٦)

ودعت أعرابية لرجل فقالت : « كَبَتَ اللهُ كُلَّ عدوك إلا نَفْسَكَ » .
ودعا أعرابي فقال : « اللهم هب لي حَقَّكَ ، وأرض عني خلقك » .
وقال أعرابي : « اللهم إني أُمِرْتُ أَنْ نَعْفُو عَمَّنْ ظَلَمْنَا ، وقد ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا
فَاعْفُ عَنَّا » .
(البيان والتبيين ٣ : ١٣٧)

وقال أعرابي : « منحك الله مِنْحَهُ لَيْسَتْ بِمَجْدَاءٍ ، ولا نَكْدَاءٍ ، ولا
ذات داء » .

وقال أعرابي : « اللهم إنيك حَبَسْتَ عَنَّا قَطَرَ السماء ، فَذَابَ الشحم ،
وذهب اللحم ، وَرَقَّ العظم ، فارحم أُنَيْنَ الآثَةِ ، وحنين الحائَةِ ، اللهم ارحم
تَحِيرَهَا فِي مَرَاتِعِهَا ، وَأُنَيْنَهَا فِي مَرَابِضِهَا » .

[١] الفواقير جمع فاقرة : وهي الحاجة ، والبواقر جمع بقرة : وهي الصة الصاعدة للألثة الناقة للعصا .
[٢] الجدوى : العطية .

وحج أعرابي فقال : « اللهم إن كان رزقي في السماء فأنزله ، وإن كان في الأرض فأخرجه ، وإن كان نائياً فقرّبه ، وإن كان قريباً فيسرّه » .

(البيان والتبيين ٣ : ١٣٨)

ومات ولد لرجل من الأعراب فصلى عليه ، فقال : « اللهم إن كنت تعلم أنه كريم الجدين ، مهمل الحدين ، فاعفِ له وإلا فلا » . (الأمال ١ : ٢٠٢)

وقالت أعرابية لرجل : « رماك الله بيلة لأخت لها » أي لا تعيش بعدها . (الأمال ١ : ٢١٧)

ودعا أعرابي فقال : « اللهم إني أعوذ بك أن أفقر في غناك ، أو أضل في هداك ، أو أذل في عزك ، أو أضام في سلطانك ، أو أضطهد والأمر إليك » . (زمر الآداب ٣ : ١٦٤)

وقال الأصمى : سمعت أعرابية تقول : « اللهم ارزقني عمل الخاضعين ، وخوف العاملين ، حتى أنعم بترك النعم ، رجاء لما وعدت ، وخوفاً مما أوعدت » . وقال آخر : « اللهم من أراد بنا سوءاً فأحطه به كإحاطة القلائد ، بأعناق الولائد ^(١) ، وأرسخه على هامته كرسوخ السجيل ^(٢) ، على هام أصحاب الفير » . (زمر الآداب ٣ : ٢٤٦)

[١] الولائد جمع وليدة : وهي الصبية . [٢] السجيل : طين مطوخ ، يشبه في قوته تفل :

« وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ، تَرْمِيهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ » وأبابل أي جماعات .

١١٥ - نوادر وملح لبعض الأعراب

غزا أعرابي مع النبي صلى الله عليه وسلم فقتل له : ما رأيت مع رسول الله في غزاتك هذه ؟ قال : وَضَعْنَا نِصْفَ الصَّلَاةِ ^(١) ، وأرجو في الغزاة الأخرى أَنْ يَضَعَ النِّصْفَ الْبَاقِي .



وَدَخَلَ أَعْرَابِي الْمَسْجِدَ ، وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَالِسٌ ، فَقَامَ يُصَلِّي ، فَلَمَّا فَرَغَ ، قَالَ : اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي وَمُحَمَّدًا ، وَلَا تَرْحَمَ مَعَنَا أَحَدًا ، فقال النبي عليه الصلاة والسلام : لَقَدْ تَحَجَّجْتَ ^(٢) وَاسِعًا يَا أَعْرَابِي .



وَخَرَجَ الْحِجَابُ مُتَصِيدًا بِالْمَدِينَةِ ، فَوَقَفَ عَلَى أَعْرَابِي يَرْعَى إِبْلَاءً لَهُ ، فَقَالَ لَهُ : يَا أَعْرَابِي ، كَيْفَ رَأَيْتَ سِيرَةَ أَمِيرِكُمُ الْحِجَابِ ؟ قَالَ لَهُ الْأَعْرَابِي : شَوْمٌ ظُلُومٌ ، لَا حَيَاءَ لَهُ ، فَقَالَ : فَلِمَ لَا تُشْكُونَهُ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَبْدِ الْمَلِكِ ؟ قَالَ : فَأُظْلِمَ وَأُغْثِمَ ! فِينَا هُوَ كَذَلِكَ إِذَا حَاطَتْ بِهِ الْخَيْلُ ، فَأَوْمَأَ الْحِجَابُ إِلَى الْأَعْرَابِي ، فَأَخَذَ وَحْمِلَ ، فَلَمَّا صَارَ مَعَهُ ، قَالَ : مَنْ هَذَا ؟ قَالُوا لَهُ : الْحِجَابُ ، فَحَرَّكَ دَابَّتَهُ حَتَّى صَارَ بِالقَرَبِ مِنْهُ ، ثُمَّ نَادَاهُ يَا حِجَابُ ، قَالَ : مَا تَشَاءُ يَا أَعْرَابِي ؟ قَالَ : السِّرُّ الَّذِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَحَبُّ أَنْ يَكُونَ مَكْتُومًا ، فَضَحِكَ الْحِجَابُ ، وَأَمَرَ بِتَغْلِيَةِ سَبِيلِهِ .



وَخَرَجَ أَبُو الْعَبَّاسِ السَّفَاحُ مُتَنَزِّهًا بِالْأَنْبَارِ ، فَأَمْعَنَ فِي نَزْهَتِهِ ، وَاتَّبَذَ مِنْ

[١] بَيِّنَةُ الصَّلَاةِ . [٢] أَيْ سَيِّقَتْ مَا وَسَّعَهُ اللَّهُ وَحُصِّنَتْ بِهِ هَلِكُ دُونِ عَيْزِكَ .

أصحابه ، فوافى خيباء لأعرابي ، فقال له الأعرابي : ممن الرجل ؟ قال : من كِنانة ، قال : من أى كِنانة ؟ قال : من أبغض كِنانة إلى كِنانة ، قال : فأنت إذن من قريش ؟ قال : نعم ، قال : فمن أى قريش ؟ قال : من أبغض قريش إلى قريش ، قال : فأنت إذن من ولد عبد المطلب ؟ قال : نعم ، قال : فمن أى ولد عبد المطلب ؟ قال : من أبغض ولد عبد المطلب إلى ولد عبد المطلب ، قال : فأنت إذن أمير المؤمنين ، السلام عليك يا أمير المؤمنين ، ووثب إليه ، فاستحسن ما رأى منه ، وأمر له بجائزة .

وولى يوسف بن عمر الثقفى صاحب العراق أعرابياً على عمل له ، فأصاب عليه خيانة فمزله ، فلما قدم عليه ، قال له : يا عدو الله ، أكلت مال الله ، قال الأعرابي : قال مَنْ آكلُ إذا لم آكلْ مالَ الله ؟ لقد راودتُ إبليس أن يُعطيني فلساً واحداً فما فعل ، فضحك منه وخلق سبيله .

وأخذ الحاج أعرابياً لصاً بالمدينة فأمر بضربه ، فلما قرعه بسوط قال : يارب شكراً ، حتى ضربه سبعمائه سوط ، فلقية أشعب ، فقال له : ندري لم ضربك الحاج سبعمائة سوط ؟ قال : لماذا ؟ قال : لكثرة شكرك ، إن الله تعالى يقول : « لئن شكرتم لأزيدنكم » ، قال : وهذا فى القرآن ؟ قال : نعم ، فقال الأعرابي :

يَا رَبِّ لَا شُكْرًا فَلَا تَزِدْنِي أَسَاءَتِي فِي شُكْرِي فَاعْفُ عَنِّي

بَاعِدْ ثَوَابَ الشَّاكِرِينَ مِنِّي



ونزل عبد الله بن جعفر إلى خيمة أعرابية ولها دجاجة ، وقد دجنت ^(١) عندها ، فذبحتها وجاءت بها إليه ، فقالت يا أبا جعفر : هذه دجاجة لي كنت أذبحها وأعطيها من قوتي ، وألئسها في آناء الليل ، فكأنما ألس بنتي زلت عن كبدي ، فنذرتُ لله أن أدفنها في أكرم بقعة تكون ، فلم أجد تلك البقعة المباركة إلا بطنك ، فأردت أن أدفنها فيه ، فضحك عبد الله بن جعفر ، وأمر لها بخسمائة درهم .



وسُمِعَ أعرابي وهو يقول في الطواف : « اللهم اغفر لأمي » ، فقيل له : مالك لا تذكر أباك ؟ قال : أبي رجل يحتال لنفسه ، وأما أمي فبائسة ضعيفة .



وقال أبو زيد : رأيت أعرابياً كأنَّ الله كُوزٌ ، من عظمه ، فرآنا نضحك منه ، فقال : ما يضحِكُكم ؟ فوالله لقد كنت في قوم ، ما كنت فيهم إلا أفتسأ .



وجيء بأعراب إلى السلطان ومعه كتاب قد كتب فيه قصته ، وهو يقول : « هاؤمُ أقرءوا كتابي » ، فقيل له يقال هذا يوم القيامة ، قال : « هذا والله شر من يوم القيامة ، إن يوم القيامة يؤتى بحسناتي وسيئاتي ، وأنتم جئتم بسيئاتي وتركتم حسناتي » .



واشترى أعرابي علماً فقيلاً للبائع : هل فيه من عيب ؟ قال : لا ، إلا أنه

[١] دحس اللحم والشاء وصرهما كصر : ألفت البيوت .

يبول في الفراش ، قال : هذا ليس بعيب ، إن وجد فراشا قليلاً فيه .

ومرّ أعرابي بقوم وهو ينشد ابناً له ، فقالوا له : صفه ، قال : كأنه دُنَيْير ، قالوا : لم نره ، ثم لم يلبث القوم أن أقبل الأعرابي ، وعلى عنقه جُعل^(١) ، فقالوا : هذا الذي قلت فيه دُنَيْير ؟ قال : « القَرَنِي^(٢) في عين أمها حسناء » .

وقيل لأعرابي : ما يمنعك أن تغزو ؟ قال : والله إنني لأُبْنِض الموت على فراشي ، فكيف أن أمضي إليه رَكْضاً ؟ .

وخرج أعرابي إلى الحج مع أصحاب له ، فلما كان ببعض الطريق راجعاً يريد أهله ، لقيه ابن عم له ، فسأله عن أهله ومنزله ، فقال : اعلم أنك لما خرجت ، وكانت لك ثلاثة أيام ، وقع في بيتك الحريق ، فرفع الأعرابي يديه إلى السماء ، وقال : ما أحسنَ هذا يارب ! تأمرنا بعارة بيتك أنت ، وتخرّب بيوتنا ! .

وخرجت أعرابية إلى الحج ، فلما كانت في بعض الطريق عطبت راحلتها ، فرفعت يديها إلى السماء ، وقالت : « يارب أخرجتني من بيتي إلى بيتك ، فلا بيتي ولا بيتك ! » .

وعُرِضَت السجون بعد هلاك الحجاج ، فوجدوا فيها ثلاثة وثلاثين ألفاً ، لم يجب على واحد منهم قتل ولا صلب ، وفيهم أعرابي ، أخذ يبول في أصل مدينة واسط ، فكان فيمن أطلق ، فأنشأ يقول :

[١] الحمل : الحرباء .

[٢] القربي : دوية من حشائش الأرض تروق الحشاء إذا مسها أحد تقصت فصارت مثل الكرة .

إذا ما خرجنا من مدينة واسطٍ خَرِينَا وَبُلْنَا لَا نَخَافُ عِقَابَا

ونظر أعرابي إلى قوم يلتسون هلال شهر رمضان فقال : « وَاللَّهِ لَنْ آثَرْتُمُوهُ لَتُمْسِكُنَّ مِنْهُ بِذُنَابِي ^(١) عِشْ أَغْبِرْ » .

ونظر أعرابي إلى رجل ممين فقال : « أَرَى عَلَيْكَ قَطِيفَةً مِنْ نَسِجِ أَضْرَاسِكَ » .

وقال أعرابي : « اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِيتَةً كَمِيتَةِ أَبِي خَارِجَةَ ، أَكَلِ بَدَجًا ^(٢) ، وَشَرِبَ مِشْعَلًا ^(٣) ، وَنَامَ فِي الشَّمْسِ ، فَمَاتَ دَفَّانَ شَبْعَانَ رَيَّانَ » .

وقيل لأبي الْمَخْشِ الْأَعْرَابِي : أَيْسُرُكَ أَنْتَ خَلِيفَةٌ ، وَأَنْ أَمَتَكَ حُرَّةٌ ؟ قال : لا والله ما يسرني ، قيل له : ولم ؟ قال : « لِأَنَّهَا كَانَتْ تَذْهَبُ الْأُمَّةَ ، وَتَضِيعُ الْأُمَّةَ » .

وحضر أعرابي سُفْرَةَ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، فَجَعَلَ يَمُرُّ إِلَى مَا بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَقَالَ لَهُ الْحَاجِبُ : مِمَّا يَلِيكَ فَكُلْ يَا أَعْرَابِي ، فَقَالَ : مَنْ أَجْدَبُ اتَّجَع ، فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَى سُلَيْمَانَ ، وَقَالَ لِلْحَاجِبِ : إِذَا خَرَجَ عَنَّا فَلَا يَعْذُ إِلَيْنَا .

وشهد بعد هذا سُفْرَتَهُ أَعْرَابِي آخَرَ ، فَمُرَّ إِلَى مَا بَيْنَ يَدَيْهِ أَيْضًا ، فَقَالَ لَهُ الْحَاجِبُ : مِمَّا يَلِيكَ فَكُلْ يَا أَعْرَابِي ، قَالَ : مَنْ أَخْصَبُ تَخَيَّرَ ، فَأَعْجَبَ ذَلِكَ سُلَيْمَانَ ، فَقَرَّبَهُ وَأَكْرَمَهُ وَقَضَى حَوَائِجَهُ .

[١] الذنابي : اللب . [٢] الدح : ولد الصان .

[٣] المشعل : شيء من جلود له أربع قرآنم يند فيه ، وشرب مشعلا أي شرب ما فيه .

وحضر أعرابي سفرة سليمان بن عبد الملك ، فلما أتى بالفألوذج ، جعل يُسرع فيه ، فقال سليمان : أتدرى ما تأكل يا أعرابي ؟ فقال : بلى يا أمير المؤمنين إني لأجد ريقاً هنيئاً ، وَمُزْدَرَدًا^(١) لَيْثًا ، وأظنه الصراط المستقيم الذي ذكره الله في كتابه ، فضحك سليمان وقال : أزيدك منه يا أعرابي ؟ فإنهم يذكرون أنه يريد في الدِّماغ ، قال : كَذَّبوك يا أمير المؤمنين ، لو كان كذلك لكان رأسك مثل رأس البغل ! .



وحضر سفرة سليمان أعرابي ، فنظر إلى شعرة في لقمة الأعرابي ، فقال : أرى شعرة في لقمتك يا أعرابي ، قال : وإنك لَتراعيني مُراعاةً من يُبصر الشعرة في لقمتي ! وَاللَّهِ لَا وَاكَلْتُكَ أَبَدًا ، فقال : استرها يا أعرابي ، فإنها زلة ، ولا أعود لمثلها .



وقال الأصمعي : قلت لأعرابي : أَتَهْمِزُ^(٢) إِسْرَائِيلَ ؟ قال : إني إذن لَرَجُلٍ سوء ، قلت له : أَفَتَجِرُ فِلَسْطِينَ ؟ قال : إني إِذَا لَقَوِيَّ .



وسمع أعرابي إماماً يقرأ : « وَلَا تُشْكِرُوا^(٣) الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا » - قرأها بفتح التاء - فقال : ولا إن آمنوا أيضاً لم تُشْكِرْهُمْ ، فقبل له إنه يلحن وليس هكذا يُقرأ ، فقال : « أَخْرُوه قِبْحَهُ اللَّهُ ! لَا تَجْعَلُوهُ إِمَامًا ، فَإِنَّهُ يُحِلُّ مَا حَرَّمَ اللَّهُ » . (القد الصِّيد ٢ : ١٠٠ - ١٠٥)

وخطب أعرابي فلما أعجبه بعضُ الأمر عن التصدير بالتمجيد ، والاستفتاح بالتمجيد ، قال : « أما بعد ، بغير ملال لذكر الله ، ولا إيتار غيره عليه ، فإننا نقول كذا ، ونسأل كذا » فراراً من أن تكون خطبته بتراء وشوْهاً .^(١)
(البيان والتبيين ٢ : ٢ ، ١ : ٢١٥)

ودفعوا إلى أعرابية عِلْكَاً^(٢) لَمْضَغُهُ ، فلم تفعل ، فقبل لها في ذلك ، فقالت : « ما فيه إلا تعبُ الأضراس وخيبةُ الحنْجَرة » . (البيان والتبيين ٢ : ٤٧)

وقيل لأعرابي : عند مَنْ تحب أن يكون طعامك ؟ قال : « عند أم صبي راضع ، أو ابن سبيل شامع ، أو كبير جائع ، أو ذى رحم قاطع » .
(البيان والتبيين ٢ : ٤٩)

وقال أعرابي :

« لولا ثلاث هُنَّ عيشُ الدهر الماء ، والنوم ، وأم عمرو ، لما خَشِيتُ من مَضِيقِ القبر » .
(البيان والتبيين ٢ : ١٠١)

وسمع أعرابي رجلاً يقرأ سورة براءة فقال : « ينبغي أن يكون هذا آخر القرآن » ، قيل له : ولم ؟ قال : « رأيت عهداً تُبَدَّ » .
(البيان والتبيين ٢ : ١٦٩)

[١] وكانوا يسمون الخطبة التي لم يتدنى صاحبها بالتمجيد ، ويستفتح كلامه بالتمجيد « البتراء » ويسمون التي لم توشع بالقرآن وترين بالصلاة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم « الشوْها » .
[٢] الملك : اللسان (بالصم) .



وسمع أعرابي رجلا يقرأ : « وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ الْأَوَّاحِ وَدُمُورٍ ، تَجْرِي
بِأَعْيُنِنَا جَزَاءَ لِمَنْ كَانَ كُفِرًا^(١) » ، فلما افتتح الكاف ، فقال الأعرابي :
« لا يكون » ، فقرأها عليه بضم الكاف وكسر الفاء ، فقال الأعرابي : « يكون » .

(البيان والتبيين ٢ : ١٧٤)



[١] ذات الألواح والدمر : هي السحرة ، والدمر ما تشد به الألواح من السامير وغيرها جمع دمار
ككتاب ، بأعيننا : بمرأى منا أي محوطة ، وقد قرئ كسر بالاء للفاعل ، أي للكافرين ، أعرقوا
عقاباً لهم .

الباب الرابع في خطب النكاح

١ - خطبة قريش في الجاهلية

روى الجاحظ قال :

كانت خطبة قريش في الجاهلية - يعنى خطبة النساء :

« باسمك اللهم ، ذُكِرْتَ ^(١) فلانة ، وفلانٌ بها مشغوفٌ ، باسمك اللهم ،
لك ما سألت ولنا ما أعطيت » .

٢ - خطبة النبي صلى الله عليه وسلم في زواج السيدة فاطمة

« الحمد لله المحمود بنعمته ، المعبود بقدرته ، المرهوب من عذابه ، المرغوب
فيما عنده ، النافذ أمره في سمائه وأرضه ، الذى خلق الخلق بقدرته ، وميزهم
بأحكامه ، وأعزهم بدينه ، وأكرمهم بنبيه محمد صلى الله عليه ، ثم إن الله تعالى

[١] ذكر فلان فلانة ذكرا (جمع مكون) : خطبها أو تعرض لخطبتها .

جعل المصاهرة نسباً لاحقاً ، وأمرأً مقتَرَضاً ، وَوَشَّجَ ^(١) به الأرحامَ ، وألزمه الأنامَ ، قال تبارك اسمه ، وتعالى ذكره : « وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا » ، فأمرُ الله يجرى إلى قضاءه ، ولكل قضاءٍ قَدَرٌ ، ولكل قَدَرٍ أَجَلٌ « يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ » . ثم إن ربِّي أمرني أن أزوّج فاطمة من عليّ بن أبي طالب ، وقد زوّجتها إياه على أربع مائة مثقال فضّة ، إن رضى بذلك عليّ .

٣ - خطبة الإمام عليّ كرم الله وجهه

وخطب الإمام عليّ كرم الله وجهه حين تزوّج بالسيدة فاطمة رضى الله عنها فقال :

« الحمد لله الذي قرَّبَ من حامديه ، ودنا من سائليه ، ووعد بالجنة من يتَّقيه ، وقَطَعَ بالنار عدد من يعصيه ، أحمده بجميع محامده وأياديه ، وأشكره شكرَ مَنْ يعلم أنه خالقُه وبارئُه ، ومصورُه ومُنشِئُه ، ومميته ومُحْيِئُه ، ومقرِّبه ومنجيّه ، ومُثَبِّئُه ومجازيّه ، وأشهد أن لا إله إلا الله شهادة تبلغه وترضيه ، وأن محمداً صلى الله عليه وسلم عبده ورسوله صلاة تُزلفه وتُدنيه ، وتمزّه وتُعَلِّيه ، وتشرفه وتُجَنِّبُه .

أما بعد : فإن اجتماعنا مما قدَّره الله تعالى ورضيه ، والنكاح ما أمر الله به وأذن فيه ، وهذا محمد صلى الله عليه وسلم قد زوّجني فاطمة ابنته على صداق أربع مائة درهم وثمانين درهماً ، ورضيت به فأسأله ، وكفى بالله شهيداً » .

[١] وشجت العروق والأغصان كوعد : اشتكت والعت وتناخت ، ورحم واشجة ووشيجة :

مشبكة متصلة ، وقد وشحها الله توشيحاً ، وفي الأصل : « وشح به الأرحام » وأراء محرّفة .

٤ — خطبة عتبة بن أبي سفيان

خطب عثمان بن عنبسة بن أبي سفيان إلى عتبة بن أبي سفيان ابنته ،
فأقعدته على فخذه ، وكان حديثاً فقال :

« أقرب قريب ، خطب أحب حبيب ، لا أستطيع له ردّاً ، ولا أجد من
إسعافه بدءاً ، قد زوّجْتُكها وأنت أعزُّ عليّ منها ، وهي الصَّقُّ بقلبي منك ،
فأكْرِمْنِيهَا يَعْتَبِرْ عَلَى لِسَانِي ذِكْرُكَ ، وَلَا تُهِنِّيْهَا فَيَصْغُرَ عِنْدِي قَدْرُكَ ، وقد
قَرَّبْتُكَ مَع قُرْبِكَ ، فَلَا تُبْعِدْ قَلْبِي مِنْ قَلْبِكَ » .

٥ — خطبة شبيب بن شيبه

وقال العُتْبِيُّ : زوّج شبيب بن شيبه ابنه بنتَ سِوَارٍ^(١) القاضي ، فقلنا :
« اليوم يعُبُّ عُبَابُهُ^(٢) ، فلما اجتمعوا تكلم فقال :
« الحمد لله ، وصلى الله على رسول الله ، أما بعد : فإن المعرفة مِنَّا ومنكم ، بنا
وبكم^(٣) ، تمننا من الإكثار ، وإن فلاناً ذَكَرَ فلانة » .

٦ — خطبة الحسن البصري

وكان الحسن البصري يقول في خطبة النكاح ، بعد الحمد لله والثناء عليه :
« أما بعد ، فإن الله جمع بهذا النكاح الأرحامَ المنقطعة ، والأنسابَ المتفرقة ،
وجعل ذلك في سنة من دينه ، ومنهاج واضح من أمره ، وقد خطب إليكم فلان ،
وعليه من الله نعمةٌ ، وهو يذلل من الصدّاق كذا ، فاستخيرُوا الله ، ورُدُّوا خيراً ،
يرحمكم الله » .

[١] هو سوار بن عبد الله من قضاة الصرة وخطيبها — اطر البيان والبيان ١ : ١٦١ — وقرأ في
أمالى السيد للارتضى ٤ : ٢٢ حديثاً عربياً للحافظ عنه في وقعه وصبطه من معه وملكه من حركته —
[٢] لأنّ والذى الروسين خطيان . [٣] أى المعرفة ما نكر ، والمعرفة معكم با .

٧ - خطبة ابن الفقير

وقال العتيبي : حضرت ابن الفقير خطب على نفسه امرأة من باهلة فقال :
« وما حسن أن يمدح المرء نفسه : ولكن أخلاقاً تَذَمُّ وتُمدَح
وإن فلانة ذُكرت لي » .

٨ - خطبة عمر بن عبد العزيز

وقال عبد الملك بن مروان لعمر بن عبد العزيز :
« قد زوجتك أمير المؤمنين ابنته فاطمة » ، قال : « جزاك الله يا أمير المؤمنين
خيراً ، فقد أجزلت العطية ، وكفيت المسألة » .

٩ - خطبة أخرى له

وحدث محمد بن عبيد الله القرشي عن أبي القُدَام قال :
كانت قريش تستحسن من المخاطب الإطالة ، ومن المخطوب إليه التقصير^(١) ،
فشهدت محمد بن الوليد بن عتبة بن أبي سفيان خطب إلى عمر بن عبد العزيز
أخته أم عمر بنت عبد العزيز ، فتكلم محمد بن الوليد بكلام جاز الحفظ ، فقال عمر :
« الحمد لله ذي الكبرياء ، وصلى الله على محمد خاتم الأنبياء ، أما بعد : فإن
الرغبة منك دعتك إلينا ، والرغبة فيك أجابتك منا ، وقد أحسن بك ضنا من
أودعك كريمته ، واحتارك ولم يختَر عليك ، وقد زوجتكها على كتاب الله :
إِمْسَاكَ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٍ بِإِحْسَانٍ » .

[١] وكذلك روى الخاطب في البيان والتمهيد (١ : ٦٤) قال : « والسنة في حطة الكاح أن يخلل
الخاطب ، ويقصر المحب » والمصري في زهر الآداب (٢ : ٣١) قال الأصمسي : « كانوا يستحبون من
المخاطب إلى الرجل حرمة الإطالة ، لتدل على الرغبة ، ومن المخطوب إليه الإيجاز ليدل على الإحالة » .

١٠ - خطبة بلال

وخطب بلال إلى قوم من خثعم لنفسه ولأخيه ، فحمد الله وأثنى عليه ،
ثم قال :

« أنا بلال وهذا أخي ، كنا ضالين فهدانا الله ، عبدَيْن فاعتقنا الله ،
فقيرين فأغنانا الله ، فإن تزوجونا فالحمد لله ، وإن ترُدُّونا فالمستعانُ الله » .

١١ - خطبة خالد بن صفوان

وزوج خالد بن صفوان مولاة من أمته ، فقال له العبد : لو دعوت الناس
وخطبت ! قال : أذعهم أنت ، فدعاهم العبد ، فلما اجتمعوا ، تكلم خالد بن
صفوان ، فقال :

« أما بعد : فإن الله أعظم وأجلُّ من أن يذكَر في نكاح هذين الكليين ،
وأنا أشهدكم أني زوجت هذه الزانية من هذا ابن الزانية » .

١٢ - خطبة أعرابي

وخطب الفضل الرقاشي إلى قوم من بني تميم فخطب لنفسه ، فلما فرغ قام
أعرابي منهم فقال :

« تَوَسَّلْتَ بِجُرْمَةٍ ، وَأَوَلَيْتَ بِحَقٍّ ، واستندت إلى خير ، ودعوت إلى سُوءٍ ،
فَقَرَضْتُكَ مَقْبُولٌ ، وما سألت مَبْذُولٌ ، وحاجتك مقضية إن شاء الله تعالى » .

قال الفضل : لو كان الأعرابي حمد الله في أوَّل كلامه ، وصلى على النبي صلى الله
عليه وسلم لفضحتني يومئذ .

١٣ - خطبة المأمون

وقال يحيى بن أكثم: أراد المأمون أن يزوّج ابنته من عليّ بن موسى الرضا ، فقال : يا يحيى تكلم ، فأجلّته أن أقول : « أنكحت » ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، أنت الحاكم الأكبر ، والإمام الأعظم ، وأنت أوّل بالكلام ، فقال : « الحمد لله الذى تصاغرت الأمور بعشيتته ، ولا إله إلا هو إقراراً بربوبيته ، وصلى الله على محمد عند ذكره ، أما بعد : فإن الله قد جعل النكاح ديناً ، ورضيه حكماً ، وأنزله وحياً ، ليكون سبب المناسبة ، ألا وإنى قد زوّجت ابنة المأمون من عليّ بن موسى ، وأمهرتها أربعمائة درهم ، اقتداءً بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وانتهاءً إلى ما درج إليه السلف ، والحمد لله رب العالمين » .

ﷺ

وخطب رجل إلى قوم ، فأتى بمن يخطب له ، فاستفتح بحمد الله ، وأطال ، وصلى على النبي عليه الصلاة والسلام . وأطال ، ثم ذكر البدء وخلق السموات والأرض ، واقتصر ذكر القرون ، حتى ضجر من حصر ، والتفت إلى الخاضب ، فقال : ما أسمعك أعزك الله ؟ فقال : والله قد أنسيتُ اسمي من طول خطبتك ، وهى طالق إن تزوجتها بهذه الخطبة ، فضحك القوم ، وعقدوا فى مجلس آخر .

(مفتاح الأفكار ص ٦٢ ، ومواسم الأتف ٢ : ١٢٠ ، والقند انريد ٢ : ١٦٣ ،

وسيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزى ص ٢٨ ، والبيان والبيان ١ : ٢١٥ ، ٢١٧ -

٢ : ٥٠ : ١٣٠ - ٣ : ٢٢١ ، وروى الآداب ٢ : ٣٠ ، ٣١)

البَابُ الْخَامِسُ

فِي

خُطْبٍ مِنْ أَرْتَجٍ عَلَيْهِمُ

وَنَوَادِرَ طَرِيقَةِ لِبَعْضِ الْخُطَبَاءِ

روى الجاحظ قال : صَعِدَ عثمان بن عفَّانَ رضى الله تعالى عنه المنبرَ ، فأُرتِجَ عليه ، فقال :

« إن أبا بكر وعمر كانا يُعِدَّانَ لهذا المقامَ مقالا ، وأنتم إلى إمام عادل ، أحوجُّ منكم إلى إمام خطيب » .

وروى ابن عبد ربه قال : أول خطبة خطبها عثمان بن عفَّانَ أُرْتِجَ عليه ، فقال :
« أيها الناس : إن أوَّلَ كلِّ مَرْكَبٍ صَعِبَ ، وإن أَعِشَ تَأْتِيَكُمُ الْخُطْبُ عَلَى وَجْهِهَا ، وسيجعل الله بعد عُسْرٍ يُسْرًا إن شاء الله » .

ولما قَدِمَ يزيد بن أبي سُفيان الشامَ واليا عليها لأبي بكر ، خطب الناس فأرتج عليه ، فعاد إلى الحمد لله ، ثم أرتج عليه ، فعاد إلى الحمد لله ، ثم أرتج عليه ، فقال :

« يَا أَهْلَ الشَّامِ ، عسى الله أن يجعل من بعد عُشْرِ يُسْرًا ، ومن بعدِ عِيٍّ يَانًا ، وأتم إلى إمامٍ فاعِلٌ ^(١) ، أُخَوِّجُ مِنْكُمْ إِلَى إِمَامٍ قَاتِلٍ ^(٢) » ، ثم نزل ، فبلغ ذلك عمرو بن العاص فاستحسنه .

وكان يزيد بن المهلب وُلِّيَ ثَابِتَ قُطْنَةَ ^(٣) بعض قرى خُرَّاسَانَ ^(٤) ، فلما صَعِدَ المنبر يوم الجمعة ، قال : الحمد لله ، ثم أرتج عليه ، فنزل وهو يقول :
فَلَا أَكُنْ فِيكُمْ خَطِيبًا فَإِنِّي بِسِنِّي إِذَا جَدَّ الْوَعْيُ خَطِيبٌ
فقيل له : « لو قلتها فوق المنبر ، لكنت أخطب الناس » .

وخطب معاوية بن أبي سفيان لما وُلِّيَ ، فخصر فقال :
« أَيُّهَا النَّاسُ : إِنِّي كُنْتُ أَعَدَدْتُ مَقَالًا أَقُومُ بِهِ فِيكُمْ ، فَخُجِّتُ عَنْهُ ، فَإِنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ ، كما قال في كتابه ^(٥) . وأتم إلى إمام عدل ، أُخَوِّجُ مِنْكُمْ إِلَى إِمَامٍ خَطِيبٍ ، وَإِنِّي آمُرُكُمْ بِمَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ وَرَسُولُهُ ، وَأَنْهَاكُمْ عَمَّا نَهَاكُمْ اللَّهُ عَنْهُ وَرَسُولُهُ ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ » .

[١] في عيون الأخبار : « إمام عادل » . [٢] وفي أمالي السيد المرتضى أن هذا القول يروى لثمان بن عمار ، وفي روايته : « إمام فعال » و « إمام قوال » صيغة المبالغة ، وفي الأعيان أنه يروى ثلاث قطعة ، وفيه : « أمير فعال » و « أمير قوال » .

[٣] هو ثابت بن كعب ، ولقب قطنة لأن سبأ أمابه في إحدى عيبيه ، وذهب بها في بعض حروب الترك ، فكان يحمل عليها قطنة ، وهو شاعر فارس شجاع من شعراء الدولة الأموية ، وكان في صحابة يزيد بن المهلب ، وكان يوليه أعمالا من أعمال الثور ، فيجد فيها مكانة لكفايته وشجاعته ، وقد مال إلى قول للرجة ، وله قصيدة في الإرجاء ، انظر ترجمته في الأغانى ج ١٣ ص ٤٧ .

[٤] في رواية : أنه خطب على منبر سيجستان ، وفي رواية الطبري : « خطب الناس فخصر فقال : « من يطع الله ورسوله فقد صل » وأرتج عليه فلم يطق بكلمة ، فلما نزل عن المنبر قال البيت المذكور .

[٥] الآية الكريمة : « وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ ، وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ »

وَصَعِدَ خَالِدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْقَمَرِيُّ يَوْمًا الْمَنِيرَ بِالْبَصْرَةِ لِيَخْطُبَ فَأُتِيَ عَلَيْهِ ،
 فَقَالَ : « أَيُّهَا النَّاسُ : أَمَا بَعْدَ ، فَإِنَّ هَذَا الْكَلَامَ يَجِيءُ أَحْيَانًا ، وَيَعْرُضُ أَحْيَانًا ،
 فَيَسِيحُ عِنْدَ حَاجَتِهِ سَيِّئُهُ ^(١) ، وَيَعْرِضُ عِنْدَ غُرُوبِهِ طَلَبُهُ ، وَلَرَبَّمَا كُوبِرَ قَائِي ^(٢) ،
 وَعُوجُ قَنَائِي ^(٣) ، فَالْتَأَتِي ^(٤) لِحِجَّتِي ، خَيْرٌ مِنَ التَّعَاطِي لِأَيَّتِي ، وَتَرَكُهُ عِنْدَ تَنَكُّرِهِ ،
 أَفْضَلُ مِنْ طَلَبِهِ عِنْدَ تَعَذُّرِهِ ، وَقَدْ يَحْتَاجُ ^(٥) مِنَ الْجَرَىءِ جَنَانُهُ ، وَيَنْقَطِعُ مِنَ
 التَّوْبِ ^(٥) لِسَانُهُ ، فَلَا يُبْطِرُهُ ذَلِكَ وَلَا يَكْسِرُهُ ، وَسَأَعُودُ فَأَقُولُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ،
 ثُمَّ نَزَلَ ، فَارْتُي حَصِرًا أَبْلَغَ مِنْهُ .

وَصَعِدَ أَبُو الْعَنْبَسِ مَنِيرًا مِنْ مَنَابِرِ الطَّائِفِ ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ :
 أَمَا بَعْدَ ، فَأُتِيَ عَلَيْهِ ، فَقَالَ : أَتَدْرُونَ مَا أُرِيدُ أَنْ أَقُولَ لَكُمْ ؟ قَالُوا : لَا ،
 قَالَ : فَمَا يَنْفَعُنِي مَا أُرِيدُ أَنْ أَقُولَ لَكُمْ ، ثُمَّ نَزَلَ ؛ فَلَمَّا كَانَ فِي الْجُمُعَةِ الثَّانِيَةِ ،
 وَصَعِدَ الْمَنِيرَ وَقَالَ : أَمَا بَعْدَ ، أُرْتَجَى عَلَيْهِ ، فَقَالَ : أَتَدْرُونَ مَا أُرِيدُ أَنْ أَقُولَ لَكُمْ ؟
 قَالُوا : نَعَمْ ، قَالَ : فَمَا حَاجَتُكُمْ إِلَيَّ أَنْ أَقُولَ لَكُمْ مَا عَلِمْتُمْ ؟ ثُمَّ نَزَلَ ؛ فَلَمَّا كَانَتْ
 الْجُمُعَةُ الثَّالِثَةُ ، قَالَ : أَمَّا بَعْدَ : فَأُتِيَ عَلَيْهِ ، قَالَ : أَتَدْرُونَ مَا أُرِيدُ أَنْ أَقُولَ لَكُمْ ؟
 قَالُوا : بَعْضُنَا يَدْرِي ، وَبَعْضُنَا لَا يَدْرِي ، قَالَ : فَلْيُخْبِرِ الَّذِي يَدْرِي مِنْكُمْ الَّذِي
 لَا يَدْرِي ، ثُمَّ نَزَلَ .

[١] السبب : العطاء ، وفي رواية : « فيسب عند حاجته صعه » .
 [٢] وفي رواية : « صا » أي اشتدَّ وصب . [٣] تأتي له : ترقى ، وفي رواية :
 « فالتأتأت » مألوف . [٤] يضطرب .
 [٥] إلحاد اللسان ، وفي رواية : « ويرج على المنع لسانه » ، وفي أخرى : « وقد يرتج على
 اللسان لسانه » ، ولا يبطره القول إذا اتسع ، ولا يتيسر إذا امتنع ، ومن لم يتمكن له الخطوة ، فخلق أن
 تعس له السوء » وفي أخرى : « وقد يعصى على الدرب لسانه » ، ثم لا يكابر القول إذا امتنع ، ولا يرد
 إذا اتسع ، وأولى اللسان من عذر على البوة ، ولم يؤاخذ على الكبوة ، من عرف ميدانه ، اشتهر إحصائه
 وسأعود وأقول » .

✽

وولي اليمامة رجل من بني هاشم يعرف بالذندان ، فلما صعد المنبر ارتج عليه ، فقال :

« حَيَّا الله هذه الوجوه ، وجعلني فداءها ، إني قد أمرت طائفتي بالليل أن لا يرى أحداً إلا أتاني به ، وإن كنت أنا هو » ، ثم نزل .

✽

وخطب عبد الله بن عامر ^(١) بالبصرة في يوم أضحى ، فأرتج عليه ، فشكت ساعة ، ثم قال :

« والله لا أجمع عليكم عيًّا ولؤثما ، من أخذ شاةً من السوق فهي له ، ونعنها على » .

✽

قال الجاحظ : ولما حصر عبد الله بن عامر على منبر البصرة ، شقَّ ذلك عليه ، فقال له زياد : « أيها الأمير ، إنك إن أقبَ عامةً من ترى ، أصابه أكثر مما أصابك » .

✽

وكان سعيد بن جندل الكلابي على قنشرين ^(٢) ، فوثب عليه زُفر بن الحارث ، فأخرجه منها ، وباع لابن الزبير ^(٣) ، فلما قعد زفر على المنبر قال : « الحمد لله الذي أقعدني مقعد الغادر الفاجر » ، وحصر ، فضحك الناس من قوله .

[١] انظر هامش الجزء الأول ص ١٨٠ . [٢] كورة مالتام . [٣] انظر هامش الجزء الثاني ص ١٣١ .



وصعد عدي بن أرطاة^(١) المنبر، فلما رأى جماعة الناس حصر فقال: « الحمد لله الذي يطعم هؤلاء ويسقيهم » .



وصعد روح بن حاتم المنبر، فلما رآهم شفقوا^(٢) أبصارهم، وفتحوا أسماعهم نحوه، حصر فقال: « نكسوا رؤوسكم، وغضوا أبصاركم، فإن المنبر متركب صعب، وإذا يسر الله فتح قل تيسر » .



وكان عبد ربه الشكري عاملاً لعيسى بن موسى^(٣) على المدائن، فصعد المنبر، فحمد الله وأرتج عليه، فسكت ثم قال: « والله إني لأكون في بيتي فتجىء على لساني ألف كلمة، فإذا قتت على أعوادكم هذه جاء الشيطان ففحأها من صدري، ولقد كنت وما في الأيام يوم أحب إلى من يوم الجمعة، فصرت وما في الأيام يوم أبغض إلى من يوم الجمعة، وما ذلك إلا لخطبتكم هذه » .



وأرتج على معن بن زائدة، ف ضرب المنبر برجله، ثم قال: « فتى حرؤوب، لا فتى منابر » .



وحدث عيسى بن عمر قال:

خطب أمير مرة فائق قطع نخيل، فبعث إلى قوم من القبائل عابوا ذلك وأههم^(٤)، وفيهم يربوعي جلد، فقال: اخطبوا، فقام واحد فمر في الخطبة،

[١] كان عامل يزيد بن عبد الملك على الصرة .

[٢] شفه كصره وعلمه شعونا: نظر إليه بمؤخر عييه، أو رفع طرفه فاطرا إليه كاللجج أو كالكاره.

[٣] هو عيسى بن موسى ابن أبي المنصور وكان أمير الكوفة . [٤] لهم: جنهم .

حتى إذا بلغ «أما بعد» قال : أما بعد ، أما بعد ، ولم يدّر ما يقول ، ثم قال :
فإن امرأتى طالق ثلاثاً ، لم أريد أن أجمع ^(١) اليوم ففنتى ، وخطب آخر ، فلما
بلغ «أما بعد» بقي ونظر ، فإذا إنسان ينظر إليه ، فقال : لعنك الله ! ترى ما أنا
فيه ، وتلمحنى ببصرك أيضاً ! وقال أحدهم : رأيت القراقير ^(٢) من السفن تجرى
بينى وبين الناس ، وصعد اليربوعي فخطب فقال : «أما بعد» فوالله ما أدرى
ما أقول ، ولا فيم أقسمونى ، أقول ماذا ؟ فقال بعضهم : قل فى الزيت ، فقال :
«الزيت مبارك» ^(٣) ، فكلوا منه وادهنوا .

قال : فهو قول الشطار ^(٤) اليوم ، إذا قيل : لم فعلت ذا ؟ فقل فى شأن
الزيت ، وفى حال الزيت .



وروى الجاحظ أنه قيل لرجل من الوجوه : قم فاصعد المنبر وتكلم ، فلما
صعد حصر وقال : «الحمد لله الذى يرزق هؤلاء» وبقى ساكناً فأنزلوه ، وصعد
آخر ، فلما استوى قائماً ، وقابل بوجهه وجوه الناس ، وقعت عينه على صلعة ^(٥)
رجل فقال : «اللهم العن هذه الصلعة» .

[١] جمع الناس بالتشديد : أى شهدوا الجمعة ، كما يقال : عيّدوا : أى شهدوا العيد .

[٢] القراقير جمع قرقور كصعور : وهى السحابة أو الطويلة أو الطيبة .

[٣] يشير إلى الآية الكريمة : «الله نور السموات والأرض ، مثل نور نوره كمشكاة فيها
مصباح ، للمصباح فذخاجة ، الرخاجة كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة ،
زيتونة لا شرقية ولا غربية ، يكاد ريتها يضيء ، ولو لم تمسسه نار ، نور على نور» .

[٤] الشطار جمع شاطر : وهو من أعيان أهل حياء ، والمراد به ما أهل البصرة وأصحاب البوادر

والسكيت والمكاهات . [٥] الصلعة : موضع الملح .

وقيل لوازع اليشكري : قم فاصعد المنبر وتكلم ، فلما رأى جمع الناس قال : « لولا أن امرأتى لعنها الله حملتني على إتيان الجمعة اليوم ما جمعت ، وأنا أشهدكم أنها منى طالق ثلاثا » .

ودعي أيوب بن القريّة لكلام ، فاحتبس القول عليه ، فقال : « قد طال السمر ، وسقط القمر ، واشتد المطر ، فماذا ينتظر ؟ » فأجابه فتى من عبد القيس فقال : « قد طال الأرق ، وسقط الشفق ، وكثر اللثق^(١) ، فلينطق من نطق »

وجاء في أمالي السيد المرتضى :

روى أن بعض خلفاء بني العباس - وأظنه الرشيد - صعد المنبر ليخطب ، فسقطت على وجهه ذبابة ، فطردها ، فرجعت ، فحصر وأرتج عليه ، فقال : أعوذ بالله السميع العليم « يَا أَيُّهَا النَّاسُ صُربَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ : إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ ، وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ^(٢) مِنْهُ ، ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ » ثم نزل ، فاستحسن ذلك منه .

وروى أن رجلا صعد المنبر أيام يزيد بن معاوية ، وكان واليا على قوم فقال لهم : « أيها الناس : إني إن لم أكن فارسا طبيا^(٣) بهذا القرآن ، فإن معي من أشعار العرب ما أرجو أن يكون خلفا منه ، وما أساء القائل أخو البراجم حيث قال :

[١] لث - يوما كعرج : ركبت ربحه وكثر نداءه . [٢] وكانوا يطلون أصابعهم بالطيب والرعرعان ، ويطلقون عليها الأنواب ، فيدخل الباب من الكوى يأكله . [٣] فارسا طبيا .

وما عاجلاتُ الطير يُدْنِينَ للفتى رَشَاداً ، ولا من رِيْشَيْنِ مَجِيبُ ^(١)
 وَرُبَّ أُمُورٍ لَا تَضِيرُكَ ضَيْرَةٌ وَلِلْقَلْبِ مِنْ تَخْشَاتِينِ وَجِيبُ ^(٢)
 ولا خَيْرَ فِيمَنْ لَا يُوطِّنُ قَسَّةً على نَائِبَاتِ الدَّهْرِ حِينَ تَنُوبُ
 وفي الشَّكِّ تَقْرِيطٌ وفي الحَزْمِ قُوَّةٌ وَيُخْطِئُ الْفَتَى فِي حَدْسِهِ وَيُصِيبُ ^(٣)
 فقال رجل من كلب : إن هذا المنبر لم يُنْصَبْ للشعر ، بل لِيُحْمَدَ اللهُ تعالى ،
 وَيُصَلَّى على النبي وآله عليهم الصلاة والسلام ، وللقُرْآن ، فقال : أما لو أنشدتكم
 شعر رجل من كلب لسرَّكم ، فكُتِبَ إلي يزيد بذلك فعزله ، وقال : قد كنت
 أراك جاهلاً أحمق ، ولم أَحْسِبْ أن الحق يبلغ بك إلى هذا المبلغ ، فقال له :
 أحمقُ مني مَنْ وَلَانِي !

ﷺ

وخطب عَتَّابُ بْنُ وَرْقَاءَ ^(٤) فحث على الجهاد فقال : هذا كما قال الله تعالى
 في كتابه :

كُتِبَ الْقَتْلُ وَالْقِتَالُ عَلَيْنَا وعلى الغاياتِ جِرُّ الدُّيُولِ ^(٥)

[١] كانت العرب تسمي الطير السائح ، وهو ما ولاك مياسه ، أن يمر من مياسرك إلى مياسك ،
 وتنشأ من البارح ، وهو ما ولاك مياسره ، أن يمر من ميامك إلى مياسرك ، وذلك لأنه لا يمكن رميه إلا
 ما ن تعرف له ، وربما كان أحدهم يهج الطير ليطير ، فيعدها ، وعاجلات الخير هي أن يخرج الإنسان من
 منزله إذا أراد أن يرحل الطير ، فاسم به أول ما دمر فهو عاجلات الخير ، وإن أخطأت عنه وانتظرها
 ضد راثت أي أخطأت ، والأول عدم محمود ، والثاني مضموم .

[٢] حشية خشية ومحشاة : حافة ، ووحى القلب وحاً : حقيق وضطرب . [٣] الخدس : الخلق
 والتخمين ، والآيات لماني بن الحارث الرحبي (انظر دهر الآداب ٢ : ٨٨) .

[٤] انظر الجزء الثاني ص ٤٣٣ و ٤٤٥ : [٥] البيت لعمر بن أبي ربيعة ، وذلك أن مصعب بن ابرج
 سدد أن قتل المحاربين أو عبيد القتيل دما امرأته - وهي بنت النعمان بن سبيح - إلى المرأة من المختار ،
 فأبى قتلها ، قال في ذلك ابن أبي ربيعة :

إن من أعظم الكثر عدى قتل حياء دقة عذبول

قلت ما طلا على غير دس إن قة درهما من قتل



وخطب يوما فقال : هذا كما قال الله تبارك وتعالى : « إنما يتفاضل الناس بأعمالهم ، وكل ما هو آت قريب » قالوا له : « إن هذا ليس من كتاب الله » قال : « ما ظننتُ إلا أنه من كتاب الله » .



وخطب وكيع بن أبي سؤد^(١) بخراسان فقال : « إن الله خلق السموات والأرض في ستة أشهر » فقبل له : « إنها ستة أيام » فقال : « وأييك لقد قلتها وإني لأستقلها ! » .



وصعد المنبر فقال : « إن ربيعة لم تزل غَضَابًا على الله مذ بعث نبيه من مضر ، ألا وإن ربيعة قومٌ كُشف^(٢) ، فإذا رأيتهم فاطعنوا الخيل في مناخيرها ، فإن فرسا لم يُطعن في منخِره إلا كان أشدَّ على فارسه من عدوه^(٣) » .



وضربت بنو مازن الحُتَاتَ بن يزيد المَجَاشِعِيَّ ، فجاءت جماعة منهم ، فيهم غالب أبو الفرزدق فقال : « يا قوم كونوا كما قال الله : لا يعجزِ القوم إذا تعاونوا » .



وخطب عدى بن زياد الإيادي ، فقال : « أقول لكم كما قال العبد الصالح لقومه : « مَا أَرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى ، وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ^(٤) » ، قالوا

كتب القتل والمال طيبا وعلى العايات حرّ الديول

« والعطول كمصعور : المرأة الغنية الحيلة للثقة الطويلة العنق » . [١] اطر الجراء الثاني ص ٢٩٧

[٢] كشف جمع أكشف : وهو من يهرم في الحرب ، ومن لا ترس معه في الحرب ، ومن لا يوصى على رأسه . [٣] وروى الطبري أن عبد الله بن حارم قال ذلك القول لأصحابه بخراسان ، قال لهم : « إذا

لقيتم الخيل فاطعنوها في مناخيرها ، فإنه لن يطعن فرس في نحره إلا أدبر أو رمى صاحبه » . (الطبري

٧ : ٤٦) . [٤] الآية الكريمة : « قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أَرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى . . . »

له : « ليس هذا من قول عبد صالح ، إنما هو من قول فرعون » ، قال : « من قاله فقد أحسن » .

✽

وروى الطبري أن عبد الله بن الزبير كان ولي أخاه عبيدة على المدينة، ثم نزع عنها، وكان سبب عزله إياه أنه خطب الناس، فقال لهم : قد رأيتم ما صنع^(١) يقوم في ناقة قيمتها خمسمائة درهم ، فسمى مقوم الناقة ، وبلغ ذلك ابن الزبير فقال : إن هذا هو التكلف .

وروى الجاحظ وابن عبد ربه هذا الخبر فقالا : خطب والي اليمامة^(٢) ، فقال : « إن الله لا يُقَارُ^(٣) عباده على المعاصي ، وقد أهلك الله أمة عظيمة في ناقة ما كانت تساوي مائتي درهم » ، فسمى مقوم ناقة الله .

✽

وخطب قبيصة ، وهو خليفة أبيه^(٤) على خراسان ، وأتاه كتابه ، فقال : « هذا كتاب الأمير ، وهو والله أهل لأن أطيعه ، وهو أبي وأكبر مني » .

✽

ودعى مُصَنَّب بن حيان ليخطب في نكاح خَصِر فقال : لَقِنُوا موتاكم شهادة أن لا إله إلا الله ، فقالت أم الجارية : عَجَل الله موتك ، ألهذا دعوناك؟ .

✽

وخطب أمير المؤمنين الموالى - وهكذا لقبه - خطبة نكاح خَصِر ، فقال : « اللهم إنا نحمدك ونستعينك ولا نُشْرِكُ بك » .

[١] يشير إلى ثمود قوم صالح عليه السلام - انظر هامش الجزء الثاني ص ٢٢٣ .

[٢] لعلها للديبة . [٣] أى لا يقرم .

[٤] هو المهلب بن أبي صفرة ، وكان والياً على خراسان - انظر الجزء الثاني ص ٢٢٢ .

✽

وخطب قُتَيْبَةُ بْنُ مُسْلِمٍ عَلَى مِنْبَرِ خُرَاسَانَ ، فَسَقَطَ الْقَضِيبُ مِنْ يَدِهِ ،
فَتَفَاءَلَ لَهُ عَدُوهُ بِالْشَّرِّ ، وَاعْتَمَّ صَدِيقُهُ ، فَعَرَفَ ذَلِكَ قُتَيْبَةُ ، فَأَخَذَهُ وَقَالَ :
« لَيْسَ الْأَمْرُ عَلَى مَا ظَنَّ الْعَدُوُّ ، وَخَافَ الصَّدِيقُ ^(١) ، وَلَكِنَّهُ كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ :
فَأَلْقَتْ عَصَاهَا وَاسْتَقَرَّ بِهَا النَّوَى كَمَا قَرَّ عَيْنًا بِالْإِيَابِ الْمُسَافِرُ ^(٢) »

✽

وَتَكَلَّمَ صَعْصَعَةٌ عِنْدَ مَعَاوِيَةَ فَعَرِقَ ، فَقَالَ مَعَاوِيَةُ : بَهْرَكَ ^(٣) الْقَوْلُ ! فَقَالَ
صَعْصَعَةٌ : إِنْ الْجِيَادَ نَضَّاحَةٌ بِالْمَاءِ .

✽

وَشَخْصٌ يُزِيدُ بْنُ عُمَرَ بْنِ هُيَيْرَةَ إِلَى هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، فَتَكَلَّمَ فَقَالَ هِشَامُ :
مَا مَاتَ مِنْ خَلْفٍ مِثْلَ هَذَا ! فَقَالَ الْأَبْرَشُ الْكَلْبِيُّ : لَيْسَ هُنَاكَ ، أَمَّا تَرَاهُ يَرْتَشَحُ
جِئْنُهُ لِيَضِيقَ صَدْرَهُ ! قَالَ يُزِيدُ : مَا لَذَلِكَ رَشَحَ ، وَلَكِنْ لَجُلُوسِكَ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ .

✽

وَقَالَ عِيْدُ اللَّهِ بْنُ زِيَادٍ : « نِعَمَ الشَّيْءُ الْإِمَارَةُ ، لَوْلَا قَعْقَعَةُ الْبَرِيدِ ،
وَالْتَشْرِيفُ لِلخُطْبِ » .

✽

وَقِيلَ لِعَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ : عَجَلْ عَلَيْكَ الْمَشِيبُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، فَقَالَ :
كَيْفَ لَا يَعْجَلُ عَلَيَّ ، وَأَنَا أَعْرِضُ عَقْلِي عَلَى النَّاسِ فِي كُلِّ جُمُعَةٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ؟
« أَوْ قَالَ : شَيْبَنِي صَعُودُ الْمَنَابِرِ وَالْخَوْفُ مِنَ اللَّحْنِ » .

(القند الريد ٢ : ١٦٢ - ١٦٣ و ٢٥٦ : ٣ ، و عيون الأحرار م ٢ : ص ٢٤٧ و ٢٥٦ و
٢٥٩ ، و أمالي السيد المرتضى ٤ : ١٩ - ٢٢ ، و الأغانى ١٣ : ٤٧ ، ١٧ : ١١١ ، و تاريخ الطبرى
ج ٧ : ص ٩٠ ، ج ٨ : ١٨٨ ، و البيان والتبيين ١ : ٧٤ ، ١٦٣ ، ١٨٦ - ١٨٧ : ٢ - ١٢٢ ، ١٢٦ ،
١٢٧ ، ١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٣١ ، و الأمالى ١ : ١١١ ، و تهذيب الكامل ١ : ١٧ ، و شرح البيهق
ص ١٢٥ ، ٢٠٥ ، و الصاعى ص ٢١)

[١] وى رواية : « كما ساء الصديق ، و ساء العدو » . [٢] النوى : العربة البعيدة .
[٣] أى غلك .

بدء الخطب وختامها

قال ابن قتيبة في عيون الأخبار :

تبعث خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فوجدت أوائل أكثرها :
« الحمد لله نحمده ، ونستعينه ونؤمن به ، ونتوكل عليه ، ونستغفره وتوب إليه ،
ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل
له ، ومن يضل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ،
ووجدت في بعضها : « أوصيكم عباد الله بتقوى الله ، وأحكم على طاعته » ،
ووجدت كل خطبة مفتاحها الحمد ، إلا خطبة العيد ، فإن مفتاحها التكبير .

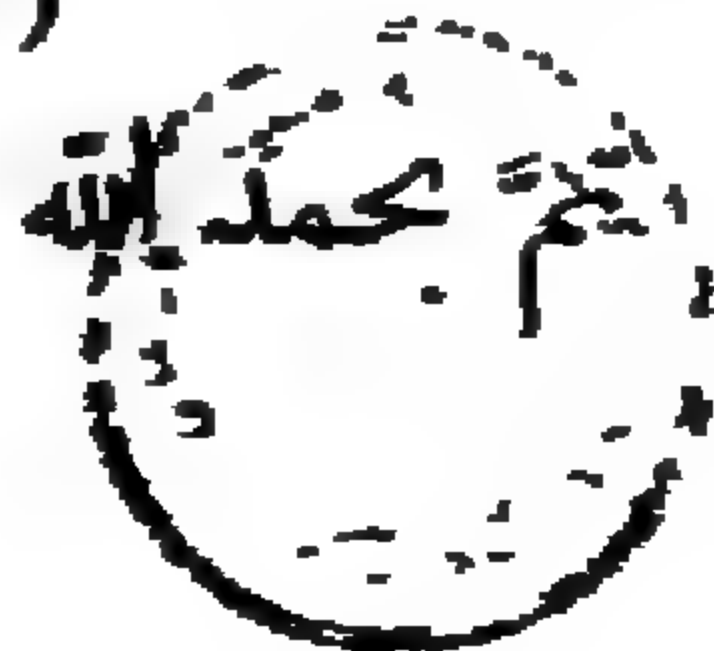
(عيون الأخبار م ٢ : ص ٢٣١)

وروى ابن عبد ربه في العقد قال :

وكان آخر كلام أبي بكر الذي إذا تكلم به عرف أنه قد فرغ من خطبته :
« اللهم اجعل خير زمانى آخره ، وخير عملى خواتمه ، وخير أيامى يوم ألقاك » .
وكان آخر كلام عمر الذي إذا تكلم به عرف أنه فرغ من خطبته : « اللهم
لا تدعنى في غمرة ، ولا تأخذنى على غرّة ، ولا تجعلنى من الغافلين » .

وكان عبد الملك بن مروان يقول في آخر خطبته . « اللهم إن ذنوبى ود
عظمت وجلت أن تحصى ، وهى صغيرة فى جنب عفوك فاعف عني » .

(العقد المرید ٢ : ١٣٣ ، ١٤٢)



جدول الخطأ والصواب

صحة	سطر	الخطأ	الصواب
١٦٧	١١	ولى	ولى
١٧٩	٤	يقولون	يقولون
١٩١	١٥	البر	البر
١٩٣	٥	الموصل المرغوب	الموصل إلى المرغوب
١٩٣	١٣	ولى	ولى
٢٠١	١١	تتلى	تتلى
٢٠٥	١٨	الازدراء	الازدراء
٢٠٨	١٣	بضائعها	بضائعها
٢١١	١١	شديد	شديد
٢٢٢	١٥	يضيف	يضيف
٢٣٥	١٣	يداً	يداً
٢٦٤	٢٠	غفلنا	غفلنا
٢٧٨	١	أذبت	أذابت
٢٨٧	١٠	الردي	الردي
٣١٣	١٤	شربك	شربك
٣١٨	١٠	وتسل	وتسل
٣٢٠	٧	أصاب	صاب
٣٣٤	١	كالترس	كالترس
٣٤٠	٦	للى	الى

منحة	سطر	الخطأ	الصواب
٣٤١	٢	وتشئج	وتشئج
٣٤١	٥	الذل	الذل

تم الكتاب بحسن توفيقه وعونه تعالى

وسيتبعه إن شاء الله كتاب

جمهرة رسائل العرب

في عصور العربية الزاهرة

فهرس ذيل الجمهرة

الباب الأول

في خطب الأندلسيين والمغاربة

رقم الصفحة	الخطبة أو الوصية
١٦٦	خطبة عبد الرحمن الناخل يوم حربه مع يوسف الفهرى
١٦٧	عبد الرحمن الناخل ورجل من جند قسرين
١٦٨	عبد الرحمن الناخل ورجل من خنده يهته بفتح سرقسطة
١٦٨	تأديب عبد الرحمن الأوسط لابته المنذر
١٧٠	عبد الرحمن الأوسط وابته المنذر أيضاً
١٧١	يعقوب بن عبد الرحمن الأوسط وأحد خدامه
١٧٢	وفاة الوزير ابن عاتم لصديقه الوزير هاشم بن عبد العزيز
١٧٣	خطبة منذر بن سعيد اللوطى فى الاحتمال قدوم رسل ملك الروم
١٧٧	خطبة أخرى له
١٧٨	أحد حساد الرمادى الشاعر وللنصور بن أبى عامر
١٨١	ابن اللانة الشاعر وعز الدولة بن المعتصم بن صمادح
١٨٣	دفاع ابن الفطار عن القاضى الوحيدى محضرة ابن تاشعين
١٨٤	موعظة ابن أبى رندقة الطرطوشى للأفصل بن أمير الجيوش
١٨٥	حطة ابن تومرت مؤسس دولة للموحدين
١٨٨	مقال لسان الدين بن الخطيب فى الحضر على الجهاد
١٩٠	ما حاطب به لسان الدين تربة السلطان الكبير أبى الحسن المرينى
١٩٢	وصية لسان الدين لأولاده
٢٠٨	حطة وعطية له

٢١٦	وصية موسى بن سعيد العنسي لابنه
٢٢٦	خطبة ابن الزيات المنزوعة الألف
٢٢٩	» القاضى عياض التى ضمنها سور القرآن
٢٣١	» سعيد بن أحمد للقري التى ضمنها سور القرآن
٢٣٤	» الكفعمى التى ضمنها سور القرآن أيضاً

الباب الثانى

فى خطب ووصايا مجهول عصرها أو قائلها

٢٣٦	خطبة أبى بكر بن عبد الله بالمدينة
٢٤١	وصية أعمى من الأرد لشاب يقوده
٢٤١	» رجل لآخر وقد أراد سمرأ
٢٤٢	» » لابنه وقد أراد التروج
٢٤٢	» بعض العلماء لانه
٢٤٢	» لبعض الحكماء
٢٤٣	» أخرى
٢٤٣	» »
٢٤٤	عظة لبعض الحكماء
٢٤٤	نصيحة » »
٢٤٤	كلمات شتى لبعض الحكماء
٢٤٦	رجل من العرب والحجاج
٢٤٦	أحد الواقدين على عمر بن عبد العزيز
٢٤٧	كاتب وأمير

٢٤٧ وصف الهليجة

٢٤٩ بعض البلغاء يصف رجلاً

٢٤٩ خمس جوار من العرب يصفن خيل آتاهن

٢٥٢ رجل من العرب يصف مطراً

الباب الثالث

في نثر الأعراب

٢٥٣ قولهم في الوعظ والتوصية

٢٥٣ مقام أعرابي بين يدي سليمان بن عبد الملك

٢٥٤ أعرابي يعط هشام بن عبد الملك

٢٥٤ خطبة أعرابي

٢٥٥ » أخرى

٢٥٦ » »

٢٥٦ أعرابية توصي ابنها وقد أراد السفر

٢٥٧ أعرابية توصي ابنها

٢٥٧ أعرابي يوصي ابنته

٢٥٧ » ينصح لابنته

٢٥٨ » » »

٢٥٨ » » لأخيه

٢٥٨ » يعط أخاه

٢٥٩ » » صاحبه

٢٥٩ » » أخاه

٢٥٩ » » رجلاً

أعرابي يعظ رجلا	٢٦٠
أعرابي يعظ رجلا	٢٦٠
كلام أعرابي لابن عمه	٢٦٠
كلمات حكيمة للأعراب	٢٦١
أجوبة الأعراب	٢٦١
مجاوبة أعرابي للحجاج	٢٦٧
مسألة الحجاج أعرابياً فصيحاً	٢٦٨
محاوثة أعرابي لعبد الملك بن مروان	٢٦٨
مجاوثة أعرابي لحالد بن عبد الله القسري	٢٦٩
أحوة تنى	٢٦٩
قولهم في الاستمناح والاستجداء	٢٧٢
أعرابي يجتدى عتبة بن أبي سفیان	٢٧٢
أعرابي يجتدى عمر بن عبد العزيز	٢٧٣
خطبة أعرابي بين يدي هشام بن عبد الملك	٢٧٣
مقام أعرابي بين يدي هشام	٢٧٣
أعرابي يستجدي عبيد الله بن زياد	٢٧٤
أعرابية تستجدي عبد الله بن أبي بكر	٢٧٥
أعرابي يستجدي خالد بن عبد الله القسري	٢٧٦
» » معن بن رائدة	٢٧٧
حطة الأعرابي السائل في المسجد الحرام	٢٧٧
» » » » الجامع بالبصرة	٢٧٨
صورة أخرى	٢٧٩

٢٧٩	صورة أخرى
٢٨٠	أعرابي يستجدي
٢٨٠	» »
٢٨١	» »
٢٨١	» »
٢٨٢	أعرابية تستجدي
٢٨٢	أعرابي يستجدي
٢٨٣	» »
٢٨٣	» »
٢٨٣	» »
٢٨٤	أعرابية تستجدي
٢٨٤	أعرابي يستجدي
٢٨٥	» »
٢٨٥	» »
٢٨٥	» »
٢٨٥	» »
٢٨٦	» »
٢٨٦	» »
٢٨٦	» »
٢٨٦	» يسأل رجلاً حاجة له
٢٨٦	قولهم في بكاء الموتى
٢٨٧	أعرابية تكي ابنها

٢٨٨	حديث امرأة سكنت البادية قريباً من قبور أهلها
٢٩٠	حديث امرأة مات عنها زوجها
٢٩٠	قولهم في الشكوى
٢٩٠	أعرابي يشكو حاله
٢٩١	كلمات في شكوى
٢٩٦	قولهم في العتاب والاعتذار
٢٩٧	قولهم في المرح
٣٠٧	قولهم في الذم
٣١٤	قولهم في الغزل
٣١٩	قولهم في الوصف
٣١٩	أعرابي يصف مطراً
٣٢٠	أعرابي يصف مطراً
٣٢١	أعرابي يصف مطراً
٣٢٢	ثلاثة عمة من لأعرابي يصفون مطراً
٣٢٤	أعرابي يصف مطراً
٣٢٥	أعرابي يصف مطراً
٣٢٦	أعرابي يصف مطراً
٣٢٧	أعرابي يصف مطراً
٣٢٨	أعرابي يصف مطراً
٣٢٩	أعرابي يصف مطراً

أعرابي يصف مطراً	٣٢٩
» » »	٣٣٠
» » أرضاً	٣٣٠
رائد يصف أرضاً حلبة	٣٣١
» » »	٣٣٢
» » »	٣٣٢
أعرابي يصف أرضه وماله	٣٣٣
» » لله	٣٣٤
» » أتد البرد	٣٣٤
» » إبلا	٣٣٤
» » ناقة	٣٣٥
» » خيلا	٣٣٥
» » »	٣٣٥
» » »	٣٣٥
» » فرساً	٣٣٦
» » حاتمًا	٣٣٦
» » أطيب الطعام	٣٣٦
» » السويق	٣٣٧
» » الحال	٣٣٧
أبو المختار يصف ابنة	٣٣٧
أعرابي يصف بنيه	٣٣٨
أعرابي يصف أخويه	٣٣٩

٣٣٩ قولهم في الدعاء

٣٣٩ دعاء أعرابي

» » ٣٤١

» » ٣٤٢

» » ٣٤٣

» » ٣٤٤

» » ٣٤٤

» » ٣٤٤

» » ٣٤٤

» » ٣٤٥

» » ٣٤٥

» » ٣٤٥

» » ٣٤٥

» » ٣٤٥

» » ٣٤٦

» » ٣٤٧

» » ٣٤٧

» » ٣٤٧

٣٤٨ أدعية شتى

٣٥٢ نواذر وملح لبعض الأعراب

الباب الرابع في خطب النكاح

- ٣٦٠ حطة قرين في الجاهلية
- » النبي صلى الله عليه وسلم في زواج السيدة فاطمة ٣٦٠
- » الامام علي كرم الله وجهه ٣٦١
- » عتبة بن أبي سفيان ٣٦٢
- » شبيب بن شيبه ٣٦٣
- » الحسن البصري ٣٦٢
- » ابن القير ٣٦٣
- » عمر بن عبد العزيز ٣٦٣
- » أخرى له ٣٦٣
- » بلال ٣٦٤
- » خالد بن صفوان ٣٦٤
- » أعرابي ٣٦٤
- » المأمون ٣٦٥

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله الذي جعل في كل شيء
دروسا لمن يلاحظ



الباب الخامس

- ٣٦٦ في خطب من أرتج عليهم ونوادير طريفة لبعض الخ

